

يتيمة الدهر

في محاسن أهل العصر

تأليف

أبي منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري

المتوفى ٤٢٩ هجرية

شرح وتحقيق

الدكتور مفيد محمد قميحة

الجزء الأول

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م

يطلب من: دار الكتب العلمية - ص ب: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان
نيو ملكارت سنتر - الرملة البيضاء - قرب محلات سبينيز
هاتف: ٨٠١٣٣٢ - ٨٠٠٨٤٢

بسم الله الرحمن الرحيم

« مُقَدّمَة المحَقّق »

الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على سيّد المرسلين ، نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد ، فقد شهد القرن الرابع للهجرة ازدهاراً أدبياً واسعاً تجلى بظهور عدد كبير من الكتب المتخصّصة في شتى مجالات المعرفة الانسانية ، فرغم مظاهر الوهن المتعدّدة التي أثقلت جسم الدولة العباسية وجعلته ينوء تحت جموح الأطماع والأهواء والقلاقل ، فإنّ الأدب العربي شهد جموحاً من نوع آخر ، جموحاً نحو الابداع والكمال ، ساهم في نهضته المباركة عددٌ كبيرٌ من الأدباء الذين أغنوا الفكر العربي والاسلامي بكتاباتٍ قيمة وابتكارات رائعة ، كان لهما الأثر المرجوّ في تعميق الفكر وخدمة الثقافة والأدب ، وأبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي النيسابوري ، واحدٌ من أولئك الذين ساهموا في هذه النهضة المباركة ، بحيث قدّم للعربية عدداً كبيراً من المؤلّفات والمصنّفات التي تنوّعت لتشمل اغراضاً متنوعة في الآداب واللغة والفكر .

ولد أبو منصور في نيسابور عام ٣٥٠ للهجرة وإليها نمي ، وكان في أوّل حياته فرّاءً ، يخيط جلود الثعالب فنسب إلى صناعته ، ومن ثمّ انتقل من حوك الفراء إلى حوك الكلِم ، فاشتغل باللغة والأدب والتاريخ فنبغ واشتهر ، ولم تتحدّث كتب التراجم عن تفاصيل حياته ومراحلها وأدوارها ، إلاّ أنهّا أسهبت في ذكر فضله وعلمه ، فقد ذكره فريق من كبار المؤلفين ، وأشاروا إلى مكانته ومؤلفاته التي بلغت

حدّاً لا بأس له من الكثرة والغنى والتنوع ، فقال ابن الأنباري في نزهة الألبّاء عنه : « كان أديباً فاضلاً فصيحاً بليغاً ، صنّف كتباً كثيرة ، وأخذ عن أبي بكر الخوارزمي » .

وقال ابن بسّام صاحب كتاب الذخيرة في حقه : « كان في وقته راعي تلعات العلم ، وجامع أشتات النثر والنظم ، ورأس المؤلّفين في زمانه ، وإمام المصنّفين بحكم قرانه ، وسار ذكره سير المثل ، وضربت إليه آباط الإبل ، وطلعت دواوينه في المشارق والمغارب ، طلوع النجم في الغياهب ، تآليفه أشهر مواضع وأبهر مطالع ، وأكثر راوٍ لها وجامع ، من أن يستوفيها حدٌّ أو وصف ، أو يوفي حقوقها نظمٌ أو رصف » .

وقال عنه الباخرزي صاحب دمية القصر : « هو جاحظ نيسابور ، وزبدة الأحقاب والدهور ، لم ترَ العيون مثله ، ولا أنكرت الأعيان فضله ، وكيف تنكر وهو المزن يحمد بكلّ لسان ، أو كيف يستر وهو الشمس لا تخفى بكلّ مكان » .

أما كتابه « يتيمة الدهر » الذي قمنا بشرحه وضبط نصوصه قدر الامكان فإنه أكثر مؤلفاته شهرة وتداولاً ، كونه يقدّم فيه ترجمةً وافية لكثير من الشعراء المعاصرين له أو السابقين لزمنه بقليل ، وهذه الترجمة تختلف عمّا عرفناه في كتب الطبقات ، لأنه يجمع فيها كلّ جماعة من الشعراء حسب بلدهم أو إقليمهم أو البلاط الذي سلكهم في عداده ، ومثال ذلك ما فعله بشعراء الشام ، وشعراء مصر من حيث الأقاليم ، وبشعراء دولة بني حمدان وبلاط سيف الدولة في حلب ، وبني بويه في بغداد وأصبهان . .

وقد بدأت فكرة الكتاب لديه في سنٍّ مبكّرة إذ بدأه سنة ٣٨٤ هجرية ، ثم رجع إليه بعد فترة من الزمن بعد أن اكتمل عوده وقوي مراسه ، ليتّم في كهولته ما

استهلّه في شبابه ، وقد قسّم الرجل كتابه إلى أقسامٍ أربعة وأردفه بعد مدّة بقسمٍ خامس ، لم يكن أهل الأدب واللغة قد اطلعوا عليه وقد نشر هذا القسم في طهران ، وفيه تتمات لما جاء في الأقسام السابقة له ، بحيث تضمّن أبواباً ثلاثة حملت العناوين التالية : « تتمّة القسم الأول في محاسن أهل الشام والجزيرة ، وتتمة القسم الثاني في محاسن أشعار أهل العراق ، وتتمة القسم الثالث في محاسن أهل الرّي وهمدان وأصفهان وساير بلاد الجبل » وقد قدّم الثعالبي في هذه الأقسام تراجم لشعراء عدّة يظهر أنهّم كانوا أقلّ شهرةً من الذين ترجم لهم في الأقسام الأربعة السابقة فألحقهم بهذا القسم بعد أن تمكّن من الوقوف على نماذج من أشعارهم .

أمّا غاية الكتاب فهي خدمة اللغة العربية التي هي لغة القرآن الكريم ، عن طريق الشعر الذي يرى فيه فضلاً وعلماً وتقدُّم مكانة ، يقول في مقدمته « ولمّا كان الشعر محمدة الأدب وعلم العرب الذي اختصوا به دون سائر الأمم ، وبلسانهم جاء كتاب الله المنزل على النبّي فيهم المرسل ، صلوات الله وسلامه عليه ، كانت أشعار الاسلاميين أرقّ من أشعار الجاهليين وأشعار المخضرمين ، ثم كانت أشعار العصريين أجمع لنوادر المحاسن ، وأنظم للطائف البدائع من أشعار سائر المذكورين ، ولانتهائها إلى أبعد غايات الحسن ، وبلوغها أقصى درجات الجودة والظرف ، تكاد تخرج من باب الاعجاب إلى الاعجاز ، ومن حدّ الشعر إلى السحر فكأن الزمان ادّخر لنا من نتائج البراعة وأوفرها نصيباً من كمال الصنعة ورونق الطلاوة » وهكذا فإن الثعالبي يتقدّم لتصنيف عمله وإتمامه مدفوعاً برغبةٍ داخلية قويّة قوامها الحبّ للعربية والإدراك العميق لأبعاد الكلمة وأثرها البعيد الغور في النفس الانسانية التي قدِّر لها نصيبٌ من الحسِّ والرّفاهية والذوق . .

والثعالبي في اليتيمة لم يقتصر على الترجمة المحضة والاستشهاد بالنصوص الشعرية ، بل نراه يورد آراءً نقدية قيّمة وتعليلاتٍ أدبية ممتعة تنمُّ عن ذوقٍ أدبيّ رفيع ، كما يعمد في كثير من الأحيان إلى المقارنة والموازنة بين من يترجم له وبين غيره

من الشعراء في الفنّ الشعري الذي برع فيه ويكشف بلياقة وكياسة عن مدى تأثّر الشاعر بغيره من السابقين والمعاصرين ويتعقّب بحسٍّ أدبيٍّ وذوق مرهفٍ صوره ومعانيه، فيشهد له بما قدّم من توليداتٍ مبتكرة وجديدة، ويرشد إلى ما كان فيه تابعاً ومقلّداً ، كما نراه أحياناً يصوّب المعنى ويشير إلى الاستعمال السليم ، مثال ذلك تعليقه على بيتٍ شعري لأبي القاسم عبد الصمد بن بابك يقول :

نشوة أنفاس الأمير الذي أدرك ما شاء برغم الزمان

فيرى الثعالبي أنه « لم يحسن في تشبيه طيب رائحة الشراب ، بنفس الممدوح وهو ملك عظيم ، لأنّه إنّما يشبّه بنفس المعشوق » وكان ينبغي أن يقول :

نسيم أفعال الأمير الذي أدرك ما شاء برغم الزمان

كما نراه يشير إلى سقطات أبي بكر محمد بن محمّد الخوارزمي فيقول : « وممّا زلّ فيه أقبح زلّة قوله من قصيدة في الصاحب وقد اعتلّ:

نعوا إليّ نفس المجد ساعة أخبروا بما يشتكي من سقمه ويمارس

فإن في لفظة النعي ما فيها من الطيرة ؛ إذ هي ممّا يقع في المرثيّة لا في العيادة » .

ويقول أيضاً عنه ومن سقطاته المنكرة قوله للصاحب :

ومهيبٍ كأنّما أذنب النا س إليه فهم مغشون ذلا
وظريفٍ كأنّ في كلّ فعلٍ من أفاعيله عرائس تجلى

فإنّ الكبراء والمحتشمين لا يوصفون بالظرف إذ هو من أوصاف الأحداث والقيان والشبان ، ولم يرض بالفرطة في هذه اللفظة حتى شبّه أفاعيله بعرائس تجلى ، فلو مدح مخنّثاً لما زاد » .

وفي حديثه عن أكثر الشعراء فإننا نراه يتتبع سرقاتهم ويشير إلى المعاني التي اقتبسوها من غيرهم ، ويقطع في مواضع كثيرة سرد القصيدة ليذكر سرقة بيتٍ منها ، كحديثه عن أبي سعيد الرستمي حين يقول :

بدورٌ زهتهــن الملاحــة أن يُرى لهــنّ نقــابٌ فالوجــوه سوافر

فيقطع الثعالبي القصيدة ليذكر أنّه سرقه من قول القائل :

ولّما تنازعنــا الحــديث وأسفرت وجــوهٌ زهاهــا الحســن أن تتقنّعا

ولا يتوقف الأمر عند هذا الحدّ ، بل نراه يورد في كتابه فصولاً خاصة يتتبّع فيها سرقات الشعراء ، كما فعل في حديثه عن السريّ الرّفاء حيث عقد له فصلاً مسهباً أشار فيه إلى سرقاته الكثيرة ، وذكر النصوص التي تأثّر بها وضمّنها قصائده ، كما أنه لم ينس أن يشير إلى نوع السرقة ، وهل استطاع الشاعر أن يتفوق على سابقه أم أنّه قصر في بلوغ شأوه ، يقول معلّقاً على بيتٍ لأبي الحسن عليّ بن هارون بن المنجم « ولقد أحسن السرقة وجوّد اللفظ وزاد في المعنى » .

أمّا حديثه عن المتنبيّ فقد طال نظراً لإعجابه الشديد بالرجل ، إلا أنّ هذا الاعجاب لم يمنعه من ذكر هفواته التي اعترف بها المنصفون من النقاد ، يقول الثعالبي بهذا الصدد « ومنها إتباع الفقرة الغرّاء بالكلمة العوراء والافصاح بذلك في شعره عن كثرة التفاوت وقلّة التناسب، وتنافر الأطراف وتخالُف الأبيات ، وما أكثر ما يحوم حول هذه الطريقة ويعود لهذه العادة السيئة ، ويجمع بين البديع النادر والضعيف الساقط، فبيناه يصوغ أفخر حلي وينظم أحسن عقد وينسج أنفس وشي ويختال في حديقة ورد ، إذا به قد رمى بالبيت والبيتين في إبعاد الاستعارة أو تعويض اللفظ أو تعقيد المعنى إلى المبالغة في التكلّف والزيادة في التعمّق والخروج إلى الافراط والإحالة والسفسفة والركاكة والتبرّد والتوحش باستعمال الكلمات الشاذة ، فمحا

تلك المحاسن وكدّر صفاءها وأعقب حلاوتها مرارة لا مساغ لها واستهدف لسهام العائبين وتحكك بألسنة الطاعنين »وهكذا فإن الثعالبي لم يقتصر في اليتيمة على الترجمة الخالصة وتسجيل النصوص ، بل كان له رأي خاص يمثّل ذوقه الأدبي وحسّه الشعريّ ، وهذا الرأي مبنيٌّ على خبرة واسعة واطلاع عميق استطاع بهما أن يصل إلى تعليلات موفقة لم تجانب الصواب ، بل حالفته وعمّقته وأرشدت إليه في كثير من الأحيان ، إلاّ أنّه في تعليلاته ونقداته لم يخرج عمّا تعارف عليه الذوق النقدي العربي القديم، الذي كان ينظر إلى القصيدة بيتاً بيتاً وبناءً مفككاً يُفصل فيه البيت عن سابقه وتاليه ، ويركزّ على استعمالات الألفاظ واختيار المعاني ، ولا يشير إلى البناء الكليّ للقصيدة ذلك البناء الذي يتحد فيه اللفظ والمعنى ليؤدّيان الصورة الفنّية الممتعة ، فقد ظلّ الشعر في نظره لفظاً ومعنىً لا عملاً فنّياً متكاملاً تجمعه وحدة عضوية متماسكة .

بعد هذا العرض يمكننا أن نقول : إن اليتيمة كتابٌ هام لا غنىً عنه لكلّ من يتعانى الأدب ويسلك دروبه لأنّه يعرفنا بالنقلة التي وصل إليها الشعر في عصره ، سواء من حيث النوعية أو الكميّة فضلاً عن تقديمه ترجمة وافية لكثير من شعراء العربية الذين لولا الجهد المشكور الذي بذله أبو منصور ، لظلّ أكثرهم في عالم المجهول والنسيان . . .

والله من وراء القصد
وهو وليُّ التوفيق

د. مفيد محمد قميحة

فهرس بأهم الآثار التي خلّفها الثعالبي

خلّف الثعالبي كتباً قيمه أربت على الثمانين كتابا ، وقد وضع لها الأستاذ عبدالفتاح محمد فهرساً بأسمائها والأماكن الموجودة فيها ، وتنوّعت هذه الكتب بين اللغة والسيرة والأخبار والبلاغة والأدب شعراً ونثراً واخترنا منها ما يلي :

(١) أحاسن كلام النبي والصحابة والتابعين ، وملوك الجاهلية وملوك الاسلام .

(٢) أحسن ما سمعت ، وهو مختصر على عشرة أبواب ، أوله : أمّا بعد حمد الله على آلائه الخ . . ويعرف باللآلي والدّرر .

(٣) أربع مسائل منتخبة من مؤلّفات العلامة أبي منصور الثعالبي :

(أ) منتخبات كتاب التمثيل والمحاضرة .

(ب) المبهج .

(خ) سحر البلاغة وسرّ البراعة .

(د) النهاية في الكناية .

(٤) الاعجاز والايجاز ، أو الامجار والاعجاز .

(٥) كتاب الأمثال المسمّى بالفرائد والقلائد ، ويسمى أيضاً العقد النفيس في نزهة الجليس .

(٦) برد الأكباد في الأعداد .

(٧) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب .

(٨) خاص الخـاص ، وفيه مواضيع شعـرية ونثـرية ، أودع فيه من عيون الغـرر ونصوص الكتب ما يكاد يخرج من حدّ الاعجاب إلى حدّ الاعجاز .

(٩) رسالة فيما جرى بين المتنبي وسيف الدولة .

(١٠) سرّ الأدب في مجاري لغة العرب .

(١١) غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم .

(١٢) فقه اللغة وسرّ العربية .

(١٣) الكناية والتعريض .

(١٤) لطائف المعارف .

(١٥) المؤنس الوحيد في المحاضرات ، طبع منه مختصرات .

(١٦) اللطائف والظرائف ، في مدح الأشياء وأضدادها ، ومعه اليواقيت والمواقيت في مدح الشيء وذمّـه .

(١٧) مرآة المروءات .

(١٨) مكارم الأخلاق .

(١٩) من غاب عنه المطرب .

(٢٠) و المنتحل ـ وهو منتخبات من فحول الشعراء العرب .

(٢١) المقصور والممدود .

(٢٢) نثر النظم وحلّ العقد .

(٢٣) يتيمة الدهر .

(٢٤) الغلمـان .

(٢٥) الشكوى والعتاب .

(٢٦) تحفة الوزراء .

(٢٧) لباب الأدب .

(٢٨) طبقات الملوك .

(٢٩) نسيم السحر .

وغير ذلك كثير . . .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على الصفوة المختار من خلقه أجمعين ، وعلى آله وصحبه .

وبعد ، فهذا كتاب « يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر » الذي يقول فيه أبو الفتوح نصر الله بن قلافس الشاعر الإسكندري المشهور :

أبيات أشعار اليتيمة　　أبكار أفكار قديمة
ماتوا وعاشت بعدهم　　فلذاك سميت اليتيمة

وهو الكتاب الذي لولاه لكانت قد « بقيت محاسن أهل عصر مؤلفه ـ وهي التي معها رواء الحداثة ، ولذة الجدة ، وحلاوة قرب العهد ، وازدياد الجودة على كثرة النقد ـ غير محصورة بكتاب يضم نشرها ، وينظم شذرها ، ويشد أزرها ، ولا مجموعة في مصنف يقيد شواردها ، ويخلد أوابدها » مع أنه « قد سبق مؤلفو الكتب إلى ترتيب المتقدمين من الشعراء ، وذكر طبقاتهم ودرجاتهم ، وتدوين كلماتهم ، والانتخاب من قصائدهم ومقطوعاتهم ، فكم من كتاب فاخر عملوه ، وعقد باهر نظموه ، لا يشينه إلا نبو العين من إخلاق جدته ، وبلى بردته ، ومج السمع لمردداته ، وملالة القلب من مكرراته »[1] وهو كتاب قد جمع الكثير من غرر

(١) من مقدمة الثعالبي في كتاب اليتيمة (ص ٢٦ ج ١).

شعراء القرن الرابع وصدر القرن الخامس : ملوكهم وأمرائهم ووزرائهم وقضاتهم ، ذوي الجد منهم وذوي المجون ، في رقعة البلاد التي كانت يد العرب مبسوطة عليها يومذاك ، من بلاد الشام والعراق وجرجان ومصر والمغرب والأندلس وغيرها ، وهذه الحقبة من الزمن ـ على ما كان فيها من التفرق والاضطراب السياسي ـ أنضر حقب الزمان في الآداب والعلوم والفنون .

وقد بقي الكتاب ـ على رغم أنه طبع مرتين قبل اليوم ـ سراً محجوباً لرداءة عرضه وفشو الأغاليط فيه وقلة العناية برواثه ، فأردت أن أخدم العربية التي أشربت حبها من عهد الصغر بإخراجه في صورة ترضى عنها النفس وينشرح لها الصدر ، فتوفرت على مراجعته على أصوله المخطوطة ، وعلى ما تيسر لي من دواوين الشعراء ومجاميع الشعر ، حتى استقام لي نص صحيح أو قريب من الصحة ، ثم قدمته للنشر في هذه الضائقة التي غلت فيها أسعار الورق ، وشح وجود الجيد منه ، وتهافت الناس فيها على نشر دوريات قليلة الغناء ، فازدحمت بها دور الطباعة ، وأعوز الأدباء أن يجدوا لنتائج قرائحهم مكاناً في هذا الميدان .

وهذه المطبوعة من هذا الكتاب ـ فيما نعتقد ـ خير ما يقرأ المتأدبون من نسخ الكتاب ، أصلحنا فيها الكثير مما فشا في سابقيتها من الأغاليط ، وكانت طريقتنا أن نستبقي النص كما هو في أصول الكتاب ما وجدنا له محملاً من الصحة ، فإن لم نجد له ذلك ووجدناه في ديوان من دواوين الشعر على وجه آخر صحيح غيرناه إليه ، وبينا ذلك في أسفل صفحات الكتاب أحياناً ، فإن لم نعثر على النص في كتاب آخر وظهر لنا فيه وجه صحيح غيرناه إليه والتزمنا في هذه الحال أن نبين عملنا في أسفل صحف الكتاب ، وإن لم نعثر على النص في كتاب آخر ولم يستقم لنا فيه وجه صحيح ، أشرنا إلى أنه لم يبن لنا فيه وجه يوثق به ، والله وحده الذي يعلم كم قاسينا في هذه السبيل من جهد ، وعنده وحده جزاء ذلك كله ، إنه لا يجزي على الخير سواه ، ولا يعرف خفيات الأمور غيره .

وفي الكتاب مجون كثير ، كما تجده في المختار من شعر أبي الرقعمق وأبي القاسم الواساني وابن لنكك وأبي الحسن السلامي وابن سكرة الهاشمي وابن الحجاج وغيرهم ، وقد ترددنا كثيراً في أن نجاري بعض أدباء هذا العصر فنحذف هذا المجون ولو من بعض نسخ الكتاب ، ولكنا « لم نشأ أن نحذف شيئاً مما في هذا الكتاب من المجون ـ كما يفعل بعض الناشرين ، تحرجاً منهم وتأثماً زعموا ، وحرصاً على مكارم الأخلاق ظنوا ـ لأنا لا نؤلف كتاباً نختار فيه ما نشاء وندع ما نشاء ، وإنما نحقق نصاً قيده صاحبه في زمن كان الناس فيه أشد تحرجاً من هذا الزمن الذي نعيش فيه ، ولأنا لا نرى من حقنا أن نتصرف في كتب الناس ثم نبقيها منسوبة إليهم فيجيئوا يوم المعدلة يتعلقون بمن ظلمهم يجادلونه عن أنفسهم ، والله يعلم أننا لا نقل عن هؤلاء المتأدبين الذين يفسدون كتب الناس ، تحرجاً من المجون ولا حرصاً على مكارم الأخلاق » ولأن الغرض من نشر هذا الكتاب ، واحتمال الجهد الجاهد في تحقيقه ، والصبر على الكثير مما يغري بعضه بالانصراف ، إنما هو أن ندل قراء الأدب العربي على الحياة الأدبية والحياة الاجتماعية والسياسية في هذه الحقبة التي كان هؤلاء الشعراء يعيشون فيها ، وأن نضع بين أيديهم النصوص التي تدلهم على ما يتوجهون إليه من مناحي البحث ، فلو أننا سمحنا لأنفسنا بحذف شيء مما اشتمل عليه الكتاب لكنا قد أضعنا هذه الغاية ، ولكنا كمن يجهز جندياً للقتال فيضع في يده سيفاً من الخشب ، ويقعده على صهوة جواد من قصب .

هذا ، ومؤلف الكتاب نفسه يشعر بما عسى أن يقوله عنه بعض الناس ، ويصر ـ مع ذلك ـ على أن يذكر المجون ، ويعتذر عنه ، فأي معذرة لمن يقدم على نشر كتابه وقد حذف منه هذا النوع من الكلام ، اسمع إليه يقول في مطلع حديثه عن أبي عبد الله الحسن بن أحمد بن الحجاج « هو وإن كان في أكثر شعره لا يستتر

من العقل بسجف ، ولا يبني جل قوله إلا على سخف ، فإنه من سحرة الشعر ، وعجائب العصر ، وقد اتفق من رأيته وسمعت به من أهل البصيرة في الأدب وحسن المعرفة بالشعر ، على أنه فرد زمانه في فنه الذي شهر به ، وأنه لم يسبق إلى طريقته ، ولم يلحق شأوه في نمطه ، ولم ير كاقتداره على ما يورده من المعاني التي تقع في طرزه مع سلاسة الألفاظ وعذوبتها ، وانتظامها في سلك الملاحة والبلاغة ، وإن كانت مفصحة عن السخافة ، مشوبة بشعر الخلديين والمكدين وأهل الشطارة . ولولا أن جد الأدب جد وهزله هزل ـ كما قال إبراهيم بن المهدي ـ لصنت كتابي هذا عن كثير من كلام من يمد يد المجون فيعرك بها أذن الحرم ، ويفتح جراب السخف فيصفع بها قفا العقل ، ولكنه على علاته تتفكه الفضلاء بثمار شعره ، وتستملح الكبراء ببنات طبعه ، وتستخف الأدباء أرواح نظمه ويحتمل المحتشمون فرط رفثه وقذعه ، ومنهم من يغلو في الميل إلى ما يضحك ويمتع من نوادره ، ولقد مدح الملوك والأمراء والوزراء والرؤساء ، فلم يخل قصيدة فيهم من سفاتج هزله ، ونتائج فحشه ، وهو عندهم مقبول الجملة غالي مهر الكلام ، موفور الحظ من الإكرام والإنعام ، مجاب إلى مقترحه من الصلات الجسام » ولسنا نريد إلا أن تقرأ هذه العبارة ثم تقرأها ، ثم احكم وكن من المنصفين .

* * *

وهذا الكتاب قد وضعه مؤلفه على أربعة أقسام يشتمل كل قسم منها على أبواب وفصول :

القسم الأول : في محاسن أشعار آل حمدان وشعرائهم وغيرهم من أهل الشام وما يجاورها ومصر والموصل والمغرب ، ولمع من أخبارهم .

القسم الثاني : في محاسن أشعار أهل العراق ، وإنشاء الدولة الديلمية من

طبقات الأفاضل ، وما يتعلق بها من أخبارهم ، ونوادرهم ، وفصوص من فصول المترسلين منهم .

القسم الثالث : في محاسن أشعار أهل الجبل وفارس وجرجان وطبرستان وأصفهان ، من وزراء الدولة الديلمية وكتابها وقضاتها وشعرائها ، وما ينضاف إليها من أخبارهم وغرر ألفاظهم .

القسم الرابع : في محاسن أهل خراسان وما وراء النهر من إنشاء الدولة السامانية والغزنية ، والطارئين على الحضرة ببخارى من الآفاق ، والمتصرفين على اعمالها ، وما يستطرف من أخبارهم ، وخاصة أهل نيسابور ، والغرباء الطارئين عليها والمقيمين بها .

وقد وفَّى المؤلف فيه بما وعد ، فجمع فيه « من بدائع أعيان الفضل ، ونجوم الأرض من أهل العصر ومن تقدمهم قليلاً وسبقهم يسيراً ، ما لم تأخذ الكتب العتيقة غرره ، ولم تفتض عذره ، ولم ينتقص قدم العهد وتطاول المدة زبره » وضمنه « من نسج طباع هؤلاء وسبك أفهامهم ، وصوغ أذهانهم ، ما يشتمل على الحلل الفاخرة الفائقة ، والحلى الرائقة الشائقة ، ويتضمن من طرفهم وملحهم لطائف أمتع من بواكير الرياحين والثمار ، وأطيب من فوح نسيم الأسحار ، بروائح الأنوار والأزهار »[1] والتزم ألا يورد في هذا الكتاب إلا « لب اللب ، وحبة القلب ، وناظر العين ، ونكتة الكلمة ، وواسطة العقد ، ونقش الفص ، مع كلام في الإشارة إلى النظائر والأحاسن والسرقات »[2] .

وإن يكن في هذا الكتاب نقص يصح أن يعتد به بعض الناس على صاحبه ،

---

(١) انظر (ص ٢٨ ج ١).
(٢) من مقدمة المؤلف (ص ٢٩ ج ١) .

فهو أنه لم يعن بجمع أخبار من تعرض للاختيار له من الشعراء مما يتضمن نشأتهم ومواليدهم ووفياتهم وتصرف الدهر بهم ، بل إنه لم يتعرض في بعضهم إلا لاختيار عدة أبيات وقعت له أو سمعها من بعض رواتها من الأدباء ، فالكتاب ـ في نظر هؤلاء ـ ناقص وفي مسيس الحاجة إلى إتمام هذا النقص ، ولعلهم يستوجبون على من يتعرض لتحقيقه أن يسد هذه الثلمة ، ونحن نقرر أن هذا الكتاب لم يوضع في تأريخ الأدب والشعر ، ولا كان الغرض منه تأريخ حياة الأدباء والشعراء ، ولكنه وضع في صميم الأدب ولبابه ، فهو يعني بالقول أكثر مما يعني بحال قائله ، وكثير من الشعراء الذين جرى لهم ذكر في الكتاب واختار لهم صاحبه لم يكن يعرف عنهم شيئاً ، بل لعله لم يسمع بهم ولا درى من شأنهم غير ما يرويه لهم من الشعر القليل ، ومحقق الكتاب لم يقصد من تحقيقه إلا تمكين القارىء من دراسة الأدب واستنباط ما يريد من نصوصه ، غير حافل بما جرى على أهل هذا الأدب من تصاريف الدهر ، فوق أنه لا يريد أن يتحمل عبئاً قد يشق عليه احتماله ، وقد لا يجد لبعض من تعرض لهم المؤلف ذكراً في غير هذا الكتاب ، فهو يرى أن يكتفي بتحقيق النص تحقيقاً يطمئن اليه ، ويستطيع به أن يضمن لقارئه الطمأنينة ، وهذا وحده مما لا يستهين به إلا من لا يريد أن يكون من المنصفين .

* * *

على أن في هذا الكتاب عيباً لا نريد أن نغضي لصاحبه عنه ، وهو ـ فيما نعتقد ـ شر من ذلك العيب الذي قدمنا ذكره ، وليس لنا أن نغفر هذا العيب وإن كانت للثعالبي عنه معاذر أكثر من عدد الحصى ، لأن ذلك العيب يغطي على كل محمدة ، بل إنه ليشكك في كل محمدة ، وهذا العيب هو العصبية ، وتظهر هذه العصبية في ناحيتين من كتابه : أما إحدى هاتين الناحيتين ففي حديثه عن شعراء الشام حيث يعقد باباً موضوعه « فضل شعراء الشام على شعراء سائر البلدان ، وذكر السبب في ذلك » ويستهله بقوله « لم يزل شعراء عرب الشام وما يقاربها أشعر من

شعراء عرب العراق وما يجاورها ، في الجاهلية والإسلام ، والكلام يطول في ذكر المتقدمين منهم » ثم يعد جماعة من طبقة العتابي ومنصور النمري ، وجماعة من طبقة الرقي وكشاجم والصنوبري ، ثم يقول « فأما العصريون ففيما أسوقه من غرر أشعارهم أعدل الشهادات على تقدم أقدامهم » ويستدل لذلك بقربهم من خطط العرب ، وبعدهم عن الأعاجم ، وقلة اختلاطهم بغير العرب ممن تفسد الخلطة بهم الألسنة ، وغير ذلك مما تقرأه في هذا الفصل .

فالثعالبي لم يكتف بتقديم شعراء الشام على كل من ذكرهم في كتابه ، ولم يكتف بتقديمهم على كل من ذكرهم في القسم الأول منه ، لأن التقديم الذكري لا يدل إلا على العناية ، بل يفضلهم على شعراء سائر البلدان ، ويجعل ذلك مطلع كتابه ، ثم حين يريد أن يبين السبب في ذلك يجعل المفضول هم شعراء العراق وما يجاورها ، فينسى « سائر البلدان » التي عقد الفصل عليها ، ويذكر أن قرب العراق من بلاد فارس واختلاط أهل العراق بالفرس سبب ضعف الشعراء من عرب العراق عن الشعراء من عرب اهل الشام ، ونسي قرب الشام من بلاد الروم ، واختلاط عرب الشام بالروم ، وأن هذا القرب وهذا الاختلاط قد يكونان سبباً في فساد ألسنة العرب من أهل الشام .

وأما الناحية الثانية ففي حديثه عن الشعراء من الملوك والرؤساء ، فهو يفرد لملوك كل ناحية باباً ، وهو يثنى عليهم أوفر الثناء ، وهو يستبيح أن يروي الضعيف من شعرهم في حين أنه شرط ألا يروي إلا لب اللباب ، وهو أظهر في هذه الناحية حين يتحدث عن أبي الحسن سيف الدولة على ابن عبد الله بن حمدان .

اسمع إليه يقول في مقدمة الكتاب « فإن وقع في خلال ما أكتبه البيت والبيتان مما ليس من أبيات القصائد ، ووسائط القلائد ، فلأن الكلام معقود به والمعنى لا يتم دونه ، ولأن ما يتقدمه أو يليه مفتقر إليه ، أو لأنه شعر ملك أو أمير أو وزير أو رئيس خطير ، أو إمام من أهل الأدب والعلم كبير ، وإنما ينفق مثل ذلك

بالانتساب إلى قائله ، لا بكثرة طائله »[1] ولست أريد أن أعرض عليك ما قاله في سيف الدولة الحمداني ، ولا ما قاله في عضد الدولة البويهي ، ولا ما قاله في غيرهما من الملوك والأمراء والرؤساء والوزراء ، ولكني أكتفي بأن أشير إلى أنه جعل لرواية ما لا يتفق مع شرط الكتاب سببين أحدهما أن يكون الجيد محتاجاً إلى غير الجيد ، وثانيهما أن يكون قائل غير الجيد رئيساً أو وزيراً .

* * *

والكتاب ـ بعد هذا ـ أوفى المراجع الأدبية لمن يريد أن يدرس الشعر العربي ، ولمن يريد أن يدرس الحالة الاجتماعية والسياسية من طريق النتاج الأدبي ، في القرن الرابع وصدر من القرن الخامس الهجري ، وقد خشي الثعالبي أن يكون للشعراء السابقين على عصره أثبات جمعها علماء الأدب من عيون الشعر وفنونه ، ولا يكون لشعراء عصره من يتصدى لمثل ذلك ، فندب نفسه للاضطلاع بهذا العبء .

رأى كتاب البارع في أخبار الشعراء الذي صنفه هارون بن المنجم ، ورأى طبقات الشعراء الذي صنفه الشاعر البارع أمير المؤمنين عبد الله بن المعتز ، فأحب أن يكون لشعراء عصره كتاب مثل هذين الكتابين وغيرهما ، فصنف « يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر » والذي يؤخذ من مقدمته أنه صنفه مرتين ، أما المرة الأولى فقد تصدى لعمله[2] « في سنة أربع وثمانين وثلثمائة والعمر في إقباله ، والشباب بمائه ، فافتتحه باسم بعض الوزراء مجرياً إياه مجرى ما يتقرب به أهل الأدب ، إلى ذوي الأخطار والرتب ، ومقيماً ثمار الورق مقام نثار الورق ، وكتبه في مدة تقصر عن إعطاء الكتاب حقه ، ولا تتسع لتوفية شرطه ، فارتفع كعجالة الراكب وقبسة العجلان » وأما المرة الثانية فحين رأى نفسه يحاضر « بأخوات كثيرة لما فيه

---

(١) أنظر (ص ٧ ج ١) .

(٢) أنظر (ص ٤ ج ١) .

وقعت باخرة إليه ، وزيادات جمة عليه حصلت من أفواه الرواة لديه ، فقال : إن كان لهذا الكتاب محل من نفوس الأدباء ، وموقع من قلوب الفضلاء ، كالعادة فيما لم يقرع من قبل آذانهم ، ولم يصافح أذهانهم ، فلم لا أبلغ به الذي يستحق به حسن الإحماد ويستوجب من الاعتداد أوفر الأعداد ، ولم لا أبسط فيه عنان الكلام ، وأرمي في الإشباع والإتمام هدف المرام ، فجعل يبنيه وينقضه ، ويزيده وينقصه ، ويمحوه ويثبته ، وينتسخه ثم ينسخه ، وربما افتتحه ولا يختتمه ، وينتصفه فلا يستتمه ، والأيام تحتجز ، وتعد ولا تنجز ، إلى أن أدرك عصر السن والحنكة ، وشارف أوان الثبات والمسكة ، فاختلس لمعة من ظلمة الدهر ، وانتهز رقدة من عين الزمان ، واغتنم نبوة من أنياب النوائب ، وخفة من زحمة الشوائب ، واستمر في تقرير هذه النسخة الأخيرة ، وتحريرها من بين النسخ الكثيرة ، بعد أن غير ترتيبها ، وجدد تبويبها ، وأعاد ترصيفها ، وأحكم تأليفها ، وصار مثله فيها كمثل من يتأنق في بناء داره التي هي عشه ، وفيها عيشه »[1] وكان من آثار هذه العناية وهذا الجهد أن رأى كتابه « يسحر العقول ، ويملك القلوب ، ويعجب الملوك كما يعجب الرعية ، ويحسن أثره على الشعراء كما يطيب ثمره للكتاب ، ويسير في الآفاق مسير الأمثال ، ويسري في البلاد مسرى الخيال ، ولقي أعيان الفضل وأفراد الدهر أطلب له من طير الماء للماء ، وأحرص عليه من المرضى على الشفاء »[2] ومع هذا كله لم يكن الكتاب قد أشبع نهمته ، ولا سدّ الفراغ الذي قدر أن يسده ، وهذا شأن أهل العلم في كل عصر : ما يزال أحدهم يجد ويدأب حتى يظن أنه استولى على الغاية وأوفى على الأمد ، ثم يظهر له ما يرى معه أنه لا يزال في أول الطريق ، وهذا هو الذي وقع لأبي منصور فقد « وقع له على الأيام ما ينخرط في سلك اليتيمة ، ويصلح للالحاق به ، ولا يسوغ تأخيره عن أخواته ، سيما وقد خلا منه مكان قوم من السادة والكبراء لا مترك لثمار خواطرهم ووسائط قلائدهم »

---

(١) أنظر (ص ٥ و٦ ج ١) .

(٢) من مطلع مقدمته لكتابه تتمة اليتيمة (ص ١ ج ١ طبع طهران) .

وحينئذ يتردد في أن يعود إلى النسخة الثانية من اليتيمة فيبني فيها وينقض ، ويصنع فيها ما صنعه في نسختها الأولى ، يتردد في ذلك لأن الكتاب قد سار في الآفاق وطار ذكره في الأقطار وانتسخه الأدباء والرؤساء . فما يلبث أن « يعن له حذو كتاب لطيف على تمثيله وترتيبه ، يودعه ما شذ عنه من طرزه وجنسه ، ويجريه مجرى الفرخ له والعلاوة عليه » .

* * *

ويذكر صاحب كشف الظنون من ذيول اليتيمة عدة مؤلفات :

(١) دمية القصر ، وعصرة أهل العصر ، تصنيف أبي الحسن علي بن الحسن الباخرزي المتوفى في عام ٤٦٧ سبعة وستين وأربعمائة ، وقد طبع في حلب .

(٢) خريدة القصر ، وجريدة أهل العصر ، تأليف عماد الدين الإصفهاني المتوفى في عام ٥٩٧ سبعة وتسعين وخمسمائة من الهجرة ، ويذكر حاجي خليفة أنه في عشر مجلدات ، وأنه يجمع من عام ٥٠٠ خمسمائة إلى عام ٥٩٢ اثنين وتسعين وخمسمائة .

(٣) زينة الدهر ، تصنيف أبي المعالي سعد بن علي الوراق المتوفى في عام ٥٦٨ ، وهو تذييل لدمية الباخرزي يقع في مجلد واحد .

ويذكر صاحب كشف الظنون أيضاً أن لأبي الحسن علي بن زيد البيهقي كتاباً على « يتيمة الدهر » اسمه « وشاح الدمية » كما يذكر أن لتقي الدين بن عبد القادر المصري المتوفى في عام ١٠٠٥ من الهجرة مختصراً لليتيمة في مقدار نصفها .

* * *

وقد كان ظهور كتاب « يتيمة الدهر » حافزاً لأبي الحسن علي بن بسام

الشنتريني المتوفى في عام ٥٤٢ من الهجرة ، على تصنيف كتابه « الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة » وقد قلد ابن بسام أبا منصور في كل شيء ، فكما أن أبا منصور يجعل كتابه « في محاسن أهل العصر » يجعل ابن بسام كتابه « في محاسن أهل الجزيرة » وكما أن كتاب الثعالبي مقسم إلى أربعة أقسام يبني ابن بسام كتابه على أربعة أقسام ، وكما جعل الثعالبي فصولاً من كل قسم من أقسام كتابه للملوك والأمراء والوزراء والرؤساء ومن في حكمهم جعل ابن بسام الأمر في كتابه على هذا الوجه .

ويقول الدكتور طه حسين بك في مقدمة الجزء الأول من الذخيرة « وهو (يريد ابن بسام) قد سار سيرة الثعالبي في العناية بالملوك والأمراء والرؤساء وما يكون من تأثيرهم في الأدب ، وما يكون من إنتاجهم الأدبي الخاص ، ولكن العناية بهذه الناحية من الحياة الأدبية كانت أشد وأقوم وأجدى من عناية الثعالبي ، فهو لا يكتفي بهذا الإطراء الذي لا غناء فيه والذي تمتلىء به اليتيمة ، وهو لا يكتفي برواية مقتطفات من الآثار الأدبية للملوك والوزراء والأمراء كما فعل الثعالبي ، ولكنه يعرض تأريخهم عرضاً دقيقاً مفصلاً ، يرد آثارهم الأدبية إلى مصادرها ، بل يرد الآثار الأدبية التي أنشئت في بيئتهم إلى مصادرها » . وبعض هذا الكلام مما يؤيد ما ذكرناه عن عصبية الثعالبي ، وبعضه الآخر مما قد أبنا عنه وعذرنا الثعالبي فيه ، على أن أبا منصور قدوة وابن بسام مؤتم ، ومن شأن المقتدي أن يتجنب وجوه النقص التي طرأت على من سبقه .

ومما يتصل بالكلام على فروع « يتيمة الدهر » ذلك الكتاب البديع الذي ألفه الثعالبي نفسه ، بعد أن كثر تردده على اليتيمة ، وبعد أن ملأ عينيه من النظر إليها وأشبع نفسه من التفكير فيها ، ذلك هو كتابه « سحر البلاغة وسر البراعة » فإنه كتاب جمع فيه عبارات في مواضيع كثيرة من نوع ما يسميه أساتذة الإنشاء العربي في هذا العصر بالجمل المختارة ، وقد أخرج بعض هذه الجمل « من غرر نجوم الأرض ، ونكت أعيان الفضل من بلغاء العصر في النثر » وحل بعضها الآخر « من

نظم أمراء الشعر الذين أورد ملح أشعارهم في الكتاب المترجم بيتيمة الدهر ، فلفق جميع ذلك ونسقه ، وسرده وساقه ، وأنفق عليه جميع ما رزقه ، وعمله بجهد الخاطر ، وكد الناظر وعرق الجبين ، وتعب اليمين . . »[١] .

* * *

وبعد ، فأحسب أنني أسديت إلى قراء العربية يداً لا يجحدها أحد منهم بتحقيق نصوص هذا الكتاب ، وتقويم ما اعوج منها بفعل الناسخين والناشرين ، وبشرح ما دعت الحاجة إلى شرحه من المفردات ، وبالإشارة أحياناً إلى المواطن التي يجد فيها القارىء ما لم يتعرض له الثعالبي من أحوال الشعراء وترجماتهم .

وكم كنت أود أن أضبط ما يحتاج إلى الضبط منه ، بل لقد ضبطت ذلك في أصول الكتاب التي قدمتها للنشر ، ولكن الضرورة اقتضت أن يخرج الكتاب غير مضبوط بالشكل ، لأن دار الطباعة التي اختارها الناشر ـ مع الأسف المحض ـ لم يكن فيها من الحروف القابلة للضبط ولا من الحركات ما يكفي للقيام بهذا العمل ، وكان لا بد من انتظار عام كامل أو قريب منه حتى تتمكن من البدء في العمل على الوجه الذي أحب ، وآثر الناشر أن يظهر على الوجه الذي تراه على أن يطول به أمد الانتظار .

هذا ، وأنت غير محتاج الى الضبط بالشكل ، لأن الشعر الذي تضمنه هذا الكتاب ليس من الشعر العويص الذي يكثر فيه الغريب ، ولأنني ضبطت لك بالعبارة في أسفل الصحائف ما ظننت أنك محتاج إلى ضبطه .

والأمور كلها بيد الله يصرفها كيف يشاء .

كتبه المعتز بالله تعالى

أبو رجاء

محمد محيي الدين عبد الحميد

---

(١) من مطلع كتاب « سحر البلاغة وسر البراعة للثعالبي » .

يتيمــة الدهــر

في محاسن أهل العصر

لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي
المتوفى في عام ٤٢٩ من الهجرة



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله خير ما بدئ به الكلام وختم ، وصلى الله على النبي المصطفى وآله وسلم[١] .

أما بعد ، فإن محاسن أصناف الأدب كثيرة ، ونكتها قليلة ، وأنوار الأقاويل موجودة ، وثمارها عزيزة[٢] وأجسام النثر والنظم جمة ، وأرواحهما نزرة[٣] ، وقشورهما معرضة ، ولبوبهما معوزة[٤] . ولما كان الشعر عمدة الأدب[٥] ، وعلم العرب الذي اختصت به [عن] سائر الأمم ، وبلسانهم جاء كتاب الله المنزل ، على النبي منهم المرسل ، صلوات الله عليه وآله وسلم[٦] ، كانت أشعار

---

(١) في جـ « وصلى الله على خير نبي أرسل » .

(٢) الأنوار : جمع نور ـ بفتح النون وسكون الواو ـ وهو الزهر ، أو الأبيض منه خاصة . وعزيزة : نادرة قليلة الوجود ، وفي جـ « غزيرة » ولا يوافق ما قبله ولا ما بعده .

(٣) جمة : كثيرة . ونزرة : قليلة .

(٤) تقول : عرضت الشيء فأعرض لي ، إذا أردت معنى أظهرته فظهر لي وبرز ، وهو من نوادر اللغة ، ونظيره كبيته فأكب . وأنت عارض والشيء معرض ، أي ظاهر بارز . واللبوب : جمع لب ـ بضم اللام ـ وهو من النخل والجوز واللوز ونحوها : ما في جوفها ، وقد غلب على ما يؤكل داخله ويرمى خارجه .

(٥) في جـ « محمدة الأدب » .

(٦) في جـ « صلوات الله وسلامه عليه » .

الإسلاميين أرق من أشعار الجاهليين ، وأشعار المحدثين [ألطف من أشعار المتقدمين ، وأشعار المولدين أبدع من أشعار المحدثين] ، وكانت أشعار العصريين أجمع لنوادر المحاسن ، وأنظم للطائف البدائع من أشعار سائر المذكورين ؛ لانتهائها إلى أبعد غايات الحسن ، وبلوغها أقصى نهايات الجودة والظرف ، تكاد تخرج من باب الإعجاب إلى الإعجاز ، ومن حد الشعر إلى السحر ، فكأن الزمان ادخر لنا من نتائج خواطرهم ، وثمرات قرائحهم ، وأبكار أفكارهم أتم الألفاظ والمعاني استيفاء لأقسام البراعة ، وأوفرها نصيباً من كمال الصنعة، ورونق الطلاوة .

وكذاك قد ساد النبي محمد كل الأنام وكان آخر مرسل[1]

وقد سبق مؤلفو الكتب إلى ترتيب المتقدمين من الشعراء ، وذكر طبقاتهم ودرجاتهم ، وتدوين كلماتهم ، والانتخاب من قصائدهم ومقطوعاتهم ، فكم من كتاب فاخر عملوه ، وعقد باهر نظموه ، لا يشينه الآن إلا نبو العين من إخلاق جدته ، وبلى بردته ، ومج السمع لمردداته ، وملالة القلب من مكرراته . وبقيت محاسن أهل العصر التي معها رواء الحداثة ، ولذة الجدة ، وحلاوة قرب العهد ، وازدياد الجودة على كثرة النقد ، غير محصورة بكتاب يضم نشرها ، وينظم شذرها[2] ، ويشد أزرها ، ولا مجموعة في مصنف يقيد شواردها ، ويخلد فوائدها ، وقد كنت تصديت لعمل ذلك في سنة أربع وثمانين وثلثمائة ، والعمر في إقباله ، والشباب بمائه ، فافتتحته باسم بعض الوزراء مجرياً إياه مجرى ما يتقرب به أهل الأدب إلى ذوي الأخطار[3] والرتب ، ومقيماً ثمار الورق ، مقام نثار الورق ، وكتبته في مدة تقصر عن إعطاء الكتاب حقه ، ولا تتسع لتوفية شرطه ،

---

(١) في م « ولذاك قد ساد » .

(٢) ينظم : يجمع . والشذر ـ بفتح الشين وسكون الذال ـ المتفرق المتبدد .

(٣) الأخطار : جمع خطر ـ بفتحتين ـ وأراد به القدر العالي والمنزلة الرفيعة .

فارتفع كعجالة الراكب ، وقبسة العجلان ، وقضيت به حاجة في نفسي . وأنا لا أحسب المستعيرين يتعاورونه ، والمنتسخين يتداولونه ، حتى يصير من أنفس ما تشح عليه أنفس أدباء الإخوان ، وتسير به الركبان إلى أقاصي البلدان ، فتواترت الأخبار ، وشهدت الآثار ، بحرص أهل الفضل على غدره[1] وعدهم إياه من فرص العمر وغرره[2] واهتزازهم لزهره ، واقتفارهم لفقره[3] ، وحين أعرته على الأيام بصري ، وأعدت فيه نظري ، تبينت مصداق ما قرأته في بعض الكتب : أن أول ما يبدو من ضعف ابن آدم أنه لا يكتب كتاباً فيبيت عنده ليلة إلا أحب في غدها أن يزيد فيه أو ينقص منه ، هذا في ليلة واحدة فكيف في سنين عدة ؟

ورأيتني أحاضر بأخوات كثيرة لما فيه وقعت بأخرة إلى[4] ، وزيادات جمة [عليه] حصلت من أفواه الرواة لدي . فقلت : إن كان لهذا الكتاب محل من نفوس الأدباء ، وموقع من قلوب الفضلاء ، كالعادة فيما لم يقرع من قبل آذانهم ، ولم يصافح أذهانهم ، فلم لا أبلغ به المبلغ الذي يستحق حسن الإحماد ، ويستوجب من الاعتداد أوفر الأعداد ؟ ولم لا أبسط فيه عنان الكلام ، وأرمي في الإشباع[5] والاتمام هدف المرام ؟ فجعلت أبنيه وأنقضه ، وأزيده وأنقصه ،وأمحوه وأثبته ، وأنتسخه ثم أنسخه ، وربما أفتتحه ولا أختتمه ، وأنتصفه فلا أستتمه ، والأيام تحجز ، وتعد ولا تنجز ، إلى أن أدركت عصر السن والحنكة[6] ، وشارفت

---

(١) الغدر ـ بضمتين ـ جمع غدير ، وهو ما يتركه السيل من الماء .

(٢) الغرر ـ بضم ففتح ـ جمع غرة .

(٣) اقتفارهم : تتبعهم . تقول : اقتفر فلان الأثر ، وتقفره ، إذا تبعه . والفقر : جمع فقرة ـ بالكسر ، وبالفتح ـ وأصلها ما انتظم من عظام الصلب من لدن الكاهل إلى العجب ، وتستعار للجملة من الكلام البليغ .

(٤) في م « ورأيتني أحاضر بأجواب كثيرة مما ينسب فيه وقعت بآخرة الى » .

(٥) في جـ « وأرمي في الاتساع والاتمام » والمعنى واحد .

(٦) الحنكة ـ بضم الحاء وسكون النون ـ التجربة والخبرة . وتقول : حنكت السن الرجل ـ مخففاً من بابي نصر وضرب ، وبتشديد النون ـ إذا أحكمته التجربة وصيره الاختبار حكيماً .

أوان الثبات والمسكة [1] ، فاختلست لمعة من ظلمة الدهر ، وانتهزت رقدة من عين الزمان ، واغتنمت نبوة من أنياب النوائب ، وخفة من زحمة الشوائب ، واستمررت في تقرير هذه النسخة الأخيرة ، وتحريرها من بين النسخ الكثيرة، بعد أن غيرت ترتيبها ، وجددت تبويبها ، وأعدت ترصيفها ، وأحكمت تأليفها . وصار مثلي فيها كمثل من يتأنق في بناء داره التي هي عشه ، وفيها عيشه ، فلا يزال ينقض أركانها ، ويعيد بنيانها ، ويستجدها على أنحاء عدة ، وهيئات مختلفة ، ويستضيف إليها مجالس كالطواوس [2] ، ويستحدث فيها كنائس كالعرائس [3] ثم يقورها آخر الأمر فوراء توسع العين قرة ، والنفس مسرة . ويدعها حسناء تخجل منها الدور ، وتتقاصر عنها القصور . فإن مات فيها مغفوراً له انتقل من جنة إلى أخرى ، وورد من جنة الدنيا على جنة المأوى .

فهذه النسخة الآن تجمع من بدائع أعيان الفضل ، ونجوم الأرض من أهل العصر ، ومن تقدمهم قليلاً وسبقهم يسيراً ، ما لم تأخذ الكتب العتيقة غرره ، ولم تفتض عذره [4] ، ولم ينتقص قدم العهد وتطاول المدة زبره [5] وتشتمل من نسج طباعهم ، وسبك أفهامهم ، وصوغ أذهانهم ، على الحلل الفاخرة الفائقة ، والحلى الرائقة الشائقة . وتتضمن من طرفهم [6] وملحهم لطائف أمتع من بواكير الرياحين والثمار ، وأطيب من فوح نسيم الأسحار ، بروائح الأنوار والأزهار ، ما

---

(١) المسكة ـ بضم الميم ـ الرأي ، والعقل الوافر يرجع إليه .

(٢) الطواوس : جمع طاووس ، وهو طائر هندي معروف يضرب به المثل في الحسن والخالة ، والطاووس أيضاً : الرجل الجميل ، والأرض المخضرة فيها كل ضرب من النبات .

(٣) الكنائس : جمع كناس ـ بكسر الكاف ـ وهو هنا بيت الظبي الذي يستتر فيه وسط الشجر ، على التشبيه .

(٤) العذر ـ بضم ففتح ـ جمع عذرة ـ بالضم ـ وهي البكارة .

(٥) تقول : زبرت الكتاب أزبره زبراً ـ من بابي ضرب ونصر ـ إذا كتبته .

(٦) الطرف ـ بضم الطاء وفتح الراء ـ جمع طرفة وهي الشيء الطريف . ووقع في جـ ، م « ظرفهم » .

لم تتضمنه النسخة السائرة الأولى .

والشرط في هذه الأخرى إيراد لب اللب ، وحبة القلب ، وناظر العين ، ونكتة الكلمة ، وواسطة العقد ، ونقش الفص ، مع كلام في الإشارة إلى النظائر والأحاسن والسرقات ، وأخذ في طريق الاختصار ، ونبذ من أخبار المذكورين ، وغرر من فصوص [فصول] المترسلين، يميل إلى جانب الاقتصار. فإن وقع في خلال ما أكتبه البيت والبيتان ـ مما ليس من أبيات القصائد ، ووسائط القلائد ـ فلأن الكلام معقود به ، والمعنى لا يتم دونه[1] ولأن ما يتقدمه[2] أو يليه مفتقر إليه ، أو لأنه شعر ملك أو أمير أو وزير أو رئيس خطير ، أو إمام من أهل الأدب والعلم كبير . وإنما ينفق[3] مثل ذلك بالانتساب إلى قائله ، لا بكثرة طائله .

وخير الشعر أكرمه رجالاً   وشرّ الشعر ما قال العبيدُ

وإن أخرت متقدماً فعذري فيه أن العرب قد تبدأ بذكر الشيء والمقدم غيره ، كما قال الله تعالى : ﴿ هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن﴾[4] وقال تعالى : ﴿ يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين﴾[5] وكما قال حسان ابن ثابت : وذكر بني هاشم [من الطويل] :

بها ليلُ منهم جعفرٌ وابن أمّه   عليٌّ ، ومنهم أحمدُ المتخيَّر

وكما قال الصلتان العبدي [من المتقارب] :

فملّتنا أنّنا مسلمون   على دين صدّيقنا والنبيّ

---

(١) في جـ « لا يتم بدونه » .

(٢) في جـ « أو أن ما يتقدمه ـ الخ » .

(٣) في جـ ، م « يتفق » محرفاً عما أثبتناه ، وينفق ـ بالنون ـ مضارع نفقت السلعة تنفق ـ من باب نصر ـ نفاقاً ، إذا راجت ورغب فيها .

(٤) من الآية ٢ من سورة التغابن ، وفيها تقديم الكافر في الذكر على المؤمن .

(٥) من الآية ٤٣ من سورة آل عمران ، وفيها تقديم السجود في الذكر على الركوع .

وإن قدمت متأخراً فسبيله على ما قال إبراهيم الموصلي لمسرور ، وقد تقدمه في المسير : إن تقدمتك كنت مطرقاً لك [1]، وإن تأخرت فلحق الخدمة .

وقال أبو محمد المزني للملك نوح في مثل تلك الحال : إن تقدمت فحاجب ، وإن تأخرت فذاك واجب .

ثم إن هذا الكتاب المقرر ينقسم إلى أربعة أقسام : يشتمل كل قسم منها على أبواب وفصول :

القسم الأول : في محاسن أشعار آل حمدان ، وشعرائهم ، وغيرهم من أهل الشام وما يجاورها ومصر والموصل [والمغرب] ولمع من أخبارهم .

القسم الثاني : في محاسن أشعار أهل العراق ، وإنشاء الدولة الديلمية من طبقات الأفاضل ، وما يتعلق بها من أخبارهم ونوادرهم ، وفصوص من فصول المترسلين منهم .

القسم الثالث : في محاسن أشعار أهل الجبال وفارس وجرجان وطبرستان [وأصفهان] من وزراء الدولة الديلمية وكتابها وقضاتها وشعرائها وسائر فضلائها ، وما ينضاف إليها من أخبارهم وغرر ألفاظهم .

القسم الرابع : في محاسن [أشعار] أهل خراسان وما وراء النهر من إنشاء الدولة السامانية والغزنية ، والطارئين على الحضرة ببخارى من الآفاق ، والمتصرفين على أعمالهم ، وما يستطرف من أخبارهم ، وخاصة أهل نيسابور

---

(١) طرقت لك ـ بتشديد الراء ـ فأنا مطرق لك : أي جعلت لك طريقاً . وأصله قولهم : طرق فلان لابله .

والغرباء الطارئين عليها والمقيمين بها .

وفيما لم يقع إليَّ من جنس هذا الكتاب كثرة ، ولعله يزيد على ما حصل لدي ، ومن يقدر على حصر الأنفاس وضبط بنات الأفكار ؟ وفي الزوايا خبايا ، ولا نهاية للخواطر ، ولا منقطع لمواد المحاسن ، وما على المؤلف إلا جهده ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

القســم الأول

في محاسن أشعار آل حمدان، وشعرائهم ، وغيرهم من أهل الشام ، وما يجاورها من مصر والموصل ، ولمع من أخبارهم ، وفيه عشرة أبواب .

الباب الأول ، [من القسم الأول]

في فضل شعراء الشام على شعراء سائر البلدان
وذكر السبب في ذلك

لم يزل شعراء عرب الشام وما يقاربها أشعر من شعراء عرب العراق وما يجاورها ، في الجاهلية والإسلام ، والكلام يطول في ذكر المتقدمين منهم ، فأما المحدثون فخذ إليك منهم العتابي . ومنصوراً النمري ، والأشجع السلمي[1] ومحمد بن زرعة الدمشقي، وربيعة الرقي . على أن في الطائيين[2] اللذين انتهت إليهما الرئاسة في هذه الصناعة كفاية ، وها هما .

ومن مولدي أهل الشام المعوج الرقي ، والمريمي ، والعباسي المصيصي ، وأبو الفتح كشاجم ، والصنوبري ، وأبو المعتصم الأنطاكي ، وهؤلاء رياض الشعر، وحدائق الظرف .

فأما العصريون ففيما أسوقه من غرر أشعارهم أعدل الشهادات على تقدم أقدامهم .

والسبب في تبريز القوم قديماً وحديثاً على من سواهم في الشعر : قربهم من خطط العرب ولا سيما أهل الحجاز ، وبعدهم عن بلاد العجم ، وسلامة ألسنتهم

---

(١) اتفقت الأصول على ذكر هذا العلم مقترناً « بأل » ودخول « أل » عليه للمح أصله كدخولها في الفضل والعباس والحارث .

(٢) أراد بالطائيين : أبا تمام حبيب بن أوس وأبا عبادة الوليد بن عبيد الله البحتري .

من الفساد العارض لألسنة أهل العراق لمجاورة الفرس والنبط ، ومداخلتهم إياهم ، ولما جمع شعراء العصر من أهل الشام بين فصاحة البداوة وحلاوة الحضارة ، ورزقوا ملوكاً وأمراء من آل حمدان وبني ورقاء هم بقية العرب ، والمشغوفون بالأدب ، والمشهورون بالمجد والكرم ، والجمع بين أدوات السيف والقلم ، وما منهم إلا أديب جواد ، يحب الشعر وينتقده ، ويثيب على الجيد منه فيجزل ويفضل - انبعثت[1] قرائحهم في الإجادة ، فقادوا محاسن الكلام بألين زمام ، وأحسنوا وأبدعوا ما شاءوا .

وأخبرني جماعة من أصحاب الصاحب أبي القاسم إسماعيل بن عباد أنه كان يعجب بطريقتهم المثلى ، التي هي طريقة البحتري في الجزالة والعذوبة . والفصاحة والسلاسة ، ويحرص على تحصيل الجديد من أشعارهم ، ويستملي الطارئين عليه من تلك البلاد ما يحفظونه من تلك البدائع واللطائف ، حتى كسر دفتراً ضخم الحجم عليها[2] ، وكان لا يفارق مجلسه ، ولا يملأ أحد منه عينه غيره ، وصار ما جمعه فيه على طرف لسانه ، وفي سن قلمه ، فطوراً يحاضر به في مخاطباته ومحاوراته ، وتارة يحله أو يورده كما هو في رسائله ، فمن ذلك قول القائل [من الطويل] :

سلامٌ على تلك المعاهد إنّها شريعة وِرْدي أو مهبّ شمالي[3]
ليالـيَ لم نحذرْ حزون قطيعةٍ ولم نمش إلا في سهول وصال[4]
فقد صرت أرضى من سواكن أرضها بخلّب برقٍ أو بطيف خيال[5]

---

(١) « انبعثت » هذا جواب لما في قوله « ولما جمع شعراء أهل الشام الخ » .
(٢) تقول: كسرت الكتاب على عدّة أبواب بتشديد السين - إذا كنت قد جعلته عدّة أبواب .
(٣) شريعة وردي : أي مكان ورودي الماء لنهله ، ومهبّ شمالي : أي الريح الشمالية الباردة .
(٤) الحزون: الأرض الصعبة المسالك .
(٥) خلّب برق : أي البرق اللامع الغير مصحوب بالمطر .

وقول الآخر [من الوافر] :

إذا دنــت المنــازل زاد شوقي ... ولا سيَمــا إذا بدت الخيامُ[1]
فلمــح العين دون الحــيِّ شهرٌ ... ورجــع الطــرف دون السير عامُ

وقول الآخر [من الخفيف] :

فسقــى الله بلــدةً أنــت فيها ... كدموعــي عنــد اعتــراض الفراقِ
وأرانيك فالصّبــا قد ترقّتْ ... يا بروحــي إلــى أعالــي التّراقي[2]

وقول الآخر [من الطويل] :

ووالله لا فارقــت عقــدة ودِّه ... ولا حلت ما عمَّرت عن حفظ عهدهِ[3]
ولا بدّ أنّ الدّهــر كاشف أهله ... ويظهــر للمــولى موالاة عبــدِهِ

وكان أبو بكر الخوارزمي في ريعان عمره ، وعنفوان أمـره ، قد دوخ بلاد الشام ، وحصل من حضرة سيف الدولة بحلب في مجمع الرواة والشعراء ، ومطرح الغرباء الفضلاء ، فأقام ما أقام بها مع أبي عبد الله بن خالويه ، وأبي الحسن الشمشاطي ، وغيرهما من أئمة الأدباء، وأبي الطيب المتنبي ، وأبي العباس النامي ، وغيرهما من فحول الشعراء[4] ، بين علم يدرسه ، وأدب يقتبسه ، ومحاسن ألفاظ يستفيدها ، وشوارد أشعار يصيدها ، وانقلب عنها وهو أحد أفراد الدهر ، وأمراء النظم والنثر ، وكان يقول : ما فتق قلبي ، وشحذ فهمي ، وصقل ذهني ، وأرهف حد لساني ، وبلغ هذا المبلغ بي ، إلا تلك الطوائف

---

(١) لاسيما : هي هنا بتخفيف الياء مفتوحة مثلها في قول الشاعر وهو من شواهد النحاة
فِيهْ بالعقـود والإيمـان لا سيمـا عقد وفـاءٍ بـه مـن أعظم القرب
(٢) التراقي : جمع ترقوة وهي العظمة التي بين ثغرة النحر والعاتق في أعلى الصدر .
(٣) لا حلت : لا تغيَّرت وتراجعت .
(٤) الفحول : جمع فحل ، وأصله الذكر من كلّ حيوان ويطلق على الراوي وعلى الشاعر الذي يغلب على كلّ شاعر يعارضه أو يفضل عليه .

الشامية ، واللطائف الحلبية التي علقت بحفظي ، وامتزجت بأجزاء نفسي ، وغصن الشباب رطيب ، ورداء الحداثة قشيب ، وما كان أكثر ما ينشدني ويكتبني مما يضن به على غيري من تلك الغرر التي تجري مجرى السحر والملح التي يقطر منها ماء الظرف، وأنا أكتبها في أماكنها من أبواب هذا القسم الأول ، بمشيئة الله تعالى .

وممن خرجته تلك البلاد ، وأخرجته ، وكلامه مقبول محبوب ، آخذ بمجامع القلوب : القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني ، فإنه جنى ثمارها، واستصحب أنوارها ، حتى ارتقى إلى المحل العلي ، وتطبع بطبع البحتري .

* * *

الباب الثاني

١ - في ذكر سيف الدولة أبي الحسن علي بن عبد الله بن حمدان[1]

وسياق قطعة من أخباره ، وملح من أشعاره

كان بنو حمدان ملوكاً وأمراء أوجههم للصباحة ، وألسنتهم للفصاحة ، وأيديهم للسماحة ، وعقولهم للرجاحة ، وسيف الدولة مشهور بسيادتهم ، وواسطة قلادتهم[2] وكان - رضي الله عنه وأرضاه، وجعل الجنة مأواه ! - غرة الزمان ، وعماد الإسلام، ومن به سداد الثغور[3]، وسداد الأمور ، وكانت وقائعه في عصاة العرب تكف[4] بأسها [وتنزع لباسها] وتفلّ أنيابها ، وتذل صعابها ، وتكفي الرعية سوء آدابها . وغزواته تدرك من طاغية الروم الثار ، وتحسم شرهم المثار ، وتحسن في الإسلام الآثار . وحضرته مقصد الوفود ، ومطلع الجود، وقبلة الآمال ، ومحط الرحال ، وموسم الأدباء ، وحلبة الشعراء ، ويقال : إنه لم يجتمع قط بباب أحد من الملوك - بعد الخلفاء - ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر ، ونجوم الدهر ، وإنما السلطان سوق يجلب إليها ، ما ينفق لديها . وكان أديباً شاعراً محباً لجيد الشعر ، شديد الاهتزاز لما يمدح به ،

---

(١) أنظر ترجمة سيف الدولة في ابن خلكان (٢/ ٦٦ النيل) .

(٢) القلادة : العقد ، وما تضعه الفتاة في جيدها من حليٍّ وغيرها .

(٣) سداد الثغور : حمايتها وقوّتها .

(٤) تكفّ : تمنع وتدفع وتصرف .

فلو أدرك ابن الرومي زمانه لما احتاج إلى أن يقول [من الكامل] :

ذهب الذين تهزّهم مدّاحهم هزّ الكماة عوالي المُرّان[1]
كانوا إذا امتدحوا رأوا ما فيهم ملأرْيحيّة منهمُ بمكان[2]

وكان كل من أبي محمد عبد الله بن محمد الفياض الكاتب ، وأبي الحسن علي بن محمد الشمشاطي ، قد اختار من مدائح الشعراء لسيف الدولة عشرة آلاف بيت ، كقول أبي الطيب المتنبي [من الطويل] :

خليليّ إني لا أرى غير شاعرٍ فلم منهم الدعوى ومنّي القصائدُ[3]
فلا تعجبا إنّ السيوف كثيرةٌ ولكنّ سيف الدولة اليوم واحدُ
له من كريم الطبع في الحرب منتضٍ ومن عادة الإحسان والصفح عامدُ[4]
ولما رأيت الناس دون محلّه تيقّنت أنّ الدهر للناس ناقدُ[5]

ومن القصيدة المرقومة :

فلم يبق إلاّ من حماها من الظّبا لمى شفتيها والثديّ النواهدُ[6]
تبكي عليهنّ الباطريق في الدّجى وهنّ لدينا ملقياتٌ كواسد
بذا قضت الأيام ما بين أهلها مصائب قومٍ عند قوم فوائدُ

---

(1) العوالي : جمع عالية ، وهي أعلى القناة أو رأسها الذي يلي السنان ، والمران : بضمّ الميم وتشديد الراء ، شجرٌ باسق أوراقه كأوراق التوت ومنه تتخذ الرماح .

(2) ملأ ريحيّة : أراد من الأريحيّة ، والعرب تحذف نون من الجارة إذا اضطرت إلى ذلك في الشعر وقد ورد ذلك في أبيات كثيرة منها :

نحن قومٌ ملجنٌ في زيّ ناسٍ فوق طيرٍ لها شخوص الجبال

(3) هذه الأبيات والتي بعدها في الديوان (1/ 271/ 275) .

(4) منتضٍ : انتضى السيف ، شهره واستلّه من الغمد ، وغمد السيف : حيث يوضع ، قرابه ، وجفنه .

(5) ناقد : خبير ، يعرف من يختار للسّيادة وكبار المهام .

(6) اللّمى : سمرة محبوبة في الشفة .

ومن شرف الإقدام أنّك فيهمُ ... على القتل مرموقٌ كأنّك شاكد[1]
وأنّ دماً أجريته بك فاخرٌ ... وأنّ فؤاداً رعته لك حامد
وكلٌّ يرى طرق الشجاعة والنّدى ... ولكنَّ طبع النفس للنفس قائد
نهبت من الأعمار ما لو حويته ... لهنِّئتِ الدّنيا بأنّك خالد
فأنت حسامُ الملك والله ضاربٌ ... وأنت لواء الدين والله عاقد
أحبُّك يا شمس الزمان وبدره ... وإن لا مني فيك السُّهى والفراقد[2]
وذاك لأن الفضل عندك باهرٌ ... وليس لأن العيش عندك بارد

وكقول السري بن أحمد الموصلي [من الوافر] :

أعزمتك الشهاب أم النّهارُ ... أراحتُك السّحاب أم البحار[3]
خلقت منيّةً ومنىً فأضحت ... تمور بك البسيطة أو تمار[4]
تحلّي الدين أو تحمي حماه ... فأنت عليه سورٌ أو سوار
سيوفك من شكاة الثغر برءٌ ... ولكن للعدى فيها بوار[5]
وكفّاك الغمام الجون يسري ... وفي أحشائه ماءٌ ونارٌ[6]
يمينٌ من سجيتها المنايا ... ويسري من عطيتها اليسار[7]
حضرنا والملوك له قيامٌ ... تغضُّ نواظراً فيها انكسار
وزرنا منه ليث الغاب طلقاً ... ولم نر قبله ليثاً يُزار
فكان لجوهر المجد انتظامٌ ... وكان لجوهرِ المدح انتثار[8]

(١) مرموق : محبوب ، والمقة : الحب ، والشاكد : المعطي .
(٢) السُّهى والفراقد : النجوم والأقمار .
(٣) الراح : الكفّ الذي يكون به العطاء « راحة اليد » .
(٤) تمور : تموج وتضطرب .
(٥) البوار : الهلاك .
(٦) الجون : من الأضداد يطلق على الأسود والأبيض .
(٧) سجيتها : طبعها ، والمنايا : الحتوف ، واليسار : من اليسر .
(٨) انتظامٌ : من نظم الجواهر أي سلكها في عقدٍ واحد .

فعشـت مخيّراً لك في الأماني وكان علـى العـدوّ لك الخيار
فضيفـك للحيا المنهـلّ ضيفٌ وجـارك للـربيع الطلـق جار[1]

وكقول أبي فراس الحارث بن سعيد [من البسيط] :

أشـدّةٌ ما أراه فيك أم كرم تجـود بالنفس والأرواح تصطلمُ[2]
يا باذل النفس والأمـوال مبتسماً أمـا يهـولك لا موتٌ ولا عدم ؟
لقـد ظننتـك بين الجحفلين ترى أن السّلامـة من وقـع القنـا تصم[3]
نشدتـك الله لا تسمـح بنفس علاً حياة صاحبهـا تحيا بهـا أمم
إذا لقيت رقـاق البيض منفرداً تحـت العجـاج فلـم تستكثـر الخدم
تفـدي بنفسـك أقوامـاً صنعتهمو وكان حقّهـم أن يفتـدوك همُ
من ذا يقاتـل من تلقـى القتـال به وليس يفضـل عنـك الخيل والبهم[4]
تضـنّ بالطعـن عنّـا ضنّ ذي بخلٍ ومنـك في كلّ حالٍ يعـرف الكرم
لا تبخلنّ علـى قومٍ إذا قتلوا أثنـى عليك بنـو الهيجـاء دونهم
ألبسـت ما لبسـوا أركبـت ما ركبوا عرّفـت ما عرفـوا علّمـت ما علموا
هم الفـوارس في أيديهـم أسلٌ فإن رأوك فأسـدٌ والقنـا أجم[5]

وكقول أبي العباس بن محمد النامي [من الوافر] :

خلقْـتَ كمـا أرادتـك المعالي فأنـت لمـن رجـاك كمـا يريدُ

---

(١) الحيا المنهلّ : المطر المتصبّبْ .

(٢) تصطلم : تزهق ، وتقطع من أصولها .

(٣) الجحفل : الجيش الجرّار ، والقنا : جمع قناة وهي من أدوات الحرب ، وتصم : مضارع وصم : أي غيّر .

(٤) يفضل عنك : يبقى بعد ما قتلت ، والبهم جمع بهمة وهو الفارس المتغطي بسلاحه وأدواته ، يريد : إذا كنت أنت تقتل جيش الأعداء وحدك فوارسه وأفراسه فجيشك الذي أخرجته معك لتلقى به العدوّ لن يجد واحداً من فرسانه كيما يقتله .

(٥) الأسل : الرماح ، والأجم جمع أجمة ، وهي الغابة تكون مأوى السباع .

عجيبٌ أنّ سيفك ليس يروى وسيفك في الوريد له ورود[1]
وأعجب منه رمحك حين يسقى فيصحو وهو نشوانٌ يميد[2]

وكقول أبي الفرج الببغاء [من الطويل] :

نداك إذا ضنّ الغمام غمام وعزمك إن فلّ الحسام حسام[3]
فهذا ينيل الرزق وهو ممنّعٌ وذاك يردُّ الجيش وهو لهام[4]
ومن طلب الأعداء بالمال والظّبا وبالسعد لم يبعد عليه مرام

وكقول أبي الفرج الوأواء [من المنسرح] :

من قاس جدواك بالسّحاب فما أنصف بالحكم بين شكلين[5]
أنت إذا جدت ضاحكٌ أبداً وهو إذا جاد دامع العين

وكقول أبي نصر بن نباتة وهو من شعراء العراق [من البسيط] :

حاشاك أن تدّعيك العرب واحدها يا من ثرى قدميه طينة العرب
فإن يكنْ لك وجهٌ مثل أوجههمْ عند العيان فليس الصّفر كالذهب[6]
وإنْ يكن لك نطقٌ مثل نطقهم فليس مثل كلام الله في الكتبِ

وكانت غمائم جوده تفيض ، ومآثر كرمه تستفيض ، فتؤرخ بها أيام المجد ، وتخلد في صحائف حسن الذكر .

* * *

---

(١) ليس يروى : أيّ يظلّ ظمآناً على كثرة ما يشرب من دم الأعداء .
(٢) يميد : يتحرك ويضطرب يميناً وشمالاً .
(٣) ضنّ : بخل ، وفلّ الحسام : تكسَّر حدّه .
(٤) لهام : كثير ضخم .
(٥) جدواك : عطاياك .
(٦) الصُفر : بضمّ وسكون الفاء : النحاس لأن لونه أصفر .

فصل في انفجار ينابيع جوده على الشعراء

حدثني أبو الحسن علي بن محمد العلوي الحسيني الهمداني الوصي ، قال : كنت واقفاً في السّماطين[1] بين يدي سيف الدولة بحلب، والشعراء ينشدونه ، فتقدم إليه أعرابي رث الهيئة ، فاستأذن الحجاب في الإنشاد ، فأذنوا له ، فأنشد [من المنسرح] :

أنت عليٌّ وهذه حلبٌ قد نفذ الزاد وانتهى الطلبُ
بهذه تفخر البلادوبالأمير تزهى على الورى العربُ
وعبدك الدّهر قد أضرّ بنا إليك من جور عبدك الهرب

فقال سيف الدولة ، «أحسنت، والله أنت !». وأمر له بمائتي دينار.

وحكى ابن لبيب غلام أبي الفرج الببغاء أن سيف الدولة كان قد أمر بضرب دنانير للصلات في كل دينار منها عشرة مثاقيل ، وعليه اسمه وصورته ، فأمر يوماً لأبي الفرج منها بعشرة دنانير ، فقال ارتجالا [من المنسرح] :

نحن بجود الأمير في حرم نرتع بين السعود والنّعمِ
أبدع من هذه الدنانير لم يجر قديماً في خاطر الكرم
فقد غدت باسمه وصورته في دهرنا عوذةً من العدم[2]

فزاده عشرة أخرى .

وكان أبو فراس يوماً بين يديه في نفر من ندمائه ، فقال لهم سيف الدولة :

---

(١) السماطين : الصفّين .

(٢) العُوذة : ما يعلّق على الصبي من التمائم ليقيه العين .

أيكم يجيز قولي ، وليس له إلا سيدي (يعني أبا فراس) [من الخفيف] :

لك جسمي تعلُّه فدمي لم تُحِلُّه[1]

لك من قلبي المكان فلم لا تَحلُّه

فارتجل أبو فراس ، وقال :

أنا إن كنت مالكاً فليَ الأمر كلُّه

فاستحسنه وأعطاه ضيعةً بمنبج تغل ألفي دينار .

واستنشد سيف الدولة يوماً أبا الطيب المتنبي قصيدته التي أولها [من الطويل] :

على قدر أهل العزم تأتي العزائمُ وتأتي على قدر الكرام المكارم

وكان معجباً بها كثير الاستعادة لها ، فاندفع أبو الطيب المتنبي ينشدها ، فلما بلغ قوله فيها :

وقفت وما في الموت شكٌّ لواقفٍ كأنّك في جفن الردى وهو نائمُ

تمرُّ بك الأبطال كلمى هزيمةً ووجْهك وضّاحٌ وثغرك باسمُ

قال : قد انتقدنا عليك هذين البيتين ، كما انتقد على امرىء القيس بيتاه [من الطويل] :

كأنّيَ لم أركبْ جواداً للذّةٍ ولم أتبطّنْ كاعباً ذات خلخالِ[2]

ولم أسبأ الزقَّ الرويّ ولم أقلْ لخيليَ كرّي كرّةً بعد إجفالِ[3]

---

(١) تعلُّه : تمرضه ، وتحلُّه : أي تستحلُّ سفكه .

(٢) أتبطن : أعلو ، والكاعب : الفتاة الناهد .

(٣) أسبأ : أشتري ، الزق : دنّ الخمر ، الروي : المملوء والإجفال : الإنهزام في سرعة .

وبيتاك لا يلتئم شطراهما ، كما ليس يلتئم شطرا هذين البيتين ، وكان ينبغي لامرىء القيس أن يقول :

كَأنّـيَ لم أركب جواداً ولـم أقلْ   لخيلـيَ كرّي كرّةً بعـد إجفال
ولـم أسبـأ الـزق الـرويّ للذّةٍ   ولـم أتبطّـنْ كاعبـاً ذات خلخال

ولك أن تقول :

وقفـت ومـا في المـوت شكٌ لواقفٍ   ووجهـك وضـاحٌ وثغـرك باسم
تمـرُّ بك الأبطـال كلمـي هزيمةً   كأنّـك في جفـن الـردى وهـو نائم

فقال : أيد الله مولانا ! إن صح أن الذي استدرك على امرىء القيس هذا كان أعلم بالشعر منه ، فقد أخطأ امرؤ القيس وأخطأت أنا ، ومولانا يعلم ان الثوب لا يعرفه البزاز معرفة الحائك ، لأن البزاز يعرف جملته ، والحائك يعرف جميلته وتفاريقه ، لأنه هو الذي أخرجه من الغزلية الى الثوبية ، وإنما قرن امرؤ القيس لذة النساء بلذة الركوب للصيد ! وقرن السماحة في شراء الخمر للأضياف بالشجاعة في منازلة الأعداء ، وأنا لما ذكرت الموت في أول البيت أتبعته بذكر الردى ـ وهو الموت ـ ليجانسه ، ولما كان وجه الجريح المنهزم لا يخلو من أن يكون عبوساً ، وعينه من أن تكون باكية ، قلت * ووجهك وضاح وثغـرك باسـم * لأجمـع بين الأضداد في المعنى ، وإن لم يتسع اللفظ لجميعها . فأعجب سيف الدولة بقوله ، ووصله بخمسين ديناراً من دنانير الصلات ، وفيها خمسمائة دينار .

وكان أبو بكر وأبو عثمان الخالديان من خواص شعراء سيف الدولة ، فبعث إليهما مرة وصيفة ووصيفا ، ومع كل واحد منهما بدرة[1] وتخت من ثياب مصر ، فقال أحدهما من قصيدة طويلة ، وهي [من الكامل] :

لم يغـد شكرك في الخلائـق مطلقاً   إلاّ ومـالك في النّـوال حبيسُ

---

(١) البدرة : صرّة أو كيس توضع فيه الدراهم .

خوَّلتنا شمساً وبدراً أشرقت | بهما لدينا الظُّلمة الحنديسُ[1]
رشأً أتانا وهو حسناً يوسفٌ | وغزالةٌ هي بهجةً بلقيس
هذا ، ولم تقنع بذاك وهذه | حتّى بعثت المال وهو نفيسُ
أتت الوصيفة وهي تحمل بدرةً | وأتى على ظهر الوصيف الكيس[2]
وبررتنا مما أجادت حوكه | مصرٌ ، وزادت حسنه تنيس[3]
فغدا لنا من جودك المأكول والـ | ـمشروب والمنكوح والملبوس

فقال له سيف الدولة : أحسنت إلا في لفظه « المنكوح » ، فليست مما يخاطب بها الملوك ، وهذا من عجيب نقده .

حكى أبو إسحق إبراهيم بن هلال الصابي ، قال : طلب مني رسول سيف الدولة ـ وكان [قد] قدم إلى الحضرة ـ شيئاً من شعري ، وذكر أن صاحبه رسم له ذلك ، فدافعته أياماً ، ثم ألح علي وقت الخروج فأعطيته هذه الثلاثة الأبيات ، وهي [من الكامل] :

إنْ كنتُ خنتك في الأمانة ساعةً | فذممت سيف الدولة المحمودا
وزعمت أنّ له شريكاً في العلا | وجحدته في فضله التوحيدا
قسماً لو انّي حالفٌ بغموسها | لغريم دينٍ ما أراد مزيدا[4]

[وقال] فلما عاد الرسول إلى الحضرة ، ودخلت عليه مسلماً ، أخرج لي كيساً بختم سيف الدولة مكتوباً عليه اسمي ، وفيه ثلاثمائة دينار .

* * *

---

(١) الحنديس : من الحنديس، وهو الليل الشديد الظلمة .
(٢) الوصيفة : الجارية ، والوصيف : الخادم .
(٣) بررتنا : من البرّ وهو المعروف والعطاء . والحوك : النسج ، تنيس : مدينة بمصر اشتهرت بالنسج .
(٤) الغموس : يقال الغموس النجم أي غاب وغمست الطعنة : أي اخترقت المطعون .

نبذ من ذكر وقائعه وغزواته

حدث أبو عبد الله الحسين بن خالويه ، قال : لما كانت الشام بيد الإخشيد محمد محمد بن طغج سار إليها سيف الدولة فافتتحها ، وهزم عساكره عن صفين ، فقال له المتنبي [من الكامل] :

يا سيف دولة ذي الجلال ومن له خير الخلائف والأنام سميُّ
أو ما ترى صفين كيف أتيتها فانجاب عنها العسكر الغربيُّ[1]
فكأنّه جيش ابن حربٍ رعته حتى كأنّك يا عليُّ عليُّ[2]

وقال أبو فراس من قصيدة طويلة [من الطويل] :

أتى الشام لما استذأب البَهْم واغتدت بها أذؤب البيداء وهي قساور[3]
فثقّف منآدٌ ، وأُصلح فاسدٌ وذلّل جبارٌ ، وأُذعر ذاعر[4]

وكان ظهر رجل في الغرب يعرف بالمبرقع يدعو الناس إلى نفسه ، والتفت عليه القبائل ، وافتتح مدائن من أطراف الشام ، وأسر أبا وائل تغلب بن داود بن حمدان ، وهو خليفة سيف الدولة على حمص ، وألزمه شراء نفسه بعدد من الخيل وجملة من المال ، فأسرع سيف الدولة من حلب يغذ[5] السير حتى لحقه في اليوم الثالث بنواحي دمشق ، فأوقع به ، وقتله ، ووضع السيف في أصحابه ، فلم ينج إلا من سبق فرسه ، وعاد سيف الدولة إلى حلب ومعه أبو وائل، وبين يديه رأس

---

(١) انجاب : انهزم وتراجع وانكشف .

(٢) ابن حرب : معاوية بن أبي سفيان ، وعلي الأول : سيف الدولة وعليّ الثاني : الإمام عليّ بن أبي طالب .

(٣) البهم : بفتح الباء وسكون الهاء : صغار أولاد الضأن ، والقساور : جمع قسورة ، وهو الأسد .

(٤) ثقّف : قوّم وعدّل ، والمنآد : المنحني المنعطف ، وذلّل : أخضع ، وأُذعر : أُخيف وأفزع .

(٥) يغذّ : يسرع .

الخارجي على رمح ، فقال أبو فراس يذكر ذلك [من الطويل] :

وأنقـذ من مسّ الحـديد وثقله أبـا وائـلٍ ، والدهـر أجـدع صاغرُ[١]
وآب ورأس القرمطـيّ أمامه له جسـدٌ من أكعـب الرمـح ضامرُ[٢]

وهذا من أحسن ما قيل في الرأس المصلوب على الرمح .

[ولبعضهم في مثل ذلك] [من البسيط] :

وعـاد لكنّـه رأسٌ بلا جسدٍ يسـري ، ولـكن علـى ساقٍ بلا قدم

وقال أبو الطيب في خلاص أبي وائل [من المتقارب] :

ولـو كنـت في أسـر غير الهوى ضمنـت ضمـان أبـي وائلٍ[٣]
فـدى نفسـه بضمـان النّضار وأعطـى صدور القنـا الذابلِ[٤]
ومنّاهـم الخيـل مجنوبـةً فجئـن بكلٍّ فتـىً باسل[٥]
كأنّ خلاص أبـي وائـلٍ معـاودة القمـر الآفـل
دعـا فسمعـت وكم ساكت علـى البعـد عنـدك كالقائل
فلبّيتـه بك في جحفـلٍ له ضامـنٌ وبـه كافـل
وعـدت إلـى حلـبٍ ظافراً كعـود الحلـيٍّ إلـى العاطـل[٦]

وكان سيف الدولة اصطنع بني كلاب ، وأدناهم ، وآمن سربهم[٧] ، فقهروا

---

(١) أجدع : أي ذليل .
(٢) آب : رجع ، وضامر : هزيل .
(٣) أسر : قيود .
(٤) النضار : الذهب الخالص ، القنا : يريد الرمح ، والذابل : الدقيق .
(٥) المجنوبة : السلسة القياد .
(٦) العاطل : يقال جيد عاطل ، أي خالٍ من الحليّ .
(٧) يقال « فلان آمن في سربه » بكسر السين وسكون الراء ـ أي آمن في حرمه وعياله ، وهو مستعار من سرب الظباء والبقر الوحشي والقطا ، أي جماعتها .

العرب وعلت كلمتهم ، إلى أن بدرت منهم جفوة أحفظته[1] فأسرى إليهم ، وأوقع بهم ، وملك حرمهم وأموالهم ، ثم صفح عنهم وكرم ، وجمع الحرم ، ووكل بهن الخدم وأفضل عليهن، وأحسن إليهن ، فقال أبو الطيب من قصيدة [من الوافر] :

فعـدن كمـا أخـذن مكرّمات ... عليهـن القـلائـد والمـلاب[2]

يثبنـك بالـذي أوليت شكراً ... وأين من الـذي تولـي الثوابُ ؟

وليس مصيرهـنّ إليك شيناً ... ولا في صونهـنّ لديكَ عاب[3]

ولا في فقدهـنّ بني كلابٍ ... إذا أبصـرن غرّتـك اغتراب

وكيف يتـمّ بأسـك في أناسٍ ... تصيبهـم فيؤلمـك المصـاب

ترفّـقْ أيهـا المـولى عليهمْ ... فإنّ الرفـق بالجانـي عتاب

هذا كلام ما لحسنه غاية .

وعين المخـطئين همُ ، وليسوا ... بأوّل معشـرٍ خطئـوا فتابوا

وأنـت حياتهـم غضبـت عليهم ... وهجـر حياتهـم لهـمُ عقاب

ومـا جهلـت أياديك البوادي ... ولـكن ربّمـا خفـي الصّواب

وكم ذنـبٍ مولّـده دلالٌ ... وكـم بعـد مولّـده اقتراب

وجـرمٍ جرّه سفهـاء قومٍ ... وحـلّ بغير جارمـه العذاب[4]

كأنما اقتبسه من قول الله سبحانه : ﴿ أتهلكنا بما فعل السفهاء منا﴾[5] [ونحو من هذا قول زياد في خطبته البتراء « والله لآخذن المحسن بالمسيء »]

ولـو غير الأمير غزا كلاباً ... ثنـاه عن شموسهـمُ ضبابُ

---

(١) أحفظته : أغضبته وأحنقته .

(٢) الملاب : بفتح الميم ، كلّ عطرٍ مائع ، وهو فارسي الأصل .

(٣) الشين : العيب والنقص .

(٤) الجرم : الذنب ، وجارمه : مقترفه .

(٥) من الآية ١٥٥ من سورة الأعراف .

وما أحسن ما كُنِّي عن الحرم بالشموس ، وعن المحاماة دونهم بالضباب .

ولكن ربّهمْ أسرى إليهمْ   فما نَفَعَ الوقوف ولا الذّهابُ
كذا فليسرِ من طلب المعالي   ومثل سراك فليكن الطّلابُ

وكتب إليه أبو فراس في تلك الحال يداعبه [من المتقارب] :

وما أنس لا أنس يوم المغار   محجّبةً لفظتها الحجبْ
دعاك ذووها بسوء الفعال   لما لا تشاء وما لا تحبْ
فوافتك تعثر في مرطها   وقد رأت الموت من عن كثبْ[1]
وقد خلط الخوف لمّا طلعـ   ـت دلّ الجمال بذلّ الرعب
تسرع في الخطو لا خفّةً   وتهتزّ في المشي لا من طرب
فلما بدت لك دون البيوت   بدا لك منهن جيشٌ لجب[2]
وما زلت، مذ كنت ، تأتي الجميل   وتحمي الحريم وترعى الحسب
وتغضب حتى إذا ما ملكت   أطعت الرضا وعصيت الغضب
فكنت حماهنّ إذ لا حمى   وكنت أباهنّ إذ ليس أب
فولّين عنك يفدينها   ويرفعن من ذيلها ما انسحب
ينادين بين خلال البيو   ت لا يقطع الله نسل العرب
أمرت وأنت المطاع الكريم   ببذل الأمان وردّ النّهب[3]
وقد رحن من مهجات القلوب   بأوفر غنمٍ وأغلى نشب[4]
فإن هنّ يا بن الكرام السراة   رددن القلوب رددنا السلب[5]

---

(١) المرط : الثوب الطويل الذيل ، وكثب : هنا بمعنى القريب ، وقد استعمل « عن » هنا إسماً بمعنى الجهة فلذلك أدخل عليها « من » .
(٢) جيش لجب : أي ذو جلبة وصياح ، وذلك لكثرة عدده .
(٣) النّهب : السّلب .
(٤) النشب : المال وغيره من إبلٍ وخيل الخ . . .
(٥) السراة : السادة الكرام .

وقال أيضاً يمدحه ويذكر نسوة بني كلاب [من البسيط] :

قد ضجّ جيشك من طول القتال به ... وقد شكتك إلينا الخيل والإبلُ
وقد درى الروم مذ جاورت أرضهمُ ... أنْ ليس يعصمهم سهلٌ ولا جبل[1]
في كلِّ يوم تزور الثغر لا ضجرٌ ... يثنيك عنه، ولا شغلٌ ، ولا ملل
فالنفس جاهدةٌ ، والعين ساهرةٌ ، ... والجيش منهمكٌ ، والمال مبتذل
توهّمتك كلابٌ غير قاصدها ... وقد تكنّفك الأعداء والشّغل
حتى رأوك أمام الجيش تقدمه ... وقد طلعت عليهم دون ما أملوا
فاستقبلوك بفرسانٍ أسنّتها ... سود البراقع والأكوار والكلل[2]
فكنت أكرم مسئولٍ وأفضله ... إذا وهبن فلا منٌّ ولا بخل

ويقال : إن سيف الدولة غزا الروم أربعين غزوة له وعليه ، فمنها أنه أغار على زبطرة وعرقة وملطية ونواحيها فقتل وأحرق وسبى ، وانثنى قافلاً إلى درب موزار فوجد عليه قسطنطين بن فردس الدمستق فأوقع به وقتل صناديد رجاله ، وعقب إلى للدانه وقد تراجع من هرب منها فأعظم القتل وأكثر الغنائم ، و[قد] عبر الفرات إلى بلد الروم ، ولم يفعله أحد قبله ، حتى أغار على بطن هنزيط ، فلما رأى فردس بعد مغزاه وخلو بلاد الشام منه غزا نواحي انطاكية ، فأسرى سيف الدولة يطوي المراحل : لا ينتظر متأخراً ، ولا يلوي على متقدم ، حتى عارضه بمرعش ، فأوقع به وهزمه ، وقتل رؤوس البطارقة ، وأسر قسطنطين بن الدمستق ، وأصابت الدمستق ضربة في وجهه ، وأكثر الشعراء في هذه الوقعة ، فقال أبو الطيب [من الطويل] :

لكلّ امرىءٍ من دهره ما تعوّدا ... وعادات سيف الدولة الطّعن في العدا

---

(١) يعصمهم : يمنعهم ويحميهم .

(٢) البراقع : أقنعة تستر بها النساء وجوهها . والأكوار : جمع كور وهو الرحل ، والكلل : الحالة .

وأن يكذب الإرجاف عنه بضدّه ويمسي بما تنوي أعاديه أسعدا[1]
وربّ مريدٍ ضرَّه ضرُّ نفسه وهادٍ إليه الجيش أهدى وما هدى

ومنها :

سريت إلى جيحان من أرض آمدٍ ثلاثاً ، لقد أدناك ركضٌ وأبعدا
فولّى وأعطاك ابنه وجيوشه جميعاً ولم يعط الجميع لتحمدا
وما طلبتْ زرق الأسنة غيره ولكنّ قسطنطينَ كان له الفدا

وقال أبو فراس [من الطويل] :

وآب بقسطنطين وهو مكبّلٌ تحفُّ بطاريقٌ به وزرازرُ[2]
وولّى على الرسم الدمستق هارباً وفي وجهه عذرٌ من السّيف عاذر
فَدى نفسَهُ بابنٍ عليه كنفسه وللشدّة الصماء تقنى الذخائر[3]
وقد يقطع العضو النفيس لغيره وتدفع بالأمر الكبير الكبائر

وسار سيف الدولة لبناء الحدث ـ وهي قلعة عظيمة الشأن ـ فاشتد ذلك على ملك الروم ، فجمع عظماء أهل مملكته ، وجهزهم بالصليب الأعظم وعليهم فردس الدمستق ، ثائراً بابنه قسطنطين في عدد لا يحصى ، حتى أحاطوا بعسكر سيف الدولة ، والتهبت الحرب ، واشتد الخطب ، وساءت ظنون المسلمين ، ثم أنزل الله نصره ، فحمل سيف الدولة يخرق الصفوف طلباً للدمستق ، فولى هارباً ، وأسر صهره وابن بنته ، وقتل خلق كثير من الروم ، وأكثر الشعراء في هذه

---

(١) الإرجاف : الخوض في الأخبار السيئة والفتن .
(٢) الزرازر : جمع الزرزار ، وهو في الأصل الذكي الخفيف .
(٣) تقنى : تدّخر ، والذخائر : جمع ذخيرة ، وهو ما تذّخره لوقت الحاجة .

الوقعة ، فقال أبو الطيب وذكر الحدث [من الطويل] :

بناهـا فأعلـى والقنـا تقـرع القنا ... ومـوج المنـايا حولهـا متلاطـمُ[١]

وكان بهـا مثـل الجنـون فأصبحت ... ومـن جثث القتلـى عليهـا تمائم[٢]

تفيت الليالـي كلّ شيءٍ أخذتهُ ... وهـنّ لمـا يأخـذن منـك غوارم[٣]

وذكر ولد الدمستق فقال :

وقـد فجعتـه بابنـه وابـن صهره ... وبالصهـر حمـلات الأمير الغواشم

مضى يشكر الأصحاب في فوتـه الظّبا ... بمـا شغلتهـا هامهـم والمعاصم[٤]

ويفهـم صوت المشـرفية فيهم ... علـى أنّ أصـوات السيوف أعاجم

يسـرّ بمـا أعطـاك لا عن جهالةٍ ... ولـكنّ مغنومـاً نجـا منـك غانم

وقال السريّ في بناء الحدث [من البسيط] :

رفعت بالحدث الحصن الذي خفضت ... منه الحوادث حتى ذلّ جانبهُ

أعدتـه عدويـاً فـي مناسبه ... من بعـد ما كان روميّاً مناسبه[٥]

فقـد وفـي عرضـه بالبيد واعترضت ... طولاً علـى منـكب الشّعـرى مناكبه

مصـغ إلـى الجـو أعـلاه فإنْ خفقت ... زهـر الـكواكب خلناهـا تخاطبه

كأنّ أبراجـه من كلّ ناحيةٍ ... أبراجهـا والدُّجـى وحفٌ غياهبه[٦]

---

(١) القنا : يقصد بها السلاح وعدّة الحرب . ، والمنايا : جمع منيّة ، وهي الموت ، ومتلاطم : أي يزحم بعضه بعضا ، متدافع .

(٢) التمائم : جمع تميمة وهي العوذة التي تقي من العين .

(٣) غوارم : مَدينة .

(٤) الظّبا : جمع ظبّة ، وهي حدّ السيف والسكّين وغيرهما .

(٥) عدويّاً : منسوب إلى عدي ، وهو جدّ من أجداد سيف الدولة .

(٦) الوَحْف : الشعر الأسود ، والغياهب : الظلمات الشديدة .

ولأبي فراس في ذكرها [من الطويل] :

رأى الثغـر مثغـوراً فسـدّ بسيفه فم الدهـر عنـه وهـو سغبـان فاغر](1)

* * *

ملح شعر سيف الدولة

ومما أنشدني أبو الحسن محمد بن أحمد الإفريقي المتيم لسيف الدولة في وصف قوس قزح ، وهو أحسن ما سمعت فيه على كثرته [من الطويل] :

وساقٍ صبيحٍ للصبوح دعوته فقام وفي أجفانه سِنة الغمضِ(2)
يطوف بكاسات العقار كأنجمٍ فمن بين منقضٍّ علينا ومنفضٍّ
وقد نشرت أيدي الجنوب مطارفاً على الجوّ دكناً والحواشي على الأرض(3)
يطرّزها قوس الغمام بأصفرٍ على أحمرٍ في أخضرٍ تحت مبيضٍّ
كأذيال خودٍ أقبلت في غلائلٍ مصبّغةٍ والبعض أقصر من بعضِ(4)

وهذا من التشبيهات الملوكية التي لا يكاد يحضر مثلها السوقة ، ونظيره قول ابن المعتز في وصف الهلال [من الكامل] :

فانظر إليه كزورقٍ من فضّةٍ قد أثقلته حمولةٌ من عنبرِ

وقول أبي فراس ـ وهو مما يعرب عن استخدامه نفائس الفرس ـ [من الكامل] :

وكأنّما البرك الملاء تحفّها ألوان ذاك الروض والزهرِ

---

(1) مثغوراً : أي به ثغرة ، والسغب : الجوع ، وفاغر : فاتح .
(2) الصبوح : الشرب صباحا ، سنة الغمض : أي الفتور الذي يلحق بالأجفان من النعاس .
(3) الجنوب : الريح تهبّ جنوباً : والمطارف : ودكناً : قاتمة .
(4) الخود : النساء الناعمة ، والغلائل : الثياب الرقيقة الناعمة ، تنسب إلى ابن الرومي .

بسطٌ من الديباج بيضٌ فروزت أطرافها بفراوزٍ خضر[1]

وقوله من قصيدة [من الكامل] :

والماء يفصل بين زهر الـ ـرّوض في الشّطين فصلا
كبساط وشيٍ جرّدتْ أيدي القيون عليه نصلا[2]

وأنشدني أبو الحسن العلوي الهمداني ، قال : أنشدني سيف الدولة لنفسه . وأنا أراه من قوله في صباه [من الوافر] :

أقبّله على جزعٍ كشرب الطائر الفزع
رأى ماءً فأطعمه وخاف عواقب الطمع
وصادف فرصةً فدنا ولم يلتذّ بالجرع[3]

ينظر معناها إلى قول ابن المعتز [من المنسرح] :

فكم عناقٍ لنا وكم قبلٍ مختلساتٍ حذار مرتقب
نقر العصافير ـ وهي خائفةٌ من النواطير ـ يانع الرطب[4]

ويحكى أنه كانت لسيف الدولة جارية من بنات ملوك الروم ، لا يرى الدنيا إلا بها ، ويشفق من الريح الهابة عليها ، فحسدتها سائر حظاياه على لطف محلها منه ، وأزمعن إيقاع مكروه بها من سم أو غيره، وبلغ سيف الدولة ذلك ، فأمر بنقلها إلى بعض الحصون احتياطاً على روحها ، وقال [من الخفيف] :

راقبتني العيون فيك فأشفقـ ـت ولم أخلُ قطُّ من إشفاقِ

---

(1) فروزت : ذيّلت بحواشي .

(2) القيون : مفردها قين وهو الحداد .

(3) الجرع : شرب الماء بسرعة .

(4) النواطير : جمع ناطور ، وهو الموكل بحراسة الكروم والأشجار .

ورأيت العـذول يحسدنـي فيـ ـك مجـداً يا أنفس الأعلاقِ[1]
فتمنّيت أن تكونـي بعيداً والـذي بيننـا من الـودّ باق
ربّ هجـرٍ يكون من خوف هجرٍ وفـراقٍ يكون خوف فراق

وأنشدني أبو بكر الخوارزمي ، قال : أنشدني ابن خالـويه بحلـب لسيف الدولة [من الطويل] :

تجنّـى علـيّ الذنـبَ والذنـب ذنبه وعاتبني ظلمـاً وفـي شقّـه العتب[2]
وأعـرض لمـا صار قلبـي بكفّه فهلاّ جفانـي حين كان لي القلبُ ![3]
إذا برم المولـى بخدمـة عبده تجنّـى له ذنبـاً وإن لم يكن ذنب[4]

يشبه هذا المعنى [من الخفيف] :

وإذا ما الجفـاء جهّـز جيشاً سبقتـه طليعـةٌ من تجنّي

وأنشد أبو الحسن أحمد بن فارس ، قال : أنشدني شاعر يعرف بالمتيم[5] لسيف الدولة [من المديد] :

قـدْ جرى في دمعـه دمه فإلـى كـم أنـت تظلمُه ؟
ردّ عنـه الطـرف منـك فقد جرّحتـه منـك أسهمهُ[6]
كيف يستـطيع التجلّـد مَنْ خطـراتُ الـوهـم تؤلمـه ؟[7]

(١) الأعلاق : جمع علق وهو من العقود .
(٢) شقّه : فمه .
(٣) أعرض : صدّ وامتنع .
(٤) برم : سئم وضجر .
(٥) المتيّم : سبق للمؤلف في مطلع هذا البحث أن سماه أبا الحسن محمد بن أحمد الأفريقي .
(٦) الطرف : العين والنظر .
(٧) خطرات الوهم : تخيّله وتصوّره .

وأنشدني غير واحد له في أخيه ناصر الدولة أبي محمد عند وحشة جرت بينهما . [من الطويل] :

رضيت إليك العليا وقد كنت أهلها وقلت لهم بيني وبين أخي فرقُ
ولم يكُ بي عنها نكولٌ ، وإنّما تجافيت عن حقي فتمّ لك الحقُّ[1]
ولا بدّ لي من أن أكون مصلّياً إذا كنت أرضى أن يكون لك السبق[2]

وأنشدت له أيضاً في وصف نار الكانون [من المنسرح] :

كأنّما النار والرماد معاً وضوءها في ظلامه يحجبْ
وجنة عذراء مسّها خجلٌ فاستترت تحت عنبرٍ أشهبْ[3]

نظيرهما في الحسن قول كشاجم [من المنسرح] :

كأنّما الجمر والرماد وقد كاد يواري من ناره النورا
ورد جني القطاف أحمر قد ذرّت عليه الأكفّ كافورا

وقول أبي طالب المأموني [من الخفيف] :

ما ترى النار كيف أسقمها القرّ فأضحت تخبو وطوراً تسعرُ[4]
وغدا الجمر والرماد عليه في قميصٍ مذهّبٌ ومعنبرُ

* * *

(١) النكول : الهرب والابتعاد .
(٢) المصلّى : هو من فرسان السباق الذي يجيء بعد الفرس الأول ، والأول يسمّى السابق .
(٣) الأشهب : ما كان لونه الشهبة ، وهي بياض غلب على السّواد .
(٤) القرّ : البرد ، وتخبو : يضعف وهجها ، وتسعر : يشتدّ وهجها ويتقد .

البـاب الثـالـث

٢ - في ذكر أبي فراس الحارث بن سعيد بن حمدان وأخباره

وغرر أخباره وأشعاره[1]

[هو ابن عم سيف الدولة المقدم ذكره ، وابن عم ناصر الدولة] .

كان فرد دهره ، وشمس عصره ، أدباً وفضلاً ، وكرماً ونبلاً ، ومجداً وبلاغة وبراعة ، وفروسية وشجاعة ، وشعره مشهور سائر بين الحسن والجودة ، والسهولة والجزالة ، والعذوبة والفخامة، والحلاوة والمتانة ، ومعه رواء الطبع ، وسمة الظرف ، وعزة الملك . ولم تجتمع هذه الخلال قبله إلا في شعر عبد الله بن المعتز ، وأبو فراس يعد أشعر منه عند أهل الصنعة ونقدة الكلام ، وكان الصاحب يقول : « بدىء الشعر بملك ، وختم بملك » يعني امرأ القيس وأبا فراس ، وكان المتنبي يشهد له بالتقدم والتبريز، ويتحامى جانبه فلا ينبري لمباراته، ولا يجترىء على مجاراته ، وإنما لم يمدحه ومدح من دونه من آل حمدان تهيباً له وإجلالاً ، لا إغفالاً وإخلالاً . وكان سيف الدولة يعجب جداً بمحاسن أبي فراس ، ويميزه بالإكرام عن سائر قومه ، ويصطنعه لنفسه، ويصطحبه في غزواته ، ويستخلفه على أعماله ، وأبو فراس ينثر الدر الثمين في مكاتباته إياه ، ويوفيه حق سؤدده ، ويجمع بين أدبي السيف والقلم في خدمته .

* * *

---

(١) تجد ترجمة أبي فراس في وفيات الأعيان لابن خلكان (١/ ١٢٧ الحلبي) .

قطعة من أخباره مع سيف الدولة وأشعاره فيه سوى الروميات

حكى ابن خالويه قال : كتب أبو فراس إلى سيف الدولة، وقد شخص من حضرته إلى منزله بمنبج كتاباً صدره :«كتابي ـ أطال الله بقاء مولانا ! ـ من المنزل وقد وردته ورود السالم الغانم مثقل [البطن] والظهر وفراً وشكراً » . فاستحسن سيف الدولة بلاغته ، ووصف براعته . وبلغ أبا فراس ذلك فكتب إليه [من الكامل] :

هل للفصاحة والسما ... حة والعلا عنّي محيدُ
إذ أنت سيدي الذي ... ربّيتني ، وأبي سعيدُ
في كلِّ يومٍ أستفيـ ... ـد من العلاء وأستزيدُ
ويزيد فيَّ إذا رأيـ ... ـتك في النّدى خلقٌ جديدُ

وكان سيف الدولة قلماً ينشط لمجلس الأنس ؛ لاشتغاله عنه بتدبير الجيوش وملابسة الخطوب ، وممارسة الحروب ، فوافت حضرته إحدى المحسنات من قيان بغداد ، فتاقت نفس أبي فراس إلى سماعها ، ولم ير أن يبدأ باستدعائها قبل سيف الدولة ، فكتب إليه يحثه على استحضارها ، فقال [من السريع] :

محلّك الجوزاءُ أو أرفعُ ... وصدرك الدهناء بل أوسع[1]
وقلبك الرحب الذي لم يزلْ ... للجدّ والهزل به موضع
رفّهْ بقرع العود سمعاً غدا ... قرع العوالي جلّ ما يسمع

فبلغت هذه الأبيات المهلبي الوزير فأمر القيان [والقوالين] بحفظها

(١) الجوزاء : نجم في السماء ، والدهناء : صحراء من صحارى العرب ، يريد أنّ صدره مثلها في الاتساع .

(٢) العوالي : الرماح .

وتلحينها ، وصار لا يشرب إلا عليها .

وكتب أبو فراس إلى سيف الدولة [من الكامل] :

يا أيّها الملك الذي أضحت له جمل المناقبْ[1]
نتج الربيع محاسناً ألقحنها غرر السحائب[2]
راقت ورقّ نسيمها فحكتْ لنا صور الحبائب
حضر الشّراب فلم يطبْ شرب الشراب وأنت غائب

وتأخر عن حضرته لعلة وجدها ، فكتب إليه [من الهزج] :

لقد نافسني الدّهر بتأخيري عن الحضره
فما ألقى من العلّة ما ألقى من الحسره

وأهدى الناس إلى سيف الدولة [في بعض الأعياد] وأكثروا ، فكتب إليه أبو فراس [من الكامل] :

نفسي فداؤك قد بعثـ ـت تعهّدي بيد الرسولِ
أهديت نفسي ، إنّما يهدي الجليل إلى الجليل
وجعلت ما ملكت يدي صلةَ المبشّر بالقبول
[لما رأيتك في الأنا م بلا مثالٍ أو عديل][3]

وكتب إليه يعاتبه [من الكامل] :

قد كنت عدّتيَ التي أسطو بها ويدي إذا اشتدّ الزمان وساعدي
فرميت منك بغير ما أمّلته والمرء يشرق بالزلال البارد[4]

---

(١) المناقب : المآثر .

(٢) نتج الربيع : خلّف ، وألقحنها : أسقينها والسحائب : الغيوم .

(٣) العديل : الشبيه والموازن .

(٤) يشرق : يغصُّ ، والزلال : الماء العذب .

فصبرت كالولد التقيّ لبرّه ... أغضى على ألمٍ لضرب الوالد

وعزم سيف الدولة على الغزو ، واستحلاف أبي فراس على الشام ، فكتب إليه قصيدة منها [من البسيط] :

قالوا المسير فهزَّ الرمح عامله ... وارتاح في جفنه الصمصامة الخذمُ[1]

حقّاً لقد ساءني أمرٌ ذكرت له ... لولا فراقك لم يوجدْ له ألمُ

لا تشغلنّ بأمرِ الشّام تحرسه ... إن الشام على من حلّه حرمُ

وإنّ للثغر سوراً من مهابته ... صخوره من أعادي أهله القمم

لا يحرمنّيَ سيف الدّين صحبته ... فهي الحياة التي تحيا بها النسم[2]

وما اعترضت عليه في أوامره ... لكنْ سألت ، ومن عاداته « نعم »

وقال له [من الطويل] :

وما ليَ لا أثني عليك وطالما ... وَفَيت بعهدي والوفاء قليلُ

وأوعدتني حتّى إذا ما ملكتني ... صفحت ، وصفح المالكين جميلُ

وكتب إليه يعزيه [من السريع] :

لا بدّ من فقدٍ ومن فاقدٍ ... هيهات ما في الناس من خالدِ

كُنِ المعزّي لا المعزى به ... إن كان لا بدّ من الواحد

وكتب إليه [من الطويل] :

أيا عاتباً لا أحمل الدهر عتبه ... عليَّ ، ولا عندي لأنعمه جحد[3]

سأسكت إجلالاً لعلمك أنّني ... إذا لم تكن خصمي لي الحجج اللدّ[4]

---

(١) الصمصامة : السيف ، والخذم : القاطع .

(٢) النسم : الناس والأرواح .

(٣) الجحد : النكران .

(٤) اللدّ : الشديدة القويّة .

وكان لسيف الدولة غلام يقال له نجا ، قد اصطنعه ونوه باسمه وقلده طرسوس وأخذ يقرع باب العصيان والكفران ، وزاد تبسطه وسوء عشرته لرفقائه ، فبطش به ثلاثة نفر منهم وقتلوه . فشق ذلك على سيف الدولة ، وأمر بقتل فتكته فكتب إليه أبو فراس [من المجتث] :

ما زلت تسعى بجدٍّ برغم شانيك مقبلْ[1]
ترى لنفسك أمراً وما يرى الله أفضلْ

وكتب إليه يستعطفه [من الكامل] :

إن لم تجاف عن الذنو ب وجدتها فينا كثيره[2]
لكنّ عادتك الجميـ ـلة أن تغضّ على بصيره[3]

وكتب إليه يستعطفه [من الوافر] :

دع العبرات تنهمر انهمارا ونار الشوق تستعر استعارا
أتطفأ حسرتي وتقرُّ عيني ولم أوقد مع الغازين نارا
أقمت على الأمير وكنت ممّن تعزّ عليه فرقته اختيارا
إذا سار الأمير فلا هدوّاً لنفسٍ أو يؤوب ، ولا قرارا
ستذكرني إذا طردت رجالٌ دققت الرمح بينهم مرارا
وأرضٍ كنت أملؤها رجالاً وجوٍّ كنت أُرهجه غبارا[4]
إذا بقي الأمير قرير عينٍ فديناه اختياراً واضطرارا
يمدّ على أكابرنا جناحاً ويكفل عند حاجتها الصّغارا[5]

---

(١) شانيك : مبغضك .

(٢) تجاف : تصفح وتبتعد .

(٣) تغضّ : تتجاهل وتتعامى ، والبصيرة : المعرفة .

(٤) الرهج : بفتح الراء والهاء : الغبار ، وأرهج الرجل : أثار الغبار .

(٥) يريد أن عنايته قد شملت الكبار والصّغار .

أراني الله طلعته سريعاً | وأصحبه السّلامة حيث سارا
وبلّغه أمانيه جميعاً | وكان له من الحدثان جارا[1]

وكتب إليه [من الوافر] :

ألا من مبلغٍ سروات قومي | إذا حدّثن جمجمن الكلاما[2]
بأني لم أدع فتيات قومي | وسيف الدولة الملك الهماما
شريت ثناءهنّ ببذل نفسي | ونار الحرب تضطرم اضطراما[3]
ولما لم أجد إلاّ فراراً | أشدّ من المنيّة أو حِماما[4]
حملت على ورود الموت نفسي | وقلت لصحبتي موتوا كراما
وهل عذرٌ وسيف الدين ركني | إذا لم أركبِ الخطط العظاما
وأقفو فعله في كلّ أمرٍ | وأجعل فضله أبداً إماما
وقد أصبحت منتسباً إليه | وحسبي أن أكون له غلاما
أراني كيف أكتسب المعالي | وأعطاني على الدهر الذّماما
وربّاني ففقت به البرايا | وأنشأني فسدت به الأناما
فأحياه الإلّه لنا طويلاً | وزاد الله نعمته دواما

* * *

ما أخرج من فخرياته

قال من قصيدة يذكر فيها إيقاعه ببني كعب وهو على مقدمة سيف الدولة وكان

---

(١) الحدثان : الليل والنهار .
(٢) السروات : جمع سرَاة وهو جمع سري أو السراة مفرد بمعنى الأعلى من كلّ شيء ، ثم أريد منه العظيم القدر من الرجال . والجمجمة : الإسرار بالكلام وإخفاؤه .
(٣) تضطرم : تستعر وتصطلي .
(٤) الحمام : الموت .

قد حسن بلاؤه في تلك الوقعة [من الوافر] :

ألـم ترنـا أعـزّ النـاس جاراً ... وأمنعهـم وأمـرعهـم جنابـا[1]

لنـا الجبـل المطـلّ علـى نزارٍ ... حللنـا النّجـد منـه والهضابا[2]

يفضّلنـا الأنـام ولا نحاشي ... ونـوصف بالجميـل ولا نحابى

وقـد علمـت ربيعـة بل نزارٌ ... بأنّـا الـرأس والنـاس الذنابى

ولمـا أن طغـت سفهـاء كعبٍ ... فتحنـا بيننـا للحـرب بابا

منحناهـا الحرائـب غير أنّا ... إذا جارت منحناهـا الحرابا[3]

ولمـا ثار سيف الـدين ثرنا ... كمـا هيِّجـت آسـاداً غضابا

أسنّتـه إذا لاقـى طعاناً ... صوارمـه إذا لاقـى ضرابا

دعانـا والأسنَّـة مشرعاتٌ ... فكنّـا عنـد عودتـه الجوابا[4]

صنائـع فاق صانعهـا ففاقتْ ... وغـرسٌ طاب غارسـه فطابا

وكنّـا كالسهـام إذا أصابت ... مراميهـا فراميهـا أصابا

هذا أحسن ما قيل في معناه ، وقد أخذه الأستاذ أبو العباس أحمد بن إبراهيم الضبي ، فكتب في كتاب فتح تولاه للصاحب بأصبهان : « وهنأ الله مولانا كافي الكفاة هذه المناجح التي هي نتائج عزائمه ، وثمرات صرائمه ، فما يرى عبده وصنيعته ، وسائر من يكتنفه ظله وتريشه عنايته ، نفوسهم إذا وفقوا لمذهب من مذاهب الخدمة وهدوا لأداء حق من حقوق النعمة ، إلا سهاماً إذا أصابت فراميها المصيب ، وما لها في المحمدة نصيب » .

---

(١) أمرعهم جناباً : أخصبهم محلاً وأكثرهم نعمة .

(٢) النجد : ما ارتفع من الأرض ، والهضاب : جمع هضبة ، وهي ما اطمأن من الأرض .

(٣) الحرائب : الأسلاب .

(٤) مشرعات : معدّة للقتال .

ولأبي فراس من قصيدة أولها [من الوافر] :

أيلحاني على العبرات لاحي ... وقد يئس العواذل من صلاحي[1]

تملّكني الهوى بعد التآبي ... وراضَنِيَ الهوى بعد الجماح[2]

ألا يا هذه هل من مقيلٍ ... لضيفان الصّبابة أو مراح

فلولا أنت ما قلقت ركابي ... ولا هبّتْ إلى نجدٍ رياحي

ومنها :

ومن جرّاك أوطنت الفيافي ... وفيك غذيت ألبان اللقاح

أصاحب كلّ خلٍّ بالتّجافي ... وآسو كلّ داء بالسّماح

إذا ما عنّ لي أربٌ بأرضٍ ... ركبت له ضمينات النّجاح[3]

ولي عند العداة بكلّ أرضٍ ... ديونٌ في كفالات الرماح

وله من قصيدة كتب بها إلى جعفر بن ورقاء [من الكامل] :

إنّا إذا اشتدّ الزّما ... ن وناب خطبٌ وادلهمْ[4]

ألفيت حول بيوتنا ... عدد الشجاعة والكرم

للقا العدا بيض السيو ... ف وللندى حمر النعم[5]

هذا وهذا دأبنا ... يودى دمٌ ويراق دم[6]

وله من قصيدة أولها [من الطويل] :

أقلّي فأيام المحبّ قلائل ... وفي قلبه شغلٌ عن اللوم شاغل

---

(١) اللاحي : اللائم .

(٢) التآبي : الإمتناع ، وراضني : قادني وطوّعني ، والجماع : الشرود .

(٣) ضمينات : من الضمان والحيطة .

(٤) ناب : حلّ ، وادلهم : اشتدّ واكفهرّ .

(٥) حمر النعم : الإبل .

(٦) يودي : يسفك ، ويراق : يسفك .

يقول فيها :

تطـالبني البيض الصـوارم والقنا … بمـا وعـدت جـدَّيَّ فيَّ المخايل[1]
ووالله ما قصَّـرت في طلـب العلا … ولـكنْ كأنَّ الدّهـر عنّـيَ غافلُ
مواعيد أيامٍ تطالبنـي بها … مراءاة أزمـانٍ ودهـرٌ مخاتل[2]
وأخـلاف أيامٍ متـى ما انتجعتها … حلبـت بكيّاتٍ وهـنَّ حوافل[3]
تدافعنـي الأيام عمّـا أريغه … كمـا دفع الـدين الغـريم المماطل[4]
خليلـيَّ ، شدّا لي علـى ناقتيكما … إذا ما بدا شيبٌ من الفجـر ناصل[5]
فمثلـيَ من نال المعالـي بسيفه … وربّتمـا غالتـه عنهـا الغوائـل[6]
ومـا كلّ طلاّبٍ من النـاس بالغٌ … ولا كلّ سيّارٍ إلـى المجـد واصل
وإنّ مقيمـاً منجـح العـزّ خائبٌ … وإنّ مريعـاً خائـب الجهـد نائل
ومـا المـرء إلاّ حيث يجعـل نفسه … وإنّـي لهـا فوق السمـاكين جاعل[7]
أصاغرنـا في المكرمـات أكابرٌ … وآخرنـا في المأثـرات أوائل
إذا صلـت صولاً لم أجدْ لي مصاولاً … وإن قلـت قولاً لم أجـد من يقاول

وله من قصيدة أخرى [من الوافر] :

عذيريَ من طوالـع في عذاري … ومـن ردّ الشبـاب المستعارِ
وثـوبٍ كنـت ألبسـه أنيقٍ … أجـرّر ذيلـه بين الجواري

---

(١) البيض : السيوف ، والصوارم : القواطع ، والمخايل : جمع مخيلة ، وأراد أن مخايل النجابة كانت ظاهرة عليه ، فتوسّم فيه جدّاه الشجاعة والإقدام .
(٢) المخاتل : الغادر .
(٣) الأخلاف : الأثداء والضروع ، والبكيات : جمع بكية وهي التي قلّ لبنها ، والحوافل : الممتلئة .
(٤) أريغه : أطلبه ، والغريم المماطل : أي المدين الموفّ .
(٥) الناصل : الظاهر والخارج .
(٦) غالته : دهته وأصابته ، والغوائل : الدواهي والمصائب .
(٧) السماكان : نجمان في السّماء .

وما زادت عن العشرين سنّي فما عذر المشيب إلى عذاري ؟

أخذه من قول أبي نواس [من الكامل] :

وإذا عددت السنّ كم هي لم أجدْ للشيّب عذراً للنزول براسي

رجع وما استمتعت من راعي التصابي إلى أن جاءني داعي الوقار

تلاعب بي على هوج المطايا خلائق لا تقرُّ على الصغار[1]

ونفسٍ دون مطلبها الثريا وكفٍّ دونها فيض البحار

وما يغنيك من همٍّ طوالٍ إذا قرنت بأحوالٍ قصار[2]

عزيزٌ حيث حطّ السير رحلي تداريني الأنام ولا أداري

فأهلي من أنخت إليه عيسي وداري حيث كنت من الديار[3]

وله [من الوافر] :

لنا بيتٌ على عنق الثّريا بعيد مذاهب الأطناب سامي[4]

تظلّله الفوارس بالعوالي وتفرشه الولائد بالطعام

وله [من الوافر] :

لقد علمت سراة الحيّ أنّا لنا الجبل الممنّعُ جانباهُ

يفيء الراغبون إلى ذراه ويأوي الخائفون إلى حماه

وله [من الوافر] :

لئن خلق الأنام لحثّ كأسٍ ومزمارٍ وطنبورٍ وعودِ

---

(١) الصغار : الذلّ .

(٢) قرنت : سُلِكت ، والأحوال : جمع حول : وهي السنة ، ويقصد بها الأعمار .

(٣) العيس : الإبل .

(٤) الأطناب عُمُد البيت ، وسامي : من السموّ .

فلـم يخلـق بنـو حمـدان إلاّ ... لمجـدٍ أو لبـأسٍ أو لجود

وله [من الوافر] :

علونـا جوشنـاً بأشـدّ منه ... وأثبـت عنـد مشتجـر الرماح[1]
بجيشٍ جاش بالفرسـان حتى ... ظننـت البـرّ بحـراً من سلاح[2]
وألسنـةٍ من العذبـات حمرٍ ... تخاطبنـا بأفـواه الريـاح[3]
وأروع جيشـه ليلٌ بهيمٌ ... وغرّتـه عمـودٌ للصبّـاح[4]
صفـوحٌ عنـد قدرتـه كريمٌ ... قليل الصفـح ما بين الصفّاح
وكان ثبـاته للقلـب قلبـاً ... وهيبتـه جنـاحـاً للجنـاح[5]

وله من قصيدة [من الوافر] :

قتلـت فتى بنـي عمـرو بن عبدٍ ... وأوسعهـم علـى الضيفـان ساحا
ولسـت أرى فسـاداً في فسادٍ ... يجـرّ علـى فريقيه صلاحـا

كان سيف الدولة قد أبعد كلاباً وشردها ، فقصدت أبا فراس وهو ببالس في خف من أصحابه ، وعليهم كثير بن عوسجة ، فهزمهم ، ثم طرحوا أنفسهم عليه وقدمت وفودهم إليه ، فخرج وتوسط في أمرهم مع سيف الدولة ، وقـال في ذلك [من الوافر] :

سلـي عنّـا سراة بنـي كلابٍ ... ببـالس عند مشتجـر العوالي[6]

---

(١) الجوشن : الدرع ، مشتجر الرماح : تشابكها .
(٢) جاش : امتلأ وفاض .
(٣) العذبات : رؤوس الألسنة وأطرافها .
(٤) غرّته : نوره وبياضه .
(٥) الجناح : يعني به جناح الجيش لأن الجيش كان يقسّم إلى خمس فرق ـ القلب والمقدمة والمؤخرة والجناحان .
(٦) بالس : بلدة بشط الفرات ، والعوالي : الرماح واشتجارها : اختلاطها .

لقيناهم بأسيافٍ قصارٍ كفين مؤونة الأسل الطوال[1]
فولّى بابن عوسجةٍ كثيرٌ وساع الخطو في ضنك المجال
يرى البرغوث إذ نجّاه منّا أجلّ عقيلةٍ وأحبّ مال
تدور به إماءُ بني قريطٍ وتسأله النساء عن الرجال
يقلن له السلامة خير غنمٍ وإنّ الذلّ في ذاك المقال
وعادوا سامعين لنا فعدنا إلى المعهود من شرف الفعال
ونحن متى رضينا بعد سخطٍ أسونا ما جرحنا بالنوال[2]

أخذه من قول أبي نواس :

وَكَلْتَ بالدهر عيناً غير غافلةٍ بجود كفّك تأسو كلّ ما جرحا

وله من قصيدة أولها [من الوافر] :

وقوفك بالدّيار عليك عار وقد ردّ الشباب المستعارُ

ومنها :

وكم من ليلةٍ لم أروَ منها حننت لها وأرّقني ادّكارُ[3]
عسفتُ بها عواريَّ الليالي أحقّ الخيل بالركض المعارُ[4]
فبتُّ أعلّ خمراً من رضابٍ لها سكرٌ وليس لها خمار[5]

---

(١) الأسل : الرماح ، يقصد أن السيوف قامت مقام الرماح في الحرب .

(٢) أسونا : داوينا وخففنا آلام الجراح ، والنوال : العطاء .

(٣) لم أروَ : لم أنل غايتي منها ، وأرّقني : أسهرني

(٤) عسفت : ظلمت ، والعواري : جمع عارية ، وهو ما تعطيه غيرك على أن يعيده إليك ، وعجز هذا البيت من قول الشاعر :

وجدنا في كتاب بني تميمٍ أحقّ الخيل بالركض المعارُ

(٥) أعلّ : أنهل وأشرب ، والخمار : الصداع يعتري شارب الخمر .

إلـى أن رقّ ثوب الليل عنّا ونـادت قم فقـد برد السِّوار[1]

ومنها :

إذا ما العـزّ أصبـح في مكانٍ سمـوت له ، وإن بعـد المزارُ
مقامـي حيث لا أهـوى قليلٌ ونومـي عنـد من أقلـى غرار
أبـت لي همتـي وغـرار سيفي وعزمـي والمـطيّة والقفار[2]
ونفسٌ لا تجاورهـا الدّنايا وعـرضٌ لا يرفُّ عليه عـار
وقـومٌ مثـل من صحبـوا كرامٌ وخيلٌ مثـل من حملـت خيار
وكم بلـدٍ شنّناهـنّ فيـه ضحـىً وعـلا منابـره المُعار[3]
وكم ملكٍ نزعنـا الملك عنه وجبّـارٍ به دمـه جبار[4]

وله من أخرى [من الطويل] :

ولـو نيلـت الـدنيا بفضـلٍ منحتها فضائـل تحويهـا وتبقـى فضائلُ
ولكنّهـا الأيام تجـري بمـا جرتْ فيسفل أعلاهـا وتعلـو الأسافل
لقـد قلّ أن تلقـى من النـاس مجملاً وأخشـى قريبـاً أن يقـلّ المجامل[5]
ولست بجهم الوجه في وجـه صاحبي وإن سأل الأعمـار ما هو سائل[6]

وله [من الطويل] :

بخلـت بنفسـي أن يقـال مبخّلٌ وأقدمـت جبنـاً أن يقـال جبانُ

---

(١) السِّوار : حلقة من ذهب تتخذ في المعصم وسوار الخمر : شدّتها .
(٢) غرار السيف : حدُّه .
(٣) المعار : الفرس المضمّر ، وفي الديوان :
وكم بلـدٍ شننناهـن فيه ضحـىً وعـلا منابـره الغبار
(٤) جُبار : بزنة شجاع - أي هدر دمه ولا ثائر له ، وفي الحديث : « جرح العجماء جبار » .
(٥) المجامل : المواسي والمشارك .
(٦) جهم الوجه : مقطِّبه وعابسه .

وملكي بقايا ما وهبت مفاضةٌ ورمحٌ وسيفٌ قاطعٌ وسنانُ[1]

وله [من الوافر] :

بأطراف المثقّفة العوالي تفرّدنا بأوساط المعالي
وما تحلو مجاني العزّ يوماً إذا لم تجنها سمر العوالي
ممالكنا مكاسبنا إذا ما توارثها رجالٌ عن رجال
إذا لم تمس لي نارٌ بأرضٍ أبيت لنار غيري غير صالي[2]

وله [من الكامل] :

غيري يغيّره الفعال الجافي ويحول عن شيم الكريم الوافي[3]
لا أرتضي ودّاً إذا هو لم يدمْ عند الجفاء وقلة الإنصاف
تعس الحريص وقلّ ما يأتي به عوضاً عن الإلحاح والإلحاف
إنّ الغنيَّ هو الغنيُّ بنفسه ولو انه عاري المناكب حافي
ما كلّ ما فوق البسيطة كافياً وإذا قنعت فبعض شيءٍ كافي[4]
وتعافُ لي طمع الحريص فتوتي ومروءتي وقناعتي وعفافي[5]
ما كثرة الخيل العتاق بزائدي شرفاً ، ولا عدد السوام الضافي[6]
خيلي - وإن قلّتْ - كثيرٌ نفعها بين الصوارم والقنا الرّعافِ[7]
ومكارمي عدد النجوم ، ومنزلي مأوى الكرام ومنزل الأضياف

---

(١) المفاضة : الدرع الفضفاضة الوافية .
(٢) صالي : أصلى النار : أسعرها .
(٣) يحول : يتغيّر ويتحوّل .
(٤) البسيطة : الأرض .
(٥) تعاف : تكره وتأبى .
(٦) العتاق : الكريمة ، والسوام : الإبل وغيرها من الماشية .
(٧) الرعّاف : النازف للدماء .

لا أقتني لصروف دهري عدّةً حتى كأنَّ خطوبه أحلافي[1]
شيمٌ عرفت بهنَّ مذ أنا يافعٌ ولقد عرفت بمثلها أسلافي

وله [من الوافر] :

أتعجب إن ملكنا الأرض قسراً وأن تمسي وسائدي العراب[2]
وتربط في مجالسنا المذاكي وتنزل بين أرحلنا الركاب[3]
وهذا العزُّ أورثنا العوالي وهذا الملك ملّكنا الضّرابُ
فقصرك إنّ حالاً ملّكتنا لحالٌ لا تذمُّ ولا تعابُ

وله [من الطويل] :

ونحن أناسٌ لا توسّط عندنا لنا الصدر دون العالمين أو القبرُ
تهون علينا في المعالي نفوسنا ومن خطب الحسناء لم يغله المهر

* * *

الإخوانيات

[قال] وكتب بها إلى أخيه أبي الهيجاء [من المتقارب] :

حللت من المجد أعلى مكانِ وبلّغك الله أقصى الأماني
فإنّك - لا عدمتك العلا ! - أخٌ لا كإخوة هذا الزمان
كسوت أخوتنا بالصفاء كما كسيت بالكلام المعاني

---

(١) أحلافي : أي مرافقيّ وأتباعي ، أو أنها عقدت حلفاً معي فهي لا تفارقني .
(٢) العراب : الخيل العربية .
(٣) المذاكي : جمع مذك ، وهو من الخيل ما تمّ له بعد قروحه سنتان ، يقصد الخيل النشيطة الفتيّة .

وقال لصديق له وأحسن [من الخفيف] :

لـم أؤاخـذك بالجفـاء لأنّـي واثـقٌ منـك بالـوداد الصريحِ[1]
فجميل العـدو غير جميـلٍ وقبيح الصـديق غيـر قبيحِ

وله [من الكامل] :

مـا كنـت تصبـر في القديـ ـم فلـم صبـرت الآن عنّا
ولقـد ظننـت بك الظنو ن لأنّـه مـن ضنَّ ظنَّا[2]

وقال [من الكامل] :

أشـفقت مـن هجـري فسلّـ ـطت الـظنون على اليقيـن
وضننـت بـي فظننـت بـي والظـنّ مـن شيـم الضنينِ

وقال وكتب بها إلى أخيه [من الكامل] :

ولقـد أبيتُ وجـلّ ما أدعـو به حتّى الصباح وقـد أقضّ المضجعُ[3]
لا همّ إنّ أخـي لديك وديعتي أبـداً ، وليس يضيع ما تستودع

وكتب إلى أبي العشائر وهو أسير بأرض الروم [من الطويل] :

نفـى النـوم عن عينـي خيالٌ مسلِّم تأوّب من أسمـاءَ والـركب نوّمُ[4]
وخطـبٌ من الأيام أنسانـيَ الهوى وأحلى بفيَّ المـوت والمـوت علقمُ[5]
ووالله ما شبّبـت إلاّ علالـةً ومـن نار غير الحـبّ قلبـي يضرَّم

---

(١) الوداد الصريح : الحبّ الصافي الذي لا تشوبه شائبة .
(٢) ضنّ : بخل .
(٣) أقضّ المضجع : أي أقلقه وحرمه النوم .
(٤) تأوّب : رجع .
(٥) العلقم : الشديد المرارة .

فمـــن مبلـــغٍ عنّــي الحسين ألوكة   تضـــمنهـا درُّ الـــكلام المنظّم[1]
لذيذ الـــكرى حتـــى أراك محرّمٌ   ونـــار الأســـى بين الحشـــا تتضرّم
وأتـــرك أن أبـــكي عليك تطيُّراً   وقلبـــي يبـــكي والجوانـــح تلطم[2]

لم يسمع أحسن من هذا البيت في التفجع بمنكوب .

وأظهـــر للأعـــداء فيك جلادةً   وأكتـــم ما ألقـــاه ، والله يعلمُ
ومـــا أغربـــت فيك الليالـــي وإنّها   لتصدعنـــا من كلّ شعـــبٍ وتثلم[3]
طوارق خطـــبٍ ما تغـــبُّ وفودها   وأحـــداث أيـامٍ تفـــذُّ وتتئم[4]
فمـــا عرّفتنـــي غير ما أنـــا عارفٌ   ولا علّمتنـــي غير ما كنـــت أعلم

ومنها :

أندعـــو كريمـــاً من يجـــود بماله   ومـــن جاد بالنفس النفيســـة أكرمُ
إذا لم يكن ينجـــي الفـــرار من الرّدى   علـى حالـةٍ فالصّبـــر أرجـــى وأحزم[5]
لعمـــري لقـــد أعـــذرت لو أنّ مسعداً   وأقدمـــت لو أنّ الكتائـــب تقدم
ومـــا عابـــك ابـــن السـابقين إلـى العلا   تأخّـــر أقـــوامٍ وأنـــت مقدَّمُ
ومـــالك لا تلقـــى بمهجتـــك القنا   وأنـــت مـــن القـــوم الـــذين همُ همُ
لعـــاً يا أخـــي لا مســـك الســـوء ! إنّه   هو الدهـــر في حاليه بؤســـى وأنعم[6]

---

(١) الألوكة : الرسالة .
(٢) تطيُّراً : تشاؤماً ، والجوانح : جوانب الصدر وأضلاعه .
(٣) أغربت : أظلمت ، وتصدعنا : من الصدع وهو الشقّ الذي يفرّق بين وحدة الشيء والشعب : بكسر الشين : الناحية .
(٤) تغبّ : تزور حيناً بعد حين يعني أن الخطوب كانت متلاحقة ، وتفذّ : تأتي بالمصائب فذّة أي مفردة ، وتتئم : تأتي بها زوجا ، وأصله قولهم « أتأمت المرأة » إذا ولدت توأماً .
(٥) الرّدى : الموت والهلاك .
(٦) لعاً : دعاءٌ للعاثر ، يعني نعشك الله ونجوت .

وكتب إليه قصيدة أخرى منها [من الكامل] :

أأبـا العشائـر إن أُسِـرْت فطالما ... أسـرت لك البيض الخفـاف رجالا
لمّـا أجلـت المهـر فوق رؤوسهم ... نسجـت لـه حمـر الشعـور عقالا

ما أحسن ما اعتذر له مع إحسانه التشبيه .

يا من إذا حمل الحصان على الوجى ... قال اتخـذ حبـك التـريك نعالا[(١)]
ما كنـت نهـزة آخـذٍ يوم الوغى ... لو كنـت أوجـدت الـكميت مجالا[(٢)]
أخـذوك في كيد المضـايق غيلةً ... مثـل النسـاء تربّـب الرئبالا[(٣)]
زللٌ من الأيام فيك يقيله ... ملكٌ إذا عثر الزمـان أقالا
بالخيل ضمـراً والسيوف قواضباً ... والسمـر لدنـاً والرجـال عجـالا[(٤)]

وقال [من البسيط] :

ما كنـت مذ كنـت إلاّ طوع خلاّني ... ليسـت مؤاخـذة الإخـوان من شاني
يجنـي الخليل فأستحلـي جنايته ... حتـى أدلُّ علـى عفـوي وإحساني
إذا خليلـي لم تكثـر إساءته ... فأين موقـع إحسانـي وغفراني
يجنـي علـيَّ وأحنـو صافحـاً أبداً ... لا شيء أحسن من حانٍ على جاني[(٥)]

وقال [من الكامل] :

ما صاحبـي إلاّ الـذي من بِشْرِهِ ... عنـوانه في وجهه ولسانه

---

(١) الوجى : التعب ، والحبك : جمع حبيكة وهي المنسوجة ، والتريك : بيضة المغفر ، يأمر حصانه أن يتخذ من مغافر أعدائه نعالاً له ، وذلك كنايةً عن قهره إيّاهم واستيلائه على عقائلهم .
(٢) نهزة : فرصة ، والكميت : الحصان يميل لونه إلى الحمرة الغامقة .
(٣) الرئبال : الأسد .
(٤) الضمر : الهزيلة ، والقواضب : القاطعة . ، والسمر : الرماح ، واللدن : الليّن المرن .
(٥) الجاني : الآثم .

كم صاحبٍ لم أغن عن إنصافه في عشرةٍ وغنيت عن إحسانه

وكتب في وصف كتاب ورد عليه من صديق له [من البسيط] :

ووارد موردٍ أنساً يؤكّدهُ صدوره عن سليم الورد والصدر
شدّت سحائبه منه على نزهٍ تقسّم الحسن بين السمع والبصر
عذوبةٌ صدرت عن منطقٍ جددٍ كالماء يخرج ينبوعاً من الحجر[1]
وروضةٌ من رياض الفكر دبّجها صوبُ القرائح لا صوبٌ من المطر[2]
كأنّما نشرت أيدي الربيع بها برداً من الوشي أو ثوباً من الحبر

وقال لأبي الحصين القاضي [من الكامل] :

من بحر شعرك أغترفْ وبفضل علمك أعترفْ
أنشدتني فكأنّما شقّقت عن درّ الصّدف
شعراً إذا ما قسته بجميع أشعار السّلفْ
قصّرن دون مداه تقصير الحروف عن الألف

وقال أيضاً [من الكامل] :

إنّي عليك أبا حصينٍ عاتبٌ والحرّ يحتمل الصديق ويغفرُ
وإذا وجدت على الصديق شكوته سرّاً إليه ، وفي المحافل أشكر[3]

هكذا شرط الصداقة ، لا كما حكاه أبو إسحاق الصابي في قوله [من الخفيف] :

ومن الظلم أن يكون الرضى سرّاً ، ويبدو الإنكار وسط النادي

---

(١) منطقٍ جددٍ : منطق فيه لينٌ وسهولة .

(٢) دبّجها : أتقن نظمها وصنعها ، والصوب : المطر .

(٣) وجدت : عتبت وغضبت .

ومـن العـدل أن يشـاع بهذا   مثـل ما شاع ذاك في الأشهاد

* * *

الشكوى والعتاب ، سوى ما وقع في الروميات

قال [من الطويل] :

أرانـي وقومـي فرَّقتنـا مذاهبُ   وإنْ جمعتنـا في الأصـول المناسبُ
فأقصاهـمُ أقصاهـم من مساءتي   وأقربهـم ممّـا كرهـت الأقارب
غريبٌ وأهلـي حيث ما كرَّ ناظري   وحيدٌ وحولـي من رجالـي عصائب[1]
نسيبـك من ناسبـت بالـودِّ قلبه   وجـارك من صافيتـه لا المصاقب
وأعـظـم أعـداء الرجـال ثقاتها   وأهـون من عاديتـه من تحارب
ومـا الذّنـب إلاّ العجـز يركبـه الفتى   ومـا ذنبـه إنْ حاربتـه المطالب
ومـن كان غير السيف كافـلُ رزقه   فلَلْـذلّ منـه ـ لا محالـة ـ جانب[2]

وقال [من البسيط] :

مالي أعاتب ؟ مالي ؟ أين يذهب بي ؟   قد صرّح الدهـر لي بالمنـع والياس
أبغـي الوفـاء بدهـرٍ لا وفـاء له   كأنّنـي جاهـلٌ بالدّهـر والناس

وقال [من الطويل] :

تمنّيتـم أن تفقدونـي ، وإنّما   تمنّيتـمُ أن تُفقـدوا العـزَّ أصيدا[3]
أمـا أنـا أعلـى من تعـدّون همّةً ؟   وإن كنـت أدنـى من تعـدّون مولدا
إلـى الله أشـكو عصبـةً من عشيرتي   يسيئـون فيَّ القـولَ غيبـاً ومشهدا

---

(١) كرّ ناظري : تطلّع ، والعصائب : الجماعات .
(٢) جانب : ملازم .
(٣) الأصيد : السيد الكريم .

وإن حاربـوا كنـت المجـنّ أمامهم ... وإن ضاربوا كنت المهنّد واليدا[1]
وإن ناب خطـبٌ أو ألمّـتْ ملمّةٌ ... جعلت لهم نفسي وما ملكت فدا

وقال [من الطويل] :

أيا قومنـا لا تنشبـوا الحـرب بيننا ... أيا قومنـا لا تقطعـوا اليدّ باليدِ
فيا ليت دانـي الرحـم منّـا ومنكمُ ... إذا لم يقـرِّبْ بيننـا لم يبعّد
عداوة ذي القربـى أشـدُّ مضاضةً ... على المرء من وقع الحسام المهند[2]

وقال [من الطويل] :

ويغتابنـي من لو كفانِـيَ غيبه ... لكنـت له العين البصيرة والأذْنا
وعنـدي من الأخبـار ما لو ذكرته ... إذاً قرع المغتـاب من ندمٍ سنّا[3]

وقال [من الطويل] :

إذا كان فضلـي لا أسـوّغ نفعه ... فأفضـل منـه أن أرى غير فاضلِ
ومـن أضيع الأشياء مهجـة عاقلٍ ... يجوز على حوبائها حكم جاهلِ[4]

* * *

الغزل والنسيب

[قال] [من الوافر] :

تبسّـم إذ تبسّـم عن أقاح ... وأسفـر حين أسفـر عن صباحِ
وأتحفنـي براحٍ من رضابٍ ... وراحٍ من جنـى خدٍّ وراحِ[5]

---

(١) المجن : الترس الواقي والدرع الحصين .
(٢) المضاضة : الألم وشدّته .
(٣) قرع المغتاب من ندمٍ سناً : أي عضّ على أسنانه بقوّة حتى تكسّر بعضها من الغيظ والحنق .
(٤) الحوباء : الروح والنفس .
(٥) الراح : الخمر ، والراح الأخيرة : باطن الكفّ الذي لا ينبت فيه الشعر .

فمـن لألاء غرّتـه صباحي ومـن صهبـاء ريقتـه اصطباحي[1]

وقال [من البسيط] :

سكرت من لحظـه لا من مدامته ومـال بالنّـوم عن عينـي تمايلهُ
فمـا السـلاف دهتنـي ، بل سوالفه ولا الشمـول ازدهتنـي ، بل شمائلهُ
ألـوى بعزمـي أصـداغٌ لوين له وغـال صبـريَ ما تحـوي غلائله[2]

وقال [من الكامل] :

من أين الرشـأ الغـرير الأحور في الخـدّ مثـل عذاره المتحـدّرِ[3]
قمـرٌ كأنّ بعـارضيه كليهما مسـكاً تساقـط فوق وردٍ أحمرِ

وقال [من مخلع البسيط] :

قـد كان بدر السمـاء حسناً والنّـاس فـي حبّـه سواءُ
فـزاده ربّـه عـذاراً تـمّ به الحسـن والبهـاءُ
لا تعجبـوا ربّنـا قديرٌ يزيد فـي الخلـق ما يشاءُ

وقال [من الطويل] :

وظبـيٍ غريرٍ في فؤادي كناسه إذا اكتنسـت عين الفـلاة وحورها[4]
فمـن خلقـه أجيادهـا وعيونهـا ومـن خلقـه عصيانـهـا ونفورها

---

(١) غرته : طلعته البيضاء ، والصهباء : الخمر والاصطباح : شرب الخمر صباحاً .
(٢) غال صبري : قتله .
(٣) الرشأ : الغزال ، والغرير : الشاب الحسن ، والأحور : من الحور وهو شدّة سواد العين وشدّة بياضها .
(٤) الكناس : بيت الظبي ومأواه .

وقال [من البسيط] :

وشادنٍ قال لي لمّا رأى سقمي وضعفَ جسمي والدمعَ الذي انسجما[1]

أخذت دمعك من خدّي، وجسمك من خصري، وسقمك من طرفي الذي سقما

وقال [من الطويل] :

أساء فزادته الإساءة حظوةً حبيبٌ على ما كان منه حبيب

يعدّ عليَّ الواشيان ذنوبه ومن أين للوجه الجميل ذنوب ؟

وقال [من الرمل] :

أيُّها الغازي الذي يغـ ـزو بجيش الحبّ جسمي

ما يقوم الأجر في غز وك للروم بإثمي

وقال [من الكامل] :

وإذا يئِستُ من الدنوِّ رغبت في فرط البعاد

أرجو الشهادة في هوا ك لأنَّ روحي في جهاد

وقال [من الكامل] :

وكنى الرّسول عن الجواب تظرُّفاً ولئن كنى فلقد علمنا ما عنى[2]

قل يا رسول ولا تحاشِ فإنّهُ لا بدّ منه أساء بي أمْ أحسنا

الذنب لي فيما جناه لأنّني مكّنته من مهجتي فتمكّنا

وقال [من الوافر] :

عدتني عن زيارته عوادٍ أقلُّ مخوفها سمر الرماحِ[3]

---

(١) الشادن : الغزال ، وانسجام الدمع : هطوله وذرفه .

(٢) كنى : من الكناية ، أي أجاب عن السؤال بطريق خفي ، وعناه : قصده .

(٣) عدتني : منعتني ، والعوادي : الموانع .

ولـو أنّـي أطعـت رسيس شوقي ركبـت إليه أعنـاق الرياحِ[1]

وقال [من الخفيف] :

يا عسوفـاً بالمسـتهـام الشفيق وعنيفـاً علـى الـرفيق الرفيق[2]
أسـرق الدمـع من نديمـي بكأسٍ فأحلّـي عقيانهـا بالعقيـق

وقال [من مخلع البسيط] :

لـطيرتـي بالصـداع نالـتْ فـوق منـال الصـداع منّـي
وجـدت فيه اتفـاق سوءٍ صدّعنـي مثـل صدّ عني

وقال [من البسيط] :

يا ليلـةً لسـت أنسـى طيبهـا أبداً كأنّ كلَّ سرورٍ حاضـرٌ فيها
باتـت وبـتُّ وبـات الـزّقُّ ثالثنا حتـى الصبـاح تسقّينـي وأسقيها
كأنّ سودَ عنـاقيدٍ بلمّتها أهـدت سلافتهـا خمـراً إلـى فيها[3]

وقال [من الوافر] :

مسـيءٌ محسـنٌ طوراً وطوراً فمـا أدري عدوّي أمْ حبيبي
وبعض الظـالمين وإنْ تناهى شهـيٌّ الـظلم مغتفـر الذّنـوب

وقال [من الخفيف] :

قمـرٌ دون حسنـه الأقمار وكثيبٌ مـن النقـا مستعارُ[4]
وغـزالٌ فيه نفـارٌ ، ومـا ينـ ـكر من شيمـة الظّبـاء النِّفارُ

---

(١) رسيس شوقي : رقته ولينه .
(٢) العسوف : الجائر الظالم .
(٣) اللمّة : شعر الرأس ، والسلاف : من صفات الخمر .
(٤) الكثيب : التلّ من الرمل ، والنقا : القطعة من الرّمل المحدودبة .

لا أعاصيه في اجتراح المعاصي   في هوى مثله تطيب النّار
قد حذرت الملاح دهراً ولكنْ   ساقني نحو حبّه المقدار
كم أردت السلو فاستعطفتني   رقيةٌ من رقاك يا عيّار

وقال [من الهزج] :

من السلوان في عينيـ   ـك آياتٌ وآثارُ
أراها منك بالقلب   وفي الأضلاع أبصار
إذا ما برد القلـ   ـب فما تسخنه النّار

وقال [من المجتث] :

يا معشرُ الناس هل لي   ممّا لقيت مجيرُ
أصاب غرّة قلبي   ذاك الغزال الغريرُ[1]
فعمر ليلي طويلٌ   وعمر يومي قصير

وقال [من الرمل] :

أجملي يا أمَّ عمروٍ   زادك الله جمالا[2]
لا تبيعني برخصٍ   إنّ في مثلي يُغالى
[أنا إن جدت بوصلٍ   أحسن العالم حالا]

* * *

الأوصاف والتشبيهات

قال في وصف الجسر [من الرجز] :

كأنّما الماء عليه الجسر   درْجُ بياضٍ خطّ فيه سطر

---

(١) غرّة قلبي : مفطمه ، والغرير : الجميل الناعم .
(٢) أجملي : ترفّقي وتصبّري .

كأنّنــا لمّــا تهيّا العبر أســرّة موســى حين شقّ البحر

وجلس يوماً في البستان البديع والماء يتدرج في البرك ، فقال في وصفه ، وكل واصف فإنما يشبه الموصوف بما هو من جنس صناعته ، أو بما يكثر رؤيته له [من الكامل] :

أنظــر إلــى زهــر الربيع والمــاء في برك البديعِ
وإذا الــرياح جرت عليـ ـه في الذهـاب وفـي الرجوعِ
نثــرت علــى بيض الصفا ئح بيننــا حلـق الدروع

وقال في وصف النار والفحم [من الكامل] :

لله بـردٌ مـا أشـ ـدّ ومنظــرٌ ما كان أعجبْ
جـاء الغــلام بنـاره هـوجـاء في فحــمٍ تلهَّبْ
فكأنّمــا جمــع الحلــــــيّ فمحــرقٌ منــه ومذهب
وكأنّهــا لمـا خبـت ما بيننــا نـدٌّ معشّب[1]

وقال [من الطويل] :

مددنــا علينــا الليل والليل راضعُ إلــى أن تردّى رأســه بمشيبِ
بحــالٍ تردّ الحاســدين بغيظهمْ وتطــرف عنّــا عين كلٍّ رقيبِ
إلــى أن بدا ضوء الصبــاح كأنّهُ مبــادي نصــولٍ في عذار خضيب

وقال [من الرجز] :

وجـلّنــارٍ مشــرفٍ علـى أعــالـي شجـرَهْ
كـأنّ فــي رءوسـه أحــمــرَهُ وأصــفــرَهْ

---

(١) خبت النار : ضعف وهجها ، والندّ : نوع من الطيب .

قـراضـةُ من ذهـبٍ فـي خـرقٍ معصفـرهْ[1]

وقال في جارية مسبية [من الكامل] :

وخـريدةٍ كرمـت علـى آبائها زمنـاً ، وعنـد سبائهـا لم تكرم[2]
خطبت بحـدّ السيف حتّـى زوِّجت كرهـاً ، وكان صداقهـا للمقسم
راحـت وصاحبهـا لعـرسٍ حاضرٌ برضـا الإلـه وأهلهـا في مأتم

ينظر معنى البيت الأول [والثالث] إلى قول المتنبي [من الطويل] :

تبـكي عليهـن البطـاريق في الدّجى وهـنّ لدينـا ملقيات كواسدُ
بذا قضـت الأيام ما بين أهلها مصائـبُ قومٍ عنـد قوم فوائد

ولأبي فراس في طعنة أصابت خده [من الكامل] :

لمـا رأت أثـر السنـان بخدّه ظلّـت تقلّبـه بوجـهٍ عابسِ
خلف السّنـان به مواقـع لثمها بئس الخلافـة للمحـبٍّ البائس
حسـن الثنـاء بقبـح ما صنـع القنا يوم الطعـان بصحـن خدٍّ الفارس

* * *

الحكمة والموعظة

قال [من الهزج] :

غنـى النفس لمـن يعقـ ـل خيرٌ من غنـى المالِ
وفضـل النـاس في الأنفـ ـس، ليس الفضـل في الحالِ

---

(١) القراضة : النثار ، ومعصفرة : مصبوغة بالعصفر ، وهو نبات أصفر يصبغ به .

(٢) الخريدة : الفتاة البكر .

وقال [من الكامل] :

المــرء نصــب مصائــب لا تنقضي حتــى يوارى جسمــه في رمسه[1]

فمؤجّــلٌ يلقــى الــرّدى في أهله ومعجّــلٌ يلقــى الــردى في نفسه

قال [من الكامل] :

أنفِــقْ من الصبــر الجميل فإنّه لم يخش فقــراً منفــقٌ من صبره

والمــرء ليس ببالــغٍ في أرضه كالصقــر ليس بصائــدٍ في وكرهِ

وقال [من الكامل] :

خفِّض عليك ولا تكن قلــق الحشا ممّــا يكون وعلّــه وعساهُ[2]

والدّهــر أقصــر مدّةً ممــا ترى وعســاك أن تكفــي الــذي تخشاهُ

وقال [من الهزج] :

عــرفت الشــرّ لا للشــ ــرّ لكــن لتوقيــه

فمــن لا يعــرف الشرّ مــن النــاس يقــعْ فيه

وقال [من الطويل] :

لعمــرك ما الأبصــار تنفــع أهلها إذا لم يكن للمبصــرين بصائرُ

وهــل ينفــع الخطّــيّ غير مثقّفٍ وتظهــر ، إلاّ بالصّقــال ، الجواهرُ[3]

وكيف ينــال المجــد والجســم وادعٌ وكيف يحــاز الحمــد والوفــر وافر

وقال [من الطويل] :

إذا لم يعنــك الله فيمــا تريده فليس لمخلــوقٍ إليك سبيل

---

(١) نصب : أمام وهدف ، والرمس : القبر .

(٢) خفّض عليك : أي هوّن ولا تستصعب ، والحشا : ما انضمّت عليه الضلوع .

(٣) الخطيّ : الرمح ، ومثقّف : مصقول .

وإن هو لم يرشـدك في كلٍّ مسلكٍ ضللت ، ولـو أنَّ السِّمـاك دليلُ[1]

وقال [من الخفيف] :

لسـت بالمسـتضيم من هو دوني اعتـداءً ، ولسـت بالمستضامِ
ربَّ أمـرٍ عففـت عنـه اختياراً حذراً من أصابـع الأيتامِ
أبـذل الحـقَّ للخصـوم إذا ما عجـزت عنـه قدرة الحكامِ

* * *

الروميات من غرر أبي فراس

لما أدركت أبا فراس حرفة الأدب ، وأصابته عين الكمال ، أسرته الروم في بعض وقائعها وهو جريح ، وقد أصابه سهم بقي نصله في فخذه ، وحصل مثخناً بخرشنة ، ثم بقسطنطينية ، وتطاولت مدته بها لتعذر المفاداة ، وقد قيل : على كل نجح رقيب من الآفات ، وقد كانت تصدر أشعاره في الأسر والمرض واستزادة سيف الدولة ، وفرط الحنين إلى أهله وإخوانه وأحبابه ، والتبرم بحاله ومكانه ، عن صدر حرج ، وقلب شجٍ ، تزداد رقة ولطافة ، وتبكي سامعها ، وتعلق بالحفظ لسلاستها ، فمنها قوله [من الكامل] :

مـا للعبيد من الذي يقضـي به الله امتناعُ
ذدت الأسـود عن الفرا ئس ثم تفرسنـي الضباعُ !

وقوله [من السريع] :

قـد عذّب المـوت بأفواهنا والمـوت خيرٌ من مقـام الذّليلْ
إنّـا إلـى الله لمـا نابنا وفـي سبيل الله خير السبيل

---

(١) السّماك : نجمٌ يهتدى به .

ولما شقت فخذه عن نصل السهم الذي أصابه قال [من الطويل] :

فلا تصفن الحرب عندي ، فإنّها طعاميَ مذْ بعت الصبا وشرابي

وقد عرفت وقع المسامير مهجتي وشقّق عن زرق النصول إهابي[1]

ولججت في حلو الزمان ومرّه وأنفقت من عمري بغير حساب

وقال بخرشنة [من الكامل] :

إن زرت خرشنةً أسيراً فلقد حللت بها مغيرا

ولقد رأيت النار تنتهب المنازل والقصورا

ولقد رأيت السبيَ يجلب نحونا حوّاً وحورا[2]

من كان مثلي لم يبت إلاّ أميراً أو أسيرا

ليست تحلّ سراتنا إلاّ الصدور أو القبورا

وكتب إلى سيف الدولة قصيدة منها [من الطويل] :

دعوتك للجفن القريح المسهّد لديَّ ، وللنوم القليل المشرّدِ

وما ذاك بخلاً بالحياة وإنّها لأوّل مبذولٍ لأوّل مجتدِ[3]

ولا زال عنّي أنّ شخصاً معرّضاً لنبل العدا إن لم يصب فكأن قدِ

ولكنّني أختار موت بني أبي على سروات الخيل غير موسّد

وآبى وتأبى أن أموت موسّداً بأيدي النصارى موت أكمد أكبد[4]

نضوت على الأيام ثوب جلادتي ولكنني لم أنض ثوب التجلّد[5]

---

(١) شقّق : تفتح وأنبت ، وزرق النصول : كناية عن أدوات الحرب من سيف وغيره ، والإهاب : الجلد .

(٢) الحوّ : البيض من النساء ، والحور : النساء اللاتي في عيونهنّ حور ، وهو شدّة سواد العين وشدّة بياضها .

(٣) المجتدي : السائل والطالب .

(٤) أكبد : أي مقروح الكبد من الحزن والغم .

(٥) نضوت : خلعت ، والجلادة : الصبر والتحمل والقوّة .

فمن حسن صبرٍ بالسلامة واعدٍ ... ومن ريب دهرٍ بالردى متوعدي

فمثلك من يدعى لكلّ عظيمةٍ ... ومثليَ من يفدي بكل مسوّد[1]

تشبّثْ بها أكرومةً قبل فوتها ... وقمْ في خلاصي صادق العزم واقعد

فإن تفتدوني تفتدوا شرف العلا ... وأسرع عوّادٍ إليكم معوَّد

يدافع عن أعراضكم بلسانه ... ويضرب عنكم بالحسام المهنّد

متى تخلف الأيام مثلي لكم فتى ... طويل نجاد السيف رحب المقلّد[2]

ولا وأبي ما ساعدان كساعدٍ ... ولا وأبي ما سيّدان كسيّد

وإنّك للمولى الذي بك أقتدي ... وإنّك للنجمُ الذي بك أهتدي

وأنت الذي عرّفتني طرق العلا ... وأنت الذي أهديتني كلَّ مقصد

وأنت الذي بلّغتني كلَّ غايةٍ ... مشيت إليها فوق أعناق حسَّدي

فيا ملبسي النعمى التي جلّ قدرها ... لقد أخلقت تلك الثياب فجدِّدِ[3]

ألم تر أنّي فيك صافحت حدّها ... وفيك شربت الموت غير مصرّد[4]

وفيك لقيت الألف زرقاً عيونها ... بسبعين فيها كلّ أشأم أنكد

يقولون جنِّبْ عادةً ما عرفتها ... شديدٌ على الإنسان ما لم يعوّدِ[5]

فقلت أما والله ما قال قائلٌ ... شهدت له في الخيل ألأم مشهد

ولكن سألقاها فإمّا منيّةٌ ... هي الظنُّ أو بنيان عزٍّ مؤيّد

ولم أدر أنّ الدهر من عدد العدا ... وأنّ المنايا السود يرمين عن يد

---

(١) كلّ عظيمة : كلّ أمرٍ عظيم ، والمسوّد : أي سيّد .

(٢) نجاد السيف : حمائله وعلائقه ، والمقلّد : موضع حمائل السيف .

(٣) أخلقت : بليت .

(٤) مصرّد : من التصريد ، وهو تقليل العطاء ، والشرب دون الإرتواء .

(٥) جنّب : أي ابتعد وتجنّب الشيء ، تلافاه .

وكتب إلى والدته وقد ثقل من الجراح التي به [من الطويل] :

مصابـي جليلٌ والعـزاء جميـل ... وظنّـي بأنّ الله سوف يديلُ[1]
جراحٌ تحاماهـا الأسـاة مخافةً ... وسقمـان بادٍ منهمـا ودخيل
وأسـرٌ أقـاسيه وليلٌ نجومه ... أرى كلّ شيءٍ غيرهـنّ يزول
تطـول بيَ الساعـات وهـي قصيرةٌ ... وفـي كلّ دهـرٍ لا يسـرّك طول
تناسانـيَ الأصحـاب إلاّ عصابةً ... ستلحـق بالأخـرى غداً وتحول
وإنّ الـذي يبقـى علـى العهـد منهم ... وإن كثـرت دعواهـم لقليلُ
أقلّـب طرفـي لا أرى غير صاحبٍ ... يميل مع النعمـاء حيث تميل
وصرنـا نرى أنّ المتارك محسنٌ ... وأنّ خليلاً لا يضـرٌّ وصول

كأنه مأخوذ من قول المتنبي [من البسيط] :

إنّـا لفـي زمـنٍ تَرْكُ القبيح به ... من أكثـر النـاس إنعـامٌ وإفضالُ

(رجع) :

تصفّحـت أحـوال الزمـان فلـم يكن ... إلـى غير شاكٍ للزّمـان وصولُ
أكلّ خليلٍ أنـكدُ غير منصفٍ ... وكلّ زمـانٍ بالـكرام بخيلُ
نعـم دعـت الـدنيا إلـى الغـدر دعوةً ... أجـاب إليهـا عالـمٌ وجهول
وفـارق عمـرو بن الـزبير شقيقه ... وخلّـى أمير المـؤمنين عقيلُ
فيا حسرتـي من لي بخـلٍّ موافقٍ ... أقـول بشجـوي مرّةً ويقول
وإنّ وراء الستـر أمّـاً بكاؤها ... علـيّ ، وإن طال الزمـان ، طويلُ
فيا أمّتـا لا تعدمـي الصبـر ، إنّه ... إلى الخير والنجـح القريب رسول[2]
فيا أمّتـا لا تحبطـي الأجـر ، إنّه ... علـى قدر الصبّـر الجميل جزيل

---

(١) يديل : ينتقم لي بأن يجعل له الدولة عليهم .

(٢) أمّتا : أي يا أمي ، وهذا الاستعمال خاص بالنداء .

تأسَّيْ كفاك الله ما تجدينه فقد غال هذا الناس قبلك غول
لقيت نجوم الأفق وهي صوارمٌ وخضت سواد الليل وهو خيول
ولم أرع للنفس الكريمة خلّةً عشيّة لم يعطفْ عليَّ خليل
ولكن لقيت الموت حتّى تركته وفيه وفي حدّ الحسام فلول[1]
ومن لم يوقِّ الله فهو ممزّقٌ ومن لم يعزِّ الله فهو ذليل
ومن لم يرده الله في الأمر كلّه فليس لمخلوقٍ إليه سبيل

وكتب إلى سيف الدولة [من الكامل] :

هل تعطفان على العليل لا بالأسير ولا القتيلِ
باتت تقلّبه الأكـ ـفُّ سحابة الليل الطويلِ
فقد الضيوف مكانه وبكاه أبناء السّبيل
وتعطّلت سمر الرما ح وأغمدت بيض النصول
يا فارج الكرب العظيـ ـم وكاشف الخطب الجليل
كن يا قويّ لذا الضعيـ ـف ويا عزيز لذا الذّليل
قرّبه من سيف الهدى في ظلِّ دولته الظّليل
لم أرو منه ولا شفيـ ـت بطول خدمته غليلي
ولئن حننت إلى ذرا ه لقد حننت إلى وصول
لا بالقطوب ولا الغضو ب ولا الكذوب ولا الملول
يا عدّتي في النائبا ت وظلّتي عند المقيل[2]
أين المحبّة والذّما م وما وعدت من الجميل ؟
احمل على النفس الكريـ ـمة فيَّ والقلب الحمول

---

(١) الفلول : الشطوب ، والتكسّر في حدّ الدسيف .
(٢) ظلّتي : أي ما يظلّني من حرّ الشمس كالفيء وغيره والقيلولة : الراحة وقت اشتداد الحرّ .

وكتب إلى والدته [من الكامل] :

لـولا العجـوز بمنبـجٍ ما خفـت أسـباب المنيّـه
ولـكان لي عمّـا سألـــت من الفـدى نفسٌ أبيه
لـكـنْ أردت مـرادهـا ولـو انجذبـت إلـى الدنيّه
أمسـت بمنبـجَ حـرّةٌ بالحـزن من بعـدي حريّه[1]
فيهـا التقـى والـدين مجـــموعـان في نفسٍ زكيّه
لا زال يطـرق منبجاً في كلِّ غاديةٍ تحيّه
يا أمّتـا لا تحزنـي وثقـي بفضـل الله فيّه
يا أمّتـا لا تيأسـي لله ألـطـافٌ خفيّـه
أوصيك بالصـبر الجميـــــل فإنّـه خيـر الوصيّه

وكتب إلى غلامين له [من الخفيف] :

هل تحسّـان لي رفيقـاً رفيقا يحفـظ الـودّ أو صديقـاً صدوقا
لا رعـى الله يا خليلـيَّ دهراً فرّقتنـا صروفـه تفريقـا
كنـت مولاكمـا ومـا كنـت إلاّ والـداً محسنـاً وعمّـاً شفيقا
فاذكرانـي وكيف لا تذكراني كلمـا استخـون الصـديق صديقـا
بتُّ أبكيكمـا وإنَّ عجيباً أن يبيت الأسير يبـكي الطليقا

وكتب إلى غلامه منصور [من الخفيف] :

مغـرمٌ مؤلـمٌ جريحٌ أسيرُ إنّ قلبـاً يطيق ذا لصبورُ
وكثيرٌ من الرجـال حديدٌ وكثيرٌ من القلـوب صخور
قـل لمـن حل بالشـآم طليقاً : بأبـي قلبـك الـطليق الأسير

---

(1) حريّه : جديره .

أنا أصبحت لا أطيق حراكاً كيف أصبحت أنت يا منصور

وكتب إليه [من السريع] :

ارثِ لصبٍّ بك قد زدته على بلايا أسره أسرا
قد عدم الدنيا ولذّاتها لكنّه ما عدم الصبرا
فهو أسير الجسم في بلدةٍ وهو أسير القلب في أخرى

وكتب إليه أيضاً [من السريع] :

يا ليل ما أغفل عمّا بي حبائبي فيك وأحبابي
يا ليل نام الناس عن موجعٍ ناءٍ على مضجعه نابي[1]
هبّت له ريحٌ شآميةٌ متّت إلى القلب بأسباب[2]
أدّت رسالات حبيبٍ بها فهمتها من بين أصحابي

بلغني أن الصاحب كان يستظرف هذين البيتين ويستملحهما ويكثر الإعجاب بهما .

وكتب إليهما [من المتقارب] :

لأيّكم أذكر وفي أيّكم أفكرُ
وكم لي على بلدتي بكاءٌ ومستعبر
ففي حلبٍ عدّتي وعزِّيَ والمفخر
وفي منبج من رضا ه أنفسُ ما أذخر[3]
ومن حبّها زلفةً بها يكرم المحشر
وأصبيةٍ كالفرا خ أكبرهم أصغر

(١) ناءٍ : بعيد ، ونابي : لم يطمئن في نومه على الفراش .
(٢) متّت : وصلت ، والأسباب : الحبال والعلائق .
(٣) أنفس : أغلى وأثمن ، وأذخر : أي أدّخر وأبقي .

يخيّـل لـي أمرهـم كأنّهـم حضّـر[1]
وقـوم ألفـناهـم وغصـن الصّبـا أخضر
فحزنـيَ مـا ينقضـي ودمعـي مـا يفتـر[2]
أيا غفلتـا كيف لا أرجـى كمـا أحـذرُ
ومـاذا القنـوط الذي أراه وأستشعر
بلـى ، إنّ لي سيّداً مواهبـه أكـثـر
بـذنبـيَ أوردتـنـي ومـن فضـلـك المصـدر[3]

وقال وقد حضره العيد [من السريع] :

يا عيـد ما عدت بمحبوب على معنّـى القلـب مكروبِ[4]
يا عيد قد عدت إلـى ناظرٍ عن كلٍّ حسـنٍ فيك محجوب
يا وحشـة الـدار التـي ربّها أصبـح في أثـواب مربـوب[5]
قد طلـع العيد علـى أهلها بوجـه لا حسْـنٍ ولا طيبِ
ما لي وللدّهـر وأحداثه لقـد رمـانـي بالأعاجيـبِ

وقال وقد سمع حمامة تنوح بقربه على شجرة عالية [من الطويل] :

أقـول وقـد ناحـت بقربـي حمامةٌ أيا جارتـي هل تشعـرين بحالي
معـاذ الهـوى ما ذقـت طارقـة الهوى ولا خطـرت منـك الهمـوم ببالِ
أتحمـل محـزون الفـؤاد قوادمٌ علـى غصـنٍ نائـي المسافـة عالي

---

(١) حُضَّر : من الاحتضار ، وهو النزاع عند الموت ، يريد أنّهم لفراقه يحتضرون من الألم .
(٢) يفتر : يضعف .
(٣) الورد : مكان ورود الماء للإستسقاء ، والمصدر : الرجوع عن الماء بعد الوِرد منه .
(٤) معنّى القلب : متألّمه ومتعبه ، والمكروب : المحزون .
(٥) ربُّ الدار : صاحبها ، والمربوب : المستعبد .

أيا جارتــا ما أنصف الدهــر بيننا　　تعالــي أقاسمــك الهمــوم تعالي[1]

تعالــي تري روحــاً لديّ ضعيفةً　　تردّد في جســمٍ يعــذب بالي

أيضحــك مأســورٌ وتبــكي طليقةٌ　　ويســكتُ محــزونٌ وينــدب سالي[2]

لقـد كنـت أولـى منـك بالدمــع مقلةً　　ولــكنَّ دمعــي في الحــوادث غالي

وكتب إلى سيف الدولة [من الطويل] :

أمــا لجميلٍ عنــدكنّ ثوابُ　　ولا لمســيءٍ عنــدكنّ متابُ

إذا الخــلُّ لم يهجــرك إلاّ ملالةً　　فليس له ، إلاّ الفــراق ، عتاب

إذا لم أجــد من خلّــةٍ ما أريده　　فعنــدي لأخــرى عزمــةٌ وركاب

وليس فراقٌ ما استطعــت فإن يكنْ　　فراقٌ علــى حالٍ فليس إياب

أخذه من قول القائل وهو أوس بن حجر[من الطويل] :

إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكدْ　　إليه بوجــهٍ آخــر الــدهــر تقبل

(رجع) :

صبــور ولــو لم يبــق منّــي بقيةٌ　　قؤولٌ ولــو أنّ السيوف جوابُ

وقــورٌ وأحــداث الزمــان تنوشني　　وللمــوت حولــي جيئــةٌ وذهاب

بمــن يثــق الإنســان فيمــا ينوبه　　ومــن أين للحــرّ الــكريم صحاب

وقــد صار هذا النــاس إلاّ أقلّهمْ　　ذئــابٌ علــى أجســادهــن ثياب

تغــابيت عن قومٍ فظنّــوا غباوةً　　بمفــرق أغبانــا حصــىً وتراب !

---

(١) كسر اللام من « تعالي » عند إسنادها إلى ياء المخاطبة وضمّها عند إسنادها لواو الجماعة لغة حجازية قليلة ، والأكثر بقاء اللام مفتوحة في كلّ أحوالها .

(٢) السالي : من السلوان وهو الذي سلى الشيء : أي نسيه .

(٣) الخلّة : المصادقة . وعزمة وركاب : أي عزيمة إلى قصد غيرها .

(٤) تنوشني : تصيبني وتترك فيَّ آثارها .

ولــو عرفونــي بعض معرفتــي بهمْ	إذاً علمــوا أنّــي شهــدت وغابوا
إلــى الله أشــكو أنّنــا بمنازلٍ	تحــكّم في آسادهــنّ كــلاب
تمــرُّ الليالــي ليس للنفــع موضعٌ	لديَّ ولا للمعتفين جناب
ولا شدَّ لي سرجٌ علــى متــن سابحٍ	ولا ضربــت لي بالعــراء قباب[1]
ولا برقــت لي في اللقــاء قواطعٌ	ولا لمعــت لي في الحــروب حراب
ستــذكر أيامــي نميرٌ وعامرٌ	وكعــبٌ ، علــى علاّتهــا ، وكلاب
أنــا الجــار لا زادي بطــيءٌ عليهمُ	ولا دون ما لي في الحــوادث باب
ولا أطلــب العــوراء منهــا أصيبها	ولا عورتــي للطــالبيــن تصاب
بني عمّنا ، ما يفعل السيف في الوغى	إذا قلَّ منــه مضــرب وذباب
بني عمّنــا ، نحــن السواعــد والظُّبا	ويوشــك يومــاً أن يكون ضراب
ومــا أدّعــي ما يعلــم الله غيره	رحــابُ علــيٍّ للعفــاة رحــاب
وأفعالــه للــراغبيــن كريمةٌ	وأموالــه للطــالبيــن نهاب
ولــكن بنــا منــه بكفّــيَ صارمٌ	وأظلــم في عينــيَّ منــه شهاب[2]

ألم فيه بقول البحتري [من الطويل] :

سحــابٌ عدانــي جوده وهــو ريّقٌ	وبحــرٌ خطانــي فيضــه وهــو مفعم
وبــدرٌ أضــاء الأرض شرقــاً ومغرباً	وموضــع رحلــي منــه أســود مظلمُ

(رجع) :

وأبطــأ عنّــي والمنــايا سريعةٌ	وللمــوت ظفــرٌ قد أطــلَّ وناب
فإن لم يكن ودٌّ قريبٌ تعدّه	ولا نســبٌ بين الرجــال قراب
فأحــوط للإســلام أن لا يضيعني	ولــي عنــه فيه حوطــةٌ ومناب[3]

(١) السابح : الحصان .

(٢) نبا : لم يستقر ، والصارم : السيف القاطع .

(٣) فأحوط : من الحيطة وهي الحذر من مقارفة الذنب .

ولكنّني راضٍ على كلِّ حالةٍ … لنعلم أيّ الخلتين سرابُ
وما زلت أرضى بالقليل محبَّةً … لديه ، وما دون الكثير حجاب
وأطلب إبقاءً على الودّ أرضه … وذكرى منىً في غيرها وطلاب
كذاك الوداد المحض لا يرتجى له … ثوابٌ ، ولا يخشى عليه عقاب(١)

ومثله للمتنبي [من الطويل] :

وما أنا بالباغي على الحبّ رشوةً … ضعيف هوىً يبغى عليه ثواب

(رجع) :

وقد كنت أخشى الهجر والشّمل جامعٌ … وفي كلِّ يومٍ لُقيةٌ وخطاب
فكيف وفيما بيننا ملك قيصرٍ … وللبحر حولي زخرةٌ وعباب ؟
أمن بعد بذل النفس فيما تريده … أثاب بمرٍّ العتْبِ حين أثاب
فليتك تحلو والحياة مريرةٌ … وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامرٌ … وبيني وبين العالمين خرابُ
إذا صحّ منك الودُّ فالكلُّ هيّنٌ … وكلُّ الذي فوق التراب تراب

وكتب إليه [من الكامل] :

بالكره منّي واختيارك … أن لا أكون حليف داركْ
يا تاركي إنّي لشكـ … ـرك ما حييت لغير تارك
كنْ كيف شئت فإنّني … ذاك المواسي والمشارك

وكتب إليه [من الطويل] :

أبى غِربُ هذا الدّمع إلاّ تسرّعا … ومكنون هذا الحبّ إلا تضوّعا(٢)

---

(١) المحض : الخالص الذي لا تشوبه شائبة نفعيّة وغيرها .
(٢) الغرب : وهو هنا بمعنى عرقٌ في العين ينزف الدمع فلا ينقطع ، أو مسيل الدمع وانهلاله .

وكنـت أرى أنّـي مع الصّبـر واجدٌ ... إذا شئت لي ممضى وإن شئت مرجعا[1]

فلمـا استمـرّ الحـبُّ في غلوائهِ ... رعيت مع المضياعـة الغـرّ ما رعى[2]

فحزنـيَ حزن الهـائمين مبرّحا ... وسـرِّيَ سرُّ العاشـقين مضيّعا

وهبـت شبابـي والشبـاب مضنّةٌ ... لأبلـج من أبنـاء عمِّـيَ أروعا[3]

أبيت معنّـىً من مخافـة عتبه ... وأصبـح محزونـاً وأمسـي مروّعا

فلمـا مضـى عصـر الشبيبـة كلّه ... وفارقنـي شرخ الشبـاب فودّعا[4]

تطلّبـت بين العتـب والهجـر فرجةً ... فحاولـت أمـراً لا يرام ممنّعا[5]

وصـرت إذا ما رمـت في الخير لذّةً ... تتبّعتهـا بيـن الهمـوم تتبّعا

وهـا أنـا قد حلـى الزمـان مفارقي ... وتوّجنـي بالشيب تاجـاً مرصّعا

فلـو أنّنـي مكّنـت ممّـا أريده ... من العيش يومـاً لم أجـد فيّ موضعا

أمـا ليلـةٌ تمضـي ولا بعض ليلةٍ ... أسـرُّ بهـا هذا الفـؤاد المفجّعا

أمـا صاحـبٌ فردٌ يدوم وفاؤه ... فيصفى لمن يصفى ويرعى لمـن رعى

أفـي كلِّ دارٍ لي صديقٌ أودّه ... إذا ما تفرّقنـا حفظـت وضيّعا

إذا خفـت من أخوالـيَ الـروم خطّةً ... تخوّفـت من أعمامـي العـرب أربعا

وإن أوجعتنـي من أعـاديَ شيمةٌ ... لقيت من الأحبـاب أدهـى وأوجعا

ولـو قد رجـوت الله لا شيء غيره ... رجعـت إلـى آلـي وأملّـت أوسعا

لقـد قنعـوا بعـدي من القطـر بالنّدى ... ومـن لم يجـد إلاّ القنـوع تقنّعا[6]

ومـا مرَّ إنسـانٌ فأخلف مثله ... ولـكن يرجّـى النـاس أمـراً مرقّعا[7]

---

(١) ممضى : مصدر ميمي بمعنى المضيّ .

(٢) الغلواء : حدّة الشباب ونشاطته وميعته .

(٣) مضنّة : يقال للشيء النفيس الذي تضنُّ به النفوس : إنّه علق مضنّة .

(٤) شرخ الشباب : ريعانه وحدّته ونشاطه .

(٥) الفرجة : الفسحة والخلاص .

(٦) القطر : المطر المنهلّ .

(٧) مرقّعا : موصولاً .

تنكّر سيف الدّين لمّا عتبته — وعرّض بي تحت الكلام وقرّعا
فقولا له من صادق الودّ : إنّني — جعلتك ممّا رابني منك مفزعا[1]
ولو أنّني أكننته في جوانحي — لأورق ما بين الضلوع وفرّعا
فلا تغترِرْ بالناس ، ما كلّ من ترى — أخوك إذا أوضعت في الأمر أوضعا[2]
فلله إحسانٌ عليٍّ ونعمةٌ — ولله صنعٌ قد كفاني التصنّعا
أرانيَ طرق المكرمات كما رأى — عليٌّ ، وأسعى لي علياً كما سعى
فإن يك بطءٌ مرّةً فلطالما — تعجّل بي نحو الجميل فأسرعا
وإن يجف في بعض الأمور فإنّني — لأشكره النعمى التي كان أودعا
وإن يستجدّ الناس بعدي فلم يزل — بذاك البديل المستجدّ ممتّعا

وكتب إليه أبو فراس : مفاداتي إن تعذرت عليك فأذن لي في مكاتبة أهل خراسان ومراسلتهم ليفادوني وينوبوا عنك في أمري ، فأجابه سيف الدولة بكلام حسن ، وقال له : ومن يعرفك بخراسان ؟ فكتب إليه أبو فراس [من المتقارب] :

أسيف الهدى وقريع العربْ — إلامَ الجفاء ؟ وفيم الغضبْ ؟
وما بال كتبك قد أصبحتْ — تنكبني مع هذي النكب[3]
وأنت الكريم ، وأنت الحليم — وأنت العطوف ، وأنت الحدب[4]
وما زلت تسعفني بالجميل — وتنزلني بالمكان الخصب
وإنّك للجبلُ المشمخرّ لي ، بل لقومك ، بل للعرب
علاً يستفاد ، وعافٍ يفاد ، — وعزٌّ يشاد ، ونعمى تربّ[5]
وما غضّ منّيَ هذا الإسار — ولكن خلصت خلوص الذّهب

(١) رابني : أدخل في نفسي الريبة والشك ، والمفزع : الملجأ .
(٢) أوضعت : أسرعت ، وأفسدت .
(٣) تنكّبني : تصيبني وتساعد عليّ ، والنكب : المصائب .
(٤) الحدِب : العطوف الشفوق .
(٥) العافي : الطالب المعروف ، تربّ : تحمد وتحفظ .

ففيم يقرّعني بالخمو ل مولىً به نلت أعلى الرتب ؟
وكان عتيداً لديّ الجواب ولكنْ لهيبته لم أجب
أتنكر أني شكوت الزمان وأنّي عتبتك فيمن عتب
فألاّ رجعت فأعتبتني وصيّرت لي ولقومي الغلب
فلا تنسبنّ إليّ الخمول عليك أقمت فلم أغترب
وأصبحت منك فإن كان فضلٌ وإن كان نقصٌ فأنت السّبب
وإنّ خراسان إنْ أنكرت علايَ فقد عرفتها حلب
ومن أين ينكرني الأبعدون أمن نقص جدٍّ ؟ أمن نقص أب ؟
ألست وإيّاك من أسرةٍ وبيني وبينك عرق النسب ؟
ودادٌ تناسب فيه الكرام وتربيةٌ ومحلٌّ أشب[1]
ونفسٌ تكبّرُ إلاّ عليك وترغب إلاّك عمّن رغب
فلا تعدلن فداك ابن عمّك ، لا ، بل غلامك عمّا يجب
وأنصِفْ فتاك فإنصافه من الفضل والنسب المكتسب
فكنت الحبيب ، وكنت القريب ليالِيَ أدعوك من عن كثب
فلمّا بعدت بدت جفوةٌ ولاح من الأمر ما لا أحب
فلو لم أكن بك ذا خبرةٍ لقلت صديقك من لم يغب

وكتب إليه أيضاً [من الوافر] :

زماني كلّه غضبٌ وعتبٌ وأنت عليّ والأيام أَلْبُ[2]
وعيش العين لديك سهلٌ وعيشي وحده بفناك صعب
فكيف وأنت دافع كلّ خطبٍ مع الخطب الملمّ عليّ خطب

(١) أشب : ملتف ومتماسك .
(٢) ألب : أي مجتمعون عليّ .

فلا تحمل على قلبٍ جريحٍ به لحوادث الأيام ندبُ[1]
أمثلي تقبل الأقوال فيه ومثلك يستمرّ عليه كذبُ
جناني ما علمت ، ولي لسانٌ يقدّ الدرع والإنسان ، عضب[2]
وزندي وهو زندك ليس يكبو وناري وهي نارك ليس تخبو[3]
وفرعي فرعك السّامي المعلّى وأصلي أصلك الزاكي وحسب
وفضلي تعجز الفضلاء عنه لأنّك أصله والمجدّ ترب[4]
فدت نفسي الأمير وكان حظّي وقربي عنده ما دام قربُ
فلمّا حالت الأعداء دوني وأصبح بيننا بحرٌ ودرب[5]
ظللت تبدّل الأقوال بعدي ويبلغني اغتيابك ما يغبّ[6]
فقل ما شئت فيَّ فلي لسانٌ مليءٌ بالثّناء عليك رطب
وقابلني بإنصافٍ وظلمٍ تجدني في الجميع كما تحبُّ

وبلغ أبا فراس أن والدته قصدت حضرة سيف الدولة من منبج تكلمه في المفاداة ، وتتضرع إليه ، فلم يكن عنده ما رجت من حسن الإيجاب ، ووافق ذلك عنفا من الدمستق بأبي فراس ومن معه من الأسرى ، وزيادة في إرهاقهم ، فكتب إلى سيف الدولة [من المنسرح] :

يا حسرةً ما أكاد أحملها آخرها مزعجٌ وأولها
عليلةٌ بالشآم مفردةٌ بات بأيدي العدى معلّلها

---

(١) الندب : الجرح وجمعه ندوب .
(٢) يقدُّ : يقطع ، والعضب صفة ثانية للّسان وهي بمعنى القاطع .
(٣) كبا الزند : أي أنّه لم يخرج ناراً عند القدح ، وتخبو : تضعف وتنطفىء .
(٤) الترب : يقال فلان تِربُ فلان ، أي يساويه في السنّ .
(٥) حالت : منعت ووقفت في طريقي ، والدرب : الطريق الموصل إلى بلاد الروم .
(٦) يغب : يزور الفينة بعد الفينة .

إذا اطمأنــت ، وأين ؟ أو هدأت — عنــت لهــا ذكرةٌ تقلقلها[1]
تســأل عنّــا الركبــان جاهدةً — بأدمــعٍ ما تكــاد تمهلها
يا من رأى لي بحصــن خرشنةٍ — أســدَ شرىً في القيود أرجلها
يا من رأى في الــدروب شامخةً — دون لقــاء الحبيب أطولهـا
يا أيهــا الراكبــان هل لكما — في حمـل نجــوى يخفُّ محملها
يا أمّتــا هــذه منازلنا — نتــركهـا تــارة وننزلهـا

ومنها :

يا سيّداً ما تعــدُّ مكرمةٌ — إلاّ وفــي راحتيك أكملها
ليســت تنــال القيود من قدمي — وفــي اتباعــي رضــاك أحملها
لا تتيمَّــمْ والمــاء تدركه — غيرك يرضــى الصغــرى ويقبلها[2]
أنــت سمــاءٌ ونحــن أنجمها — أنــت بلادٌ ونحــن أجبلهـا
أنــت سحــابٌ ونحــن وابله — أنــت يمينٌ ونحـن أشملها
بــأيٍّ عذرٍ رددت والهةً — عليك دون الــورى معولّها[3]
جاءتــك تمتــاح ردّ واحدها — ينتظــر النــاس كيف تقفلها[4]
تلك العقــود التــي عقــدت لنا — كيف وقــد أحكمــت تحلّلها
أرحامنــا منــك ، لمْ تقطّعها ؟ — ولــم تزلْ دائبــاً توصّلها
سمحــت منّــي بمهجــةٍ كرمتْ — أنــت ، علــى يأسهــا ، مؤمّلها
إن كنــت لم تبــذل الفــداء لها — فلــم أزل في هواك أبذلها
تلك المــودات كيف تهملها — تلك المــواعيد كيف تغفلها

---

(١) عنّت : خطرت في بالها ، والذكرة : الفكرة ، وتقلقِلها : تقضُّهـا وتقلِقُها .
(٢) التيمُّم : هو استعمال التراب للوضوء في حال الجنابة وعدم توفّر الماء .
(٣) الوالهة : العاشقة الحزينة المفجوعة ، ومعولّها : أي الذي يعولها .
(٤) تمتاح : أصل الامتياح ، استخراج الماء من البئر والمراد هنا : تسأل ، وتقفلها : ترجعها وتعيدها .

أين المعالـي التـي عرفـت بها   تقولهـا دائبـاً وتفعلها ؟

يا واسـع الـدار كيف توسعها   ونحـن في صخـرةٍ نزلزلها

يا ناعـم الثـوب كيف تبدله   ثيابنـا الصـوف ما نبدِّلها !

يا راكب الخيل لو بصـرت بنا   نحمـل أقيادنـا وننقلها

رأيت في الضـر أوجهـاً كرمت   فارق فيك الجمـال أجملها

قـد أثّـر الدهـر في محاسنها   تعـرفهـا تـارةً وتجهلهـا

لا يفتـح النـاس باب مكرمةٍ   صاحبهـا المسـتغـاث يقفلهـا

أينبـري دونـك الـكرام لها   وأنـت قمقـامهـا وأجملهـا[1]

وأنـت إن عزَّ حادثٌ جللٌ   قُلَّبُهـا المـرتجـى وحُوَّلُهـا[2]

منـك تردّى بالفضـل أفضلها   منـك أفـاد النـوال أنولهـا[3]

فـإن سألنـا سواك عارفةً   فبعـد قطـع الـرجاء نسألها[4]

لـم يبـق في النـاس أمّـةٌ عرفتْ   إلاّ وفضـل الأمير يشملها

نحـن أحـقُّ الـورى برأفته   فأين عنّـا وكيف معدلها

يا منفـق المـال لا يريد به   إلاّ المعالـي التي يؤثّلها[5]

أصبحـت تشـري مكارمـاً فضلاً   فداؤنـا ما علمـت أفضلها

لا يقبـل الله قبـل فرضـك ذا   نافلـةً عنـده تنفلّهـا[6]

وكتب إلى أبي المعالي وأبي المكارم ابني سيف الدولة [من الكامل] :

يـا سيـديّ أراكمـا   لا تـذكـران أخـاكمـا

---

(١) القمقام : السيّد الكثير العطاء .

(٢) قلّبُها : يقال فلان قُلّب حوّل : إذا كان بصيراً بمسالك الأمور ، خبيراً بحلّ مشكلها ، قادراً على التحيُّل لها .

(٣) تردّى : أي لبس الرداء ، واستعاره هنا للاستمساك بالفضل ، وأنولها : أشدّها نوالاً .

(٤) العارفة : النوال والعطاء .

(٥) يؤثّلها : يقال مجدٌ أثيل : أي أصيل وعظيم .

(٦) النافلة : ما زاد عن الواجب ، وتنفلها : أراد تتنفلها ، فحذف إحدى التاءين .

أوجــدتمـا بــدلاً بـه يبنــي سمــاءَ علاكمـا
أوجــدتمـا بدلاً بـه يفــري نحـور عداكما[1]
مــن ذا يعــاب بمــا لقيــــــت من الــورى إلاّكما
لا تقعــدا بي بعدها وسـلا الأميـر أباكما
وخــذا فدايَ جعلــت من ريب المنــون فداكما !

وقال لما طال أسره يسب الشامتين ويتشوق محله بمنبج [من الكامل] :

قف فــي رســوم المستجا ب ونـاد أكنــاف المصلّى
تلــك المنـازل والمـلا عـب لا أراهــا الله محلا[2]
أوطنتهـا زمـن الصبـا وجعلـت منبـج لي محلاّ
حيث التفــت رأيت ما ءً سائحــاً وسـكنـت ظلاّ
والمــاء يفصــل بين زهـــــر الـروض في الشـطين فصلا
كبســاط وشـــيٍ جـرّدت أيدي القيون عليه نصلا[3]
مــن كان سرَّ بمــا عرا ني فليمــت ضراً وهزلا[4]
مــا غضّ مني حادثٌ والقـرم قـرمٌ حيث حلاّ[5]
أنّــى حللـت فإنّمـا يدعــونني السيف المحلى
ولئــن خلصـت فإنّنــي شرق العــدا طفــلاً وكهلا[6]
مــا كنــت إلاّ السيف زا د على صروف الدهـر صقلا[7]

---

(١) يفري : يقطع .
(٢) المحل : الجدب ، وهنا دعاء للمنازل بأن تبقى مخصبة ناعمة .
(٣) القيون : جمع قين ، وهو الحداد ، الذي يصنع السيوف .
(٤) عراني : أصابني .
(٥) غضّ : نقص وقلّل من منزلتي ، والقرم : السيّد .
(٦) شرق العدا : غصتهم .
(٧) الصقل : المضاء ، وصقل السيف : جلاه .

ولئـن قتلـت فإنّمـا موت الـكرام الصيد قتلى[١]

يغتـرّ بالـدنيـا الجهـو ل وليـس بالـدنيا مملّـى[٢]

وقال من قصيدة [من الطويل] :

أراك عصي الدمـع شيمتـك الصبر أمـا للهـوى نهـيٌ عليك ولا أمرُ

بلـى أنـا مشتـاق وعنـدي لوعةٌ ولـكنَّ مثلـي لا يذاع له سرُّ

إذا الليل أضوى بي بسطت يد الرّجا وأذللـت دمعـاً من خلائقـه الكبر

تكاد تضـيء النـار بين جوانحي إذا هي أذكتهـا الصبابـة والفكر[٣]

ومنها :

وإنّـي لجـرارٌ لكلِّ كتيبةٍ معـوّدةٍ أن لا يخـلّ بهـا النصر

وأصـدأ حتـى ترتـوي البيض والقنا وأسغبُ حتى يشبـع الذئـب والنسر[٤]

ومنها :

أسرت وما صحبـي بعـزلٍ لدى الوغى ولا فرسـي مهـر ولا ربّـه غمرُ[٥]

ولـكن إذا حمّ القضـاء علـى امرئ فليس له برٌّ يقيه ولا بحرُ

وقـال أصيحابـي : الفـرار أو الرّدى فقلـت : همـا أمـران أحلاهمـا مرُّ

ولكنّنـي أمضـي لمـا لا يعيبني وحسبـك من أمـرين خيرهمـا الأسر

ولا خير في دفـع الـرّدى بمذلةٍ كمـا ردّهـا يومـاً بسوأتـه عمرو[٦]

---

(١) الصيد : بكسر الصاد : وهو الذي يميل رأسه كبراً .

(٢) مملّى : يقال تملّى فلان من عمره : أي أطال الله عمره ومدّ بحياته .

(٣) أذكتها : أذكى النار ، أوقدها وزادها وقوداً .

(٤) أصدأ : أظمأ ، وأسغب : أجوع .

(٥) بعزل : بجبناء ، والغمر : القليل التجربة ، الجاهل .

(٦) يقال : إنّ عمرو بن العاص ، كان يقاتل عليّ بن أبي طالب فنال منه أبو الحسنين وصرعه ، وأراد أن يجهز عليه فرفع ثوبه وأظهر سوأته ، وكان الإمام عليّ لا ينظر إلى سوأة أحدٍ قطّ ، فتركه وأشاح بنظره =

وكتب إلى سيف الدولة قصيدة منها [من الكامل] :

ما لي جزعت من الخطوب ، وإنّما أخذ الإلّه لبعض ما أعطاني
إن لم تكن طالت سنيّ فإنّ لي رأي الكهول ونجدة الشبانِ
قمنٌ بما سرّ الأعادي موقفي والدهر برْزٌ لي مع الأقران[1]
يا دهر خنت مع الأصادق خلّتي وغدرت بي في جملة الإخوان
لكنّ سيف الدولة المولى الذي لم أنسه وأراه لا ينساني
أيضيعني من لم يزل ليَ حافظاً كرماً ويخفضني الذي أعلاني
إنّي أغار على مكانيَ أن أرى فيه رجالاً لا تسدُّ مكاني

وقال من قصيدة [من الوافر] :

يعزّ على الأحبّة بالشآم حبيبٌ بات ممنوع المنام
وإنّي للصبور على الرزايا ولكنّ الكلام على الكلام[2]
جروح ما يزلن يردن منّي على جرحٍ قريب العهد دام
تأمّلني الدمستق إذ رآني فأبصر صيغة الليث الهمام
أتنكرني كأنّك لست تدري بأنّي ذلك البطل المحامي
فلا هُنِّئتها نعمى بأخذي ولا وصلت سعودك بالتمام
أما مِنْ أعجبِ الأشياء علجٌ يعرّفني الحلال من الحرام[3]
وتكنفه بطارقةٌ تيوسٌ تباري بالعثانين الضخامِ[4]

= عنه ، ففرّ عمرو ونجا بهذه الحيلة ، وذكر ذلك إلى معاوية فقال له : لو كنت مكانه لاخترمتك بالرمح . . .

(١) القمن : الجدير والخليق .

(٢) الكلام : الجراح ، يريد أن الجراح بعضها فوق بعض أو إثر بعض .

(٣) العلج : الكافر .

(٤) تكنفه : تحيط به ، والعثانين : اللحى ، أو ما فضل منها بعد العارضين « في الذقن » .

لهم خلــق الحمير فلسـت تلقى فتـىً منهـم يسير بلا حزام
يريغـون العيوب ، وأعجزتهم ، وأيّ العيب يوجـد في الحسام[1]
ثنـاءٌ طيِّبٌ لا خلف فيه وآثـارٌ كـآثـار الغمـام
ألاز علـى التعـرُّض للمنايا ولـي سمـعٌ أصمّ عن الملام
بنـو الـدنيا إذا ماتـوا سواءٌ ولـو عمـر المعمّـر ألف عام
ألا يا صاحبـيَّ تذكّرانـي إذا ما شمتمـا البـرق الشآمي[2]
إذا ما لاح لي لمعـان برقٍ بعثـت إلـى الأحبّـة بالسلام

وكتب إليه ابن الأسمر يوصيه بالصبر ، فأجابه [من الطويل] :

ندبت لحسـن الصبر قلب نجيب ونـاديت بالتسـليم خير مجيبِ
ولـم يبـق منّـي غير قلـبٍ مشيّعٍ وعودٍ علـى ناب الزمـان صليب[3]
وقـد علمـت أمـي بأنّ منيتي بحـدّ حسـامٍ أو بحـدّ قضيب
كما علمت من قبل أن يغرق ابنها بمهلـكه في المـاء أم شبيب

كانت أم شبيب رأت في منامها ـ وهي حبلى ـ كأن نار أخرجت من بطنهـا فاشتعلت الآفاق ثم وقعت في الماء فانطفأت ، فلما كان من أمره ما كان ونعى إليها لم تصدق ، حتى قيل : إنه قد غرق في الماء ، فأقامت المناحة .

تجشمـت خوف العـار أعظـم خطةٍ وأمّلـت نصـراً كان غير قريب
وللعـار خلّـى ربّ غسـان ملكه وفـارق دين الله غير مصيب[4]

(١) يريغون العيوب : يطلبونها ، والحسام : هو الذي يحسم مادة الشرّ والخلاف .
(٢) شمتما : شام البرق : نظر إليه ليعرف أين مطره .
(٣) قلب مشيع : أي جريء قوي ، والصليب : أي صلب .
(٤) أراد بربّ غسان : جبلة بن الأيهم ، وكان قد أسلم ثم ذهب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ولطم أعرابياً مسلماً لأنّه داس رداءه فأراد عمر أن يقتصّ منه ، إلاّ أن يرضى الأعرابي ، فاستمهله إلى الغد ، ثمّ فرّ في جنح الليل ولحق بالروم متنصرًا . . . ؟

ولم يرتغب في العيش عيسى بن مصعبٍ ولا خفّ خوفٌ بالحزون خبيب[1]

وأحفظ أبو فراس الدمستق في مناظرة جرت بينهما فقال له الدمستق : إنما أنتم كتاب ولا تعرفون الحرب ، فقال له أبو فراس : نحن نطأ أرضك منذ ستين سنة بالسيوف أم بالأقلام ؟ ثم قال [من الطويل] :

أتزعم يا ضخم اللغاديد أنّنا ونحن أسود الحرب ، لا نعرف الحربا[2]
فويلك ! من للحرب إن لم نكن لها ؟ ومن ذا الذي يضحي ويمسي لها تربا ؟
ومن ذا يكفّ الجيش من جنباته ومن ذا يقود العين أو يصدم القلبا
وويلك ، من أردى أخاك بمرعشٍ وجلّل ضرباً وجه والدك العضبا[3]
[وويلك من خلى ابن أختك موثقاً وخلاّك باللقان تبتدر الشعبا
أتوعدنا بالحرب حتّى كأننا وإياك لم يعصب بها قلبنا عصبا][4]
لقد جمعتنا الحرب من قبل هذه فكنّا بها أسداً وكنت بها كلبا
وسلْ برد ، سل عنّا أباك وصهره وسل أهل برداليس أعظمهم خطبا[5]
وسل قرقاشا والشمقمق صهره وسل سبطه البطريق أثبتهم قلبا
وسل صيدكم آل الملابين ، إنّنا نهبنا ببيض الهند عرضهم نهبا[6]
وسل أهل بيرامٍ وأهل بلنطسٍ وسل آل شنوان الخناجرة الغلبا
وسل بالبطرصيس العساكر كلّها وسل بالمسيطر ناطس الروم والعربا

---

(١) عجز هذا البيت في ديوانه « ولا خفّ خوفَ الحرب قلبُ حبيب » والحزون : الأرض الصعبة المسالك ، والخبيب : من الخبب وهو ضربٌ من العدو .
(٢) اللغاديد : جمع لغدود ، وهو لحمة في الحلق ، أو كالزوائد من اللحم في باطن الأذن .
(٣) العضب : السيف القاطع .
(٤) لم يعصب : لم يجمع ويشرك ، والعصابة : الجماعة .
(٥) برد : اسم أبي الدمستق ، وبرداليس : إسم مكان .
(٦) الصيد : جمع أصيد وهو المائل الرأس كبراً ومخيلة والملابين جمع ملبون : وهو من به مثل السكر .

ألـم تكفهـم قتـلا ونهبـاً سيوفنا وأسد الشرى الملأى وإن جمدت رعبا
بأقلامنـا أجحـرت أم بسيوفنا ؟ وأسد الشرى قدنـا إليك أم الكتبا ؟[1]
تفاخرنا بالضّرب والطعن والقنا لقد أوسعتك النفس يا ابن استها كذبا[2]
رعـى الله أوفانـا ـ إذا قال ـ ذمّةً وأنفذنـا طعنـا وأثبتنـا ضربا

وقال من قصيدة [من الطويل] :

خليلـيَّ ما أعددتمـا لمتيّمٍ أسيرٍ لدى الأعـداء جافـي المراقد
فريدٍ عن الأحبـاب لكن دموعه مثـانٍ علـى الخـدين غير فرائد[3]
جمعـت سيوف الهنـد من كلّ وجهةٍ وأعـددت للأعـداء كلّ مجالـد
إذا كان غير الله للمـرء عدّةً أتتـه الـرزايا من وجـوه الفوائد
فقـد جرّت الحنفـاء حتف حذيفةٍ وكان يراهـا عدّةً للشدائد[4]
[وجـرت منـايا مالك بن نويرة عقيلتـه الحسنـاء أيام خالـد][5]
وأردى ذؤابـاً في بيوتِ عُتيبةٍ بنـوه وأهلـوه بشـدو القصائد[6]

ولما خفف عن أبي فراس ورفه ، ونوظر في أمر الهدنة والأسارى ، وأجيب إلـى ملتمسه بعد أن أكرم وبجل قال [من الطويل] :

ولله عنـدي في الإسـار وغيره مواهـب لم يخصص بهـا أحـدٌ قبلي
حللـت عقـوداً أعجـز النـاس حلّها ومـا زلـت لا عقـدي يذم ولا حلّي

---

(١) أحجرت : أي دخل الحجر فراراً .
(٢) الإست : المؤخّرة .
(٣) مثانٍ : جمع مثنى ، وأراد متتالية بعضها إثر بعض .
(٤) الحنفاء : القوس ، والحتف : الهلاك .
(٥) العقيلة : الزوجة : وخالد : هو خالد بن الوليد .
(٦) أردى : قتل ، وذؤاباً : جمع ذئب .

إذا عاينتني الروم قد ذلّ صيدها كأنّهم أسرى يديٍّ بلا كبل[1]
وأوسعُ أيّاماً حللت كرامةً كأنّي من أهلي نُقلتُ إلى أهلي
فأبلغ بني عمي وأبلغ بني أبي بأنّيَ في نعماء يشكرها مثلي
وما شاء ربي غير نشر محاسني وأن يعرفوا ما قد عرفتم من الفضل

* * *

ما أخرج من مزدوجته الطردية

ما العمر ما طالت به الدهور العمر ما تمّ به السرورُ
أيام عزّي ونفاذ أمري هي التي أحسبها من عمري
[ما أجور الدهر على بنيه وأغدر الدهر بمن يُصفيه][2]
لو شئت مما قد قللن جدا عددت أيام السرور عدّا
أنعت يوماً مرّ لي بالشام ألذّ ما مرّ من الأيام
دعوت بالصقّار ذات يوم عند انتباهي سحراً من نومي[3]
قلت له اختر سبعةً كبارا كلٌّ نجيبٌ يردُ الغبارا
يكون للأرنب منها اثنان وخمسةٌ تفرد للغزلانِ
واجعل كلاب الصيد نوبتين يرسل منها اثنان بعد اثنينِ
ثم تقدّمت إلى الفهّاد والبازيارين بالاستعداد[4]
وقلت إنّ خمسةً لتقنع والزُّرَّقان الفرخُ والملمّع
وأنت يا طباخ لا تباطا عجّل لنا اللّفات والأوساطا
ويا شرابيٌّ البلقسيات تكون للراح ميسَّراتِ

---

(١) الكبل : القيد .
(٢) يُصفيه : يتخذه خليلاً .
(٣) الصقّار : الذي مهنته رعاية الصقور .
(٤) البازيارين : حملة الباز ، الحيوان الذي يستعمل في الصيد وهو استعمال فارسي .

بـالله لا تستصحبـوا ثقيلا واجتنبـوا الكثـرة والفضـولا
ردّوا فلانًـا وخـذوا فلانا وضمنونـي صيدكـم ضمانـا
فاختـرت لمّـا وقفـوا طويلاً عشـرين أو فويقهـا قليـلا
عصابـةٌ أكرم بهـا عصابهْ معروفـة بالفضـل والنجابهْ
ثـم قصدنـا صيد عين باصر مظنّـة الصيد لكلّ خابر[1]
جئنـاه والشـمس قبيل المغربِ تختـال في ثوب الأصيل المذهبِ
وأخـذ الـدّراج في الصياح مكتنفـاً مـن سائـر النواحي[2]
فـي غفلـةٍ عنّـا وفـي ضلال ونحـن قد زرنـاه بالآجالِ
يطـرب للصبـح وليس يدري أنّ المنـايا في طلـوع الفجرِ
نحـن نصلـي والبـزاة تخرج مجـرّداتٍ والخيـول تسـرج
وقلـت للفهّـاد : إمض وانفردْ وصـح بنـا إن عنّ ظبـيٌ واجتهد
فلـم يزل غير بعيد عنّا إليه يمضـي ما يفـرّ منّا
وسـرت في صفٍّ من الرجال كأنّمـا نزحف للقتال
فمـا استوينـا كلّنـا حتـى وقف غليّمٌ كان قريبـاً من شرف[3]
ثـم أتانـي عجـلاً قال السبق فقلـت إن كان العيان قد صدق
سـرت إليه فأرانـي جاثمه ظننتهـا يقظـى وكانـت نائمه
[ثـم أخـذت نبلـة كانـت معي ودرت دورين ولـم أوسع]
حتـى تمكنـت فلـم أخـط الطلبْ لكلّ حتفٍ سبـبٌ من السبب

ومنها :

ثم دعوت القوم: هذا بازي فأيكـم ينشـط للبـراز

---

(١) مظنّة الصيد : أي حيث يظن أنّ فيها ما يصطاد والخابر : أي الخبير العارف .
(٢) الدرّاج : طائر كالحجل .
(٣) الشُّرَف : أي المكان العالي للمراقبة .

فقـال منهـم رشـأٌ: أنـا ، أنا ولـو درى ما بيدي لأذعنا[1]

ومنها :

جئـت ببـازٍ حسـنٍ وهبرج دون العقـاب وفـويق الزمَّج [2]
زيْنٍ لرائيه وفـوق الزّين ينظـر من نارين في غارين
كأنَّ فوق صدره والهادي آثـار مشـي الـذرّ في الرماد
[ذي منسـرٍ فخـمٍ وعينٍ غائرهْ وأفخـذٍ مثـل الجبـال وافـره[3]
ضخـمٍ قريب الدَّستبـان جدّا يلقـى الـذي يحمـل منـه كدّا[4]
وراحـةٍ تحمـل كفّـي سبطة زادت علـى قدر البـزاة بسطه[5]
سـرّ وقـال هات قلـت مهلا احلف علـى الـردّ فقـال كلاّ
أمـا يمينـي فهـي عنـدي غاليهْ وكلمتـي مثـل يمينـي وافيه
فقلـت خذه هبـةً بقبله فصـدّ عنـي وعلتـه خجله
ثـم ندمـت غاية الندامة ولمـت نفسـي أكثـر الملامه
علـى مزاحـي والرجـال حضّر وهـو يزيد خجـلاً ويحصر
فلـم أزل أمسحـه حتـى انبسط وهشّ للصّيد قليلاً ونشطْ

ومنها في وصف البازي واستيلائه على الكركي .

حتـى إذا جندلـه كالعندل أيقنـت أن العظـم غير الفضل[6]
صحـت إلـى الطبـاخ ماذا تنتظر انـزل عن المهـر وهـات ما حضر

---

(١) أذعن : أقرّ وهدأ .
(٢) الهبرج : السمين ، والزمج : طائرٌ دون العقاب في صوته يشبه نباح الجرو ، يُصاد به .
(٣) المنسر : الظفر .
(٤) الدستبان : فارسية والدست المكان والبيت .
(٥) البسطة : القوّة .
(٦) العندل : الناقة العظيمة ، وجندله : صرعه .

جـاء بأوسـاطٍ وجُرْدباج من حجـل الـطير ومـن درّاج
فمـا تنازلنـا عن الخيولِ يمنعنـا الحـرص من النزولِ
وجـيء بالـكأس وبالشراب فقلـت : وفّرهـا علـى أصحابي
أشبعنـي اليوم وروّانـي الفرح فقـد كفانـي بعض وسـطٍ وقدح

ومنها :

ثـم انصرفنـا والبغـال موقرهْ في ليلـةٍ مثـل الصبـاح مسفره
حتـى أتينـا رحلنـا بليلِ وقـد سُبقنـا بجياد الخيل
ثـم نزلنـا فطرحنـا الصّيدا لمـا عددنـا مائـةً وزيْدا[1]
فلـم نزل نشـوي ونقلـي ونصُبْ حتـى طلبنـا صاحياً فلـم نُصِبْ
شربـاً كمـا عنّ من الزّقاق بغير ترتيبٍ وغير ساق
ولـم نزل سبـع ليالٍ عددا أسعـد من راحَ وأحظـى من غدا

وحكى بديع الزمان أبو الفضل الهمذاني قال : قال الصاحب أبو القاسم يوماً لجلسائه وأنا فيهم ـ وقد جرى ذكر أبي فراس ـ : لا يقدر أحد أن يزور على أبي فراس شعراً ، فقلت : ومن يقدر على ذلك وهو الذي يقول [من الوافر] :

رويدك لا تصـل يدهـا بباعك ولا تغـز السبـاع إلـى رباعكْ
ولا تعـنِ العـدو علـيّ ، إني يمينٌ إن قطعـت فمـن ذراعكْ

فقال الصاحب : صدقت ، قلت : أيد الله مولانا قد فعلت . ولعمري إنه فد حسن ، ولكن لم يشق غبار أبي فراس .

وكتب على ظهر الجزء المشتمل على مزدوجته التي أولها [من الرجز] :

مـا العمـر ما طالـت به الدّهور العمـر مـا تمّ به السّرورُ

---

(١) زيّدا : مصدر زاد يزيد ، وأراد مائةً وزائداً عليها .

هذه الأبيات [من الرجز] :

أروِّح القلب ببعض الهزل تجاهلاً منّي بغير جهلِ
أمزح فيه مزح أهل الفضلِ والمزح أحياناً جلاء العقلِ

* * *

فصل

قد أطلت عنان الاختيار من محاسن شعر أبي فراس ، وما محاسن شيء كله حسن ؟ وذلك لتناسبها وعذوبة مشارعها. ولا سيما الروميات التي رمى بها هدف الإحسان . وأصاب شاكلة الصواب ، ولعمري إنها ـ كما قرأته لبعض البلغاء ـ لو سمعته الوحش أنست ، أو خوطبت به الخرس نطقت ، او استدعي به الطير نزلت .

ولما خرج قمر الفضل من سراره ، وأطلق أسد الحرب ، عن إساره ، لم تطل أيام فرحته ، ولم تسمح النوائب بالتجافي عن مهجته . ودلت قصيدة قرأتها لأبي إسحاق الصابي في مرثيته على أنه قتل في وقعه كانت بينه وبين بعض موالي أسرته، وما أحسن وأصدق قول المتنبي [من البسيط] :

فلا تنلك الليالي ، إنّ أيديَها إذا ضربن كسرن النبع بالغرب[1]
ولا يعنّ عدوّاً أنت قاهره فإنهنّ يصدن الصقر بالخرب[2]

(١) النبع : شجر صلب ينبت في رؤوس الجبال والغرب : بيت ضعيف بيت على الانهار يريد يكسرن بالضعيف .

(٢) الخرب : بفتحتين : ذكر الحباري ، والصقر : من الطيور الجارحة ، يعني أنّ الليالي إذا أعانت الضعيف صاد القويّ .

وذكر ابن خالويه أن آخر شعر لأبي فراس قوله عند موته ، رحمه الله تعالى ! [من الكامل] :

أبنيَّتـي لا تجـزعـي كـلٌّ الأنـام إلـى ذهابْ
نـوحي علـيَّ بحسـرةٍ من خلف ستـرك والحجاب
قـولـي إذا كلّمتنـي فعييت عن ردٍّ الجـواب
زين الشبـاب أبـو فرا س لـم يمتَّـعْ بالشّباب

اللهم ارحم تلك الروح الشريفة !!

* * *



الباب الرابع

في ملح شعر آل حمدان
وغيرهم من أمراء الشام وقضاتها وكتابها

(أخبرني جماعة من أهل الأدب أن المتنبي لما عوتب في آخر أيامه على تراجع شعره قال : قد تجوزت في قولي ، وأعفيت طبعي ، واغتنمت الراحة منذ فارقت آل حمدان) وفيهم من يقول [من الوافر] :

وقد علمت بما لاقته منّا قبائل يعربٍ وبنو نزارِ
لقيناهم بأرماحٍ طوالٍ تبشّرهم بأعمارٍ قصار

يعني أبا زهير مهلهل بن نصر بن حمدان ، ومنهم من يقول - يعني أبا العشائر - [من الكامل] :

أأخا الفوارس لو رأيت مواقفي والخيل من تحت الفوارس تنحطُ[1]
لقرأت منها ما تخطّ يد الوغى والبيض تشكِلُ والأسنة تنقط

وأنشدني أبو بكر الخوارزمي لبعضهم [من الكامل] :

أغمامُ ما يدريك ما أفعالنا والخيل تحت النّقع كالأشباح[2]

---

(١) تنحط : تزفر من الجهد .
(٢) النقع : الغبار الذي تثيره الحرب .

تطفـو وترسـب في الدّمـاء كأنّها صور الفـوارس في كؤوس الراح

وأنشدت لأبي العشائر [من البسيط] :

سطا علينا ، ومن حاز الجمال سطا ، ظبيٌ من الجنَّـة الفـردوس قد هبطا
له عذران قد خطّـا بوجنته فاستوقفـا فوق خدّيه ومـا انبسطا
وظـلّ يخطـو فكلٌّ قال مِنْ شغفٍ : يا ليتـه في سواد الناظـرين خطا

وقال بعض الرواة : دخلت على أبي العشائر أعوده من علة هجمت عليه فقلت له : ما يجد الأمير ؟ فأشار إلى غلام قائم بين يديه اسمه نسطوس كأن رضوان غفل عنه فأبق[1] من الجنة ، وأنشد [من مخلع البسيط] :

أسقـم هذا الغـلام جسمي بمـا بعينيه من سقام
فتـور عينيه من دلالٍ أهـدى فتـوراً إلـى عظامي[2]
وامتزجـت روحـه بروحي تمـازج المـاء بالمـدام

وكان أبو الحسن الماسرجي ينشد في تدريسه مسألة « الحر لا يقتل بالعبد » هذين البيتين ، وهما لبعض آل حمدان [من الطويل] :

خذوا بدمـي هذا الغـزال ، فإنّه رمانـي بسهمـيْ مقلتيه علـى عمدِ
ولا تقتلـوه إنّنـي أنـا عبده ولـم أر حرّاً قطُّ يقتـل بالعبد

وأنشدت لبعضهم ، وهو أحسن ما سمعت في معناه [من الكامل] :

للعبـد مسألـةٌ لديك جوابها إن كنـت تذكره فهـذا وقتهُ
ما بال ريقـك ليس ملحـاً طعمه ويزيدنـي عطشـاً إذا ما ذقتهُ !

---

(١) أبق : هرب .
(٢) الفتور : الضعف والانكسار .

ووجدت بخط أبي بكر الخوارزمي هذه الأبيات منسوبة إلى أبي وائل تغلب ابن داود بن حمدان ، ورويت لغيره [من الكامل] :

لا والـــذي جعـــل المـوا لي في الهــوى خدم العبيدِ
وأصـــار في أيدي الظبا ء قياد أعنـــاق الأسودِ
وأقـــام ألـــوية المنيـ ـة بين أفنية الصّدود[1]
مـــا الـــورد أحســـن منظراً من حســـن توريد الخدود

ووجدت بخطه لحمدان الموصلي [من الخفيف] :

يا رســـول الحبيب ويحـــك قد ألـ ـقـــى عليك الحبيب حسنـــاً وطيبا
وتعلّمـــت حســـن ألفاظـــه تلـ ـك فظرّفـــت بادئـــاً ومجيبـــا
ولقـــد كدت أن أضمّـــك لولا أن يســـيء الظنـــون أو يستريبا
خيفـــةً أن يكون ذاك كمـــا قيـ ـل قديمـــاً : صار الرســـول حبيبا

ولأبي وائل الحمداني لما أسره المبرقع [من الخفيف] :

يا خليلـــيَّ ، أسعدانـــي فقـــد عيـ ـل ، اصطبـاري علـى احتمـال البليّهْ
غربـــةٌ قارظيّـــةٌ ، وغرامٌ عامـــريٌّ ومحنـــةٌ علويـــة[2]

ولأبي زهير ، وهو مما يتغنى به [من الكامل] :

وزعمـــت أنـــي ظالـــمٌ فهجرتني ورميت في قلبـــي بسهـــمٍ نافذِ
فنعـــم ظلمتـــك فاغتفـــر لي زلّتي هذا مقـــام المســـتجير العائذ

وأنشدني الأمير أبو الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي هذه الأبيات ولم يسم

---

(١) أفنية : جمع فناء ، وهو الساحة والمتسع من المكان .

(٢) قارظيّة : أراد دائمةً أبد الدهر ، وعامري : نسبة إلى بني عامر عشاق العرب منهم ليلى العامريّة وعلويّة : نسبة إلى آل عليّ بن أبي طالب عليهم الرحمة .

قائلاً ، ثم وجدتها في بعض التعليقات منسوبة إلى بعض آل حمدان [من الوافر] :

أَجِلْ عينيك في عيني تجدها ... مشرّبةً ندى ورد الخدود[1]
وصافحني تجد عبقاً بكفّي ... يضوع إليك من ردع النهود[2]
وخذ سمعي إليك فإنّ فيه ... بقايا من حديثٍ كالعقود

وأنشدني أبو الحسن محمد بن أبي موسى الكرخي ، قال: أنشدني القاضي أبو القاسم علي بن المحسن بن القاضي أبي القاسم التنوخي ، قال : أنشدني أبو المطاع ذو القرنين بن ناصر الدولة أبي محمد لنفسه ، تغمدهم الله تعالى برحمته وأسكنهم بحبوحة جنته ! [من البسيط] :

إنّي لأحسد « لا » في أسطرِ الصحف ... إذا رأيت اعتناق اللام للألف
وما أظنُّهما طال اجتماعهما ... إلاّ لما لقيا من شدّة الشغفِ

قال : وأنشدني أيضاً لنفسه [من البسيط] :

أفدى الذي زرته بالسّيف مشتملاً ... ولحظ عينيه أمضى من مضاربه
فما خلعت نجادي في العناق له ... حتّى لبست نجاداً من ذوائبه
فكان أنعمنا عيشاً بصاحبه ... من كان في الحبِّ أشقانا بصاحبه

قال : وأنشدني أيضاً لنفسه [من البسيط] :

قالت لطيف خيالٍ زارها ومضى : ... بالله صفه ولا تنقص ولا تزدِ
فقال : خلفته لو مات من ظمأٍ ... وقلت قف عن ورود الماء لم يرد
قالت : صدقت الوفا في الحبّ عادته ... يا برد ذاك الذي قالت على كبدي !

---

(١) أجل : أدِر ، وتطلّع ، وحدّق .
(٢) العبق : الريح الطيب ، ويضوع : يفوح ، والردع ؛ أثر الطيب .

وأنشدني أيضاً قال : أنشدني لنفسه في جارية كانت معاجرها[1] تبلى بسرعة [من البسيط] :

أرى الثياب من الكتّان يلمحها ضوءٌ من البدر أحياناً فيبليها
وكيف تنكر ان تبلي معاجرها والبدر في كلّ حينٍ طالع فيها[2]

وقد أحسن غاية الإحسان ، والعرب تزعم أن البدر يبلي الثياب الحلوة ، وقوله [من المتقارب] :

أيا من صبرت على فقدهِ وإنْ كان لي مؤلماً موجعا
لقد نال كلّ الذي يشتهي حسودٌ علينا ببينٍ دعا[3]

وأنشدني أيضاً للحسين بن ناصر الدولة [من البسيط] :

لو كنت أملك طرفي ما نظرت به من بعد فرقتكم يوماً إلى أحدِ
ولست أعتدّه من بعدكم نظراً لأنّه نظرٌ من مقلتيْ رمِدِ[4]

* * *

٣ ـ منصور وأحمد ابنا كيغلغ

أديبان شاعران ، من أولاد أمراء الشام ، فمن مشهور ملح منصور قوله [من السريع] :

خنت الذي أهوى من الناس ونمت عن جودي وعن باسي
يومَ أرى الدجن فلا أرتوي من ريق إلفي ومن الكاس[5]

---

(١) المعجر : بزنة المنبر ، ثوب تشدّه المرأة على وسطها .
(٢) تبلى : تخلق وترثّ .
(٣) البين : الفراق ، ودعا : توسّل الله .
(٤) الرمد : وجعٌ يصيب العين .
(٥) الدجن : المطر الكثير ، وإلفي : خلّي وحبيبي .

وقوله [من السريع] :

كأنهــا والقــرط في أذنها بدر الدجــى قرّط بالمشتري
قــد كتــب الحســن علــى وجهها « يا أعين النــاس قفــي وانظري »

وقوله من أبيات [من مخلع البسيط] :

يدير في كفّــه مداما ألــذُّ من غفلــة الرقيب
كأنّهــا إذ صفــت ورقَّتْ شكوى محــبٍّ إلــى حبيب

وقوله [من الكامل] :

عاد الزمــان بمــن هويت فأعتبا يــا صاحبــيَّ فسقّيانــي واشربا
كم ليلــةٍ سامــرت فيهــا بدرها من فوق دجلــة قبــل أن يتغيَّبا
قام الغــلام يديرهــا في كفِّه فحسبــت بدر التــمِّ يحمــل كوكبا
والبــدر يجنــح للغــروب كأنَّهُ قد سلَّ فوق المــاء سيفــاً مذهبا

وقد أكثروا في وصف القمر على الماء ، وبيت منصور هذا من غرر ذلك ، وأحسن ما سمعت فيه ـ على كثرته ـ قول القاضي التنوخي [من الكامل] :

أَحسِنْ بدجلــة والدجــى متصوِّبُ والبــدر في أفــق السمــاء مغرِّبُ[1]
فكأنّهــا فيه بســاطٌ أزرقٌ وكأنّــه فيهــا طرازٌ مذهب

وقول أبي الفتح كشاجم [من مجزوء الرجز] :

مــا زلــت أسقاهــا على وجــه غــزالٍ مونِــقِ[2]
بقــمــرٍ منتــقــبٍ بخــاتــمٍ منتــطــق
والبــدر فــوق دجلــةٍ والصــبــح لمّــا يشرق

---

(١) الدّجى : الظلام : متصوّب : منحدر ، ونازل .
(٢) المونق : البديع الفاتن .

كحليةٍ من ذهبٍ على رداءٍ أزرق

ومن ملح منصور قوله [من المتقارب] :

كتبت إليك بماء الجفون وقلبي بماء الهوى مشربُ
فكفّي تخطُّ وقلبي يمل وعيني تمحو الذي تكتبُ

وقوله [من مخلع البسيط] :

ألبسني ذلّة العبيد مَنْ قلبُهُ صيغ من حديد[1]
ونمَّ طرفي بما ألاقي من كمدٍ دائم المزيد[2]
وكيف يخفي الهوى عميدٌ ودمّه صاحب البريد

وقوله [من البسيط] :

قالوا : عليك سبيل الصبر ، قلت لهمْ : هيهاتَ ! إن سبيل الصبّر قد ضاقا
ما يرجع الطرف عنه حين يبصره حتى يعود إليه القلب مشتاقا

* * *

ولأحمد [من الرمل] :

لا يكن للكأس في كفّـ ـك يوم الغيث لبثُ[3]
أو ما تعلم أن الـ ـغيث ساقٍ مستحثُّ

وله [من الهزج] :

ولولا أن برذون الـ ـهوى يعتلف الرطبه

---

(١) صيغ : سبك وصنع .
(٢) نمَّ : أظهر ودلّ ، والكمد : الحزن والغمّ .
(٣) اللَّبْث : مقامْ .

ركبناه إلى الصيّد وأرسلنا له كلْبه
فصدنا ثعلب الهجرا ن تلك الخبّة الضبّه[1]
وصيّرنا لزيت الوصـ ـل من جلد استها ربّه[2]

وله ، ويروي لديك الجن [من مخلع البسيط] :

قلت له والجفون قرحى قد أقرح الدمع ما يليها
ما ليَ في لوعتي شبيهٌ قال : وأبصرت لي شبيها ؟!

وله [من الهزج] :

بدت من خلل الحجب كمثل اللؤلؤ الرطبِ
فأدمى خدّها لحظي وأدمى لحظها قلبي

وله [من الرجز] :

واعطشي إلى فمٍ يمجُّ خمراً من برد
إنْ قسّم الناس فحسـ ـبي بك من كلِّ أحد

* * *

٤ ـ أبو محمد جعفر وأبو أحمد عبد الله ابنا ورقاء الشيباني

من رؤساء عرب الشام وقوادها ، والمختصين بسيف الدولة . وما منهما إلا أديب شاعر جواد ممدح ، وبينهما وبين أبي فراس مجاوبات ، وإليهما أرسل أبو فراس يقول من قصيدة [من الوافر] :

أتاني عن بني ورقاء قولٌ ألذُّ جنىً من الماء القراح

(١) ثعلب الهجران : تقلّبه وتحوله ، والخبّة : خرقة طويلة تعصب بها اليد ، والضبّة : جلد الضب المدبوغ ، أو أنثى الضبّ .
(٢) الإست : المؤخرّة .

وأطيب من نسيم الـروض حفّتْ به اللّـذات من روحٍ وراح
ولـو أنّـي اقترحـت علـى زماني لكنتـم ، يا بنـي ورقـا ، اقتراحي

ولأبي أحمد في جوابها من قصيدة أولها [من الوافر] :

أصـاح قلبـه أم غير صاحِ وقـد عنّـت له عفـر البطاح[1]
ظبـاء الـوحش تحـكي ماثلاتٍ ظبـاء الإنس بالصّـور الملاح

ومنها :

يدرن مراض أجفـانٍ صحاحٍ فيا عجبـي من المرضـى الصحاحِ
ومـا زالـت عيون العين فينا تؤثّـر فوق تأثير السّلاح

ومنها :

أمطلعـةَ الهـلال علـى قضيبٍ ومسدلـة الظـلام علـى الصّباح !
عدتنـي عن زيارتـك العوادي ودهـرٌ للأكارم ذو اطراح[2] !

ومنها :

أمـدره تغلـب لسنـاً وعلما ومصقـع نطقهـا عنـد التلاحي[3]
لقـد أوتيت علمـاً واضطلاعا بآدابٍ وألفـاظٍ فصـاح
لمقـولِكَ المضـاء إذا انتضـاه الـ ـقصيد علـى المهنّـدة الصّفاح

وله من قصيدة [من الطويل] :

ألا ليت شعـري ، والحـوادث جمّةٌ وما كنت في دهري إلى النـاس شاكيا

---

(١) عنّت : أذعنت ، وعفر البطاح : شجعانها ودهاتها .
(٢) عدتني : منعتني ، والعوادي : الأحداث المانعة .
(٣) المدره : العالم الجليل . والمصقع : البليغ الفصيح ، والتلاحي : اللوم .

أمخترمـي ريب المنـون بحسرةٍ تبلّـغ نفسـي من شجاهـا التراقيا ؟[1]
إلـى الله أشكو أنّ في الصـدر حاجةً تمـرُّ بهـا الأيام وهـي كمـا هيا

ومنها في ذكر بني كعب وإيحاشهم سيف الدولة حتى أضربهم :

وإنّهـمُ لمّـا استهاجـوا صياله وما كان عن مستوجب البطش وانيا[2]
كمـن شبَّ ناراً في شعـار ثيابه وهيّج ليثـاً للفريسـة ضاريا[3]

وله من قصيدة أجاب بها عن قصيدة أبي فراس التي أولها [من الطويل] :

* لعل خيال العامرية زائر *

عمـرن بعمّـارٍ من الإنس برهةً فهـا هنّ صفـرٌ ليس فيهـنّ صافرُ
أخلّـت بمغناهـا دمـىً وخرائدٌ وحلّـت بأقصاهـا مهـاً وجآذر[4]
أهـنَّ عيونٌ باللحـاظ دوائرٌ علـى عاشقيهـا أم سيوفٌ بواتر ؟[5]
ضعـائف يقهـرن الأشـدّاء قدرةً عليهـم وسلطـان الصّبابـة قاهرُ

ومنها :

ألا يا ابـن عمّ يستـزيد ابـن عمّه رويدك إنّـي لانبساطـك شاكرُ
تصفّحـت ما أنفذتـه فوجدته كما استودعـتْ نظـم العقـود الجواهر
وذكّرنـي روضـاً بكتـه سماؤه فضاحـكه مستأسـدٌ وهـو زاهر
عرائس تجلوهـا عليك خدورها ولكنّمـا تلك الخـدور دفاتـر

---

(١) امخترمي : اخترم الشيء : ثقبه من ناحيةٍ إلى ناحية . والتراقي : جمع ترقوة ، وهي العظمة بين ثغرة النحر والعاتق في أعلى الصدر .
(٢) الصيال : أي صولته في الحرب ، والواني : المتأخّر والتعِب ، والضعيف .
(٣) شبّ ناراً : أسعرها وأصلاها .
(٤) الدمى والخرائد : الفتيات الأبكار النواهد .
(٥) البواتر : القاطعة .

فعدلاً ، فإنّ العدل في الحكم سيرةٌ بها سار في الناس الملوك الأساور[1]

ولما قال أبو فراس [من الكامل] :

إنا إذا اشتدّ الزما ن وناب خطبٌ وادلهمْ

من أبيات قد مرت أجابه أبو محمد جعفر بن محمد بن ورقاء بقوله من أبيات [من الكامل] :

أنتم كما قد قلت بل أعلى وأشرف يا ابن عمْ
ولكم سوابق كلّ فخرٍ واللواحق من أمم[2]
أحسنت والله العظيم نظام بيتك حين تمّ
فيما ذكرت من السيو ف وما ذكرت من النعم
حتى كأنّ بنظمه للحسن دراً منتظم

وكتب أبو محمد عند حصوله ببغداد بعد وفاة سيف الدولة إلى أبي إسحاق الصابي ، وكانت بينهما مودة وتزاور فانقطع عنه أبو إسحاق لبعض العوائق [من الكامل] :

يا ذا الذي جعل القطيعة دأبه إنّ القطيعة موضعٌ للريْبِ
إن كان ودّك في الطويّة كامناً فاطلب صديقاً عالماً بالغيبِ[3] !

فأجابه أبو إسحاق بهذه الأبيات [من الكامل] :

قد يهجر الخلّ السليم الغيب للشغل وهو مبرأً من ريب
ويواصل الرجل المنافق مبدياً لك ظاهراً مستبطناً للعيب

---

(١) الأساور : الشجعان الأسود .

(٢) أمم : قرب .

(٣) الطويّة : يقصد الصدر والضمير والنيّة .

لا تفرحــنّ من الصــديق بشاهدٍ حتــى يكون موافقــاً للغيب
وتأمّــلِ المســودَّ من شعــر الفتى أهو الشبيبة أم خضاب الشيب ؟[1]
وإذا ظفــرت بذي ودادٍ خالص فاغفــر له ما دون غشّ الجيب

وكتب إليه أبو إسحاق قصيدة طويلة فأجابه بقصيدة منها [من الطويل] :

ومشمولــةٍ صرفٍ صرفــت بشربها وجــوه لحاتــي قاطبــاتُ الحواجبِ
إذا جال فيهــا المــزج خلــت حبابها عيون الأفاعــي أو قرون الجنادب
وعاذلــةٍ في بذل ما ملــكت يدي رددت لهــا المسعــى بصفقــة خائب
فإنّ زئير الأســد من كلّ جانبٍ ليشغــل سمعــي عن صياح الثعالب
أفي الحــقّ أن قايســت غير محقّقٍ فظاظــة جنــديّ إلــى ظرف كاتب[2]
ولا سيّمــا أنــت الــذي نشــرت له محاســن كالأعــلام فوق المراقب[3]
ومـا زلـت بين النــاس صدر محافلٍ وعين مقامــاتٍ وقلــب مواكِبِ

وكتب إليه أبو أحمد قصيدة منها [من الخفيف] :

يا هلالاً يدعــى أبــوه هلالا جلّ باريك في الــورى وتعالى
أنــت بدرٌ حسنــاً، وشــمسٌ علوّاً ، وحســامٌ عزمــاً ، وبحــرٌ نوالا

* * *

٥ ـ أبو حصين علي بن عبد الملك الرقي القاضي بحلب

هو الذي يقول فيه السري الموصلي من قصيدة [من الوافر] :

لقـد أضحـت خلال أبـي حصينٍ حُصونــاً في الملمّــاتِ الصعابِ

---

(١) الخضاب : الصباغ .
(٢) قايست : وازنت وساويت .
(٣) نشرت له : دفعت واشتهرت ، والمراقب : الأماكن العالية حيث تكون المراقبة .

كساني ظلّ وابله ، وآوى غرائب منطقي بعد اغتراب
وكنت كروضةٍ سقيت سحاباً فأثنت بالنسيم على السّحاب

وكتب إليه أبو فراس ـ وقد عزم على المسير إلى الرقة ـ قصيدة افتتاحها [من البسيط] :

يا طولَ شوقيَ إنْ كان الرحيل غدا لا فرّق الله فيما بيننا أبدا

فأجابه القاضي بقصيدة أولها [من البسيط] :

الحمد لله حمداً دائماً أبداً أعطانيَ الدّهر ما لم يعطه أحدا

ومنها :

إن كان ما قيل من سير الركاب غداً حقّاً فإنّي أرى وشك الحمام غدا[1]

ومنها في ذكر سيف الدولة :

لولا الأمير وأنّ الفضل مبدؤه منه لقلت بأنّ الفضل منك بدا
دام البقاء له ما شاء مقتدراً تمضي أوامره ، إن حلّ أو عقدا
يذلّ أعداءه عزّاً ، ويرفع منْ والاه فضلاً ، ويبقى للعلا أبدا

وكتب أبو حصين إلى أبي فراس من قصيدة جواباً [من البسيط] :

من واثبَ الدهر كان الدهر قاهرهُ ومن شكا ظلمه قلّت نواصِرُهُ[2]
إن كان سار فإنّ الروح تذكره ، والعين تبصره ، والقلب حاضره
يا من أخالصه ودّي ، وأمحضه نصحي ، وتأتيه من وصفي جواهره[3]
أتى كتابك والأنفاسُ خافتةٌ والجسم مستسلمٌ ، والسُّقم قاهره

---

(١) وشك الحمام : قرب الموت .
(٢) واثب الدّهر : قارعه وسابقه .
(٣) أمحضه : أصفيه .

والطرف منكسرٌ، والشوق طارقه ، والوجد باطنه ، والصبر ظاهره

فانتاشني وأعاد الروح في بدني وشدّ صدعاً وكسراً أنت جابره[1]

ما زلت في نزهةٍ منه وفي زهرٍ وأحسن الروض ما دامت زواهره

حسبي بسيِّدنا فخراً أصول به هو الفخور وما خلقٌ يفاخرُهُ

من ذا يطاوله ؟ أم من يماجده ؟ أم من يساجله ؟ أم من يكاسره ؟[2]

أم من يفاقهه ؟ أم من يشاعره ؟ أم من يجادله ؟ أم من يناظره ؟

أم من يقاربه في كلٍّ مكرمةٍ ؟ أم من يناضله ؟ أم من يساوره ؟[3]

أم من يبارزه ؟ أم من يواقفه في كلِّ معتركٍ ؟ أم من يصابره ؟

الحرب نزهته ، والبأس همَّتُهُ والسيف عزمته ، والله ناصره

والجود لذّته ، والشكر بغيته والعفو والعرف والتقوى ذخائره

ومنها :

هذا جواب عليلٍ لا حراك به قد خانه فهمه ، بل مات خاطره

يشكو إليك بعاداً عنك أتلفه وطول شوقٍ ونيراناً تخامره[4]

إن كان قصّر فيما قال مجتهداً فأنت بالعدل والإحسان عاذره

وقال أيضاً فيه [من الكامل] :

آليت إنّي ما بقيت رهين شكرِ الحارث[5]

فإذا المنيَّة شارفتْ ورّثت ذلك وارثي[6]

---

(١) انتاشني : نال منّي ، أو أعاد إليّ الروح ، والصدع : الكسر ، وجبر العظم : أصلحه وقوّاه .

(٢) يطاوله : أي يقاربه رفعةً وعلاءً ، المساجلة : المباراة والمفاخرة في المماجد والمآثر .

(٣) يساوره : يواثبه ، والمراد المحاربة .

(٤) تخامره : تداخله وتخالطه .

(٥) أليت : حلفت وأقسمت .

(٦) المنيّة : الموت ، وشارفت : دنت وقربت .

رقّـي له من بعـد سيّـ ـدنـا وليـس لثالـث
قسمـاً علـى صدق الضمير ولسـت فيـه بحانـث[1]

* * *

٦ ـ أبو الفرج سلامة بن بحر أحد قضاة سيف الدولة

يقول شعراً يكاد يمتزج بأجزاء الهواء رقة وخفة ، ويجري مع الماء لطافة وسلاسة ، كقوله [من السريع] :

مـن سرَّه العيد فمـا سرّني بل زاد همّـي وأشجاني[2]
لأنّـه ذكّرنـي ما مضى من عهـد أحبابـي وإخواني

ونظيرهما لغيره [من الكامل] :

مـن سرَّه العيد الجديـ ـد فمـا لقيت به سرورا
كان السـرور يتـمُّ لي لو كان أحبابـي حضورا

ولأبي الفرج ، ويروى للقاضي أبي النعمان البصري [من المنسرح] :

نوح حمـام بيثـربٍ غرد هيّج شوقـي وزاد في كمدي
واكبـدي من عذابـكم ! وكذا من ذاق ما ذقـت صاح واكبدي !
فارقـت إلفـي فصـار في بلدٍ بالرغـم منّـي ، وصـرت في بلد

وأنشدني أبو علي محمد بن عمر الزاهر ، قال : أنشدني القاضي أبو الفرج ببيروت لنفسه [من الكامل] :

مـولاي ما لي منـك بختُ قد ذبـت من كمـدٍ ومتُّ[3]

---

(١) الحانث : الذي لا يفي بقسمه .
(٢) أشجاني : أحزنني .
(٣) البخت : الحظ ، والكمد : الحزن والغمّ .

تصفــو بك الــدنيا ولا يصفــو لعبــدك منــك وقتُ
مـولاي ما ذنبــي إليــــــك ؟ فلــو عرفــت الذنــب تبت
لا أننــي أنسيتكــم أو أننــي للعهــد خنت
إن كان ذاك فلا بقيــــــت ، وإن بقيت فلا سلمت

* * *

٧ ـ أبو محمد عبد الله بن عمرو بن محمد الفياض

كاتب سيف الدولة ونديمه ، معروف ببعد المدى في مضمار الأدب وحلبة الكتابة ، أخذ بطرفي النظم والنثر ، وكان سيف الدولة لا يؤثر عليه في السفارة إلى الحضرة أحداً لحسن عبارته وقوة بيانه ، ونفاذه في استغراق الأغراض ، وتحصيل المراد ، وقد ذكره أبو إسحاق الصابي في الكتاب « التاجي » ومدحه السري بقصائد منها قوله من قصيدة [من الوافر] :

محــت رســم الــكرى عن مقلتيه ... رواســمُ لا تمــلُّ من الرسيمِ[١]
تروم وقــد فرعــن بنــا فروعاً ... من الفيَّاضِ طيِّبــة الأرومِ[٢]
إذا طافــت بعبــد الله لاقت ... سمـات المجــد في الوجــه الوسيمِ
لك القلــم الــذي يضحــي ويمسي ... به الإقليم محمّــي الحريم[٣]
هو الصــلُّ الــذي لو عضَّ صلاً ... لأسلمــه إلــى ليل السليم
أخــو حِكَمٍ إذا بدأت وعادت ... حكمــن بعجــز لقمــان الحكيم
ملــكت خطامهــا فعلــوت قسّاً ... برونقهــا وقيس بن الخطيم[٤]

---

(١) الرواسم : الإبل ، والرسيم : ضرب من السير .
(٢) الأروم : الأصول والمحتد .
(٣) الصلّ : الأفعى ، والسليم : اللديغ أطلق عليه ذلك تمنّياً له السلامة .
(٤) الخطام : العنان والزمام ، وقسّاً : هو قسّ بن ساعدة الأيادي .

نجـومٌ لا تعـوز فمـن درارٍ يسـار بضوئهـن ومـن رجوم[1]
كحلـي الخـود مؤتلفُ النّواحي ووشـي الـرّوض مختلف الرقوم[2]

وكان يعجن مداده بالمسك ، ولا تلاق دواته إلا بماء الورد، تفادياً من قول القائل [من الوافر] :

دعـيٌّ في الكتابـة لا رويٌّ له فيهـا يُعِـدُّ ولا بديهُ
كأنَّ دواتـه من ريق فيه تُلاقُ فريحهـا أبـداً كريه[3]

وإيثاراً لما قال الآخر [من الرجز] :

فـي كفّـه مثـل سنـان الصعدهْ أرقش بزّ الأفعـوان جلده[4]
كأنّمـا النقش إذا استمدّهْ غاليةٌ مدوفةٌ بنـدّه[5]

ومن ملح شعره قوله ، ولم أسمع في معناه أحسن منه [من البسيط] :

قمْ فاسقنـي بين خفـق النـاي والعودِ ولا تبـعْ طيْب موجـودٍ بمفقود
كأسـاً إذا أبصـرت في القـوم محتشماً قال الســرور له قم غير مطرود
نحـن الشهـود وخفق العـود خاطبنا نزوِّج ابـن سحـابٍ بنـت عنقود[6]

وأنشدني أبو علي محمد عمر الزاهر ، قال : أنشدني ابن الفياض لنفسه بحلب في

---

(١) رجوم : شهب تتطاير .
(٢) الخود : المرأة الناعمة ، والرقـم : جمع رقم ، أراد به سطور الأزهار .
(٣) تلاق : تملأ .
(٤) الصعدة : القناة المستوية ، وأراد قلمه والأرقش : من الحيات : المنقط ، والأفعوان : ذكر الحيّات وبزّ : غلب وقهر ، يريد أنه اعتصب جلدا لأفعوان ولبسه ، والمقصد تشبيه قلمه بالأفعى .
(٥) الغالية : ضربٌ من الطيب ، وكذا الندّ ، ومدوفة : مخلوطة وممزوجة .
(٦) أي نخلط الماء بالخمر .

غلام له أثير لديه استوحش منه لميله إلى غلام آخر يقال له إقبال [من الكامل] :

أنكرت إقبالي على إقبالِ وخشيت أن تتساويا في الحال
هيهات ! لا تجزع فكلٌّ طريفةٍ ربحٌ يهون وأنت رأس المال

قال : وأنشدني لنفسه في ذلك الغلام [من الكامل] :

الآن تهجرني وأنت المذنبُ وظننت أنَّك عاتبٌ لا تعتبُ
وأمنت من قلبي التقلّب واثقاً بوفائه لك ، والقلوب تقلّبُ[1]

وقال [من الوافر] :

وما بقيت من اللّذات إلاّ محادثة الكرام على الشرابِ
ولثمك وجنتي قمرٍ منيرٍ يجول بخدّه ماء الشباب

٨ ـ أبو القاسم الشيظمي

قال يصف نمرقة[2] رآها بجنب سيف الدولة [من مجزوء الرجز] :

نمرقةٌ منها استعا ر الرّوض أصناف المُلَحَ
فيها لمن يبصر من ريش الطواويس ملح
كأنّما دارت على سمائها قوس قزح

* * *

٩ ـ أبو ذر أستاذ سيف الدولة

قال [من الكامل] :

نفسي الفداء لمن عصيت عواذلي في حبّه لم أخش من رقبائه

---

(١) التقلّب : التحوّل والتغيّر .

(٢) النمرقة : الصغيرة من الوسائد .

الشمس تطلع في أسرّة وجهه والبدر يطلع من خلال قبائه[1]

وله أيضاً [من مخلع البسيط] :

مروّعٌ منك كلّ يوم محتملٌ فيك كلّ لومِ
إن كنت أنكرت ملك رقي غصباً صراحاً بغير سوم[2]
فقلْ لجنبيَّ : أين قلبي ؟ وقل لعينيَّ : أين نومي ؟

* * *

١٠ ـ أبو الفتح البكتمري

يعرف بابن الكاتب الشامي ، له شعر يتغنى بأكثره ملاحة ولطافة ، أنشدني أبو بكر الخوارزمي ، قال : أنشدني ابن الكاتب لنفسه بالشام [من الرجز] :

وروضةٍ راضيةٌ عن الدِّيمْ وطأتها بناظري دون القدمْ
وصنتها صونيَ بالشكر النّعمْ

قال : وأنشدني لنفسه [من الكامل] :

قالوا : بكيت دماً؟ فقلت : مسحت من خدي خلوقا[3]
أبصرت لؤلؤ ثغرهِ فنثرت من جفني عقيقا
لولا التمسُّك بالهوى لحملت في دمعي غريقا

وأنشدني غيره له [من الكامل] :

قمرٌ كأنّ قوامه من قدِّ غصنٍ مسترقْ

---

(١) القباء : الثوب الذي يعتمره فوق ثيابه .
(٢) السوم : المبايعة والمفاصلة عند الشراء
(٣) الخلوق : الطيب .

وكأنّما اصطبح الربيـــع بوجنتيه واغتبق[1]
وكأنّما قلم الزمرّد فوق عارضه مشق[2]

وله من أبيات [من المتقارب] :

سقانـي بعينيه كأس الهوى وثنّـى وثلّـث بالحاجبِ
كأنّ العـذار علـى خدّهٍ فذالك من مشقـة الكاتبِ

ووجدت على ظهر دفتر عراقي الخط هذين البيتين منسوبين إليه [من الكامل] :

ردّوا الهدوَّ كما عهدت إلى الحشا والمقلتين إلى الكرى ثم اهجروا
من بعد ملكي رمتمُ أنْ تغدروا ما بعد فرقة بيِّعين تخيّرٌ[3]

وله زعم في الميضأة [من السريع] :

أحـقّ بيتٍ من بيوت الورى بصـونه قدماً وإيثاره
بيتٌ إذا [مـا] زاره زائرٌ فقـد قضـى أعظـم أوطاره[4]
يدخلـه المولـى بخـزٍّ كما يدخلـه العبـد بأطماره[5]
وهـو إذا ما كان مستنظفاً مروءة الإنسـان في داره

وأنشدني أبو بكر الخوارزمي ، قال : أنشدني بعضهم لنفسه في أبي الفتح ابن الكاتب ، ولم ينصف فضله [من السريع] :

إن أبـا الفتـح فتـىً كاتبٌ والشعـر من آلتـه فضلُ

---

(١) اصطبح واغتبق : أي شرب الخمرة صباحاً ومساءاً .
(٢) العارض : صفحة الخدّ ، ومشق : مدّ وأطال حرومه .
(٣) أخذ معناه من الحديث « البيعان بالخيار ما لم يتفرقا » .
(٤) أوطاره : حاجاته وغاياته .
(٥) الخزّ : ضربٌ فاخر من الحرير ، والأطمار : الثياب البالية .

أنشدنا شعراً فقلنا له : ذا غزلٌ ويحك أم غَزْلُ ؟
وملت عنه نحو أصحابنا أسألهم : هل عندكم نعل !؟

* * *

١١ ـ أبو الفرج العجلي الكاتب

أنشدني أبو بكر الخوارزمي له أبياتاً تعجب من سلاستها وسهولة مأخذها وعذوبة ألفاظها ، وذكر أنه من أفراد مطبوعي تلك البلاد ، فمنها قوله [من المتقارب] :

أقول له يا مُذيقي الهوى ولم أكُ فيما مضى ذقتُهُ
سألتك بالله لا تدنني إلى أجلٍ ما دنا وقته
ملكت فؤادي فعذّبته ولو أنّه في يدي صنته

ومنها قوله [من الكامل] :

أرسلت نظرة وامقٍ لك خائفٍ من عين واشٍ لحظه ما يفترُ[1]
وجعلت أوهم أنّ قلبي مضمرٌ شيئاً سوى نظري ، وأنت المضمر

ومنها قوله [من الخفيف] :

وأريه أنّي سلوت ، وإني لمشوقٌ والله صبٌّ إليهِ
وهواه يدبُّ في كلِّ قلبٍ كدبيب السواد في عارضيه[2]

ومنها قوله وأنشدنيه غيره [من الوافر] :

عذارٌ كالطّراز على الطراز وبدرٌ في الحقيقة لا المجازِ

---

(١) الوامق : المحب العاشق ، يفتر : يضعف وينكسر .
(٢) يدبُّ : يتمشّى .

ولـو جاز السجـود له سجدنا ولـكن ليس ذاك بمستجازِ

* * *

١٢ ـ أبو عبد الله الحسين بن خالويه*[١]

أصله من همذان ، ولكن استوطن حلب ، وصار بها أحد أفراد الدهر في كل قسم من أقسام الأدب والعلم ، وكانت إليه الرحلة من الآفاق ، وآل حمدان يكرمونه ، ويدرسون عليه ، ويقتبسون منه ، وله شعر لم يحضرني منه الآن إلا قوله في وصف بَرْدَ همذان [من الطويل] :

إذا همـذان اعتارهـا القـرُّ وانقضى برغمـك أيلـولٌ وأنـت مقيمُ[٢]
فعينـك عمشـاءٌ وأنفـك سائلٌ ووجهـك مسـودّ البياض بهيم
وأنـت أسيرُ البـرد تمشـي بعلّةٍ علـى السّيف تحبـو مرّةً وتقوم
بلادٌ إذا ما الصيف أقبـل جنّةٌ ولكنّهـا عنـد الشتـاء جحيم

ولبعضهم في برد همذان [من الكامل] :

همـذان متلفـة النفـوس ببردها والزمهـرير ، وحرُّهـا مأمونُ
غلـب الشتـاء مصيفهـا وخريفها فكأنّمـا تمـوزهـا كانـون

ولأبي علي كاتب بكر [من السريع] :

يـا بلـدةً أسـلمني بردها وبـرد من يسكنهـا للقلقْ
لا يسلـم الشاتـي به من أذىً من لثـقٍ أو دمـقٍ أو زلق[٣]

---

(١) إقرأ ترجمة ابن خالويه في ابن خلكان (١/ ٢٨١ النيل) .
(٢) اعتارها : حلّ بها ، والقرّ : البرد القارص .
(٣) اللثق : الوحل ، والدّمق : الريح التي يرافقها بَرْد ، والزلق : السقوط وزلّة القدم .

ولأبي الربيع البلخي في الشاش[1] [من المجتث] :

الشـاش في الصيف جَنَّة ومـن أذى الحـر جُنَّهْ[2]
لـكـنّنـي تعتـرينـي بهـا لدى البـرد جِنّهْ[3]

وفي مثل هذه الصنعة ، وإن كان في غير المعنى ، لغيره [من المجتث] :

يا شادنـاً متُّ قَبْلَهْ قد صار في الحسـن قُبْلَهْ
امنـنْ عليَّ بقبلـةٍ تشـفي فـؤاداً مـولَّـه[4]

ولابن خالويه ايضاً [من الطويل] :

إذا لم يكن صدر المجـالس سيّداً فلا خير فيمـن صدّرتـه المجالسُ
وكم قائـلٍ : ما لي رأيتـك راجلاً ؟ فقلـت له : مَن أجـل أنّـك فارس !

* * *

١٣ ـ أبو الفتح عثمان بن جني النحوي اللغوي*[5]

هو القطب في لسان العرب ، وإليه انتهت الرياسة في الأدب ، وصحب أبا الطيب دهراً طويلاً ، وشرح شعره ، ونبه على معانيه وإعرابه ، وكان الشعر أقـل خلاله لعظم قدره ، وارتفاع حالـه . فمـن ذلك قولـه في الغـزل [مـن مجـزوء الوافر] :

غـزالٌ غيـر وحشـيٍّ حكـى الوحشـيُّ مقلتَهُ
رآه الـورد يجنـي الور د فاستـكسـاه حـلَّـتـهُ

---

(١) الشاش : بلدة ممّا وراء النهر ينسب إليها كثير من العلماء .
(٢) جلة الأولى بفتح الجيم: البستان ، والثانية بضم الجيم : بمعنى الوقاية .
(٣) جنّة : بكسر الجيم : تعني الجنون .
(٤) امنن : تكرّم وتمنّن ، والواله : العاشق المعذب .
(٥) إقرأ ترجمة أبي الفتح في وفيات الأعيان لابن خلكان (١/ ٥٦١ النيل) .

وشـمّ بأنفـه الريحـا ن فاسـتهـداه زهرتـه
وذاقـت ريقـه الصهبـا ء فاختلسـتـه نكهتـه[1]

وله [من الطويل] :

أيا دارهـم ما أنـت أنـت مذ انتووا ولا أنـا مذ سار الـركاب أنـا أنا[2]
وجـود المنـى أن لا يكاثـر بالمنى ونيل الغنـى أن لا يكاثـر بالغنى
ومـن كان في الـدنيا أشـدّ تصوّراً تجـده عن الـدنيا أشـدُّ تصوّنا

* * *

١٤ ـ الشمشاطـي

هو أبو الفتح الحسن بن علي بن محمد ، لم يقع إلى من شعره إلا قوله في البنفسج [من الكامل] :

إشـربْ على زهـر البنفسـ ـج قبـل تأنيب الحسودِ
فـكـأنّـمـا أوراقـه آثـار قرصٍ في الخدودِ

وقوله في الجلنار [من الخفيف] :

وبـدا الجلّنـار مثـل خدودٍ قد كساهـا الحياءُ ثوبَ عقارِ
صبغـة الله كالعقيـق تراه أحمـراً ناصعـاً لدى الاخضرارِ

* * *

وممن يليق ذكره بهذا المكان من اعيان الشام ، وليس يحضرني شعـر أبـو القاسم الآدمي ، وإذا حصلت عليه الحقته به ، وهذا آخر الباب الرابع .

* * *

---

(١) اختلسته : أي سرقت منه ، والنكهة : المذاق .
(٢) انتووا : أي ابتعدوا وفارقوا .

البــاب الخامــس

١٥ ـ في ذكر أبي الطيب المتنبي ، وما له وما عليه*

هو ـ وإن كان كوفي المولد ـ شامي المنشأ ، وبها تخرج ، ومنها خرج .

نادرة الفلك ، وواسطة عقد الدهر في صناعة الشعر ، ثم هو شاعـر سيف الدولة المنسوب إليه ، المشهور به ، إذ هو الذي جذب بضبعـه[٢] ، ورفـع من قدره ، ونفق سعر شعره ، وألقى عليه شعاع سعادته ، حتى سار ذكره مسير الشمس والقمـر ، وسافـر كلامـه في البـدو والحضـر ، وكادت الليالـي تنشـده ، والأيام تحفظه ، كما قال وأحسن ما شاء [من الطويل] :

ومــا الدّهــر إلاّ من رواة قصائدي ... إذا قلـت شعـراً أصبـح الدهـر منشدا

فســار به من لا يسير مشمِّراً ... وغنّــى به من لا يغنّــي مغرِّدا[٣]

وكما قال [من المتقارب] :

ولــي فيك ما لم يقــلْ قائلٌ ... ومــا لم يســرْ قمــرٌ حيث سارا

وعنــدي لك الشّــردُ السائرا ... ت لا يختصصــن من الأرض دارا

إذا سرن من مَقْــولٍ مرّةً ... وثبــن الجبــال وخضــن البحارا

---

(١) إقرأ ترجمة أبي الطيب في وفيات الأعيان (١/ ٦٢/ النيل) .

(٢) جذب ضبعه : كناية عن أنه رفعه وأعلى قدره .

(٣) مشمّراً : جاداً .

هذا من أحسن ما قيل في وصف الشعر السائر ، وأبلغ منه قول علـي بن الجهم حيث قال [من الطويل] :

ولـكنّ إحســان الخليفــة جعفرٍ دعانــي إلــى ما قلــت فيه من الشِّعر
فســار مسير الشــمس في كلِّ بلدةٍ وهــبَّ هبـوب الـريح في البرِّ والبحر

فليس اليوم مجالس الدرس ، أعمر بشعر أبي الطيب من مجالس الأنس ولا أقلام كتاب الرسائل ، أجرى به من ألسـن الخطبـاء في المحافـل ، ولا لحـون المغنين والقوالين ، أشغل به من كتب المؤلفين والمصنفين . وقد ألفت الكتب في تفسيره ، وحل مشكله وعويصه ، وكثرت الدفاتر على ذكر جيده ورديئه ، وتكلم الأفاضل في الوساطة بينه وبين خصومه ، والإفصاح عن أبكار كلامه وعونه[١] . وتفرقوا فرقاً في مدحه والقدح فيه والنضح[٢] عنه ، والتعصب له وعليه . وذلك أول دليل دل على وفور فضله ، وتقدم قدمه ، وتفرده عن أهل زمانه ، بملك رقـاب القوافي ، ورق المعاني ، فالكامـل من عدت سقطاتـه ، والسـعيد من حسبـت هفواته « وما زالت الأملاك تهجي وتمدحُ » .

وأنا مورد في هذا الباب ذكر محاسنه ومقابحه ، وما يرتضى وما يستهجن من مذاهبه في الشعر وطرائقه ، وتفصيل الكلام في نقد شعره ، والتنبيه على عيونـه وعيوبه ، والإشارة إلى غرره وعرره[٣] ، وترتيب المختار من قلائده وبدائعه ، بعد الأخذ بطرف من طرق أخباره ومتصرفات أحواله ، وما تكثر فوائده وتحلو ثمرته ، ويتميز هذا الباب به عن سائر أبواب الكتاب كتميزه عن أصحابها بعلو الشأن في شعر الزمان ، والقبول التام عند أكثر الخاص والعام .

---

(١) العون : بضمّ العين ، جمع عوان وهي النصف من النساء .
(٢) النضح عنه : أراد الدفاع عنه .
(٣) الغرر : البدائع ، والعرر : الساقط من شعره .

ذكر ابتداء أمره

ذكرت الرواة أنه ولد بالكوفة في كندة سنة ثلاث وثلاثمائة ، وأن أباه سافر إلى بلاد الشام، فلم يزل ينقله من باديتها إلى حضرها ، ومن مدرها إلى وبرها ، ويسلمه في المكاتب ، ويردده في القبائل ، ومخايله نواطق الحسنى عنه . وضوامن النجح فيه ، حتى توفي أبوه وقد ترعرع أبو الطيب وشعر وبرع ، وبلغ من كبر نفسه وبعد همته أن دعا إلى بيعته قوماً من رائشي نبله[1] ، على الحداثة من سنه والغضاضة من عوده . وحين كاد يتم له أمر دعوته تأدى خبره إلى والي البلدة ، ورفع إليه ما هم به من الخروج ، فأمر بحبسه وتقييده ، وهو القائل في الحبس قصيدته التي أولها [من المتقارب] :

أيا خدَّد الله ورد الخدودِ ... وقدَّ قدود الحسان القدودِ

ومنها استعطافه ذلك الأمير والتنصل مما قذف به :

أمالك رقيّ ، ومن شأنه ... هبات اللجين وعتق العبيدِ
دعوتك عند انقطاع الرجا ... ء والموت منّي كحبل الوريدِ
دعوتك لما براني البلى ... وأوهن رجليَ ثقلُ الحديدِ

ومنها :

وقد كان مشيهما في النعال ... فقد صار مشيهما في القيود[2]
وكنت من الناس في محفلٍ ... فها أنا في محفلٍ من قرود
تعجّل فيَّ وجوب الحدود ... وحدِّيَ قبل وجوب السجود ![3]

---

(١) رائشي نبله : كناية عمّن يقوى بهم ساعده تقول راش النبل يريشه : إذا لزق فيه الريش ليقوى .
(٢) المشيهم : من الشيهم ، وهو ما عظم شوكه من ذكور القنافذ .
(٣) الحدود : تنفيذ أوامر الشريعة في المخالفين لها .

أي : إنما تجب الحدود على البالغ ، وأنا صبي لم تجب عليّ الصلاة بعد ، ويجوز أن يكون قد صغّر سنه وأمر نفسه عند الوالي ، لأن من كان صبياً لم يظن به اجتماع الناس إليه للشقاق والخلاف .

ومن شعره في الحبس ما كتب به إلى صديق له قد كان أنفذ إليه مبرَّة [من المنسرح] :

أهـون بطـول الثـواء والتلفِ والسجـن والقيد ، يا أبـا دلفِ
غير اختيارٍ قبلـت برَّك بي والجـوع يرضـي الأسـود بالجيف

يشبه قول أبي عيينة [من مخلع البسيط] :

مـا أنـت إلا كلحـم ميْتٍ دعـا لي إلـى أكلـه اضطرارُ

(رجع) :

كنْ أيّهـا السجـن كيف شئـت فقدْ وطّنـت للمـوت نفسَ معترِفِ
لو كان سكنـاي فيك منقصةً لم يكن الـدرُّ ساكن الصدف

ويحكى أنه تنبأ في صباه ، وفتن شرذمة بقوة أدبه ، وحسن كلامه ، وحكى أبو الفتح عثمان بن جني قال : سمعت أبا الطيب يقول : إنما لقبت بالمتنبي لقولي [من الخفيف] :

أنـا ترب النـدى وربُّ القوافي وسمـام العـدا وغيظُ الحسودِ
أنـا في أمَّـةٍ تداركهـا اللـ ـه غريبٌ كصالـحٍ في ثمودِ

وفي هذه القصيدة يقول :

مـا مقامـي بأرض نخلـة إلاّ كمقـام المسيـح بيـن اليهود

وما زال في برد صباه إلى أن أخلق برد شبابه ، وتضاعفت عقود عمره ، يدور حب الولاية والرياسة في رأسه ، ويظهر ما يضمر من كامن وسواسه ، في الخروج

على السلطان ، والاستظهار بالشجعان ، والاستيلاء على بعض الأطراف ، ويستكثر من التصريح بذلك في مثل قوله [من البسيط] :

لقد تصبّرت حتى لات مصطبرٍ ... فالآن أقحم حتى لات مقتحم[1]
لأتركنَّ وجوه الخيل ساهمةً ... والحرب أقوم من ساقٍ على قدم[2]
[والطعن يحرقها والزجر يقلقها ... حتّى كأنَّ بها ضرباً من اللممِ[3]
قد كلّمتها العوالي فهي كالحةٌ ... كأنَّما الصّاب مذرورٌ على اللجمِ][4]
بكلِّ منصلتٍ ما زال منتظري ... حتى أدلت له من دولة الخدمِ[5]
شيخٌ يرى الصلوات الخمس نافلةً ... ويستحلُّ دمَ الحجاج في الحرم

وقوله [من الطويل] :

سأطلب حقّي بالقنا ومشايخٍ ... كأنّهم من طول ما التثموا مردُ
ثقالٌ إذا لاقوا ، خفافٌ إذا دعوا ... كثيرٌ إذا شدّوا ، قليلٌ إذا عدّوا
وطعنٍ كأنّ الطّعن لا طعنَ بعده ... وضربٍ كأنّ النار من حرِّه بردُ
إذا شئت حفت بي على كلّ سابحٍ ... رجالٌ كأنّ الموت في فمها شهد[6]

وقوله [من الطويل] :

ولا تحسبنّ المجد زقّاً وقينةً ... فما المجد إلاّ السّيفُ والفتكةُ البكرُ
وتضريب أعناق الملوك وأن ترى ... لك الهبوات السود والعسكر المجر[7]

---

(١) لات : بمعنى النهاية أي تصبر حتى أخر الاصطبار .
(٢) ساهمة : ضامرة ضعيفه .
(٣) اللمم : ضرب من الجنون .
(٤) الصّاب : شجر مرّ ، وعصارته شديدة المرارة مذرور : نابت وطالع .
(٥) أدلت له : غلّبته وأظفرته .
(٦) السابح : الحصان .
(٧) الهبوّ : الغبار يرتفع في الجوّ .

وتــركك في الــدّنيا دوياً كأنّما تداول سمع المــرء أنملــه العشر[1]

وقوله [من البسيط] :

وإن عمــرْت جعلــت الحــرب والدةً والسمهــريَّ أخــاً ، والمشرفــيَّ أبا
بكلٍّ أشعــث يلقــى المــوت مبتسماً حتّــى كأنّ له في قتلــهِ أربا
قحٍّ يكاد صهيل الخيل يقذفه من سرجــه مرحــاً للعــزّ أو طربا[2]
الموت أعذرُلي ، والصبر أجمل بي ، والبــرُّ أوســع ، والــدنيا لمــن غلبا

وكان كثيراً ما يتجشم أسفاراً بعيدة أبعـد من آمالـه ، ويمشـي في منـاكب الأرض ، ويطوي المناهل والمراحـل ، ولا زاد إلا من ضرب الحـراب ، علـى صفحة المحراب[3] . ولا مطية إلا الخف أو النعل ، كما قال [من المنسرح] :

لا ناقتــي تقبــل الــرديف ولا بالسّــوط يوم الرهــان أجهدُها
شراكهــا كورهــا ، ومشفرها زمامهــا ، والشســوع مقودهــا[4]

وإنما ألم في هذا المعنى بأبي نواس في قوله [من الطويل] :

إليك أبــا العبــاس من بين من مشى عليهــا امتطينــا الحضرمــيّ الملسّنا[5]
قلائص لم تعــرفْ حنينــاً علــى طلا ولــم تدرِ ما قرع الفنيق ولا الهنا[6]

(١) تداول سمع المرء : أي جعل الإنسان أصابعه في أذنيه .
(٢) قحٌّ : خالص النسب ، جمعه أقحاح يقال: عربٌ أقحاح .
(٣) أراد بالمحراب هنا العنق ، يريد أنه ينهب الناس بعد ما يقتلهم .
(٤) الشسوع : حبل من جلد .
(٥) الحضرميّ الملسّنا : أراد النعل الذي يلبسه في رجله .
(٦) القلائص : النوق ، والطلا : الصغير من ولد الإبل والفنيق: الفحل من فحولة الأبل؛ الهنا : طلي الإبل ، الجربى بالقطران .

وكما قال في شكوى الدهر ووصف الخف [من الكامل] :

أظمتنـيَ الـدُّنيا فلمّـا جئتها مستسـقياً مطـرت علـيَّ مصائبا[1]
وحُبيت من خِوص الـرِّكاب بأسودٍ من دارشٍ فغدوت أمشـي راكبا[2]

وكما قال في الاعتداد بالرحلة ، والقدرة على الرجلة [من المنسرح] :

ومهمـهٍ جبتـهُ علـى قدمي تعجـز عنـه العـرامس الذُّلُلُ[3]
[بصارمـي مرتـدٍ ، بمخبرتي مجتـزىءٌ ، بالظّـلام معتملُ]
إذا صديقٌ نكرت جانبه لم تعينـي في فراقـهِ الحيلُ
فـي سعـة الخـافقين مضطربٌ وفـي بلاد من أختهـا بدلُ

وشتان ما بين حاله هذه والحالَ التي قال فيها [من البسيط] :

وعرَّفاهـمْ بأنّـي من مكارمه أقلّب الطـرف بين الخيل والخول[4]

وكان قبل اتصاله بسيف الدولة يمدح القريب والغريب ، ويصطـاد ما بين الكركي والعندليب .

ويحكى أن علي بن منصور الحاجب لم يعطه على قصيدته فيه التي أولها [من الكامل] :

بأبي الشمـوس الجانحـاتِ غواربا [اللابسـاتِ مـن الحـرير جلاببا]

---

(١) أظمتني : أصلها أظمأتني بالهمز - فسهّل الهمزة فصارت الفاً، ثم حذفها كما تحذف الألف الأصلية.
(٢) حُبت : أعطيت، والخوص : ورق النخل.
(٣) العرامس : النوق الشديدة ، والذلُلْ : جمع ذلول وهو سهلة القياد.
(٤) الخول: العبيد .

ومنها :

حالٌ متى علم ابن منصورٍ بها   جاء الزّمان إليَّ منها تائبا

إلا ديناراً واحداً ، فسميت الدينارية .

ولما انخرط في سلك سيف الدولة ، ودرّت له أخلاف الدنيا على يده ، كان من قوله فيه [من الطويل] :

تركت السُّرى خلفي لمن قلَّ ماله   وأنعلت أفراسي بنعماك عسجدا[1]
وقيَّدت نفسي في هواك محبَّةً   ومن وجد الإحسان قيداً تقيَّدا

وهذا البيت من قلائده ، وإنما ألم فيه بقول أبي تمام [من الكامل] :

هممي معلَّقةٌ عليك رقابها   مغلولةٌ ، إنّ الوفاء إسارُ

ولكنه أخذ عباءة وردها ديباجاً ، وأرسلها مثلاً سائراً ، وكرر هذا المعنى فزاد فيه حتى كاد يفسده في قوله [من الكامل] :

يا من يقتِّل من أراد بسيفه   أصبحت من قتلاك بالإحسان

* * *

نبذ من أخباره

لما أنشد سيف الدولة قصيدته التي أولها [من البسيط] :

أجاب دمعي وما الداعي سوى طللِ   دعا فلبّاه ، قبل الركب والإبلِ

وناوله نسختها وخرج فنظر فيها سيف الدولة ، فلما انتهى إلى قوله :

يا أيُّها المحسن المشكور من جهتي   والشكر من جهة الإحسان ، لا قبلي

---

(١) السُّرى : المسير ليلاً ، والعسجد الذهب.

[مـا كان نومـيَ إلاّ فوق معرفتي   بأنّ رأيك لا يؤتـى من الزَّلل]
أقـلْ أنـلْ أقطـعْ احمـلْ علْ سلْ أعد   زدْ هشّ بشّ تفضّـلْ أدنِ سرْ صلِ

وقع تحت أقل : قد أقلناك ، وتحت أنل : يحمل إليه من الدراهم كذا ، وتحت أقطع : قد أقطعناك الضيعة الفلانية ضيعة ببلاد حلب ، وتحت احمل : يقاد إليه الفرس الفلاني ، وتحت عل : قد فعلنا ، وتحت سل : قد فعلنا فاسل ، وتحت أعد : أعدناك إلى حالك من حسن رأينا ، وتحت زد : يزاد كذا ، وتحت تفضل : قد فعلنا ، وتحت أدن : قد أدنيناك ، وتحت سر : قد سررناك . وتحت صل : قد فعلنا .

قال ابن جني : فبلغني عن المتنبي أنه قال : إنما أردت سر من السرية ، فأمر له بجارية .

قال : وحكى لي بعض إخواننا أن المعقلي - وهو شيخ كان بحضرته ظريف - قال له - وحسد المتنبي على ما أمر به - : يا مولاي قد فعلت به كل شيء سألكه ، فهلا قلت له لما قال لك هش بش : هه هه هه ، يحكي الضحك ، فضحك سيف الدولة ، فقال له : ولك أيضاً ما تحب ، وأمر له بصلة .

وذكر القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز في كتاب « الوساطة » أن أبا الطيب نسج على منوال ديك الجن فقال [من الخفيف] :

احـل وامـررْ وضـر وانفـعْ ولِنْ واخـ   ـشنْ ورِشْ وابـرِ وانتـدبْ للمعالي

وحكى ابن جني قال : حدثني أبو علي الحسين بن أحمد الصنوبري ، قال : خرجت من حلب أريد سيف الدولة ، فلما برزت من السور إذا أنا بفارس متلثم قد أهوى نحوي برمح طويل ، وسدده الى صدري ، فكدت أطرح نفسي عن

الدابة فرقاً ، فلما قرب مني ثنى السنان وحسر لثامه[1] فإذا المتنبي ، وأنشدني [من الطويل] :

نثرنا رءوساً بالأحيدب منهم كما نثرت فوق العروس الدراهم

ثم قال : كيف ترى هذا القول ؟ أحسن هو ؟ فقلت له : ويحك ! قد قتلتني يا رجل ، قال ابن جني : فحكيت أنا هذه الحكاية بمدينة السلام لأبي الطيب ، فعرفها وضحك لها ، وذكر أبا علي من التقريظ والثناء بما يقال في مثله .

قال : وأنشدت أبا علي ليلاً قصيدة أبي الطيب التي أولها [من البسيط] :

* واحرّ قلباه ممّن قلبه شبم[2] *

فلما وصلت إلى قوله فيها :

وشرّ ما قنصته راحتي قنصٌ شهب البزاة سواءٌ فيه والرّخم[3]

أعجب جداً به ، ولم يزل يستعيده ، حتى حفظه ، ومعناه : إذا تساويت ومن لا قدر له في أخذ عطاياك فأي فضل لي عليه ؟ وما كان من الفائدة كذا لم أفرح به ، وإنما أفرح بأخذ ما تختص به الأفاضل .

قال : وحدثني المتنبي قال : حدثني فلان الهاشمي من أهل حران بمصر ، قال : أحدثك بطريفة ، كتبت إلى امرأتي وهي بحران كتاباً تمثلت فيه ببيتك [من البسيط] :

بم التعلّل لا أهلٌ ولا وطنٌ ولا نديمٌ ولا كأسٌ ولا سكنُ ؟

---

(١) حسر لثامه : أزاله عن وجهه فانكشف وظهر.

(٢) الشبم : البارد ، لأنّ قلبه لم يداخله الحب حتى يحترق بناره.

(٣) الرّخم : طائر من الجوارح يشبه النسر.

فأجابتني عن الكتاب ، وقالت : ما أنت والله كما ذكرته في هذا البيت ، بل أنت كما قال الشاعر في هذه القصيدة :

سهـرت بعـد رحيلـي وحشـةً لكمُ ثم استمـرّ مريري وارعـوى الوسن[1]

قال : ولما سمع سيف الدولة البيت الذي يتلوه وهو قوله :

وإن بليت بودٍّ مثـل ودكمُ فإنّنـي بفـراقٍ مثلـه قِمنُ[2]

قال : سار وحق أبي .

قال : ولما سمع قوله لفنا خسرو [من المنسرح] :

وقـد رأيت الملـوك قاطبةً وسـرت حتـى رأيت مولاها

قال : ترى هل نحن في الجملة ؟

سمعت أبا بكر الخوارزمي يقول : كان أبو الطيب المتنبي قاعداً تحت قول الشاعر [من الطويل] :

وإنّ أحـقّ النـاس باللـوم شاعرٌ يلـوم علـى البخـل الرجـال ويبخلُ

وإنما أعرب عن عادته وطريقته في قوله [من الطويل] :

بليت بلـى الأطـلال إن لم أقفْ بها وقوف شحيحٍ ضاع في التـرب خاتمه

فحضرت عنده يوماً بحلب وقد أحضر مالاً من صلات سيف الدولة ، فصب بين يديه على حصير قد افترشه ، ووزن وأعيد في كيس ، وإذا بقطعة كأصغر ما يكون من ذلك المال قد تخللت خلل الحصير ، فأكب عليها بمجامعه ينقرها ويعالج استنقاذها منه ، ويشتغل بذلك عن جلسائه حتى توصل إلى إظهار

---

(١) استمرّ مريري : قوي بعد ضعف والمرير : العزيمة وارعوى : تراجع ، والوسن: النعاس.

(٢) القمن : الجدير .

بعضها ، فتمثل ببيت قيس بن الخطيم [من الطويل] :

تبـدَّتْ لنـا كالشـمس بين غمامةٍ بدا حاجـبٌ منهـا وضنَّت بحاجبِ[1]

ثم استخرجها ، وأمر بإعادتها إلى مكانها من الكيس ، وقال : إنها تحضر المائدة .

وسمعته يقول : لما أنشد المتنبي عضد الدولة قصيدته فيه التي أولها [من الوافر] :

* مغاني الشعب طيباً في المغاني *

وانتهى إلى قوله فيها .

وألقـى الشـرق منهـا في ثيابي دنـانيراً تفـرُّ من البنان

قال له عضد الدولة : لأقرنها في يديك ، ثم فعل .

قال : ولما قدم أبو الطيب من مصر بغداد ، وترفع عن مدح المهلبي الوزير ، ذهاباً بنفسه عن مدح غير الملوك ، شق ذلك على المهلبي ، فأغرى به شعراء بغداد ، حتى نالوا من عرضه ، وتباروا في هجائه ، وفيهم ابن الحجاج وابن سكرة [محمد بن عبد الله الزاهد] الهاشمي ، والحاتمي ، وأسمعوه ما يكره ، وتماجنوا به ، وتنادروا عليه ، فلم يجبهم ولم يفكر فيهم ، وقيل له في ذلك ، فقال : إني فرغت من إجابتهم بقولي لمن هم أرفع طبقة منهم في الشعراء [من الوافر] :

أرى المتشاعـرين غروا بذمّي ومـن ذا يحمـل الـدّاء العضالا[2]

ومـن يك ذا فمٍ مرٍّ مريضٍ يجـد مرّاً به المـاء الزلالا

---

(١) تبدّت : ظهرت .

(٢) غروا : أولعوا .

وقولي [من الطويل] :

أفـي كلّ يومٍ تحـت ضبنـي شويعرٌ ... ضعيفٌ يقاوينـي قصيرٌ يطاولُ[1]
لسانـي بنطقـي صامـتٌ عنـه عادلٌ ... وقلبـي بصمتـي ضاحـكٌ منـه هازلُ
وأتعـب من ناداك من لا تجيبه ... وأغيظ من عاداك من لا تشاكلُ
ومـا التّيه طِبِّـي فيهـمُ غير أنني ... بغيضٌ إلـيَّ الجاهـل المتعاقل[2]

وقولي [من الكامل] :

وإذا أتتـك مذمّتـي من ناقصٍ ... فهـي الشهـادة لي بأنِّـي فاضل

قال : وبلغ أبا الحسين بن لنكك بالبصرة ما جرى على المتنبي من وقيعة شعراء بغداد فيه ، واستحقارهم له ، وكان حاسداً له ، طاعناً عليه ، هاجياً إياه ، زاعماً أن أباه كان سقاء بالكوفة فشمت به وقال [من البسيط] :

قولا لأهـل زمـانٍ لا خلاق لهم ... ضلّوا عن الرشد من جهلٍ بهم وعموا
أعطيتـم المتنبـي فوق منيته ... فزوّجـوه برغـمٍ أمَّهاتكمُ
لكنّ بغـداد جاد الغيث سَاكنها ... نعالهـم في قفـا السقّـاء تزدحم

قال : ومن قوله فيه [من الخفيف] :

متنبِّيكُمُ ابـن سقّـاء كوفا ... ن ويوحـى من الـكنيف إليه[3]
كان من فيه يسلـح الشعـر حتى ... سلحـت فقحـةُ الزمـان عليه

ومن قوله أيضاً فيه [من المجتث] :

مـا أوقـح المتنبّـي ... فيمـا حكـى وادّعـاهُ

---

(١) الضبن : بكسر الضاد وسكون الباء ، ما بين الكشح والإبط.
(٢) التيه :التكبّر والعجب، وطبّي : عادتي وخلقي.
(٣) الكنيف : المرحاض .

أبيح مالاً عظيماً حتى أباح قفاه
يا سائلي عن غناه من ذاك كان غناه
إن كان ذاك نبياً فالجاثليق إلّه

ثم إن أبا الطيب المتنبي اتخذ الليل جملاً ، وفارق بغداد متوجّهاً إلى حضرة أبي الفضل بن العميد مراغماً للمهلبي الوزير ، فورد أرجان ، وأحمد مورده ، فيحكى أن الصاحب أبا القاسم طمع في زيارة المتنبي إياه بأصبهان ، وإجرائه مجرى مقصوديه من رؤساء الزمان ، وهو إذ ذاك شاب وحاله حويلة ، ولم يكن استوزر بعد ، وكتب إليه يلاطفه في استدعائه ، وتضمن له مشاطرته جميع ماله ، فلم يقم له المتنبي وزناً ، ولم يجبه عن كتابه ولا إلى مراده ، وقصد حضرة عضد الدولة بشيراز ، فأسفرت سفرته عن بلوغ الأمنية ، وورود مشرع المنية ، واتخذه الصاحب غرضاً يرشقه بسهام الوقيعة ، ويتتبع عليه سقطاته في شعره وهفواته ، وينعي عليه سيئاته ، وهو أعرف الناس بحسناته، وأحفظهم لها ، وأكثرهم استعمالاً إياها وتمثلاً بها في محاضراته ومكاتباته ، وكان مثله معه كما قال الشاعر [من الرجز] :

شتمت من يشتمني مغالطاً لأصرف العاذل عن لجاجتهْ
فقال: لمّا وقّع البزّاز في الثوب علمنا أنّه من حاجتهْ[1]

وكما قال الآخر [من الطويل] :

وذمّوا لنا الدنيا وهم يرضعونها ولم أر كالدُّنيا تذمُّ وتحلب[2]

وكما قال الآخر [من البسيط] :

(١) البزّاز : بائع البز.
(٢) يرضعونها : أي يشربون لبنها ، وتحلب : يستخرج لبنها .

نُبِّئتُ أنّي إذا ما غبت تشتمني   قل ما بدا لك فالمحبوب مسبوبُ

* * *

قطعة من حل الصاحب وغيره نظم المتنبي واستعانتهم بألفاظه ومعانيه في الترسل

فصل له من رسالة في وصف قلعة افتتحها عضد الدولة :

وأما قلعة (كذا) فقد كانت بقية الدهر المديد ، والأمد البعيد ، تعطس بأنف شامخ من المنعة ، وتنبو بعطف جامع على الخطبة ، وترى أن الأيام قد صالحتها على الإعفاء من القوارع ، وعاهدتها على التسليم من الحوادث ، فلما أتاح الله للدنيا ابن بجدتها ، وأبا بأسها ونجدتها ، جهلوا بون ما بين البحور والأنهار ، وظنوا الأقدار تأتيهم على مقدار ، فما لبثوا أن رأوا معقلهم الحصين ومثواهم القديم ، نهزة الحوادث ، وفرصة البوائق ، ومجر العوالي ، ومجرى السوابق .

وإنما ألم بألفاظ بيتين لأبي الطيب أحدهما [من الكامل] :

حتّى أتى الدنيا ابن بجدتها   فشكا إليه السّهل والجبل[1]

والآخر [من الطويل] :

تذكّرت ما بين العذيب وبارق   مجرّ عوالينا ومجرى السوابقِ[2]

وفصل له ـ لئن كان الفتح جليل الخطر ، عظيم الأثر ، فإن سعادة مولانا لتبشر بشوافع له ، يعلم معها أن لله أسراراً في علاه لا يزال يبديها ، ويصل أوائلها بتواليها .

---

(١) ابن بجدتها : أي العالم بالشيء المتقن له .

(٢) العوالي : الرماح ، والسوابق : الخيل.

وهو من قول أبي الطيب [من الطويل] :

ولله سرٌّ في علاك ، وإنّما كلام العـدى ضربٌ من الهذيانِ

فصل ـ ولو كان ما أحسنه شظية في قلم كاتب لما غيرت خطه ، أو قذى في عين نائم لما انتبه جفنه .

وهو من قول أبي الطيب [من الطويل] :

ولـو قلـمٌ ألقيت في شقّ رأسهِ من السقـم ما غيّرت من خط كاتبِ

وقول نصر [من السريع] :

ضنيت حتـى صرت لو زجّ بي في ناظـر النائـم لـم ينتبهْ[1]

ومنه أخذ ابن العميد قوله [من الكامل] :

فلـو انّ ما أبقيت في جسـدي قذى في العين لم يمنـع من الإغفاء

فصل للصاحب في التعزية ـ إذا كان الشيخ القدوة في العلم وما يقتضيه ، والأسوة في الدين وما يجب فيه ، لزم أن يتأدب في حالات الصبر والشكر بأدبه ، ويؤخذ في ثارات الأسى والأسى بمذهبه ، فكيف لنا بتعزيته عند حادث رزيته ، إلا إذا روينا له بعض ما أخذناه عنه ، وأعدنا إليه طائفة مما استفدناه منه .

وإنما هو حل من قول أبي الطيب [من الخفيف] :

أنـت يا فوق أن يعـزى عن الأحـ ـبـاب فوق الـذي يعـزّيك عقلا

وبألفاظـك اهتـدى فإذا عزّا ك قال الـذي له قلـت قبلا

وفصل له ـ وقد أثنى عليه ثناء لسان الزهر ، على راحة المطر .

---

(١) ضنيت : هزلت وضعفت.

وهو من قول أبي الطيب [من الكامل] :

وذكيٌّ رائحة الرياض كلامها ... تبغي الثناء على الحيا فيفوح[1]

والأصل فيه قول ابن الرومي [من الخفيف] :

شكرت نعمة الوليّ على الوسمـيِّ ثم العهاد بعد العهاد[2]

فهي تثني على السماء ثناءً ... طيّب النّشر شائعاً في البلاد

من نسيم كأنّ مسراه في الأر ... واح مسرى الأرواح في الاجساد

ومما أورده من أبيات أبي الطيب كما هي قوله في كتاب أجاب به ابن العميد عن كتابه الصادر إليه عن شاطىء البحر في وصف مراكبه وعجائبه :

وقد علمت أن سيدنا كتب وما أخطر بفكره ، سعة صدره ، ولو فعل ذلك لرأى البحر وشلاً لا يفضل عن التبرض[3] ، وثمداً لا يكثر عن الترشف[4] [من الطويل] :

وكم من جبالٍ جبت تشهد أنّني الـ ... ـجبال وبحرٍ شاهدٍ أنّني البحرُ[5]

وله من رسالة في التهنئة ببنت أولها ـ أهلاً بعقيلة النساء ، وكريمة الآباء ، وأم الأبناء ، وجالبة الأصهار ، والأولاد الأطهار ، ثم يقول فيها [من الوافر] :

ولو كان النساء كمثل هذي ... لفضّلتِ النّساء على الرجالِ

---

(١) الحيا : المطر ، شبه رائحة أزهار الرّياض بالكلام ، ثم بيّن أن الرياض أرادت أنّ تتحدّث عن صنائع المطر فأرسلت عبير أزهارها تحدِّث عنه.

(٢) الولي : المطر بعد المطر ، والوسميّ : مطر الربيع والعِهاد : أوّل المطر.

(٣) الوشل : القليل من الماء ، والتبرّض : الاكتفاء والتبلّغ بالقليل، ولا يفضل عنه : لا يزيد على قدره.

(٤) الثمد : الماء القليل ، والترشّف: أخذ الماء جرعة بعد جرعة.

(٥) جبت : قطعت.

وما التأنيث لاسم الشمس عيبٌ ولا التذكير فخرٌ للهلال

وهما لأبي الطيب من قصيدة في مرثية والدة سيف الدولة إلا أنه يقول :

* ولو كان النساء كمن فقدنا *

وللصاحب من كتاب تعزية ـ وقلنا : قد أخذ الزمان من أخذ ، وترك من ترك ، فهو لا شك يعفو عن القمر ، وقد أسلم الشمس للطفل[1] ولا يصل الصروف بالصروف ، ولا يجمع الكسوف إلى الخسوف ، فأبي حكم الملوين ، وقد غبنك إذ قاسمك الأخوين ، إلا أن يعود فيلحق الباقي بالفاني ، والغابر بالماضي [من البسيط] :

وعاد في طلب المتروك تاركهُ إنَّا لنفعل والأيام في الطلبِ
ما كان أقصر وقتاً كان بينهما كأنّه الوقت بين الورد والقرب

أقول : هذا كعادة المصدور في النفث ، وشكوى الحزن والبث ، وإلا فما يعجب السفر من تقدم بعض ، وكل بين الراحلة والرحل ، لا يترك الموت ساعياً على وجه الأرض ، حتى ينقله إلى بطن الترب [من السريع] :

نحن بنو الموتى فما بالنا نعاف ما لا بدّ من شربهِ
تبخل أيدينا بأرواحنا على زمانٍ هنّ من كسبه
فهذه الأرواح من جوِّه وهذه الأجسام من تربه

وهذا غيض من فيض ما اغترفه الصاحب من بحر المتنبي ، وتمثل به من شعره . ولو ذكرت نظائره لامتد نفس هذا الباب .

وليس هو بأوحد في الاقتباس من كلامه ، هذا أبو إسحاق الصابي رسيله في

---

(١) الطَفَل : بفتح الطاء والفاء، الوقت عند الغروب.

ذلك وزميله ، وقد قرأت له غير فصل فيما أشرت إليه ، ونبهت عليه : فمنه ما كتب في تقريظ ـ شاب مقتبل الشبيبة ، مكتهل الفضيلة ، ولقد آتاه الله في اقتبال العمر جوامع الفضل ، وسوغه في عنفوان الشباب محامد الاستكمال ، فلا تجد الكهولة خلة تتلافاها بتطاول المدة ، وثلمة تسدها بمزايا الحنكة .

وإنما هو حل نظم أبي الطيب ، وإن كان في معنى آخر [من المنسرح] :

لا تجد الخمر في مكارمه إذا انتشى خلّةً تلافاها[1]

وأخذ من قول البحتري [من الطويل] :

تكرّمت من قبل الكؤوس عليهِم فما اسطعن أن يحدثن فيك تكرُّما

ومنه ما كتب إلى ابن معروف تهنئة بقضاء القضاة ـ منزلة قاضي القضاة تجل عن التهنئة ، لأن ما تكتسبه الولاة بها من الصيت والذكر ، ويدرعونه فيها من الجمال والفخر ، سابق لها عنده ، وحاصل قبلها له ، وإذا مد أحدهم إليها يداً تجذبها إلى سفال ، جذبتها يده إلى المحل العالي ، فكأن أبا الطيب المتنبي عناه أو حكاه بقوله [من الكامل] :

فوق السماء وفوق ما طلبوا فإذا أرادوا غايةً نزلوا

ومنه ما كتب ـ وعاد مولانا إلى مستقر عزه عود الحلي إلى العاطل ، والغيث إلى الروض الماحل .

وإنما من قول أبي الطيب [من المتقارب] :

وعدت إلى حلبٍ ظافراً كعود الحليِّ إلى العاطلِ[2]

---

(1) الخلّة : الصداقة وتلافاها : توقّاها وتجنّبها.

(2) العاطل : يقال جيدٌ عطل أي خالٍ من الحليّ.

وإذا كان هذان الصدران المقدمان على بلغاء الزمان يقتبسان من أبي الطيب في رسائلهما ، فما الظن بغيرهما ؟ وما أحسن قول الشاعر [من الطويل] :

ألا إن حلّ الشعر زينة كاتبٍ ولكنّ منهمْ من يحلُّ فيعقِدُ

وممن يحذو حذوهما الأستاذ أبو العباس أحمد بن إبراهيم الضبي ، وما أظرف ما قرأت له في كتابه إلى أبي سعيد الشبيبي :

وقد أتاني كتاب شيخ الدولتين فكان في الحسن ، روضة حزن[1] بل جنة عدن . وفي شرح النفس ، وبسط الأنس ، برد الأكباد والقلوب ، وقميص يوسف في أجفان يعقوب .

وهو من بيت أبي الطيب [من البسيط] :

كأنّ كلّ سؤالٍ في مسامعه قميص يوسف في أجفان يعقوبِ

وفصل لأبي بكر الخوارزمي ـ وكيف أمدح الأمير بخلق ضن به الهواء ، وامتلأت من ذكره الأرض والسماء ، وأبصره الأعمى بلا عين وسمعه الأصم بلا أذن .

وهو حل نظم أبي الطيب [من المنسرح] :

تنشد أثوابنا مدائحهُ بألسنٍ ما لهنّ أفواهُ
إذا مررنا على الأصمّ بها أغنته عن مسمعيه عيناهُ

ولأبي بكر من رسالة ـ ولقد تساوت الألسن حتى حسد الأبكم ، وأفسد الشعر حتى أحمد الصمم .

---

(١) موضعٌ في ديار بني يربوع يشتمل على قيعان ورياض .

وهو قول أبي الطيب [من البسيط] :

ولا تبال بشعرٍ بعد شاعره ... قد أفسد القول حتّى أُحمد الصممُ

وهذا ميدان عريض ، وشوط بطين ، وفيما ذكرته كفاية .

* * *

ولاستراقات الشعراء من أبي الطيب باب هذا مكانه .

* * *

أنموذج لسرقات الشعراء منه

١ ـ قال المتنبي [من الوافر] :

وقد أخذ التّمام البدر فيهمْ ... وأعطاني من السّقم المحاقا[١]

أخذه أبو الفرج الببغاء فلطفه وقال [من الكامل] :

أوليس من إحدى العجائب أنّني ... فارقته وحييت بعد فراقه
يا من يحاكي البدر عند تمامه ... ارحمْ فتىً يحكيه عند محاقه

٢ ـ وقال أبو الطيب [من البسيط] :

قد علّم البين منّا البين أجفانا ... تدمى ، وألّف ذا القلب أحزانا[٢]

أخذه المهلبي الوزير وقال [من الطويل] :

تصارمت الأجفان منذ صرمتني ... فما تلتقي إلاّ على عبرةٍ تجري

---

(١) المحاق : وقت سرار القمر وخفائه .
(٢) البين : الفراق، وألّف : أوجد .

٣ ـ وقال أبو الطيب وهو من قلائده [من الطويل] :

وكنـت إذا يمّمـت أرضـاً بعيدةً ... سريت فكنـت السـرَّ والليل كاتمهْ

أخذه الصاحب وقال [من الطويل] :

تجشّمتهـا والليل وحفٌ جناحه ... كأنّـيَ سرٌّ والـظـلام ضميرُ[1]

٤ ـ وقال أبو الطيب ، وهو أيضاً من قلائده [من الوافر] :

لبسـن الـوشـيَ لا متجمّلاتٌ ... ولـكن كي يصـنَّ به الجمالا

أغار عليه الصاحب لفظاً ومعنى فقال [من الطويل] :

لبسـن برود الوشـي لا لتجمّلٍ ... ولـكن لصـون الحسـن بين برود

وإنما فعل ببيتيه ما فعل أبو الطيب ببيت العباس بن الأحنف [من الكامل] :

والنجـم فـي كبـد السمـاء كأنّه ... أعمـى تحيّـر ما لديه قائدُ

فقال [من المنسرح] :

ما بال هذي النجـوم حائرةً ... كأنّهـا العمـى ما لهـا قائد

وهذه مصالتة لا سرقة[2] ، وهي مذمومة جداً عند النقدة .

٥ ـ وقال أبو الطيب ، وهو من فرائده [من الطويل] :

سقـاك وحيّانـا بك الله ، إنّما ... علـى العيس نورٌ والخـدور كمائمهْ

أخذه السري بن أحمد ، قال ابن جني : أنشدني لنفسه من قصيدة يمدح بها أبا

---

(١) تجشّم : كابد ، والوحف : الشعر الأسود.

(٢) المصالتة : أن يأخذ الشاعر معنى بيت من أبيات شاعر آخر، ولا يكتفي بهذا حتى يضمّ إليه ألفاظ البيت المأخوذ أو بعضها.

الفوارس سلامة بن فهد ، وهي قوله [من المنسرح] :

حيًّا به الله عاشقيه فقد أصبح ريحانةً لمن عشقا

ولم أجد أنا هذه القصيدة في ديوان شعره ، والبيت نهاية في العذوبة ، وخفة الروح .

٦ ـ والسري كثير الأخذ من أبي الطيب في مثل قوله [من الوافر] :

وخرقٍ طال فيه السَّير حتى حسبناه يسير مع الركابِ

وهو مأخوذ من قول أبي الطيب [من الطويل] :

يخدن بنا في جوزه وكأنّنا على كرةٍ أو أرضه معنا سفرُ(١)

٧ ـ وقال السري [من الكامل] :

وأحلّها من قلب عاشقها الهوى بيتاً بلا عمدٍ ولا أطنابِ

وهو من قول أبي الطيب [من البسيط] :

هام الفؤاد بأعرابيةٍ سكنتْ بيتاً من القلب لم تضرب به طنبا(٢)

٨ ـ وقال السري [من الكامل] :

وأنا الفداء لمن مخيلةُ برقهِ عندي وعند سواي من أنوائه(٣)

وإنما ألم فيه بقول أبي الطيب [من البسيط] :

ليت الغمام الذي عندي صواعقه يزيلهنّ إلى من عنده الدِّيمُ

(١) يخدن : يهتمُّ ويحدب ، والخدن : الصديق.
(٢) الطنب : الحبال.
(٣) الأنواء : المطر.

٩ ـ وقال أبو الطيب ، وهو من قلائده [من الوافر] :

فإن تفق الأنام وأنت منهم فإن المسك بعض دم الغزال

وقال أيضاً [من الوافر] :

وما أنا منهمُ بالعيش فيهم ولكن معدن الذهب الرغام(١)

أخذ أبو بكر الخوارزمي معنى البيتين ، وهما قريب من قريب ، فقال [من الوافر] :

فديتك ما بدا لي قصد حرٍّ سواك من الورى إلاّ بدالي
وأنك منهمُ وكذاك أيضاً من الماء الفرائد واللآلي
وتسكن دارهم وكذاك سكنى الـ ـحجارة والزّمرد في الجبال

وهذا معنى قد اخترعه المتنبي ، وكرره في تفضيل البعض على الكل ، فأحسن غاية الإحسان حيث قال [من الطويل] :

فإن يك سيّار بن مكرم إنقضى فإنك ماء الورد إن ذهب الورد

١٠ ـ وقال [من البسيط] :

وإن تكن تغلبُ الغلباء عنصرها فإنّ في الخمر معنىً ليس في العنب

ألم به أبو الفتح علي بن محمد البستي الكاتب فقال [من الطويل] :

أبوك حوى العليا وأنت مبرّزٌ عليه إذا نازعته قصب المجدِ
وللخمر معنىً ليس في الكرم مثله وفي النار نورٌ ليس يوجد في الزّند
وخيرٌ من القول المقدّم فاعترفْ نتيجته والنّحل يكرم للشهدِ

(١) الرغام : التراب.
(٢) الزند: الذي تورى به النار.

وقال أيضاً [من الطويل] :

أبـوك كريمٌ غير أنّـك سابقٌ مداه بلا ضيمٍ عليه ولا ذيم[1]
فلا يعجبـنّ النـاس ممـا أقوله وأقضـي به فالغيث أنـدى من الغيم

١١ ـ وقال أبو الطيب [من الوافر] :

وصـرت أشـكُّ فيمـن أصطفيه لعلمـيَ أنَّـهُ بعض الأنـامِ

أخذه أبو بكر الخوارزمي فقال [من الرمل] :

قـد ظلمناك بحسـن الـ ـظـنّ يـا بعض الأنـامِ

١٢ ـ وقال أبو الطيب [من البسيط] :

أتـى الزّمـان بنـوه في شبيبتهِ فسرَّهـمْ وأتينـاه علـى الهرم

أخذه أبو الفتح وحسنه فقال [من البسيط] :

لا غرو إن لم تجد في الدّهـر مخترفاً فقـد أتينـاه بعـد الشيب والخرف

١٣ ـ وقال أبو الطيب [من الطويل] :

هما الغرض الأقصى ، ورؤيتك المنى ومنـزلك الـدنيا ، وأنـت الخلائق

امتثله أبو الحسن السلامي فقال [من الطويل] :

وبشَّـرت آمالـي بملكٍ هو الورى ودارٍ هي الـدنيا ، ويومٍ هو الدهر

١٤ ـ وقال أبو الطيب [من الخفيف] :

لم تزلْ تسمـع المـديح ولكـــن صهيل الجياد غير النهاقِ

---

(١) الذيم والذام : العيب.

أخذه أبو القاسم الزعفراني ولطفه جداً فقال [من الخفيف] :

وتغنّيك في النداء طيورٌ أنـا وحـدي ما بينهـن الهزار

* * *

وإذ قد ذكرت أنموذجاً من سرقات الشعراء منه ، فلا بأس أن أذكر سرقاته من الشعراء ، سوى ما أورده القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز في كتاب « الوساطة » فشفى وكفى وبالغ فأوفى ، وسوى ما مر ويمر منها في أماكنها من فصول هذا الكتاب .

صـدر مـن سرقاتـه

١ ـ قال مخلد الموصلي [من مخلع البسيط] :

يا منـزلاً ضنّ بالسـلام سقيـت ريّاً من الغمامِ
مـا ترك الدهـر منـك إلاّ ما ترك الشـوق من عظامي

أخذه أبو الطيب فجوّده حيث قال [من البسيط] :

ما زال كلُّ هزيم الـودق ينحلها والشوق ينحلني حتى حكت جسدي[1]

٢ ـ وقال عمرو بن كلثوم [من الوافر] :

فـآبـوا بالنهـاب وبالسبايا وإبنـا بالملـوك مصـفّـدينا

أخذه أبو تمام فأحسن إذ قال [من البسيط] :

إنّ الأسـود أسـود الغـاب همّتها يوم الكريهة في المسلوب لا السلب[2]

---

(١) هزيم الودق : أي المطر المندفع، وينحلها : يخصُّها وحكت : شابهت وماثلت.
(٢) الكريهة : الحرب.

وأخذه أبو الطيب فلم يحسن في تكرير لفظ النهب وذكر القماش إذ هو من ألفاظ العامة [من الوافر] :

ونهــب نفــوس أهــل النّهــب أولى   بأهــل المجــد من نهــب القماشِ

٣ ـ وقال بشار بن برد [من الطويل] :

كأنّ مثــار النقــع فوق رؤوسنا   وأسيافنــا ليلٌ تهــاوى كواكبُه[1]

أخذه أبو الطيب وذكر الرماح مكان الأسياف فقال [من الكامل] :

وكأنّمــا كســيَ النّهــار بهــا دجى   ليلٍ ، وأطلعــت الرّمــاح كواكبا

٤ ـ وقال مسلم بن الوليد [من الطويل] :

أرادوا ليخفــوا قبــره من عدوّه   فطيْبُ تراب القبــر دلّ علــى القبرِ

ألم به أبو الطيب فقال [من الوافر] :

ومــا ريح الــرياض لهــا ولكنْ   كساهــا دفنهــم في التّــرب طيبا

٥ ـ وقال الفرزدق [من البسيط] :

وكنــت فيهــم كممطــورٍ ببلدته   يســرّ أن جمــع الأوطــان والمطرا

أخذه أبو الطيب فقال [من الطويل] :

وليس الــذي يتبــع الوبــل رائداً   كمــن جاءه في داره رائــد الوبل

٦ ـ وفي قوله في هذه القصيدة [من الطويل] :

وخيلٍ إذا مرّت بوحشٍ وروضةٍ   أبــت رعيهــا إلاّ ومرجلنــا يغلي

---

(١) النقع : الغبار

رائحة من قول امرىء القيس [من الطويل] :

إذا ما ركبنا قال ولدانُ أهلنا : تعالوا إلى أن يأتيَ الصّيد نحطبِ[1]

٧ ـ وقال أبو نواس ، ويقال : إنه أمدح بيت للمحدثين [من البسيط] :

وكلت بالدهر عيناً غير غافلةٍ بجود كفّيك تأسو كلّ ما جرحا[2]

أخذه أبو الطيب وزاد فيه حسن التشبيه فقال [من الطويل] :

تتبع آثار الرزايا بجوده تتبّع آثار الأسنّة بالقتل[3]

٨ ـ وقال أبو نواس ، وهو من قلائده في وصف الخمر [من الطويل] :

إذا ما أتت دون اللهاة من الفتى دعا همّه من صدره برحيل

أخذه أبو الطيب ونقله إلى معنى آخر فقال [من الطويل] :

وما هي إلاّ لحظةٌ بعد لحظةٍ إذا نزلت في قلبه رحل العقل

٩ ـ وقال ابن أبي عيينة ، ويروي للخليل [من البسيط] :

زرْ واديَ القصر ، نعم القصر والوادي في منزل حاضرٍ ، إن شئتَ ، أو بادي
ترقى به السفن والظلمان حاضرةً والضبُّ والنون والملاح والحادي[4]

وهذا أحسن ما قيل في وصف مكان يجمع بين أوصاف البر والبحر والحاضرة والبادية ، ألم به أبو الطيب في وصف متصيد عضد الدولة بناحية سهلية

---

(١) نحطب : نجمع الحطب.
(٢) تأسو : تطيّب وتخفّف الجراح.
(٣) الرزايا : المصائب، والأسنّة الرماح وغيرها من عدّة الحرب.
(٤) الظلمان: جمع ظليم ، وهو ذكر النعام، والنون : الحوت والحادي من يسوق الإبل ويزجرها.

جبلية تجمع الأضداد [من الرجز] :

سـقياً لدشـت الأرزن الطوال بين المـروج الفيح والأغيال[1]
مجـاور الخنـزير والرئبال دانـي الخنـانيص من الأشبال[2]
مستشـرف الـدبّ علـى الغزال مجتمـع الأضـداد والأشكـال

١٠ ـ وقال بعض العرب ، وهو من الأمثال السائرة [من الطويل] :

إذا بلّ من داءٍ به ظنّ أنّه نجـا ، وبـه الـداء الـذي هو قاتله[3]

أخذه أبو الطيب فقال وأحسن [من الوافر] :

وإنْ أسلـمْ فمـا أبقـى ولكنْ سلمـت من الحمـامِ إلـى الحمام[4]

١١ ـ وقال بعض الرجاز [من الرجز] :

هـل يغلبنـي واحـدٌ أقاتله ريمٌ علـى لبّاتـه سلاسلهْ[5]

* سلاحه يوم الوغى مكاحله *

أخذه أبو الطيب فأكمل الوصف وأظهر الغرض حيث قال [من الكامل] :

من طاعنـي ثغـر الرجـال جآذرٌ ومـن الرمـاح دمالـجٌ وخلاخلُ
ولـذا اسـم أغـطية العيون جفونها من أنّهـا عمـل السيوف عوامل

---

(١) الدشت : الصحراء لفظة فارسية، والأرزن : الشجر والفيح : الواسعة، والغيل : أجمة الأسد .
(٢) الخنانيص : أولاد الخنازير، والرئبال: الأسد .
(٣) بلّ من دائه : شُفي ونجا من المرض.
(٤) الحمام : الموت.
(٥) الريم : الظبي الخالص البياض، واللبّة: موضع القلادة.

١٢ ـ وقال أبو تمام [من الكامل] :

غربتْ خلائقه وأغرب شاعرٌ فيه فأبدع مغربٌ في مغربِ

أخذه أبو الطيب فقال [من الخفيف] :

شاعر المجد خدنه شاعر اللفـ ـظ كلانا ربّ المعاني الدّقاقِ[1]

١٣ ـ وقال أبو تمام [من الطويل] :

يمدّون بالبيض القواطع أيدياً فهن سواءٌ والسّيوف قواطعُ

أخذه أبو الطيب فأوقع التشبيه على الجملة حيث قال [من الطويل] :

همامٌ إذ ما فارق الغمد سيفه وعاينته لم تدر أيُّهما النصل

١٤ ـ وقال ابن الرومي [من السريع] :

لا قدِّست نُعمى تسربلْتها كم حجةٍ فيها لزنديق

أخذه أبو الطيب فقال [من البسيط] :

فإنّه حجةٌ يؤذي القلوب بها من دينه الدّهر والتعطيل والقدم

١٥ ـ ولابن الرومي وأجاد [من الطويل] :

وأحسن من عقد العقيلة جيدها وأحسن من سربالها المتجرِّد

أخذه أبو الطيب فقال [من الرجز] :

وربّ قبحٍ وحليٍ ثقالِ أحسن منها الحسن في المعطال

---

(١) الخدن : الصاحب والصديق.

١٦ ـ وقال عبيد الله بن طاهر [من الطويل] :

وجرّبت حتى لا أرى الدهر مغرباً   عليَّ بشيءٍ لم يكن في تجاربي

أخذه أبو الطيب فقال [من الخفيف] :

قد بلوت الخطوب حلواً ومرّاً   وسلكت الأيام حزناً وسهلا[1]
وقتلت الزمان علماً فما يغـ   ـرب قولاً ولا يجدّد فعلا

وكرر هذا المعنى فقال [من الطويل] :

عرفت الليالي قبل ما صنعت بنا   فلمّا دهتنا لم تزدني بها علما

١٧ ـ وكتب ابن المعتز إلى عبيد الله بن سليمان يعزيه عن ابنه أبي محمد ويسليه ببقاء أبي الحسين القاسم أبياتاً منها [من الكامل] :

ولقد غبنت الدهر إذ شاطرته   بأبي الحسين وقد ربحت عليهِ[2]
وأبو محمدٍ الجليل مصابه   لكن يمنّي المرء خير يديهِ

فأخذ أبو الطيب هذا المعنى ، وقال لسيف الدولة من قصيدة يعزيه بها عن أخته الصغرى ، ويسليه ببقاء الكبرى حيث قال [من الخفيف] :

قاسمتك المنون شخصين جوراً   جعل القسم نفسه فيك عدلا
فإذا قست ما أخذن بما غا   درن سرى من الفؤاد وسلّى
وتيقّنت أنّ حظك أوفى   وتبيّنت أن جدك أعلى[3]

١٨ ـ وكان أبو الطيب كثير الأخذ من ابن المعتز ، على تركه الإقرار بالنظر في شعر

---

(١) بلوت : خبرت وجرّبت، والحزن : الأرض الصعبة المسالك.
(٢) غبنت : انتقصت، يقال غبنه حقه : أي انتقصه إياه .
(٣) الجدّ : الحظّ.

المحدثين : فمما أخذه منه قوله [من البسيط] :

وتكسب الشمس منك النور طالعةً كما تكسّب منها نورها القمرُ

وهو معنى قول ابن المعتز [من السريع] :

البدر من شمس الضحى نوره والشمس من نورك تستملي

١٩ ـ وأخذ قوله ، وهو من قلائده ، ولعله أمير شعره [من البسيط] :

أزورهمْ وسواد الليل يشفعُ لي وأنثني وبياضُ الصبح يغري بي

من مصراع لابن المعتز ، ذكر ابن جني قال : حدثني المتنبي ـ وقت القراءة عليه ـ [قال] : قال لي ابن حنزابة وزير كافور : أحضرت كتبي كلها وجماعة من الأدباء يطلبون لي من أين أخذت هذا المعنى ، فلم يظفروا بذلك ! وكان أكثر من رأيت كتباً .

قال ابن جني : ثم إني عثرت بالموضع الذي أخذه منه ، إذ وجدت لابن المعتز مصراعاً بلفظ لين صغير جداً فيه معنى بيت المتنبي كله على جلالة لفظه وحسن تقسيمه ، وهو قوله [من البسيط] :

* فالشمس نمّامة والليل قوّاد *[1]

ولن يخلو المتنبي من إحدى ثلاث : إما أن يكون ألم بهذا المصراع فحسنه وزينه ، وصار أولى به ، وإما أن يكون قد عثر بالموضع الذي عثر به ابن المعتز فأربى عليه في جودة الأخذ ، وإما أن يكون قد اخترع المعنى وابتدعه وتفرد به ، فلله دره ! وناهيك بشرف لفظه ، وبراعة نسجه !

وما أحسن ما جمع فيه أربع مطابقات في بيت واحد ، وما أراه سبق إلى

(١) صدر هذا البيت: لا تلق إلاّ بليلٍ من تواصله.

مثلها ، وما زال الناس يعجبون من جمع البحتري ثلاث مطابقات في قوله [من البسيط] :

وأمّـةً كان قبـح الجـور يسخطها دهـراً فأصبـح حسـن العـدل يرضيها

حتى جاء أبو الطيب فزاد عليه مع عذوبة اللفظ ورشاقة الصنعة .

ولبعض أهل العصر بيت يجمع خمس مطابقـات ، ولكنـه لا يستقـل إلا بإنشاد بيتين قبله . وهي [من الطويل] :

عذيري من الأيام مدّت صروفها إلى وجه من أهوى يد النسخ والمحوِ
وأبـدت بوجهـي طالعـاتٍ أرى بها سهـام أبـي يحيى مسـدّدةً نحوي
فذاك سواد الحـظّ ينهـى عن الهوى وهـذا بياض الوخـط يأمـر بالصحو[1]

٢٠ ـ وقال ابن الرومي [من الطويل] :

أرى فضـل مال المـرء داءً لعرضه كمـا أنّ فضـل الـزاد داءٌ لجسمهِ
فليس لداء العـرض شيءٌ كبذله وليس لداء الجسـم شيءٌ كحسمه

ألم به أبو الطيب فقال [من الخفيف] :

يتـداوى من كثـرة المـال بالإقـ ـلال جوداً كأنّ مـالا سقام

* * *

بعض ما تكرر في شعره من معانيه

١ ـ قال [في سيف الدولة] [من الوافر] :

وأنـت المـرء تمرضـه الحشايا لهمّتـه ، وتشـفيه الحـروبُ

---

(١) الوخط : اختلاط الشعر الأبيض بالأسود.

وقال [يذكر الحمى التي كانت تغشاه بمصر] [من الوافر] :

وما في طبِّه أنّي جوادٌ أضرَّ بجسمه طول الجمامِ[1]

٢ ـ وقال [يمدح بدر بن عمار] [من الكامل] :

ليت الحبيب الهاجري هجر الكرى من غير جرمٍ واصِلي صلة الضّنا

وقال [يمدح طاهر بن الحسين] [من الطويل] :

فيا ليت ما بيني وبين أحبّتي من البعد ما بيني وبين المصائبِ

٣ ـ وقال [يمدح المغيث بن بشر العجلي] [من البسيط] :

إذا بدا حجبت عينيك هيبتهُ وليس يحجبه سترٌ إذا احتجبا

وقال [وقد حجبه بدر عمار] [من الكامل] :

أصبحت تأمر بالحجاب لخلوةٍ هيهات لست على الحجاب بقادرِ

من كان ضوء جبينه ونوالهِ لم يحجبا لم يحتجبْ عن ناظر

فإذا احتجبت فأنت غير محجّبِ وإذا بطنت فأنت عين الظاهر

٤ ـ وقال [من قصيدة يمدحه بها] [من المتقارب] :

أميرٌ أميرٌ عليه الندى جوادٌ بخيلٌ بأن لا يجودا

وقال [من الوافر] :

إلا أنّ الندى أضحى أميراً على مال الأمير أبي الحسينِ

٥ ـ وقال [يمدح بدر بن عمار] [من المتقارب] :

ومالٍ وهبت بلا موعدٍ وقرنٍ سبقت إليه الوعيدا[2]

---

(١) طبّه : عِلمه والجمام: الراحة .

(٢) القرن : النضير في العلم والشجاعة ، والوعيد : التهديد .

وقال [من القصيدة التي كتبها إلى السلطان من حبسه] [من المتقارب] :

لقد حال بالسيف دون الوعيد وحالت عطاياه دون الوعودِ

٦ ـ وقال [من قصيدة يمدح بها كافوراً] [من الطويل] :

وما رغبتي في عسجدٍ أستفيده ولكنّها في مفخرٍ أستجدُّهُ[1]

وقال [من قصيدة يمدح بها أبا العشائر] [من الوافر] :

فسرت إليك في طلب المعالي وسار سواي في طلب المعاش

٧ ـ وقال [يمدح سعيد بن عبد الله] [من البسيط] :

قد علّم البين منّا البين أجفانا تدمي وألف في ذا القلب أحزانا

وقال [في خلاص أبي وائل] [من المتقارب] :

كأنّ الجفون على مقلتي ثيابٌ شققن على ثاكلِ

٨ ـ وقال [يمدح بدر بن عمار] [من المتقارب] :

كأنّك بالفقر تبغي الغنى وبالموت في الحرب تبغي الخلودا

وقال [في الحسين بن إسحاق التنوخي] [من الطويل] :

كأنّك في الإعطاء للمال مبغضٌ وفي كلّ حربٍ للمنية عاشقُ

٩ ـ وقال [من الخفيف] :

الّذي زلت عنه شرقاً وغرباً ونداه مقابلي ما يزولُ

وقال [في سيف الدولة] [من الطويل] :

ومن فرّ من إحسانه حسداً له تلقاه منه حيث ما سار نائلُ

---

(١) العسجد : الذهب والجوهر.

١٠ ـ وقال [يمدح أبا أيوب أحمد بن عمران] [من الكامل] :

فكأنّما نتجت قياماً تحتهم وكأنّما ولدوا على صهواتها[١]

وقال [في الحسن بن عبيد الله بن طغج] [من الطويل] :

وطعن غطاريفٍ كأنّ أكفَّهم عرفن الردينيات قبل المعاصم[٢]

١١ ـ وقال [يشكو الحمى بمصر] [من الوافر] :

جرحتِ مجرّحاً لم يبق منهُ مكانٌ للسيوف وللسهامِ

وقال [في مرثية والدة سيف الدولة] [من الوافر] :

رماني الدهر بالأرزاء حتّى فؤادي في غشاءٍ من نبالِ
فصرت إذا أصابتني سهامٌ تكسّرت النصال على النصال

١٢ ـ وقال [يمدح أبا علي هارون بن عبد الله الكاتب] [من الكامل] :

وشكيتي فقد السّهام لأنّه قد كان لمّا كان لي أعضاءُ

وقال [قبيل مسيره من مصر يهجو كافوراً] [من البسيط] :

لم يترك الدهر من قلبي ومن كبدي شيئاً تتيِّمه عينٌ ولا جيدُ[٣]

١٣ ـ وقال [يصف مدينة مرعش] [من الطويل] :

تصد الرياح الهوج عنها مخافةً وتفزع فيها الطير أن تلقط الحبَّا

---

(١) نتجت : ولَدت.
(٢) الغطاريف : جمع غطريف ، وهو الفتى الجميل والردينيّات : الرماح.
(٣) تتيِّمه : تجعله يعشق والجيد : العنق.

وقال [من قصيدة في مدح كافور] [من البسيط] :

إذا أتتها الرياح النكب في بلدٍ فما تهبُّ بها إلاَّ بترتيب

١٤ ـ وقال [يمدح الحسن بن عبيد الله بن طغج] [من الطويل] :

إذا ضوؤها لاقى من الطّير فرجةً تدوَّر فوق البيض مثل الدراهمِ[١]

وقال [من كلمة يمدح فيها عضد الدولة] [من الوافر] :

وألقى الشرق منها في ثيابي دنانيراً تفرُّ من البنانِ

وقال[٢] [يمدح أبا شجاع محمد بن أوس] [من الكامل] :

ولقد بكيت على الشباب ولمّتي مسودَّةٌ ، ولماء وجهي رونقُ
حذراً عليه قبل يوم فراقه حتى لكدت بماء جفني أشرق[٣]

١٥ ـ وقال [وقد أهداه عبد الله بن خراسان هدية] [من المنسرح] :

هديةٌ ما رأيت مهديها إلاَّ رأيت العباد في رجلِ

وقال [يمدح بدر بن عمار] [من المتقارب] :

[أحلماً نرى أم زماناً جديداً] أم الخلق في شخص حيٍّ أعيدا

ومثله [في الحسين بن إسحاق التنوخي] [من الطويل] :

[هي الغرض الأقصى ، ورؤيتك المنى] ومنزلك الدنيا ، وأنت الخلائقُ

---

(١) الفرجة : الكوّة.

(٢) لا يظهر لي وجه اتفاق هذين البيتين مع ما قبلها ولا ما بعدهما ، ولا بدّ أنّه سقط من الأصول ما يوافقها وكذلك سقط من الصبح المنبي ١٧٦ .

(٣) أشرقُ : أغصُّ.

ثم كرره وزاد فيه فقال [من كلمة يمدح فيها ابن العميد] [من الكامل] :

ولقيت كلّ الفاضلين كأنّما ردّ الإله نفوسهم والأعصرا
نسقوا لنا نسق الحساب مقدّماً وأتى فذلك إذ أتيت مؤخّرا

والأصل فيه قول أبي نواس [من السريع] :

ليس على الله بمستنكرٍ أن يجمع العالم في واحد

وقال [من البسيط] :

متى تخطي إليه الرجل سالمةً تستجمع الخلق في تمثال إنسانِ

١٦ ـ وقال [في سيف الدولة] [من البسيط] :

هو الشجاع يعدّ البخل من جبنٍ وهو الجواد يعدُّ الجبن من بخلِ

وقال [وقد ضرب أبو العساكر خيمة على الطريق فكثر سؤاله وغاشيته] [من المنسرح] :

فقلت إنّ الفتى شجاعته تريه في الشحّ صورة الفرقِ[1]

والأصل فيه قول أبي تمام [من الكامل] :

أيقنت أنّ من السماح شجاعةً تدمى ، وأنّ من الشجاعة جودا

١٧ ـ وقال [يمدح أبا شجاع عضد الدولة] [من الوافر] :

ومن أعتاض منك إذا افترقنا ؟ وكلُّ الناس زورٌ ما خلاكا

وقال في مثله فتبرد وبالغ [من الخفيف] :

إنّما الناس أنت ، وما النا س بناسٍ في موضعٍ منك خالِ

---

(١) الشحّ : البخل، والفرق : الخوف وشدّته.

١٨ ـ وقال [في سيف الدولة] [من الطويل] :

إذا اعتلّ سيف الدولة اعتلَّتِ الأرضُ ومَنْ فوقها والبأس والـكَرَمُ المحض[1]

وقال [فيه أيضاً] [من البسيط] :

ومـا أخصـك في بـرءٍ بتهنئةٍ إذا سلمـت فكلُّ النـاس قد سلموا

١٩ ـ وقال [يمدح كافوراً ولم يلقه بعد] [من الطويل] :

تجـاوز قدر المـدح حتّـى كأنّه بأحسـن ما يُثنـى عليهِ يعابُ

وقال [في عبد الله بن يحيى البحتري] [من البسيط] :

وعظْـمُ قدرك في الآفـاق أوهمني أنـي بقلّـةِ ما أثنيت أهجوكا

وقال [يعزي عضد الدولة وقد ماتت عمته] [من السريع] :

وكان من عدّد إحسانهُ كأنّـه أسـرف فـي سبّه

والأصل في هذا قول البحتري [من الخفيف] :

جلَّ عن مذهـب المـديح فقـد كا د يكـون المـديح فيـه هجاءُ

٢٠ ـ وقال [وهو مما سبق إليه] [من مخلع البسيط] :

نـال الـذي نلـت منـه منّي لله مـا تصنـع الخمـورُ

وقال [من الطويل] :

أفيكم فتـىً حيٌّ فيخبـر ناعباً بما شربـت مشروبـة الـراح من ذهني

---

(١) المحض : الخالص الصافي.

٢١ ـ وقال [يمدح سيف الدولة] [من الطويل] :

عليمٌ بأسـرار الديانـات واللّغى   له خطـراتٌ تفضـح النـاس والكتبا[١]

وقال [في أبي العشائر علي بن الحسين] [من الوافر] :

كأنّـك ناظـرٌ في كلّ قلبٍ   فمـا يخفـى عليك محـلّ غاشِ[٢]

وقال [من البسيط] :

ووكّل الظـن بالأسـرار فانكشفتْ   له سرائـر أهـل السهـل والجبلِ

٢٢ ـ وقال [لبدر بن عمار يمدحه] [من الكامل] :

فاغفـرْ فدىً لك واحبنـي من بعدها   لتخصّنـي بعـطيةٍ منهـا أنا[٣]

وقال [من المنسرح] :

لـه أيادٍ إلـيّ سالفةٌ   أعـدُّ منهـا ولا أعدِّدها

٢٣ ـ وقال وهو من قلائده [من الخفيف] :

خير أعضائنـا الـرؤسُ ولكنْ   فَضُلتهـا بقصـدك الأقـدام[٤]

وقال [من المتقارب] :

وإنّ القيام الألـى حوله   لتحسـد أرجلهـا الأرؤس

٣٤ ـ وقال [من قصيدة في مدح سيف الدولة] [من الطويل] :

وما الحسـن في وجـه الفتـى شرفٌ له   إذا لم يكن في فعلـه والخلائق

---

(١) اللغى : جمع لغة.

(٢) غاشٍ : مغطى ومحجوب.

(٣) الحباء : العطاء.

(٤) فضلتها : من الفضل، اي سبقتها إلى الفضل.

وقال في وصف الخيل [من الطويل] :

إذا لم تشاهدْ غير حسن شياتها ... وأعضائها فالحسن عنك مغيبُ[1]

وقريب منه قوله [من الوافر] :

يحبُّ العاقلون على التصافي ... وحبّ الجاهلين على الوسامِ

٢٥ ـ وقال في معنى قد تصرفت فيه الشعراء [من الخفيف] :

ذلّ من يغبطِ الذليل بعيشٍ ... ربَّ عيشٍ أخفُّ منه الحمامُ

وقال [في صباه] [من الخفيف] :

عش عزيزاً أو متْ وأنت كريمٌ ... بين طعن القنا وخفقِ البنودِ[2]

٢٦ ـ وقال [لعلي بن إبراهيم التنوخي يمدحه] [من الوافر] :

إذا ما لم تسرْ جيشاً إليهمْ ... أسرت إلى قلوبهم الهلوعا[3]

وقال [من الخفيف] :

بعثوا الرعب في قلوب الأعادي ... فكأنّ القتال قبل التلاقي

وقال [من البسيط] :

قد ناب عنك شديد الخوف واصطنعت ... لك المهابة ما لا يصنع البهمُ

وقال [من الخفيف] :

أبصروا الطعن في القلوب دراكاً ... قبل أن يبصروا الرماح خيالا[4]

---

(١) الشية : العلامة.

(٢) البنود : الأعلام والرايات.

(٣) الهلوع : الخوف والرعب.

(٤) دراكاً : متلاحقه.

وقال [من الطويل] :

صيامٌ بأبواب القباب جيادهمْ وأشخاصهم في قلب خائفهم تعدو

وقال [من البسيط] :

تغيرُ عنه على الغارات هيبتهُ وماله بأقاصي البرّ أهمالُ[1]

والأصل فيه قول النبيﷺ « نصرت بالرعب » ثم أكثر الناس منه ، ومن أوجز ما قالوا قول علي بن جبلة العكوّك [من الهزج] :

غدا مجتمع العزم له جندٌ من الرعبِ

٢٧ ـ وقال أبو الطيب [من الطويل] :

وأتعب خلق الله من زاد همّهُ وقصّر عمّا تشتهي النفس وجدَهُ

وقال [من الطويل] :

لحى الله ذي الدنيا مناخاً لراكبٍ فكلّ بعيد الهمّ فيها معذّبُ[2]

٢٨ ـ وقال [من الخفيف] :

ومعالٍ إذا ادّعاها سواهمْ لزمته خيانة السُّرّاقِ

وقال [من الكامل] :

مسكيّةُ النّفحات إلاّ أنّها وحشيةٌ بسواهم لا تعبقُ

* * *

(١) تغير : تغزو . من الغارة .
(٢) لحى الله : لعن وقبّح .

والآن حين أذكر ما ينعى على أبي الطيب من معائبِ شعره ومقابحه :

ومـن ذا الـذي تُرضـي سجـايـاه كلّها   كفـى المـرء فضـلاً أن تعـدّ معائبه[1]

ثم أقفى على آثارها بمحاسنه وسياق بدائعه وفرائده :

فحسـن دراريٍّ الـكواكب أن ترى   طوالـع في داجٍ من الليل غيهبِ[2]

* * *

١ ـ فمنها قبح المطالع

وحقه الحسن والعذوبة لفظاً ، والبارعة والجودة معنى ، لأنه أول ما يقرع الأذن ويصافح الذهن ، فإذا كانت حاله على الضد مجه السمع ، وزجه القلب ، ونبت عنه النفس ، وجرى أوله على ما تقوله العامة « أول الدن دردى » .

ولأبي الطيب ابتداءات ليست لعمري من احرار الكلام وغرره ، بل هي - كما نعاها عليه العائبون - مستشنعة لا يرفع السمع لها حجابه ، ولا يفتح القلب لها بابه ، كقوله [من الكامل] :

هذي برزت لنـا فهجـت رسيسا   ثم انصرفـت ومـا شفيت نسيسا[3]

فإنه لم يرض بحذف علامة النداء من « هذي » ، وهو غير جائز عند النحويين ، حتى ذكر الرسيس والنسيس ، فأخذ بطرفي الثقل والبرد .

---

(١) السجايا : الصفات والطبائع.

(٢) داجٍ : مظلمٍ · وغيهب : شديد الظلمة .

(٣) الرسيس : الرقة في الشوق. والنسيس: بقية الروح.

وكقوله [من المنسرح] :

* أوهِ بديلٌ من قولتي واها *[1]

وهو برقْيَة العقرب أشبه منه بافتتاح كلام في مخاطبة ملك .

وكقوله ـ وهو مما تكلف له اللفظ المتعقد ، والترتيب المتعسف ، لغير معنى بديع يفي شرفه وغرابته بالتعب في استخراجه ، ولا تقوم فائدة الانتفاع به بإزاء التأذي باستماعه [من الطويل] :

وفاؤكما كالربع أشجاه طاسمهْ ... بأن تسعدا والدمع أشفاه ساجمهْ[1]

وكقوله في استفتاح قصيدة في مدح ملك يريد أن يلقاه بها أول لقية [من الطويل] :

كفى بك داءً أن ترى الموت شافيا ... وحسب المنايا أن يكنَّ أمانيا

وفي الابتداء بذكر الداء والموت والمنايا ما فيه من الطيرة ، التي تنفر منها السوقة ، فضلاً عن الملوك .

حكى الصاحب قال : ذكر الأستاذ الرئيس يوماً الشعر ، فقال : وإن أول ما يحتاج فيه إليه حسن المطلع ، فإن ابن أبي الشباب أنشدني في يوم نيروز قصيدة ابتداؤها [من الطويل] :

* أقبرٌ وما طلّت ثراك يد الطلِّ ؟ *

فتطيرت من افتتاحه بالقبر ، وتنغصت باليوم والشعر ، فقلت : كذاك كانت حال

(١) وعجز البيت : لمن نأت والبديل ذكراها . وأوه : كلمة توجع ، وواهاً : كلمة تعجب وطيبة .
(٢) طاسمه : دارسه، وأشجاه : أحزنه والساجم : المذروف من الدمع .

ابن مقاتل لما مدح الداعي بقوله [من الرمل] :

لا تقـل بشـرى ولـكنْ بشريانِ   غرّة الدّاعـي ويوم المهرجان

فإنه نفر من قوله « لا تقل بشرى » أشد نفار ، وقال : أعمى وتبتدىء بهذا في يوم مهرجان ؟!

قال الصاحب : ومن عنوان قصائده التي تحير الأفهام ، وتفوت الأوهام ، وتجمع من الحساب ما لا يدرك بالأرتيماطيقي ، وبالأعداد الموضوعة للموسيقى [من الوافر] :

أحـادٌ أم سداسٌ في أحاد   لييلتنـا المنـوطـة بالتنـادي

وهذا كلام الحكل ورطانة الزط[1] وما ظنك بممدوح قد تشمر للسماع من مادحه فصك سمعه بهذه الألفاظ الملفوظة والمعانـي المنبـوذة ؟ فأي هزة تبقـى هناك ؟ وأي أريحية تثبت هنا ؟

وقد خطأه في اللفظ والمعنى كثير من أهل اللغة وأصحاب المعاني ، حتى احتيج في الاعتذار له ، والنضح عنه ، إلى كلام لا يستأهله هذا البيت ، ولا يتسع له هذا الباب .

ومن ابتداءاته البشعة التي تنكرها بديهة السماع قوله [من الوافر] :

ملـثّ القطـرِ أعطِشْهـا ربوعاً   وإلاّ فاسِقهـا السـمّ النجيعا[2]

وقوله [من الكامل] :

أثلث فإنّـا أيّهـا الطلل   [نبـكي وتـرزم تحتنـا الإبل][3]

(١) الحكل : ما لا يسمع صوته كالذرّ، والحكلة : العجمة في الكلام، والزط: جيل من الهنود.
(٢) ملثُّ القطر : أي المطر الذي لا ينقطع لأيّام والنجيع : النافع، أي القائل لها.
(٣) أثلـث: كن ثالثاً. ترزم : تحنّ.

وقوله [من الوافر] :

بقائي شاء ليس هم ارتحالا [وحسن الصبر زمّوا لا الرّحالا][1]

قال الصاحب : ومن افتتاحاته العجيبة قوله لسيف الدولة في التسلية عند المصيبة [من الطويل] :

لا يحزن الله الأمير فإنني لآخذُ من حالاته بنصيب

قال الصاحب : لا أدري لم لا يحزن سيف الدولة إذا أخذ المتنبي بنصيب من القلق !

* * *

٢ ـ ومنها إتباع الفقرة الغراء ، بالكلمة العوراء

والإفصاح بذلك في شعره عن كثرة التفاوت ، وقلة التناسب ، وتنافر الأطراف ، وتخالف الأبيات ، وما أكثر ما يحوم حول هذه الطريقة ، ويعود لهذه العادة السيئة ، ويجمع بين البديع النادر والضعيف الساقط . فبينا هو يصوغ أفخر حلي ، وينظم أحسن عقد ، وينسج أنفس وشي ، ويختال في حديقة ورد ، إذا به وقد رمى بالبيت والبيتين في إبعاد الاستعارة ، أو تعويص اللفظ ، أو تعقيد المعنى ، إلى المبالغة في التكلف ، والزيادة في التعمق ، والخروج إلى الإفراط والإحالة والسفسفة ، والركاكة والتبرد والتوحش ، باستعمال الكلمات الشاذة ، فمحا تلك المحاسن ، وكدر صفاءها ، وأعقب حلاوتها مرارة لا مساغ لها ، واستهدف لسهام العائبين ، وتحكك بألسنة الطاعنين : فمن متمثل بقول الشاعر [من الكامل] :

أنت العروس لها جمالٌ رائقٌ لكنّها في كلِّ يومٍ تصرعُ

---

(١) زمّوا : أجمعوا .

ومن مشبه إياه بمن يقدم مائدة تشتمل على غرائب المأكولات وبدائع الطيبات ، ثم يتبعها بطعام وضر ، وشراب عكر ، أو من يتبخر بالند المعشب المثلث ، المركب من العود الهندي والمسك الأصهب والعنبر الأشهب ، ثم يرفقه بإرسال الريح الخبيثة، ويفسده بالرائحة الردية ، أو بالواحد من عقلاء المجانين ينطق بنوادر الكلم ، وطرائف الحكم ، ثم يعتريه سكرة الجنون فيكون أصلح أحواله وأمثل أقواله أن يقول : اعذروني فإن العذرة متعذرة .

فمما نشر أبو الطيب من هذا النمط قوله [من الخفيف] :

أتراها لكثرة العشّاقِ تحسب الدمع خلقةً في المآقي ؟

وهو ابتداء ما سمع بمثله ، ومعنى تفرد بابتدائه ، ثم شفعه بما لا يبالي العاقل أن يسقطه من شعره فقال :

كيف ترثي التي ترى كلّ جفنٍ راءها غير جفنها غير راقي[1]

وقوله [من الطويل] :

ليالــيَّ بعد الظاعنين شكولُ طوالٌ ، وليل العاشقين طويلُ[2]
يبِنَّ ليَ البدر الذي لا أريده ويخفين بدراً ما إليه وصولُ
وما عشت من بعد الأحبّة سلوةً ولكنني للنائبات حمولُ
وما شرقي بالماء إلاّ تذكّراً لماءٍ به أهل الخليط نزولُ[3]
يحرِّمُهُ لمع الأسنة فوقه فليس لظمآنٍ إليه سبيلُ

من قصيدة اخترع أكثر معانيها ، وتسهل في ألفاظها ، فجاءت مصنوعة ، ثم

---

(١) راءها : أي رآها قدّم الألف واخر الهمزة ضرورة راقي : رقأ الدمع، انكفأ وانقطع.
الظاعنين : الراحلين.
(٢) الظاغين: الراحلين وشكول : متشابهة.
(٣) شرقي : غصي، والخليط: المكان الذي يختلط به القوم.

اعترضته تلك العادة المذمومة ، فقال :

أغـرَّكُمُ طول الجيوش وعرضها   علـيٌّ شروبٌ للجيوش أكول
إذا لم تكن لليث إلاّ فريسةً غذاه   ولم ينفعـك أنّـك فيل

ثم أتى بما هو أطم[1] منه فقال ، وذكر الصاحب أنه من أوابده التي لا يسمع طول الأبد بمثلها :

إذا كان بعض النـاس سيفـاً لدولةٍ   ففـي النـاس بوقـاتٌ لهـا وطبـول
فإن تكن الـدولات قسمـاً فإنّها   لمـن ورد المـوت الـزؤام تدول

قال الصاحب : قوله « الدولات » و « تـدول » من الألفـاظ التي لو رزق فضـل السكوت عنها لكان سعيداً .

وقال من قصيدة جمع فيها الشذرة والبعرة ، والدرة والآجرة [من الكامل] :

لك يا منـازل في الفـؤاد منازل   أقفـرت أنـت ، وهـنَّ منـك أواهلُ

وهذا ابتداء حسن ومعنى لطيف ، ثم قال :

وأنـا الـذي اجتلـب المنيَّة طرفُهُ   فمـن المطالـب والقتيل القاتلُ

وهو وإن كان مأخوذاً من قول دعبل [من الكامل] :

لا تطلبـا بظـلامتـي أحداً   طرفـي وقلبـي في دمـي اشتركا

فإنه آخذ بأطراف الرشاقة والملاحة، ثم استمر في قصيدتـه ، فجـاء بالمتوسـط المقارب والبديع النادر والرديء النافر ، حيث قال :

ولـذا اسـم اغـطية العيون جفونها   من أنّهـا عمـل السيوف عوامل

---

(١) أطمّ : أدهى .

وهذا معنى في نهاية الحسن واللطف لو ساعده اللفظ ، ثم قال :

كم وقفةٍ سجرتك شوقاً بعدما غريَ الرقيب بنا ولجَّ العاذل[١]

فلم يحسن موقع قوله « سجرتك » أي ملأتك (هكذا الرواية بالجيم ، ولو كانت بالحاء من السحر لم يكن بأس) ثم قال وملح :

دون التعانق ناحلين كشكلتي نصبٍ أدفّهما وضمٌّ الشاكلُ[٢]

أي : قريب بعضنا من بعض ، ولم نتعانق خوف الرقيب . ثم قال فأحسن غاية الإحسان :

للهو آونةٌ تمرُّ كأنّها قبلٌ يزوّدها حبيبٌ راحلُ
جمع الزمان فما لذيذٌ خالصٌ ممّا يشوب، ولا سرورٌ كامل
حتى أبو الفضل بن عبد الله رؤ يته المنى وهو المقام الهائل

قال ابن جني : وهذا خروج غريب ظريف حسن ، ما أعرفه لغيره ، يقول : إن المنى رؤيته إلا أن هيبته تهول . ثم قال فجمع أوصافاً في بيت واحد :

للشّمس فيه وللرّياح وللسّحا ب وللبحار وللأسود شمائلُ

ثم قال وتحذق وتبرّد :

ولديه ملعقيان والأدب المفا د وملحياة وملمات مناهل[٣]

وإنما ألم في صدر هذا البيت بقول أبي تمام [من المنسرح] :

* نأخذ من ماله ومن أدبه *

---

(١) سجرتك : أشعلتك، وسجر التنوّر : زاده ناراً ووقوداً.

(٢) أدفهما : حركهما ،

(٣) يريد : من العقيان، ومن الحيات ، ومن الممات فحذف النون من (منْ) الجارة والف الوصل من المجرور بها.

ثم قال :

علاَّمـةُ العلمـاء واللـجُّ الذي لا ينتهـي ، ولـكلّ لجٍّ ساحلُ[1]

ثم قال فأحال :

لو طاب مولـد كلّ حيٍّ مثله ولـد النسـاء ومـا لهـنَّ قوابلُ[2]

قال القاضي أبو الحسن : إن طيب المولد لا يستغني به عن القابلة ، وإن استغنى عنها كان ماذا ؟ وأي فخر فيه ؟ وأي شرف ينال به ؟

ثم توسط وقارب فقال :

ليزد بنـو الحسـن الشـراف تواضعاً هيهـات تُكتـم في الظـلام مشاعلُ
ستـروا النـدى ستـر الغـراب سفاده فبدا، وهل يخفي الرباب الهاطـل ؟[3]

ثم قال وتوحش وتبغض ما شاء الحاسد :

جفخـت وهـم لا يجفخـون بهـا بهم شيمٌ علـى الحسـب الأغـرّ دلائل[4]

يريد بالجفخ الفخر والبذخ ، ثم قال :

يا افْخـرْ فإنّ النـاس فيك ثلاثةٌ : مستعظـمٌ ، أو حاسـدٌ ، أو جاهل

أي : يا هذا افخر ، فحذف المنادى ، وتباغض وتبادى ، ثم قال :

لا تجسـر الفصحـاء تنشـد ههنا شعـراً ، ولكنّـي الهزبـر الباسل

---

(١) اللجُّ: البحر الزاخر.
(٢) القوابل : جمع قابلة ، وهي التي تشرف على الولادة.
(٣) السّفاد : الجماع ، والرّباب.
(٤) جفخت : فخرت وبذخت ، والأغرّ : الشريف والكريم.

ثم قال وأرسله مثلاً سائراً ، وأحسن جداً :

وإذا أتتك مذمّتي من ناقصٍ فهي الشهادة لي بأنّي كامل
ما نال أهل الجاهلية كلّهم شعري ، ولا سمعت بسحري بابل

ثم قال وتعسف في اللفظ :

أمّا وحقّك وهو غاية مقسمٍ للحقّ أنت ، وما سواك الباطل
الطيب أنت إذا أصابك طيبه والماء أنت إذا اغتسلت الغاسلُ

وتقدير الكلام : الطيب أنت طيبه إذا أصابك ، والماء أنت غاسله إذا اغتسلت به ، وإنما ألم فيه بقول القائل [من الخفيف] :

وتزيدين طيب الطيب طيباً إن تمسّيه ، أين مثلك أينا ؟!

وقال من قصيدة كهذه التي تقدمت [من البسيط] :

قد علّم البين منّا البين أجفانا تدمى ، وألّف في ذا القلب أحزانا
أمّلت ساعة ساروا كشف معصمها ليلبث الحيّ دون السير حيرانا
بالواخدات وحاديها وبي قمرٌ يظلّ من وخدها في الخدر حشيانا[1]

وحشيان ـ بالحاء المهملة ـ من الغريب الوحشي ، الذي لا يأنس به السمع ، ولا يقبله القلب ، يقال : حشى الرجل حشياً فهو حشيان ، إذا أخذه البهر . يقول : إذا وخدت الإبل تحت هذا القمر أخذه البهر لترفه . ومن المؤدبين من يروي خشيانا بالخاء معجمة من الخشية .

---

(١) الواخدات : النوق ، والوخد ضرب من السير والحادي : السائق.
والخدر : الخباء .

ثم قال ، وأحسن ولطف وظرف :

قد كنت أشفق من دمعي على بصري فاليوم كلّ عزيزٍ بعدكم هانا

ثم أراد أن يزيد على الشعراء في وصف المطايا ، فأتى ـ كما قال الصاحب ـ بأخزى الخزايا ، فقال :

لو استطعت ركبت الناس كلّهم إلى سعيد بن عبد الله بعرانا[1]

قال الصاحب : ومن الناس أمه ، فهل ينشط لركوبها ؟ والممدوح لعل له عصبة لا يريد أن يركبوا إليه ، فهل في الأرض أفحش من هذا السخف وأوضع من هذا التبسط ؟

ثم أراد أن يستدرك هذه الطامة بقوله :

فالعيس أعقل من قوم رأيتهم عمّا يراه من الإحسان عميانا

وقال ، ثم قال وأجاد في مدح الممدوح :

إن كوتبوا، او لقوا، او حوربوا، وجدوا في الخط واللفظ والهيجاء فرسانا[2]
كأنّ ألسنهم في النطق قد جعلتْ على رماحهم في الطّعن خرصانا[3]
كأنّهم يردون الموت من ظمأ أو ينشقون من الخطّيّ ريحانا

ثم قال :

خلائق لو حواها الزنج لانقلبوا ظمي الشفاه جعاد الشعر غرّانا

والزنجي لا يوجد إلا جعد الشعر ، فكيف ينقلبون عن الجعودة إلى الجعودة ؟ وقد

---

(١) بعران : جمع بعير ، وهو الجمل.
(٢) الهيجاء : الحرب.
(٣) خرصان : جمع خرص، وهي أسنّة الرماح، او الحراب.

احتج عنه أصحاب المعاني بما يطول ذكره .

والعجب كل العجب من خاطر يقدح بمثل قوله في قصيدة [من المتقارب] :

وملمومةٍ زردٍ ثوبها ولكنّه بالقنا مخملُ[1]
يفاجىء جيشاً بها حينه وينذر جيشاً بها القسطل[2]

ثم يتصور في هذا الكلام الغث الرث فيتبعه به حيث يقول :

جعلتك في القلب لي عدّةً لأنك باليد لا تجعل

ولو قاله بعض صبيان المكاتب لاستحيا له منه .

* * *

٣ ـ ومنها استكراه اللفظ ، وتعقيد المعنى

وهو أحد مراكبه الخشنة التي يتسنمها ، ويأخذ عليها في الطرق الوعرة فيضل ويضل ويتعب ويُتعب ولا ينجح ، إذ يقول في وصف الناقة [من الكامل] :

فتبيت تسئد مسئداً في نيِّها إسئادها في المهمه الأنضاءُ[3]

وتقديره : فتبيت تسئد مسئد الأنضاء في نيها إسآدها في المهمه : أي كلما قطعت الأرض قطعت الأرض شحمها على احتذاء ومثال بهذا .

---

(١) الملمومة : الدرع .
(٢) القسطل : الغبار.
(٣) سئد : تسرع السير في الليل خاصة والني : الشحم
والمهمه : الأرض الواسعة البعيد
والأنضاء : مصدر أنضاه : أي أهزله .

ويقول في المدح [من الكامل] :

أنّـى يكون أبـا البـرايا آدمٌ وأبـوك ، والثقـلان أنـت ، محمدُ[1]

وتقديره : أنى يكون آدم أبا البرايا وأبوك محمد وأنت الثقلان .

وقال من نسيب قصيدة [من الطويل] :

إذا عذلـوا فيهـا أجبـت بأنّةٍ حبيبتـا قلبـي فؤادي هيا جمل

أراد « يا حبيبتي » ثم أبدل الياء من حبيبتي ألفاً تخفيفاً ، و« قلبي » منصوب لأنه بدل من حبيبتا ، و« فؤادي » بدل من قلبي ، وهذا كقولك : أخي سيدي مولاي ، نداء بعد نداء ، ويقال في النداء : يا زيد ، وأيا زيد ، وهيا زيد .

وأشباه هذه الأبيات كثيرة في شعره كقوله [من الطويل] :

لسانـي وعينـي والفـؤاد وهمّتي أودّ اللواتـي إذا اسمُهـا منـك والشطرُ

وقوله [من الطويل] :

فتـىً ألف جزءٍ رأيهُ في زمانه أقـلُّ جزيٍّ بعضـه الـرأي أجمعُ

وقوله [من الكامل] :

لو لم تكنْ من ذا الورى اللذ منك هو عقمـت بمـولـد نسـلهـا حواء

وهو مما اعتل لفظه ، ولم يصح معناه ، فإذا قرع السمع لم يصل إلى القلب إلا بعد إتعاب الفكر ، وكد الخاطر، والحمل على القريحة ، [ثم] إن ظفر بعد العناء والمشقة فقلما يحصل على طائل .

* * *

(١) الثقلان : الجنّ والانس.

٤ ـ ومنها عسف اللغة والإعراب

وهو مما سبق إلى القلوب إنكاره ، وإن كان عند المحتجين عنه الاعتذار له ، والمناضلة دونه ، كقوله [من الطويل] :

فدى من علـى الغبـراء أوّلهـم أنا   لهـذا الأبـي الماجـد الجائـد القرمِ[١]

ولم يحك عن العرب « الجائد » وإنما المحكى رجل جواد ، وفرس جواد ، ومطر جواد .

وكقوله [من الطويل] :

فأرحـام شعـرٍ تتصـلن لدنّه   وأرحـام مالٍ لا تنـي تتقطّعُ

وتشديد النون من « لدن » غير معروف في لغة العرب .

وكقوله [من الوافر] :

شديد البعـد من شرب الشمول   ترنـج الهنـد أو طلـع النخيلِ

والمعـروف عنـد العرب الأتـرج ، والترنـج ممـا يغلـط فيه العامـة . قال الصاحب : لا أدري الاستهلال أحسن ، أم المعنى أبدع ، أم قوله ترنج أفصح ؟

وكقوله [من الكامل] :

بيضـاء يمنعهـا تكلّـم دلّها   تيهـا ، ويمنعهـا الحياء تميسا

فنصب « تميس » مع حذف أن ، وهو ضعيف عن أكثر النحويين .

وكقوله [من الكامل] :

وتكرّمـتْ ركباتهـا عن مبركٍ   تقعـان فيه ليس مسـكاً أذفرا[٢]

---

(١) القرم : السيد .

(٢) المبرك : مكان البروك ، والأذفر : ما ظهرت رائحته واشتدت سواء كانت طيبة أم خبيثة .

فجمع الركبات ثم انتقل إلى التثنية فقال « تقعان » ، وهو ضعيف وغير سديد في صناعة الإعراب .

وكقوله [من الخفيف] :

ليس إلاّكَ يا علـيٌّ همامٌ سيفـه دون عرضـه مسلـولُ

وكقوله [من السريع] :

لـم تر من نادمـت إلاّ كا لا لسـوى ودّك لي ذا كا

فوصل الضمير بإلا ، وحقه أن ينفصل عنه كما قال الله تعالى[1] : ﴿ضل من تدعون إلا إياه﴾ .

وكقوله [من البسيط] :

* لأنت أسود في عيني من الظلمِ *

وألف التعجب[2] لا تدخل على أفعل ، وإنما يقال : أشد سواداً وحمرة وخضرة .

وكقوله [من الكامل] :

* جللاً كما بي فليكُ التبريحُ *

وحذف النون من « يكن » إذا استقبلها الألف واللام خطأ عند النحويين[3] ، لأنها تتحرك إلى الكسر ، وإنما تحذف استخفافاً إذا سكنت .

---

(١) من الآية ٦٧ من سورة الاسراء .

(٢) يريد أن صيغة «أفعل» في التفضيل والتعجب لا تبنى من الأفعال الدالة على الألوان، وهذا رأي كثير من النحاة، ومنهم من أجاز البناء من البياض والسّواد بخصوصهما .

(٣) أجازه يونس بن حبيب واستدل له بوروده في في بعض القراءات وفي الشعر العربي من مثل قول الشاعر : فإن لم تك المرآة أبدت وسامةً. فقد أبدت المرآة جبهة ضيغم .

وكقوله [من الطويل] :

* أمطْ عنك تشبيهي بما وكأنّه *[1]

والتشبيه بما محال .

وكقوله [من الكامل] :

لعظمــتَ حتــى لو تكون أمانةٌ ما كان مؤتمنــاً بهــا جبرين

قال الصاحب : وقلب هذه اللام إلى النون ، أبغض من وجه المنون ، ولا أحسب جبرائيل عليه السلام يرضى منه بهذا المجاز، هذا على ما في البيت من الفساد والقبح .

وكقوله [من الطويل] :

حملــت إليه من ثنائــي حديقةً سقاها الحجا سقي الرياض السحائب

أي : سقي السحائب الرياض[2] .

* * *

٥ ـ ومنها الخروج عن الوزن

كقوله [من الطويل] :

تفــكُّره علــمٌ ، ومنطقــه حكمُ وباطنــه دينٌ ، وظاهــره ظرفُ

وقد خرج فيه عن الوزن لأنه لم يجيء عن العرب « مفاعيلن » في عروض الطويل غير مصرع ، وإنما جاء « مفاعلن » ، قال الصاحب : ونحن نحاكمه إلى كل شعر للقدماء والمحدثين على بحر الطويل ، فما نجد له على خطئه مساعداً .

(١) أمط : نحَّ وأبعد.

(٢) فيه الفصل بين المضاف والمضاف اليه بمفعول المضاف وهو جائز عند الكوفيين، وله شواهد.

قال القاضي أبو الحسن : وقد عيب أيضاً بقوله [من الرمل] :

إنّما بدر بن عمّار سحابٌ هطِلٌ فيه ثوابٌ وعقابْ

لأنه أخرج الرمل على « فاعلاتن » وأجرى جميع القصيدة على ذلك في الأبيات غير المصرعة ، وإنما جاء الشعر على « فاعلن » وإن كان أصله في الدائرة فاعلاتن .

* * *

٦ ـ ومنها استعمال الغريب الوحشي

وإذا كان المتنبي من المحدثين ، بل من العصريين ، وجرى على رسومهم في اختيار الألفاظ المعتادة المألوفة بينهم ، بل ربما انحط عنهم بالركاكة والسفسفة ، ثم تعاطى الغريب الوحشي ، والشاذ البدوي ، بل ربما زاد في ذلك على أقحاح المتقدمين ـ حصل كلامه بين طرفي نقيض ، وتعرض لاعتراض الطاعنين .

فمن ذلك الفن الذي ينادي على نفسه ، ويقلق موقعه في شعره وشعر غيره من أبناء عصره ـ قوله [من الوافر] :

وما أرضى لمقلته بحلمٍ إذا انتبهت توهّمه ابتشاكا

والابتشاك : الكذب ، ولم أسمع فيه شعراً قديماً ولا محدثاً سوى هذا البيت وقوله في وصف الغيث [من الوافر] :

لساحيه على الأجداث حفشٌ كأيدي الخيل أبصرت المخالي

الساحي : القاشر ، ومنه سميت المسحاة لأنها تقشر وجه الأرض ، والحفش : مصدر حفش السيل حفشاً ، إذا جمع الماء من كل جانب إلى مستنقع .

وقوله في وصف السيف [من الخفيف] :

ودقيقٌ قديَ الهبــاء أنيـقٌ   متــوالٍ فــي مستــوٍ هزهازِ

قدي : بمعنى مقدار ، يقال : بينهما قيد رمح ، وقدي رمح .

وقوله [من الكامل] :

* تطِسُ الخدود كما تطسن اليرمعا *

تطسن : أي تدق ، واليرمع : الحجارة الرخوة .

وقوله [من الكامل] :

وإلــى حصــى أرضٍ أقــام بها   بالنّــاس منْ تقبيلهــا يلَلُ

اليلل : إقبال الأسنان وانعطافها على باطن الفم ، ولم أسمعه في غير شعره .

وقوله [من الكامل] :

* الشمس تشرق والسّحاب كنهوراً *

الكهنور : القطع من السحاب العظيمة .

وقوله [من البسيط] :

وكيف أستر ما أوليت من حسنٍ   وقد غمرت نوالاً أيّها النّالُ

والنال : المعطي .

وقوله [من الوافر] :

* أسائلها عــن المتديّريها *

قال الصاحب : لفظة « المتديريها » لو وقعت في بحر صاف لكدرته ، ولو ألقى ثقلها على جبل سام لهده ، وليس للمقت فيها نهاية ، ولا للبرد معها غاية ،

المتديروها : المتخذوها داراً .

قال الصاحب : ومن أطم ما يتعاطاه التفاصح بالألفاظ النافرة ، والكلمات الشاذة، حتى كأنه وليد خباء ، وغذي لبن ، لم يطأ الحضر ، ولم يعرف المدر، فمن ذلك قوله [من الطويل] :

أيفطمه التوراب قبل فطامه ويأكله قبل البلوغ إلى الأكلِ[1]

وليس ذلك سائغاً لمثله ، وهو وليد قرية ، ومعلم صبية .

ومن الجموع الغريبة التي يوردها قوله في جمع الأرض [من الوافر] :

أُروضُ الناس من تربٍ وخوفٍ وأرضُ أبي شجاعٍ من أمانِ[2]

وقوله في جمع اللغة [من الطويل] :

* عليمٌ بأسرار الديانات واللّغى *

وقوله في جمع الدنيا [من الطويل] :

* أعزُّ مكان في الدنى سرج سابحٍ *

وقوله في جمع الأخ [من الخفيف] :

* كلّ آخائه كرام بني الدنيا *

قال الصاحب : لو وقع « الآخاء » في رائية الشماخ لاستثقل ، فكيف مع أبيات منها :

قد سمعنا ما قلت في الأحلام وأنلناك بدرةً في المنام[3]

---

(١) التوراب : لغة في التراب ، والترباء : الأرض.

(٢) أروض : جمع أرض .

(٣) البدرة : العطية، وهي كيس من الدراهم، أو صرّة.

والكلام إذا لم يتناسب زيفته جهابذته ، وبهرجته نقاده .

* * *

٧ ـ ومنها الركاكة والسفسفة بألفاظ العامة والسوقة ومعانيهم

كقوله [من الطويل] :

رماني خساس الناس من صائب استه   وآخــرُ قُطــنٌ من يديه الجنادلُ[١]

وقوله [من الوافر] :

وإن ما ريتنــي فاركب حصاناً   ومثّلــهُ تخرُّ له صريعا[٢]

وقوله [من الكامل] :

إن كان لا يدعــى الفتــى إلاّ كذا   رجــلاً فســمّ النــاس طرّاً إصبعا

وقوله [من الوافر] :

قســا فالأســد تفــزع من يديه   ورقّ فنحــن نفــزع أن يذوبا

وقوله [من الوافر] :

تألــم درزه والــدّرز لينٌ   كمــا يتألــم العضــب الصنيعا[٣]

وعلى ذكر الدرز فقد حكى الصاحب في كتاب الروزنامجة من حديث لحظة الطولونية المغنية ما يشبه معنى هذا البيت ، وهو أنـه قال : سمعتهـا تقـول : يا

(١) خساس الناس : أقلّهم قدراً. والإست : المؤخّرة.
والقطن : الذي تصنع منه الثياب، والجنادل : الصخور .
(٢) ماريتني : جادلتني.
(٣) الدرز : الخياطة ، والعضب : السيف.

جارية ، علي بالقميص المعمول في النسج ، فقد آذاني نقل الدروز .

وقوله [من الخفيف] :

لسرى لباسه خشن القطـ ـن ومروي مرو لبس القرود

وقوله [من المجتث] :

ما أنصف القوم ضبّه وأمه الطرطبه[1]
رموا برأس أبيه وباكوا الأمّ غلبه[2]

وقوله [من البسيط] :

بياض وجهٍ يريك الشمس طالعةً ودرّ لفظٍ يريك الدرَّ مخشلبا[3]

وقوله [من الكامل] :

إن كان مثلك كان أو هو كائنٌ فبرئت حينئذ من الإسلامِ

قال الصاحب : « حينئذ » ، ههنا من عير منفلت .

قال : ومن ركيك صنعه ، في وصف شعره ، والزراية على غيره ، قوله [من الخفيف] :

إنّ بعضاً من القريض هراءٌ ليس شيئاً ، وبعضه أحكام
منه ما يجلب البراعة والذهـ ـن ، ومنه ما يجلب البرسام

وقال : وههنا بيت نرضى باتباعه فيه ، وما ظنك بمحكم مناويه ثقة بظهور حقه وإيراء زنده ؟ ، ولو لم يكن التحكيم بعد أبي موسى من موجب العزم ،

---

(١) القرطبه : القصيرة الضخمة.

(٢) باكوا : نزوا .

(٣) المخشلب : نبطية الأصل ليست عربية وتعني خرز من حجارة البحر وليس بدر .

ومقتضى الحزم ، وهو[من الطويل] :

أطعناك طوع الدهر يا بن ابـن يوسفٍ　　بشهوتنـا والحاسـدو لك بالرغم

وقوله [من الخفيف] :

تقضمُ الجمر والحديد الأعادي　　دونـه قضـم سكّر الأهوازِ

وقوله [من الكامل] :

فكأنّمـا حسِـب الأسنّـة حلوةً　　أو ظنّهـا البـرنـي والآزاذا[1]

قال الصاحب : إذا جمع السكر إلى البرني والأزاذ تم الأمر .

قال : وكانت الشعراء تصف المآزر ، تنزيهاً لألفاظها عما يستشنع ذكره ، حتى تخطى هذا الشاعر المطبوع إلى التصريح الذي لم يهتد له غيره فقال [من الكامل] :

إنّـي علـى شغفـي بمـا في خمرها　　لأعفُّ عمّـا في سراويلاتها

وكثير من العهر أحسن من هذا العفاف .

قال القاضي : ومن أمثاله العامية قوله [من المتقارب] :

وكـلّ مكانٍ أتـاه الفتى　　علـى قدر الرِجـلِ فيه الخطى

* * *

ومنها إبعاد الاستعارة ، والخروج بها عن حدها

كقوله [من البسيط] :

مسـرّةٌ في قلـوب الـطيب مفرقها　　وحسـرةٌ في قلـوب البيض واليلب[2]

---

(١) البرني : نوع من التمر، وكذلك الآزاذ.
(٢) اليلب : الجلد.

وقوله [من المنسرح] :

تجمّعتْ في فؤادهمْ هممٌ ملء فؤاد الزمان إحداها

وقوله [من الكامل] :

لم يحك نائلك السّحاب ، وإنّما حمّت به فصبيبها الرحضاء[1]

وقوله [من البسيط] :

إلاّ يشبْ فلقد شابت له كبدٌ شيباً إذا خضبته سلوةٌ نصلا

وقوله [من الطويل] :

وقد ذقت حلواء البنين على الصّبا فلا تحسبنّي قلت ما قلت عن جهلِ

فجعل للطيب والبيض واليلب قلوباً ، وللسحاب حمى ، وللزمان فؤاداً ، وللكبد شيباً ، وهذه استعارات لم تجر على شبه قريب ولا بعيد ، وإنما تصح الاستعارة وتحسن على وجه من الوجوه المناسبة ، وطرق من الشبه والمقاربة .

قال الصاحب : وما زلنا نتعجب من قول أبي تمام [من الكامل] :

لا تسقني ماء الملام [فإنّني صبٌّ قد استعذبت ماء بكائي]

فخف علينا بحلواء البنين .

* * *

ومنها الاستكثار من قول « ذا »

قال القاضي : وهي ضعيفة في صنعة الشعر ، دالة على التكلف ، وربما

(١) الرحضاء : العرق إثر الحمّى.

وافقت موضعاً تليق به فاكتست قبولاً ، فأما في مثل قوله [من الخفيف] :

قد بلغت الذي أردت من البرِّ ومن حق ذا الشريف عليكا
وإذا لم تسر إلى الدار في وقتك ذا خفت أن تسير إليكا

وقوله [من الكامل] :

لو لم تكن من ذا الورى اللذ منك هو عقمت بمولد نسلها حواءُ

وقوله [من الكامل] :

عن ذا الذي حرم الليوث كماله تنسى الفريسة خوفه لجمالِهِ

وقوله [من المنسرح] :

وإنْ بكينا له فلا عجبٌ ذا الجزر في البحر غير معهودِ[1]

وقوله [من الطويل] :

أفي كلِّ يومٍ ذا الدمستق مقدمٌ قفاه على الإقدام للوجه لائمُ

وقوله [من الطويل] :

أبا المسك ذا الوجه الذي كنت تائقاً إليه ، وذا الوقت الذي كنت راجيا

وقوله [من الطويل] :

* وأعجب من ذا الهجر ، والوصل أعجب *

وقوله [من البسيط] :

أريد من زمني ذا أن يبلِّغني ما ليس يبلغه في نفسه الزمنُ

---

(١) الجزرُ : رجوع ماء البحر إلى الوراء .

وقوله [من الطويل] :

* يضاحك في ذا اليوم كلٌّ حبيبةٍ *

فهو ـ كما تراه ـ سخافة وضعف ، ولو تصفحت شعره لوجدت فيه أضعاف ما ذكرناه من هذه الإشارة ، وأنت لا تجد منهـا في عدة دواوين جاهلية حرفـاً ، والمحدثون أكثر استعانة بهـا ، لكن في الفـرط والنـدرة ، أو علـى سبيل الغلـط والفلتة .

* * *

ومنها الإفراط في المبالغة ، والخروج فيه إلى الإحالة

كقوله [من الوافر] :

ونالــوا ما اشتهــوا بالحــزم هوناً وصــاد الــوحـش نملهــم دبيبا[1]

وقوله [من البسيط] :

وضاقـت الأرض حتــى صار هاربهمْ إذا رأى غير شيءٍ ظنَّـه رجلا
فبعــده وإلــى ذا اليوم لو ركضتْ بالخيل في لهــوات الطفــل ما سعلا

وقوله [من الوافر] :

وأعجــب منــك كيف قدرت تنشا وقــد أعــطيت في المهــد الكمالا
وأقســـم لو صلحـــت يمين شيءٍ لمــا صلــح العبــاد له شمالا

وقوله [من الطويل] :

بمــن أضــرب الأمثـال ؟ أم من أقيسه إليك وأهــلُ الدهــر دونــك والدهرُ ؟

---

(١) الهون : الرفق والتأنّي والدبيب : مشي النمل.

وقوله [من الطويل] :

ولــو قلــمٌ ألقيت في شقّ رأسهِ من السّقــم ما غيّرت من خطِّ كاتبِ

وقوله [من البسيط] :

من بعــد ما كان ليلــي لا صبــاح لهُ كأنّ أوّل يوم الحشــر آخرُهُ

فهو مما يستهجن في صنعة الشعر ، على أن كثيراً من النقـدة لا يرتضـون هذا الإفراط كله .

* * *

ومنها تكرير اللفظ في البيت الواحد من غير تحسين

كقوله [من الطويل] :

ومـن جاهـلٍ بي وهـو يجهــل جهله ويجهــل علمــي أنّــه بيَ جاهلُ

وقوله في هذه القصيدة :

فقلقلـت بالهـمّ الــذي قلقــل الحشا قلاقــل عيسٍ كلُّهــنّ قلاقلُ(١)

قال الصاحب : وما زال الناس يستبشعون قول مسلم [من الكامل] :

سلّــت وسلّــت ثم سلّ سليلها فأتــى سليل سليلهــا مسلـولا

حتى جاء هذا المبدع فقال [من الوافر] :

وأفجــع من فقدنــا من وجدنا قبيــل الفقــد مفقــود المثالِ

وأظن المصيبة في الراثي أعظم منها في المرثي .

---

(١) قلقل : حرّك ، وقلاقل عيس : وهي النوق الخفيفة والعيس : الإبل .

وقوله [من الطويل] :

عظمــتَ فلمّــا لم تكلّــمْ مهابةً   تواضعت وهو العظم عظماً عن العظم

قال الصاحب : وما أحسن ما قال الأصمعي لمن أنشده [من الطويل] :

فمـا للنـوى جدّ النـوى قطـع النوى   كذاك النــوى قطّاعــةٌ لوصالِ

لو سلط الله تعالى على هذا البيت شاة فأكلت هذا النوى كله !

وقوله [من الطويل] :

ولا الضعف حتى يتبع الضعف ضعفه   ولا ضعف ضعف الضعف بل مثله ألفُ

وقوله [من الوافر] :

ولــم أر مثــل جيرانــي ومثلي   لمثلــي عنـد مثلهِــمِ مقامُ

وقوله [من البسيط] :

العارض الهتنُ ابن العارض الهتنِ ابــــن العارض الهتن ابن العارضِ الهتنِ[1]

وقوله [من الطويل] :

وإنّـي وإنْ كان الــدفين حبيبه   حبيبٌ إلــى قلبــي حبيبُ حبيبي

وقوله [من الطويل] :

لك الخير غيري رام من غيرك الغنى   وغيري بغير الــلاذقية لاحقُ

وقوله [من المنسرح] :

ملولــةٌ ما تدوم ليس لها   من مللٍ دائــمٍ بهــا مللُ

---

(١) العارض الهتن : الغيم الممطر.

وقوله [من الوافر] :

قبيلٌ أنت أنت وأنت منهم وجدّك بشّر الملك الهمامُ[1]

وقوله [من الوافر] :

وكلُّكُمُ أتى مأتى أبيهِ فكلٌّ فعالِ كلِّكمُ عجابُ

وقوله [من الطويل] :

وما أنا وحدي قلت ذا الشعر كلّهُ ولكن شعري فيك من نفسه شعرُ

وقوله [من الخفيف] :

إنّما الناس حيث أنت ، وما النا س بناسٍ في موضعٍ منك خالي

وقوله [من الطويل] :

ولولا تولّى نفسه حمل حمله عن الأرض لانهدّت وناء بها الحملُ

وقوله [من الوافر] :

ونهبُ نفوسِ أهل النّهب أولى بأهل النّهب من نهب القماشِ

وقوله [من الطويل] :

* وطعنٍ كأنّ الطّعن لا طعنَ عندهُ *

وقوله [من الطويل] :

أراه صغيراً قدرها عظم قدره فما لعظيمٍ قدره عنده قدرُ

---

(١) قبيل: جماعة.

وقوله [من الوافر] :

جـواب مسائلــي أَلَــهُ نظيرٌ ولا لك في سؤالك لا ألالا

قال الصاحب : ما قدرت أن مثل هذا البيت يلـج سمعـاً ، وقـد سمعـت الفأفاء ، ولم أسمع باللألاء ، حتى رأيت هذا المتكلف المتعسف ، الذي لا يقف حيث يعرف .

* * *

ومنها إساءة الأدب بالأدب

كقوله [من الكامل] :

فغــدا أسيراً قد بللــت ثيابه بدمٍ ، وبــلَّ ببولَــه الأفخاذا

وقوله [من المتقارب] :

ومـا بين كاذتــي المستغير كمـا بين كاذتــي البائـل[1]

وقوله [من الطويل] :

خفِ الله واستــرْ ذا الجمــال ببرقعٍ فإن لحت حاضت في الخدور العوائقُ[2]

ويقال : لما أنكرت عليه « حاضت » غيره فجعله « ذابت » ، وذكر البول والحيض مما لا يحسن وقوعه في مخاطبة الملوك والرؤساء .

وأقبح موقعاً من ذلك قوله في قصيدة يرثي بها أخت سيف الدولة ، ويعزيه عنها حيث يقول [من البسيط] :

وهــل سمعــت سلامــاً لي ألــمّ بها فقـد أطلـت ومــا سلّمــت عن كثبِ

---

(١) الكاذة : ما حول السوأة من ظاهر الفخذين ، أو لحم مؤخرهما .

(٢) حاضت : من الحيض وهو معروف عند المرأة والعوائق : الكريمات من النساء .

وما باله يسلم على حرم الملوك ، ويذكر منهن ما يذكره المتغزل في قوله [من البسيط] :

يعلمن حين تحيٍّ حسن مبسمها ... وليس يعلم إلاّ الله بالشنبِ[1]

وكان أبو بكر الخوارزمي يقول : لو عزاني إنسان عن حرمة لي بمثل هذا لألحقته بها ، وضربت عنقه على قبرها ، قال الصاحب : ولقد مررت على مرثية له في أم سيف الدولة تدل مع فساد الحس ، على سوء أدب النفس ، وما ظنك بمن يخاطب ملكاً في أمه بقوله [من الوافر] :

بعيشك هل سلوت فإنّ قلبي ... وإن جانبت أرضك غير سالي ؟

فيتشوق إليها ، ويخطىء خطأ لم يسبق إليه ، وإنما يقول مثل ذلك من يرثي بعض أهله ، فأما استعماله إياه في هذا الموضع فدال على ضعف البصر بمواقع الكلام ، وفي هذه القصيدة :

رواق العزّ فوقك مسبطر ... وملك عليٍّ ابْنِكَ في كمالِ[2]

ولعل لفظة الاسبطرار في مراثي النساء من الخذلان الرقيق الصفيق المتبر قال : ولما أبدع في هذه القصيدة واخترع قال :

صلاة الله خالقنا حنوط ... على الوجه المكفّن بالجمالِ

فلا أدري هذه الاستعارة أحسن أم وصفه وجه والدة ملك يرثيها بالجمال أم قوله في وصف قرابتها وجواريها .

أتتهنّ المصائب غافلاتٍ ... فدمع الحزن في دمع الدلالِ !؟

* * *

(١) الشنب : البارد من رضابها .
(٢) رواق العزّ : أي أروقتها . ومسبطر : الممتدّ .

ومنها الإيضاح عن ضعف العقيدة ورقة الدين

على أن الديانة ليست عياراً على الشعراء ، ولا سوء الاعتقاد سبباً لتأخر الشاعر ، ولكن للإسلام حقه من الإجلال الذي لا يسوغ الإخلال به قولاً وفعلاً ونظماً ونثراً ، ومن استهان بأمره ، ولم يضع ذكره وذكر ما يتعلق به في موضع استحقاقه ، فقد باء بغضب من الله تعالى ، وتعرض لمقته في وقته ، وكثيراً ما قرع المتنبي هذا الباب بمثل قوله [من الخفيف] :

يترشّفن من فمي رشفاتٍ هنَّ فيه أحلى من التوحيدِ

وقوله [من الطويل] :

ونصفي الذي يكنى أبا الحسن الهوى ونرضى الذي يسمى الإِلَه ولا يكنى

وقوله من قصيدة مدح بها العلوي [من الطويل] :

وأبهر آيات التهاميِّ أنّه أبوكم ، وإحدى مالكم من مناقبِ

وقوله [من الكامل] :

تتقاصر الأفهام عن إدراكه مثل الذي الأفلاك فيه والدُّنا

وقد أفرط جداً ؛ لأن الذي الأفلاك فيه والدنا هو علم الله عز وجل .

وقوله [من المنسرح] :

الناس كالعابدين آلهةً وعبده كالموحد اللاها

وقوله [من الكامل] :

لو كان علمك بالإِلَه مقسّماً في الناس ما بعث الإِلَه رسولا

أو كان لفظك فيهم ما أنزل الـ تـوراة والفرقان والإنجيلا

وقوله [من الكامل] :

لو كان ذو القرنين أعمل رأيه لما أتى الظلمات صرن شموساً
أو كان صادف رأس عازر سيفه في يوم معركةٍ لأعيا عيسى

عازر : اسم الرجل الذي أحياه المسيح عليه الصلاة والسلام ، بإذن الله عز وجل .

أو كان لجُّ البحر مثل يمينه ما انشقّ حتّى جاز فيه موسى

وكأن المعاني أعيته حتى التجأ إلى استصغار أمور الأنبياء ، وفي هذه القصيدة :

يا من نلوذ من الزمان بظلِّهِ أبداً ، ونطرد باسمه إبليسا

وقوله وقد جاز حد الإساءة [من مجزوء الرجز] :

أيُّ محلٍّ أرتقي ؟! أيُّ عظيمٍ أتّقي ؟!
وكلُّ ما قد خلق اللـه وما لم يخلق
محتقرٌ في همّتي كشعرةٍ في مفرقي[1]

وقبيح بمن أوله نطفة مذرة ، وآخره جيفة قذرة ، وهو فيما بينهما حامل بول وعذرة ، أن يقول مثل هذا الكلام الذي لا تسعه معذرة .

* * *

ومنها الغلط بوضع الكلام في غير موضعه

كقوله [من الوافر] :

أغار من الزجاجة وهي تجري على شفةِ الأمير أبي الحسينِ

(١) مفرقي : أي مفرق الشعر في الرأس .

وهذه الغيرة إنما تكون بين المحب ومحبوبه ، كما قال أبو الفتح كشاجم وأحسن [من الوافر] :

أغـــار إذا دنـــت من فيه كأسٌ   علـــى درٍّ يقبِّلـــه الزُّجـاجُ

فأما الأمراء والملوك فلا معنى للغيرة على شفاهها !

وكقوله [من المتقارب] :

وغـرٌّ الدمستـــق قول الوشا   ة إنّ عليّاً ثقيلٌ وصِبْ[1]

فجعل الأمراء يوشى بهم، وإنما الوشاية السعاية ونحوها [من الـرعية] ، ومن شأن الممدوح أن يفضل على عدوه ، ويجري العدو مجرى بعض أصحابه وليس في اللغة أن يقال : وشى فلان بالسلطان إلى بعض رعيته .

وكقوله في وصف الحمى المعرقة [من الوافر] :

إذا مـا فارقتنـــي غسلتني   كأنّـــا عاكفـان علـى حرام

وليس الحرام أخص بالاغتسال منه من الحلال .

وكقوله في وصف مهره [من الرجز] :

* وزاد في الأذن على الخرانق *[2]

وأذن الفرس يستحب فيها الدقة والانتصاب ، وتشبه بطرف القلم ، وأذن الأرنب ، على الضد من هذا الوصف .

* * *

---

(١) وصب : مريض .

(٢) الخرانق : الأرانب .

ومنها امتثال ألفاظ المتصوفة

واستعمال كلماتهم المعقدة ، ومعانيهم المغلقة ، في مثل قوله في وصف فرس [من الطويل] :

[وتسعدني في غمرةٍ بعد غمرةٍ] سبوحٌ لها منها عليها شواهدُ[1]

وقوله [من الوافر] :

إذا ما الكأس أرعشتِ اليدين صحوت فلم تحلْ بيني وبيني

وقوله [من الطويل] :

أفيكم فتىً حيٌّ يخبِّرني عنّي بما شربت مشروبة الراح من ذهني

وقوله [من مخلع البسيط] :

نال الذي نلت منه منّي لله ما تصنع الخمورُ !

وقوله [من الكامل] :

كبر العيان عليَّ حتّى إنّه صار اليقينُ من العيان توهّما

وقوله [من الكامل] :

وبه يضنُّ على البرية ، لا بها وعليه منها ، لا عليها ، يوسي

وقوله [من الوافر] :

ولولا أنّني في غير نومٍ لكنت أظنّني منّي خيالا

قال الصاحب : ولو وقع قوله [من الخفيف] :

نحن من ضايق الزمان له فيـ ـك ، وخانته قربك الأيام

---

(١) غمرة : موقعة وحرب ، وسبوح : فرس .

في عبارات الجنيد والشبلى لتنازعته المتصوفة دهراً بعيدا .

ومن أشد ما قاله في هذا المعنى قوله [من الطويل] :

ولكنّـك الـدّنيا إلـيَّ حبيبةٌ فمـا عنـك لي إلاَّ إليك ذهابُ

* * *

ومنها الخروج عن طريق الشعر إلى طريق الفلسفة

كقوله [من الكامل] :

ولجـدت حتـى كدت تبخـل حائلاً للمنتهـى ، ومـن السـرور بكاءُ

وقوله [من الخفيف] :

والأسـى قبـل فرقـة الـروح عجزٌ والأسـى لا يكون قبـل الفراقِ

وقوله [من الخفيف] :

إلف هذا الهـواء أوقـع في الأنـ ـفس أنّ الحمـام مرُّ المذاقِ

وقوله [من البسيط] :

تخـالف النـاس حتـى لا اتفـاقَ لهمْ إلاّ على شجبٍ والخلف في الشجب[1]

فقيل : تخلص نفس المـرء سالمةً ، وقيل : تشرك جسم المرء في العطبِ

وقوله [من الكامل] :

خلفـتْ صفاتـك في العيون كلامَهُ كالخـطّ يمـلأ مسمعـي من أبصرا

---

(١) الشجب : الهلاك .

وقوله [من الوافر] :

تمتّع من سهادٍ أو رقاد ولا تأمل كرى تحت الرجام[1]
فإنّ لثالث الحالين معنى سوى معنى انتباهك والمنام

قال ابن جني : أرجو أن لا يكون أراد بذلك أن نومة القبر لا انتباه لها .

* * *

ومنها استكراه التخلص

قال القاضي : لعلك لا تجد في شعره تخلصاً مستكرهاً إلا قوله [من الوافر] :

أحبك أو يقولوا : جرَّ نملٌ ثبيراً وابن إبراهيم ريعا[2]

فأما قوله [من الطويل] :

فأفنى وما أفنته نفسي ، كأنّما أبو الفرج القاضي له دونها كهفُ

وقوله [من البسيط] :

لو استطعت ركبت الناس كلّهم إلى سعيد بن عبد الله بعرانا

وقوله [من الطويل] :

أعزُّ مكانٍ في الدّنا سرج سابحٍ وخير جليسٍ في الزّمان كتابُ[3]
وبحر أبو المسك الخضمّ الذي له على كلّ بحرٍ زخرةٌ وعبابُ[4]

فهي وإن لم تكن مستحسنة مختارة فليست بالمستهجن الساقط .

* * *

---

(١) الرجام : الحجارة توضع على القبر .
(٢) ثبير : إسم جبل ، وابن ابراهيم : هو علي بن إبراهيم التنوخي ممدوحه ، وريعا : أي أخيف .
(٣) السابح : الحصان .
(٤) زخرة وعباب : كناية عن تفوّقه على غيره .

ومنها قبح المقاطع

كقوله بعد أبيات أحسن فيها غاية الإحسان ، وترقى الدرجة العالية ، وهي [من الطويل] :

ولله سرٌّ في علاك ، وإنّما كلام العدا ضربٌ من الهذيانِ
أتلتمس الأعداء بعد الذي رأتْ قيام دليلٍ أو وضوح بيان ؟
رأت كلّ من ينوي لك الغدر يبتلي بغدر حياةٍ أو بغدر زمان
قضى الله يا كافور أنّك واحدٌ وليس بقاضٍ أن يرى لك ثاني
فما لك تختار القسيّ ، وإنّما عن السعد ترمي دونك الثقلان[1]
وما لك تعني بالأسنّة والقنا وجدّك طعّانٌ بغير سنانِ ؟!
ولم تحمل السيف الطويل نجاده وأنت غنيٌّ عنه بالحدثان[2]
أرد لي جميلاً جدت أو لم تجد بهِ فإنّك ما أحببت فيَّ أتاني

هذا البيت الذي هو عوذتها .

لو الفلك الدوّار أبغضت سعيَهُ لعوّقه شيءٌ عن الدورانِ

وقوله في قصيدة منها [من الكامل] :

في خطّه من كلّ قلبٍ شهوةٌ حتّى كأنّ مداده الأهواءُ
ولكلّ عينٍ قرّةٌ في قربهِ حتّى كأنّ مغيبه الأقذاءُ[3]

هذا البيت الذي جعله المقطع .

لو لم تكن من ذا الورى اللذ منك هو عقمت بمولد نسلها حواءُ

---

(١) القسيّ : جمع قوس ، والثقلان : الجن والإنس .
(٢) نجاد السيف : حمائله ، والحدثان : الليل والنهار .
(٣) قرّة : من القرار ، وهو السكينة والهدوء ، والقذى : ما يقع في العين من أذىً .

وكقوله في آخر القصيدة [من الكامل] :

خلت البلاد من الغزالة ليلها فأعاضهاك الله كي لا تحزنا[1]

* * *

هذا آخر المقابح والمعائب ، وأول المحاسن والروائع والبدائع والقلائد والفرائد التي زاد فيها على من تقدم ، وسبق جميع من تأخر .

* * *

فمنها حسن المطالع

كقوله [من الطويل] :

فديناك من ربعٍ وإن زدتنا كربا فإنّك كنت الشرق للشمس والغربا
نزلنا عن الأكوار نمشي كرامةً لمن بان عنه أن نلمّ به ركبا

وقوله [من الكامل] :

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أوّلٌ، وهي المحلُّ الثاني
فإذا هما اجتمعا لنفسٍ مرّةٍ بلغت من العلياء كلَّ مكانِ[2]

وقوله [من الطويل] :

إذا كان مدحٌ فالنسيبُ المقدَّمُ أكلُّ فصيحٍ قال شعراً متيَّمُ ؟
لحبُّ ابن عبد الله أولى : فإنّهُ به يبدأ الذكر الجميل ويختمُ

وقوله [من البسيط] :

أعلى الممالك ما يبنى على الأسلِ والطعن عند محبّيهن كالقبلِ[3]

(1) الغزالة : أي الشمس .
(2) المرّة : القوية الثابتة .
(3) الأسل : الرماح .

وقوله [من الوافر] :

فـؤادٌ ما تسلّيه المدام وعمـرٌ مثل ما يهب اللئام

وقوله [من البسيط] :

أفاضل النـاس أغـراضٌ لذا الزمنِ يخلو من الهمِّ أخلاهـم من الفطنِ [1]

وقوله [من الكامل] :

اليوم عـهدكـمُ فأين الموعدُ هيهـات ليس ليوم عهـدكُمُ غدُ ؟
المـوت أقـرب مخلبـاً من بينكمْ والعيش أبعـد منـكُمُ لا تبعدوا

وقوله [من البسيط] :

المجـد عوفـيَ إذْ عوفيت والكرمُ وزال عنـك إلـى أعدائـك الألم

* * *

ومنها حسن الخروج والتخلص

كقوله [من البسيط] :

مرَّت بنـا بين تربيهـا فقلـت لها : من أين جانس هذا الشـادن العربا [2]
فاستضحـكت ثم قالـت : كالمغيث يرى ليث الشرى وهو من عجـلٍ إذا انتسبا

وقوله [من الطويل] :

وغيثٍ ظننـا تحتـهُ أنَّ عامراً علا لم يمـت أوفـى السحـاب له قبرُ

وقوله [من الطويل] :

وإلاّ فخانتنـي القوافـي ، وعاقني عن ابـن عبيد الله ضعف العزائمِ

---

(١) أغراض : أهداف ، والفطن : الذكاء .
(٢) الشادن : الظبي إذا طلع قرنه .

إذا صلت لم أترك مصالاً لصائلٍ وإن قلت لم أترك مقالاً لعالمِ

وقوله [من الطويل] :

نودِّعهم والبين فينا كأنَّهُ قنا ابن أبي الهيجاء في قلب فيلقِ (١)

وقوله [من الكامل] :

ومقانبٍ بمقانبٍ غادرتها أقوات وحشٍ كنَّ من أقواتها(٢)
أقبلتها غرر البلاد كأنّما أيدي بني عمران في جبهاتها

وقوله [من الكامل] :

حدقٌ يذمُّ من القواتل غيرها بدر بن عمار بن إسماعيلا

وقوله [من المتقارب] :

ولو كنت في أسر غير الهوى ضمنت ضمان أبي وائلِ
فدى نفسه بضمان النّضار وأعطى صدور القنا الذابلِ

* * *

ومنها النسيب بالأعرابيات

كقوله [من البسيط] :

من الجآذر في زيّ الأعاريب حمر الحلى والمطايا والجلابيبِ ؟ (٣)
إن كنت تسأل شكاً في معارفها فمن بلاك بتسهيدٍ وتعذيب ؟

---

(١) الفيلق : القطعة العظيمة من الجيش ، أو الرجل العظيم .
(٢) المقانب : جمع مقنب وهي الجماعة من الناس وأراد أنه لقي الأعداء بجيشٍ عظيم مغادرهم طعمةً للوحوش .
(٣) الجآذر : جمع جؤذر ، وهو ولد البقرة الوحشية .

سوائـرُ ربّمـا سارت هوادجها منيعـةً بين مطعـونٍ ومضروب

أي : لكثرة الرغبة فيهن، وشدة الذب عنهن ، والمحاربة دونهن .

وربمـا وخـدت أيدي المطـيّ بها على نجيعٍ من الفرسـان مصبوبِ[1]
كم زروةٍ ليَ في الأعـراب خافيةٍ أدهـى وقـد رَقـدوا من زورة الذيب
أزورهـم وسـواد الليل يشفـع لي وأنثنـي وبياض الصبـح يغـري بي

قد وقع التنبيه على حسن هذا البيت في شرف لفظه ومعناه ، وجودة تقسيمه ، وكونه أمير شعره .

قد وافقوا الـوحش في سكنى مراتعها وخالفوهـا بتقـويضٍ وتطنيبِ
فؤاد كلِّ محـبٍّ في بيوتهم ومـال كلّ أخيذِ المـال محروب[2]
ما أوجـه الحضـر المستحسنـات به كأوجـه البـدويّـات الرعابيب[3]
حسـن الحضـارة مجلـوبٌ بتطريةٍ وفـي البـداوة حسـنٌ غير مجلوب
أفـدي ظبـاء فلاةٍ ما عرفـن بها مضـغ الكلام ولا صبـغ الحواجيب
ولا برزن مـن الحمّـام مائلةً أوراكهـنَّ صقيـلاتُ العراقيب[4]
ومـن هوى كلّ من ليسـت مموهةً تركت لون مشيبـي غير مخضوب
ومـن هوى الصـدق في قولـي وعادته رغبـت عن شعـرٍ في الوجـه مكذوب

وناهيك بهذه الأبيات جزالة وحلاوة وحسن معادن .

وله طريفة ظريفة في وصف البدويات قد تفرد بحسنها وأجاد ما شاء فيها ،

---

(١) وخدت : سارت ، والنجيع : الدم السائل .
(٢) محروب : الذي أخذ جميع ماله .
(٣) الرعابيب : جمع رعبوبة وهي الطويلة الممتلئة .
(٤) العراقيب : جمع عرقوب ، وهو العصب الغليظ فوق عقب الرجل .

فمنها قوله [من البسيط] :

هام الفؤاد بأعرابيةٍ سكنتْ ... بيتاً من القلب لم تضربْ به طنبا

مظلومة القدّ في تشبيهه غصناً ... مظلومة الرّيق في تشبيهه ضربا[١]

وقوله [من الكامل] :

إن الذين أقمت واحتملوا ... أيامهم لديارهم دُوَلُ

الحسن يرحل كلّما رحلوا ... معهم ، وينزل حيثما نزلوا

في مقلتيْ رشأٍ تديرهما ... بدويّةٌ فتنت بها الحلل

تشكو المطاعم طول هجرتها ... وصدودها ومن الذي تصل

وصفها بقلة الطعم ، وهي محمودة في نساء العرب .

ما أسأرت في القعب من لبنٍ ... تركته وهو المسكُ والعسل[٢]

قالت ألا تصحو فقلت لها ... أعلمتني أنّ الهوى ثملُ

وقوله [من الطويل] :

ديار اللواتي دارهنَّ عزيزةٌ ... بطول القنا يحفظن لا بالتمائم[٣]

حسان التثنِّي ينقش الوشي مثله ... إذا مِسْنَ في أجسادهنّ النواعم

ويبسمن عن درٍّ تقلّدن مثلهُ ... كأنّ التراقي وشّحت بالمباسم[٤]

* * *

---

(١) الضرب : بفتح الضاد والراء : الشهد ؛

(٢) السؤر : بضمّ فسكون ، ما فضل من الشرب في الإناء ، والقعب : الإناء .

(٣) التمائم : جمع تميمة وهي عوذة تعلق على الصبي من العين .

(٤) التراقي : جمع ترقوة ، وهي العظمة التي بين ثغرة النحر والعاتق في أعلى الصدر .

ومنها حسن التصرف في سائر الغزل

كقوله [من الكامل] :

قد كان يمنعني الحياء من البكا فالآن يمنعه البكا أن يمنعا
حتّى كأنّ لكلِّ عظمٍ رنَّةً في جلده ولكلِّ عرقٍ مدمعا
سفرت وبرقعها الحياء بصفرةٍ سترت محاسنها ولم تكُ برقعا
فكأنّها والدمع يقطر فوقها ذهبٌ بسمطي لؤلؤٍ قد رصِّعا[1]
كشفت ثلاث ذوائبٍ من شعرها في ليلةٍ فأرت ليالي أربعا[2]
واستقبلت قمر السماء بوجهها فأرتنيَ القمرين في وقتٍ معا

وهي مما يتغنى به لرشاقتها وبلوغها كل مبلغ من حسن اللفظ وجودة المعنى ، واستحكام الصنعة .

وكقوله [من الوافر] :

أيدري الربع أي دمٍ أراقا ؟ وأيّ قلوب هذا الركب شاقا ؟
لنا ولأهله أبداً قلوبٌ تلاقي في جسومٍ ما تلاقى

معناه ينظر إلى قول ابن المعتز [من الرجز] :

إنّا على البعاد والتفرُّقِ لنلتقي بالذّكر إنْ لم نلتقي

ومنها :

فليت هوى الأحبَّة كان عدلاً فحمّل كلَّ قلبٍ ما أطاقا[3]

---

(١) السمط : العقد .
(٢) الذوائب : خصلات الشعر في مقدّمة الرأس .
(٣) عدلاً : منصفاً ، وأطاق : تحمّل .

ومنها :

وقد أخذ التمام البدر فيهم ... وأعطاني من السقم المحاقا
وبين الفرع والقدمين نورٌ ... يقود بلا أزمّتها النِّياقا[1]
وطرفٍ إن سقى العشّاق كأساً ... بها نقصٌ سَقَانيها دهاقا[2]
وخصرٍ تثبت الأحداق فيه ... كأنّ عليه من حدقٍ نطاقا[3]

وقوله [من المنسرح] :

كأنّما قدّها إذا انفتلتْ ... سكران من خمر طرفها ثملُ
يجذبها تحت خصرها عجزٌ ... كأنّه من فراقها وجلُ[4]

وقوله [من الكامل] :

مثّلت عينك في حشاي جراحةً ... فتشابها كلتاهما نجلاءُ[5]
نفذت عليّ السابريّ ، وربّما ... تندقّ فيه الصّعدة السّمراء[6]

وكقثوله [من الوافر] :

كأنّ العيس كانت فوق جفني ... مناخاتٍ فلمّا ثرن سالا[7]
لبسن الوشي لا متجملاتٍ ... ولكنْ كي يصنّ به الجمالا
وضفّرن الغدائر لا لحسنٍ ... ولكن خفن في الشعر الضّلالا

* * *

(١) الفرع : الشعر الأسود كناية عن الرأس .
(٢) دهاقاً : مملوءة .
(٣) النطاق : الازار ، وما تضعه المرأة في خصرها .
(٤) الوجل : الخوف .
(٥) النجلاء : الواسعة .
(٦) السابريّ : الدرع ، والصعدة : حديدة الرمح .
(٧) العيس : النوق والإبل ، ثرن : أي مشين ، وسال : أي دمعه .

ومنها حسن التشبيه بغير أداة التشبيه

كقوله [من الوافر] :

بدت قمراً ، ومالت غصن بانٍ   وفاحت عنبراً ، ورنت غزالا[1]

وقوله [من البسيط] :

ترنو إليَّ بعينِ الظَّبي مجهشةً   وتمسح الطلَّ فوق الورد بالعنمِ[2]

وقوله [من الكامل] :

قمراً ترى وسحابتين بموضعٍ   من وجهه ويمينه وشمالهِ

وقوله [من البسيط] :

أعارني سقم عينيه وحمَّلني   من الهوى ثقل ما تحوي مآزره

وقوله [من الوافر] :

عرفت نوائب الحدثان حتّى   لو انتسبت لكنت لها نقيبا

وقوله [من الكامل] :

فأتيت معتزماً ولا أسدٌ   ومضيت منهزماً ولا وعلُ

وقوله في وصف الخيل [من المتقارب] :

خرجنا من النقع في عارضٍ   ومن عرق الركض في وابلِ[3]

---

(١) رنت : نظرت .

(٢) العَنَمْ : شجر حجازي له نبت أحمر ، والعرب تشبّه به أصابع الحسان .

(٣) النقع : الغبار ، والعارض : الغيم . والوابل : الممطر .

وقوله [من الخفيف] :

وجيادٍ يدخلن في الحـرب أعرا ءً ويخرجـن من دمٍ في جلالِ[1]
واستعـار الحـديد لونـاً وألقى لونـه فـي ذوائـب الأطفالِ

* * *

ومنها الإبداع في سائر التشبيهات والتمثيلات

كقوله [من الطويل] :

وإنَّ نهـاري ليلـةٌ مدلهمَّةٌ على مقلـةٍ من فقـدكمْ في غياهبِ
بعيدة ما بـين الجفـون كأنَّما عقدتـم أعـالي كلّ هدبٍ بحاجب

ذكر ابن جني أنه مثل قول بشار [من الوافر] :

جفـت عينـي عن التغميض حتّى كأنّ جفـونها عنهـا قصارُ

وذكر القاضي أنه مأخوذ من قول الطرمي في رطاناته [من الطويل] :

ورأسي مرفـوعٌ إلى النّجـم كأنّما قفـاي إلى صلبـي بخيطٍ مخيَّطُ[2]

وقوله [من الطويل] :

كأنَّ رقيبـاً منـك سدّ مسامعي عن العذل حتّى ليس يدخلهـا العذلُ
كأنّ سهـاد العـين يعشـق مقلتي فبينهما في كلٍّ هجـرٍ لنـا وصلُ

وقوله [من الطويل] :

رأيت الحميّا في الزّجـاج بكفِّهِ فشبّهتها بالشمس في البدر في البحرِ[3]

---

(١) الجلال : جمع جل ، وهو للفرس كالبرذعة للحمار .
(٢) الصلب : عظم في الظهر من الكاهل إلى أسفل الظهر .
(٣) الحميّا : الخمر .

وقوله في الحمى [من الوافر] :

وزائرتي كأنَّ بها حياءً فليس تزور إلاّ بالظلامِ
بذلت لها المطارف والحشايا فعافتها وباتت في عظامي

وقوله في وصف الظبي [من الرجز] :

أغْناه حسن الجيد عن لبس الحلى وعادة العري عن التفضُّلِ[1]

* كأنّه مضمَّخٌ بصندلِ *[2]

وقوله في سرعة الأوبة وتقليل اللبث [من الوافر] :

وما أنا غير سهمٍ في هواءٍ يعود ولم يجد فيه امتساكا

قال ابن جنى : قد اختلف أهل النظر في هذا الموضع ، فقال قوم : إن السهم والحجر ونحوهما إذا رمي به صعدا فتناهى صعوده كانت له في آخر ذلك لبثة ما، ثم يتصوب منحدراً . وقال آخرون : لا لبثة له هناك ، وإنما أول وقت انحداره وقت صعوده .

وقوله ـ وهو أحسن ما قيل في وصف محنة نهكت صاحبها ، واشتدت به ، ثم عاد إلى حال السلامة وقد هذبته تلك الحال وزادته صفاء وسهولة [من الوافر] :

وربّتما شفيت غليل صدري بسيرٍ أو مقامٍ أو حسامِ
وضاقتْ خطّةٌ فخرجت منها خروج الخمر من نسج الفدام[3]

وقوله وهو مما لم يسبق إليه [من الطويل] :

كريمٌ نفضت الناس لمّا لقيته كأنّهم ما جفَّ من زاد قادمِ

---

(1) الجيد : العنق ، والتفضّل : بقيّة الشيء .
(2) الصندل : شجر هندي أبيض الزهر ، خشبه طيّب الرائحة .
(3) الفدام : المصفاة .

وكاد سروري لا يفي بندامتي على تركه في عمريَ المتقادم

وقوله وهو من بدائعه [من الوافر] :

رضوا بك كالرضا بالشيب قسراً وقد وخط النواصي والفروعا[1]

وقوله في وصف الشعر [من البسيط] :

إذا خلعْت على عرضٍ له حللاً وجدتها منه في أبهى من الحلل
بذي الغباوة من إنشادها ضررٌ كما تضرُّ رياح الورد بالجعل[2]

وذلك أن الجعل إذا طرح عليه الورد غشي عليه .

* * *

ومنها التمثيل بما هو من جنس صناعته

كقوله [من البسيط] :

وإنّما نحن في جيلٍ سواسيةٌ شرٌّ على الحرِّ من سقمٍ على البدنِ
حولي بكلِّ مكانٍ منهم خلقٌ تخطي إذا جئت في استفهامها بمن

« من » إنما يستفهم بها عمن يعقل ، يقول : هؤلاء كالبهائم ، فقولك لهم « من أنتم » خطأ ، إنما ينبغي أن يقال لهم « ما أنتم » لأن موضع « ما » لما لا يعقل ، ويحكى أن جريراً لما قال [من البسيط] :

يا حبذا جبل الريّان من جبلٍ وحبّذا ساكن الريان من كانا

قال الفرزدق : ولو كان ساكنه قروداً ؟ فقال له جرير : لو أردت هذا لقلت ما كانا ولم أقل من كانا .

---

(١) وخط : خالط ، والنواصي : جمع ناصية وهي شعر مقدم الرأس والفروع : الشعر الأسود.

(٢) الجعل : نوع من الخنافس .

وكقوله [من البسيط] :

نتــاج رأيك في وقــتٍ علــى عجلٍ　　كلفــظ حرفٍ وعــاه سامــعٌ فهِمُ

وقوله [من البسيط] :

من اقتضــى بســوى الهنــديّ حاجتهُ　　أجــاب كلّ سؤال عن هل بلمِ

وقوله [من الكامل] :

أمضــى إرادتــه فســوف له قـد　　واستقــرب الأقصــى فثــمّ لـه هنا

« سوف » للاستقبال ، و « قد » موضوعة للمضي ومقاربة الحال ، يقول : إذا نوى أمراً فكأنما يسابق نيته ، وقوله [من الكامل] :

دون التعانــق ناحلين كشكلتي　　نصــبٍ أدقّهمــا وضــمٌّ الشاكلُ

وقوله [من الوافر] :

ولــولا كونــكم في النــاس كانوا　　هـراءً كالــكلام بلا معان[1]

وقوله [من الطويل] :

قشيرٌ وبلعجــان فيهــا خفيةٌ　　كراءين في ألفــاظ ألثــغ ناطقٍ[2]

وقوله [من الطويل] :

إذا كان ما تنــويه فعــلاً مضارعاً　　مضــى قبــل أن تلقــى عليه الجوازمُ

المضارع ما كان في أوله إحدى الزوائد الأربع ، مثل : أقوم ، ونقـوم وتقـوم ، ويقوم ، يقول : إذا نويت فعلاً أوقعته قبل فوته . وقبل أن يقال لم يفعل ، وأن

---

(١) الهراء : الذي لا معنى وراءه .

(٢) أراد بقوله ، بلعجان ، بنو العجلان .

يفعل ، وقوله [من الوافر] :

وكان ابنـــا عدوٍّ كاثراه له يآءي حروف أُنَيْسَيـانِ

« أنيسيان » تصغير إنسان وتحقيره ، وإنسان عدد حروفه خمسة ، وهو اسم مكبر ، فإذا صغرته زدت عليه ياءين فزادت حروفه ونقص معناه ، فكذاك إذا كان لعدوه ابنان فكاثره بهما ، فيكونان زائدين في عدده ولكن ناقصين ، لسقوطهما وتخلفهما .

* * *

ومنها المدح الموجه

كالثوب له وجهان ما منهما إلا حسن ، كقوله [من الطويل] :

نهبــت من الأعمــار ما لو حويتهُ لهنِّئـتِ الـدنيا بأنـك خالـدُ

قال ابن جني : لو لم يمدح أبو الطيب سيف الدولة إلا بهذا البيت وحده لكان قد بقي فيه ما لا يخلقه الزمان ، وهذا هو المدح الموجه ، لأنه بنى البيت على ذكر كثرة ما استباحه من أعمار أعدائه ، ثم تلقاه من آخر البيت بذكر سرور الدنيا ببقائه ، واتصال أيامه ، وكقوله [من البسيط] :

عمــر العــدوّ إذا لاقــاه في رهجٍ أقـلّ من عمــر ما يحــوي إذا وهبا[1]

مالٌ كأنّ غراب البين يرقبهُ فكلّمــا قيل هذا مجتــدٍ نعبا[2]

وقوله [من المنسرح] :

تشـرق تيجــانـه بغرّتـه إشـراق ألفــاظـهِ بمعناهــا

(١) الرهج : غبار الحرب .

(٢) المجتدي : السائل ، ونعب : صوّت .

وقوله [من المنسرح] :

تشرق أعراضهم وأوجههمْ   كأنّما في نفوسهم شيمُ

وقوله [من الطويل] :

إلى كم تردّ الرسل فيما أتوا له   كأنهم فيما وهبت ملامُ

وقوله [من الطويل] :

يخيَّلِ لي أنّ البلاد مسامعي   وأنّيَ فيها ما تقول العواذلُ

وقوله [من البسيط] :

كأنّ ألسنهم في النطق قد جعلتْ   على رماحهم في الطعنِ خرصانا(1)

* * *

ومنها حسن التصرف في مدح سيف الدولة بجنس السيفية

كقوله [من المتقارب] :

لقد رفع الله من دولةٍ   لها منك يا سيفها منصلُ(2)

وقوله [من الكامل] :

لولا سميُّ سيوفه ومضاؤه   لمّا سللن لكنَّ كالأجفان

وقوله [من الطويل] :

عزاءك سيف الدولة المقتدى بهِ   فإنّك نصلٌ والشدائد للنصلِ

(1) خرصان : جمع خرْص ، وهو سنان الرمح .
(2) المنصل : السيف .

وقوله [من البسيط] :

يسمّى الحسام وليست من مشابهةٍ | وكيف يشتبه المخدوم والخدمُ
كلّ السيوف إذا طال الضراب بها | يمسّها ـ غير سيف الدولة ـ السأمُ[1]

وقوله [من الطويل] :

تهاب سيوف الهند وهي حدائدٌ | فكيف إذا كانت نزاريّةٌ عربا

وقوله [من الطويل] :

تحيّر في سيفٍ : ربيعة أصلُهُ | وطابعه الرحمن ، والمجد صاقلُ

وقوله [من الخفيف] :

قلّد الله دولةً سيفها أنـ | ـت حساماً بالمكرمات محلّى
فإذا اهتزّ للندى كان بحراً | وإذا اهتزّ للعدا كان نصلا

وقوله [من الطويل] :

وأنت حسام الملك والله ضاربٌ | وأنت لواء الدّين والله عاقدُ

وقوله [من الطويل] :

لقد سلّ سيف الدولة المجد معلماً | فلا المجد مخفيه ولا الضرب ثالمهْ[2]
على عاتق الملك الأغرِّ نجاده | وفي يد جبار السّموات قائمهْ[3]
وإنّ الذي سمى علياً لمنصفٌ | وإنّ الذي سمّاه سيفاً لظالمه
وما كلّ سيفٍ يقطع الهام حدُّهُ | وتقطع لزبات الزمان مكارمه[4]

---

(١) الضراب : من الضرب ، والسأم : الملل .
(٢) معلماً : واضحاً عالياً وثلمه : قطعه .
(٣) قائمه : قبضته .
(٤) الزبات : شدّته وقحطه .

وقوله [من الكامل] :

إنّ الخليفة لم يسمِّكَ سيفهُ ... حتى بلاك فكنت عين الصارمِ[1]
وإذا تتوّج كنت درّة تاجه ... وإذا تختّم كنت فصَّ الخاتمِ

وقوله [من الكامل] :

من للسيوف بأن تكون سميُّها ... في أصله وفرندِهِ ووفائهِ[2]
طبع الحديد فكان من أجناسه ... وعليٌّ المطبوع من آبائه

* * *

ومنها الإبداع في سائر مدائحه

كقوله [من الكامل] :

ملِكٌ سنانُ قناته وبنانهِ ... يتباريان دماً وعرفاً ساكبا
يستصغر الخطر الكبير لوفده ... ويظنُّ دجلة ليس تكفي شاربا
كالبدر من حيث التفتّ رأيته ... يهدي إلى عينيك نوراً ثاقبا
كالشمس في كبد السماء وضوؤها ... يغشى البلاد مشارقاً ومغاربا
كالبحر يقذف للقريب جواهراً ... جوداً ، ويبعث للبعيد سحائبا

وقوله [من الكامل] :

ليس التعجب من مواهب ماله ... بل من سلامتها إلى أوقاتها
عجباً له حفظ العنان بأنملٍ ... ما حفظها الأشياء من عاداتها
لو مرّ يركض في سطور كتابه ... أحصى بحافر مهره ميماتها
كرمٌ تبيَّن في كلامك ماثلاً ... ويبين عتق الخيل في أصواتها[3]

---

(١) بلاك : اختبرك ، والصارم : السيف القاطع .
(٢) الفرند : السيف بالفارسية .
(٣) عتق الخيل : نجابتها .

أعيا زوالك عن محلٍّ نلته لا تخرج الأقمار من هالاتها

فيه مدح ، ومثل مضروب ، وتشبيه نادر .

ذكر الأنام لنا فكان قصيدةً أنت البديع الفرد من أبياتها

وهذا البديع الفرد من أبيات هذه القصيدة ، وكقوله [من الطويل] :

وما زلت حتى قادني الشوق نحوهُ يسايرني في كلِّ ركبٍ له ذكرُ
وأستكبر الأخبار قبل لقائهِ فلمّا التقينا صغَّر الخبرَ الخبْرُ

هذا ضد قولهم « تسمع بالمعيدي خير من أن تراه » .

أزالت بك الأيام عتبي كأنّما بنوها لها ذنبٌ وأنت لها عذرُ

وكقوله [من الطويل] :

ألا أيّها المال الذي قد أباده تعزَّ فهذا فعله بالكتائبِ[1]
لعلّك في وقتٍ شغلت فؤاده عن الجود أو أكثرت جيش محارب

وقوله [من الخفيف] :

بعثوا الرعب في قلوب الأعادي فكأنّ القتال قبل التلاقي
وتكاد الظُّبا لما عوّدوها تنتضي نفسها إلى الأعناق
كلّ ذمرٍ يزيد في الموت حسناً كبدورٍ تمامها في المحاق[2]
كرمٌ خشّنَ الجوانب منهمْ فهو كالماء في الشِّفار الرقاقِ[3]
ومعالٍ إذا ادّعاها سواهمْ لزمته جناية السُّراقِ

(١) أباده : أنفقه ، والكتائب : جمع كتيبة وهي الفرقة من الجيش .
(٢) الذمر : الشجاع الظريف . والمحاق : سرار القمر وخفاؤه .
(٣) الشِّفار : السيوف .

وكقوله [من الخفيف] :

خيـر أعضـائنـا الـرءوس ولكن فَضُـلتهـا بقصـدك الأقـدامُ

وكقوله [من المنسرح] :

قـومٌ بلـوغ الغـلام عندهمُ طعـن نحـور الكمـاة لا الحلمُ
كأنّمـا يولـد النـدى معهمْ لا صغـرٌ عاذرٌ ولا هرمُ
إذا تولّـوا عداوةً كشفوا وإن تولّـوا صنيعـةً كتموا
تظـنُّ من فقـدك اعتدادهمُ بأنّهـم أنعمـوا ومـا علموا
إن برقـوا فالحتـوف حاضرةٌ أو نطقـوا فالصـواب والحكم
أو شهـدوا الحرب لاقحـاً أخذوا من مهـج الـدارعين ما احتكموا[1]
أو حلفـوا بالغمـوس واجتهدوا فقولهم « خاب سائلـي » القسم[2]
أو ركبـوا الخيل غير مسرجةٍ فإنّ أفخـاذهـم لهـا حزمُ
تشـرق أعراضهـم وأوجههمْ كأنّهـا في نفوسهـم شيمُ
أعيذكم من صروف دهركمُ فإنّـه فـي الـكرام متّهمُ

وكقوله [من المنسرح] :

النـاس ما لم يروك أشباهُ والدهـر لفـظٌ وأنـت معناهُ
والجـود عينٌ وأنـت ناظرهُ والبـأس باعٌ وأنـت يمناه
يا راحـلاً كلّ من يودّعه مودِّعٌ دينـه ودنيـاهُ
إن كان فيمـا تراه من كرمٍ فيك مزيدٌ فزادك الله

وكقوله [من البسيط] :

تمشـي الـكرام علـى آثـار غيرهم وأنـت تخلـق ما تأتـي وتبتدعُ

---

(١) لاقحاً : هائجة .

(٢) خاب سائلي : هذه جملة يقولها أحدهم عندما يحلف ، مثل قول أحدنا « برئت من كذا » .

من كان فوق محلِّ الشمس موضعه فليس يرفعه شيءٌ ولا يضعُ

وكقوله [من الطويل] :

فلما رأوه وحده دون جيشه دروا أنّ كلَّ العالمين فضولُ

وكقوله [من الطويل] :

وأوردهم صدر الحصان وسيفه فتى بأسه مثل العطاء جزيلُ
جوادٌ على العلاّت بالمال كلّهِ ولكنّه بالدّارعين بخيلُ(١)

وكقوله [من الطويل] :

أرى كلَّ ذي ملكٍ إليك مصيرُهُ كأنّكَ بحرٌ والملوك جداولُ
إذا أمطرت منهم ومنك سحابةٌ فوابلهم طلٌّ وطلُّك وابلُ(٢)

وقوله [من الطويل] :

ودانت له الدنيا فأصبح جالساً وأيّامه فيما يريد قيامُ
وكلُّ أناسٍ يتبعون إمامهم وأنت لأهل المكرمات إمامُ
وربَّ جوابٍ عن كتابٍ بعثته وعنوانه للناظرين قتامُ(٣)

وكقوله [من الطويل] :

هم المحسنون الكرَّ في حومةِ الوغى وأحسن منهم كرُّهم في المكارمِ(٤)
ولولا احتقار الأسد شبّهتها بهم ولكنّها معدودةٌ في البهايمِ

---

(١) العلاّت : كلّ الأحوال .
(٢) الطلّ : الندى ، والوابل : المطر .
(٣) القتام : الغبار .
(٤) الكرُّ : الهجوم والحرب .

وكقوله [من المنسرح] :

أغـرّ أعـداؤه إذا سلمـوا ... بالهـرب استكثـروا الـذي فعلوا
إنـك من معشـرٍ إذا وهبوا ... ما دون أعمارهـم فقـد بخلوا
كتيبـةٌ لسـت ربّهـا نفلٌ ... وبلـدةٌ لسـت حليهـا عَطِلُ[1]

وكقوله [من المنسرح] :

لـو كفـر العالمـون نعمته ... لمـا عَدَتْ نفسـه سجاياها[2]
كالشـمس لا تبتغـي بمـا صنعتْ ... منفعـةً عندهـم ولا جاها

وكقوله [من الطويل] :

فجـاءت بنـا إنسـان عين زمانه ... وخلّـت بياضـاً خلفهـا ومآقيا[3]

وهذا أحسن ما يمدح به ملك اسود ، ولا نهاية لحسنه ، وشرف معناه ، وجودة تشبيهه وتمثيله :

ترفـع عن عون المـكارم فعله ... فمـا يفعـل الفعـلات إلاّ عذاريا[4]
أبـا كلّ طيبٍ ، لا أبـا المسـك وحده ... وكلّ سحـاب لا أخصّ الغواديا
يدلُّ بمعنـى واحـدٍ كلّ فاخرٍ ... وقـد جمع الرحمـن فيك المعانيا

ألم فيه بقول أبي نواس [من المجتث] :

كأنّمـا أنـت شـيءٌ ... حـوى جميـع المعاني

* * *

(١) النفل : الغنيمة ، والعطل : الخالية من الحليّ .
(٢) عدت : فارقت ، والسجايا : المزايا والصفايا .
(٣) إنسان العين : بؤبؤها .
(٤) العون : النصف من النساء ، وأراد هنا المكرمة التي لها مثال ونظير ، والعذارى : البكر من النساء ، وأراد المكرمة التي ليس لها نظير .

ومنها مخاطبة الممدوح من الملوك

بمثل مخاطبة المحبوب والصديق ، مع الإحسان والإبداع

وهو مذهب له : تفرد به ، واستكثر من سلوكه ، اقتداراً منه ، وتبحراً في الألفاظ والمعاني ، ورفعا لنفسه عن درجة الشعراء ، وتدريجاً لها إلى مماثلة الملوك ، في مثل قوله لكافور [من الطويل] :

وما أنا بالباغي على الحبّ رشوةً ضعيف هوىً يبغي عليه ثوابُ
وما شئت إلاّ أن أدلّ عواذلي على أن رأيي في هواك صوابُ
وأعلم قوماً خالفوني فشرّقوا وغرَّبتُ ، أنّي قد ظفرت وخابوا
إذا نلت منك الودّ فالمال هينٌ وكلّ الذي فوق الترابِ ترابُ

وقوله له [وقد أهداه مهراً أسود] [من الطويل] :

فلو لم تكن في مصر ما سرت نحوها بقلب المشوق المستهام المتيَّمِ

وقوله لابن العميد [يودعه] [من الطويل] :

تفضّلتِ الأيّام بالجمع بيننا فلمّا حمدنا لم تدمنا على الحمدِ
فجدْ لي بقلبٍ إن رحلت فإنّني مخلّفُ قلبي عند من فضله عندي

وقوله لعضد الدولة [من الوافر] :

أروح وقد ختمت على فؤادي بحبّك أن يحلَّ به سواكا
فلو أنّي استطعت حفظت طرفي فلم أبصرْ به حتّى أراكا

من قصيدة تشتمل على أبيات من هذا الطراز ، سأكتبها في آخر الباب .

وكقوله لسيف الدولة [من البسيط] :

ما لي أكتّمُ حبّاً قد برى جسدي وتدّعي حبَّ سيف الدولة الأممُ ؟

إن كان يجمعنـا حبٌّ لغرَّته ... فليت أنّـا بقـدر الحـبِّ نقتسِمُ[1]

يا أعـدل النـاس إلاّ في معاملتي ... فيك الخصام ،وأنت الخصم والحكم

إذا رأيت نيوب الليث بارزةً ... فلا تظنَّـنَّ أنَّ الليث يبتسم

أعيذهـا نظـراتٍ منـك صادقةً ... أن تحسب الشحم فيمن شحمـه ورمُ

ومـا انتفـاع أخـي الـدنيا بناظره ... إذا استـوت عنـده الأنـوار والظُّلَمُ

يا من يعـزُّ علينـا أن نفارقهمْ ... واجـداننا كلُّ شيءٍ بعـدكم عدم

ما كان أخلقنـا منـكم بتكرمةٍ ... لو أنّ أمـركم من أمرنـا أمم[2]

إن كان سرَّكم ما قال حاسدنا ... فمـا لجـرحٍ ـ إذا أرضـاكم ـ ألم

وبيننـا ، لو رعيتـم ذاك ، معرفةٌ ... إنَّ المعـارف في أهـل النُّهـى ذممُ

كم تطلبـون لنـا عيبـاً فيعجزكمْ ... ويكره الله ما تأتـون والكرم

ما أبعـد العيب والنقصـان من شرفي ... أنـا الثـريا وذان الشيب والهرم

ليت الغمـام الـذي عنـدي صواعقُهُ ... يزيلهـنّ إلـى من عنـده الدِّيم[3]

أرى النـوى تقتضينـي كلَّ مرحلةٍ ... لا تستقـلّ بهـا الوخّـادة الرّسم[4]

لئـن تركنـا ضميراً عن ميامننا ... ليحدثـنّ لمـن ودّعتهـم نـدم

إذا ترحّلـت عن قوم وقـد قدروا ... ألاّ تفارقهـم فالراحلـون هـم

شر البـلاد بلادٌ لا صديق بها ... وشـرُّ ما يكسـب الإنسـان ما يصم[5]

وشـرُّ ما قنصتـه راحتـي قنصٌ ... شهـب البـزاة سواءٌ فيه والرخم[6]

---

(١) لغرّتـه : لطلعته المضيئة .

(٢) أخلقنا : أجدرنا ، وأمم : قريب .

(٣) الديم : السحاب الممطر .

(٤) النوى : الفراق والبعد ، والوخّادة : النوق السريعة السير ، والرسم : جمع رسوم ، وهي الناقة التي تؤثّر في الأرض بأخفافها .

(٥) يصم : يلحق به العار .

(٦) الرخم : طائرٌ من الجوارح يشبه النسر .

وهي ـ على براعتها ، واستقلال أكثر أبياتها بأنفسها ـ تكاد تدخل في باب إساءة الأدب بالأدب ، وقد تقدم ذكره .

* * *

ومنها استعمال ألفاظ الغزل والنسيب في أوصاف الحرب والجد

وهو أيضاً مما لم يسبق إليه ، وتفرد به ، وأظهر فيه الحذق بحسن النقل ، وأعرب عن جودة التصرف والتلعب بالكلام ، كقوله [من البسيط] :

أعلى الممالك ما يبني على الأسلِ ... والطعن عند محبِّيهن كالقبلِ

وقوله ، وهو من فرائده [من الطويل] :

شجاعٌ كأنَّ الحرب عاشقةٌ له ... إذا زارها فدّته بالخيل والرجل

وكقوله [من البسيط] :

وكم رجالٍ بلا أرضٍ لكثرتهمْ ... تركتَ جمعهم أرضاً بلا رجلِ

ما زال طرفك يجري في دمائهم ... حتى مشى بك مشي الشارب الثملِ

وكقوله [من المنسرح] :

والطّعن شزرٌ والأرض واجفةٌ ... كأنّما في فؤادها وهلُ(١)

قد صبغت خدّها الدماء كما ... يصبغ خدّ الخريدة الخجل(٢)

والخيل تبكي جلودها عرقاً ... بأدمعٍ ما تسحّها مُقَلُ(٣)

---

(١) الشزر : أي أن الطعن عن اليمين والشمال ، وواجفة : مضطربة ، والوهل : الخوف والرعب والذهل .

(٢) الخريدة : الفتاة البكر .

(٣) تسحّ : تذرف .

وكقوله [من الطويل] :

تعـوّد أن لا تقضـم الحـبَّ خيله ... إذا الهـام لم ترفـع جنـوب العلائقِ[1]
ولا ترد الغـدران إلاّ وماؤها ... من الـدمّ كالريحـان تحـت الشقائق

وكقوله [من الكامل] :

فأتتـك دامية الأظـلّ كأنّما ... حذيت قوائمهـا العقيق الأحمرا
وإذا الحمائـل ما يخـدن بنفنفٍ ... إلاّ شققـن عليه برداً أخضرا[2]

وكقوله [من الكامل] :

قـد سوّدت شجـر الجبـال شعورهمْ ... فكأنّ فيه مسفَّـة الغربان[3]
وجـرى علـى الـورق النجيع القاني ... فكأنّـه النارنـج في الأغصـان

وكقوله [من الوافر] :

حمـى أطـراف فارس شمرّيٌّ ... يحضُّ علـى التباقـي في التفاني[4]
بضـربٍ هاج أطـراب المنايا ... سوى ضربِ المثالـث والمثاني
كأنّ دم الجماجـم في العناصي ... كسـا البلـدان ريش الحيقطان[5]
فلـو طرحـت قلـوب العشـق فيها ... لما خافـت من الحـدق الحسان[6]

---

(١) العلائق : العلف الذي تعلق به .
(٢) يخدن : من الوخد وهو ضرب من السير السريع ، والنفنف : المفازة والمهوى .
(٣) المسفّة : الدانية من الأرض ، وأسفّ الطائر : إذا دنا من الأرض في طيرانه .
(٤) شمّريٌّ : فارسٌ كثير التشمير ، أي الجدّ والسّعي ، ويحضّ : يحثّ .
(٥) العناصي : جمع عنصوة وهو الشعر المتفرّق في جوانب الرأس ، والحيقطان : ذكر الدرّاج وريشه ملون .
(٦) يريد بقلوب العشق ، قلوب أهله .

وكقوله [من الطويل] :

كَرِعْنَ بسبتٍ في إناءٍ من الورد(1)

* * *

ومنها حسن التقسيم

حكى أبو القاسم الآمدي في كتاب الموازنة بين شعري الطائيين ، قال : سمع بعض الشيوخ من نقدة الشعر قول العباس بن الأحنف [من الطويل] :

وصالكُمُ هجرٌ ، وحبُّكم قلى　　وعطفكم صدٌّ ، وسلمكم حربُ(2)
وأنتم بحمد الله فيكم فظاظةٌ　　وكلٌّ ذلولٍ من مراكبكمْ صعبُ(3)

فقال : والله هذا أحسن من تقسيمات إقليدس ، وقول أبي الطيب المتنبي في هذا الفن أولى بهذا الوصف [من البسيط] :

ضاق الزمان ووجه الأرض عن ملكٍ　　ملء الزمان وملء السهل والجبل
فنحن في جذلٍ ، والرُّوم في وجلٍ　　والبرُّ في شغلٍ ، والبحر في خجل(4)

وكقوله [من البسيط] :

الدّهر معتذرٌ ، والسّيف منتظرٌ　　وأرضهم لك مصطافٌ ومرتبعُ
للسبي ما نكحوا ، والقتل ما ولدوا　　والنهب ما جمعوا ، والنار ما زرعوا

وقوله [من الطويل] :

فلم يخلُ من نصرٍ له مَنْ له يدٌ　　ولم يخل من شكرٍ له مَن له فمُ

---

(1) كرعن : شربن . ، والسبت : بكسر السين وسكون الباء ، جلود تدبغ بالقرط .
(2) القلى : البغض .
(3) الذلول : الليّن السهل الانقياد .
(4) الجذل : السرور والفرح ، والوجل : الخوف .

ولـــم يخـــل من أسمائـــه عود منبرٍ ولـم يخـل دينـارٌ ولـــم يخـــل درهمُ

وقوله [من الوافر] :

قليلٌ عائـــدي ، سقـــمٌ فؤادي كثيرٌ حاسـدي ، صعـــبٌ مرامي[1]
عليـل الجســـم ممتنـع القيام شديد السّـكر من غير المدام

وقوله [من المتقارب] :

بمصـــر ملـــوكٌ لهـــمْ ما لَهُ ولـكنّهـم ما لهـــم همّةُ
فأجـــود من جودهـــم بخله وأحمـد من حمدهـــم ذمّةُ
وأشـــرف من عيشهـــم موته وأنفـع من وجدهـــم عدمه

وقوله [من البسيط] :

لم نفتقـــد بك من مزنٍ سوى لثقٍ ولا من البحـــر غير الـــريح والسفن[2]
ولا من الليث إلاّ قبـــح منظره ومـــن سواه سوى ما ليس بالحسن

وقوله [من الطويل] :

يجـلُّ عن التشـــبيه : لا الـــكفُّ لجّةٌ ولا هو ضرغـــامٌ ، ولا الـــرأي مخذمُ
ولا جرحـــه يؤســـى، ولا غوره يرى ولا حـدّه ينبـــو ولا يتثلّمُ[3]
محلّك مقصـــودٌ ، وشـــانيك مفحمٌ ومثلك مفقـــود ، ونيلك خضرم[4]

---

(١) العائد : الزائر ، والمرام : الغاية والنيل .
(٢) المزن : السحاب الممطر ، واللثق : تبلُّل الثياب أو : الوحل .
(٣) غوره : عمقه وعبابه ، ينبو : لا يصيب ولا يقطع . ويتثلّم : يتقطّع .
(٤) الشانيء : المبغض ، والمفحم : المغلوب والمقهور . والخضرم : البحر العظيم ، والكثير من كلٍّ شيء .

وقوله [من الطويل] :

أذمُّ إلى هذا الزمان أهيله فأعلمهم فدمٌ ، وأحزمهم وغدُ[1]
وأكرمهم كلبٌ ، وأبصرهم عمٍ ، وأسهدهم فهدٌ ، وأشجعهم قردُ

وقوله [من الكامل] :

وغناك مسألةٌ ، وطيشك نفحةٌ ورضاك فيشلةٌ ، وربُّك درهمُ[2]

وقوله [من الخفيف] :

عربيٌّ لسانه ، فلسفيٌّ رأيه ، فارسيّةٌ أعياده

وقوله [من الطويل] :

سقتني بها القطربُّليَ مليحةٌ على كاذبٍ من وعدها ضوء صادقِ[3]
سهادٌ لأجفانٍ ، وشمسٌ لناظرٍ ، وسقمٌ لأبدانٍ ، ومسكٌ لناشق
وأغيد يهوى نفسه كلّ عاقلٍ عفيفٍ ، ويهوى جسمه كلّ فاسقِ

* * *

ومنها حسن سياقة الأعداد

كقوله [من الطويل] :

على ذا مضى الناس : اجتماعٌ وفرقةٌ وميتٌ ومولودٌ ، وقالٍ ووامقُ[4]

---

(١) الفدم : الجاهل والأحمق والوغد : الخبيث الماكر .
(٢) النفحة : الفورة والدفعة ، والفيشلة : القضيب الضخم الرأس .
(٣) القطربليّ : الخمر المنسوب إلى قطربل .
(٤) القال : الكاره ، والوامق : العاشق .

وقوله [من الطويل] :

ألا أيّها السيف الذي ليس مغمداً ولا فيه مرتابٌ ، ولا منه عاصمُ[1]
هنيئاً لضرب الهام والمجد والعلا وراجيك والإسلام أنّك سالمُ

وقوله [من الكامل] :

لا يستحي أحدٌ يقال له فضلوك آل بويه أو فضلوا[2]
قدِروا عفوا ، وعدوا وفوا ، سئلوا أغنوا ، علَوْا أعلَوْا ، ولُوا عدَلوا

وقوله [من قصيدة يمدح بها سيف الدولة] [من الطويل] :

وربَّ جوابٍ عن كتابٍ بعثته وعنوانه للناظرين قتامُ
حروف هجاء الناس فيه ثلاثةٌ : جوادٌ ، ورمحٌ ذابلٌ ، وحسام[3]

لما سمى الجيش جواباً جعل حروفه جواداً ورمحاً وحساماً ، اقتداراً واتساعا في الصنعة، وقوله [من البسيط] :

ومرهفٍ سِرْتُ بين الجحفلين به حتى ضربت وموج الموت يلتطم
فالخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

قال ابن جني : قد سبق الناس إلى ذكر ما جمعه في هذا البيت ، ولكن لم يجتمع مثله في بيت ما علمت ، وقد قال البحتري [من الخفيف] :

اطلبا ثالثاً سواي فإنّي رابع العيس والدُّجى والبيدِ

---

(١) عاصم : مانع .
(٢) فضلوك : غلبوك .
(٣) الرمح الذابل : الرمح الدقيق .

وهـذا اللفـظ عذب ، ولـكن ليس فيه جميع ما في بيت المتنبي ، وقولـه [مـن البسيط] :

أنــت الجــواد بلا منٍّ ولا كدرٍ ولا مطــالٍ ولا وعــدٍ ولا مذل[1]

وقوله [من المنسرح] :

بي حرُّ شوقٍ إلــى ترشُّفها ينفصــل الصّبــر حين يتّصلُ
فالثغــر والفجــر والمخلخــل والـ ـمعصــم دائـي ، والفاحــم الرَّجِلُ[2]

وقوله [من الطويل] :

ولــكنَّ بالفسطــاط بحــراً أزرته حياتـي ونصحـي والهـوى والقوافيا[3]

وقوله [من الطويل] :

أَمينــاً وإخلافــاً وغــدرا وخسّةً وجبناً، أشخصاًلحت لي أمْ مخازيا ؟[4]

ومنها إرسال المثل في أنصاف الأبيات

كقوله [من الطويل] :

* مصائب قومٍ عند قومٍ فوائدُ *

وقوله [من الطويل] :

* ومن قصد البحر استقلّ السّواقيا *

وقوله [من الطويل] :

* وخير جليسٍ في الزمان كتابُ *

---

(١) المنّ : تعداد الفضل في كلّ مناسبة والمذل : الضجر والقلق .
(٢) الفاحم الرَّجل : الشعر المسترسل المسرّح .
(٣) أزرته : منحته .
(٤) المين : الكذب .

وقوله [من البسيط] :

* إنّ المعارف في أهل النّهي ذممُ *

وقوله [من البسيط] :

* وربّما صحَّتِ الأجسام بالعللِ *

وقوله [من الوافر] :

* وفي الماضي لمن بقيَ اعتبارُ *

وقوله [من المتقارب] :

* وتأبى الطِّباع على الناقلِ *

وقوله [من المتقارب] :

* ومنفعة الغوث قبل العطبْ *

وقوله [من الكامل] :

* هيهات تكتم في الظلام مشاعلٌ *

وقوله [من المنسرح] :

* ومخطىءٌ من رميه القمرُ *

وقوله [من الوافر] :

* وما خير الحياة بلا سرورِ *

وقوله [من البسيط] :

* بجبهة العير يفدى حافر الفرسِ *

وقوله [من المتقارب] :

* ولا رأي في الحبِّ للعاقلِ *

وقوله [من الطويل] :

* ولكنّ طبع النفس للنفس قائدُ *

وقوله [من البسيط] :

* وليس يأكل إلاّ الميّتَ الضبعُ *

وقوله [من الخفيف] :

* كلّ ما يمنح الشريف الشريفُ *

وقوله [من المنسرح] :

* والجوع يرضي الأسود بالجيَفِ *

وقوله [من المتقارب] :

* ومن فرح النفس ما يقتلُ *

وقوله [من الطويل] :

* ويستصحب الإنسان من لا يلائمهْ *

وقوله [من البسيط] :

* إنّ النفيس غريبٌ حيثما كانا *

وقوله [من الكامل] :

* فمن الرّديف وقد ركبت غضنفراً *

وقوله [من الطويل] :

* إذا عظم المطلوب قلَّ المساعدُ *

وقوله [من البسيط] :

* ومن يسدُّ طريق العارض الهطلِ *

وقوله [من الوافر] :

* وأدنى الشّرك في نسبٍ جوارُ *

وقوله [من الطويل] :

* وفي عنق الحسناء يستحسن العقدُ *

وقوله [من الطويل] :

* لا تخرج الأقمار من هالاتها *

وقوله [من الرجز] :

* إنّ النفوس عدد الآجالِ *

وقوله [من الطويل] :

* ولكنّ صدم الشر بالشرِّ أحزمُ *

وقوله [من البسيط] :

* أنا الغريق فما خوفي من البللِ *

وقوله [من الطويل] :

* أشدّ من السُّقمِ الذي أذهب السّقما *

وقوله [من الوافر] :

* فإنّ الرفق بالجاني عتابُ *

وقوله [من الكامل] :

* إنَّ القليل من الحبيب كثيرُ *

وقوله [من الطويل] :

* بغيضٌ إليَّ الجاهلُ المتعاقلُ *

وقوله [من البسيط] :

* وليس كلّ ذوات المخلب السبعُ *

وقوله [من البسيط] :

* وللسيوف كما للناس آجالُ *

وقوله [من البسيط] :

* في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحلِ *

وقوله [من الوافر] :

* فأوّل قرح الخيل المهار *

وقوله [من البسيط] :

* والبر أوسع والدنيا لمن غلبا *

وقوله [من البسيط] :

* ليس التكحّل في العينين كالكحل *

وقوله [من الكامل] :

* ويبين عتقُ الخيل في أصواتها *

* * *

ومنها إرسال المثالين في مصراعي البيت الواحد

كقوله [من الطويل] :

وكلُّ امرىءٍ يولي الجميل محبّبٌ وكلُّ مكانٍ ينبت العزَّ طيِّبُ

وقوله [من المنسرح] :

في سعة الخافقين مضطربٌ وفي بلادٍ من أُختها بدل

وقوله [من الكامل] :

الحبُّ ما منع الكلام الألسنا وألذّ شكوى عاشقٍ ما أعلنا

وقوله [من الخفيف] :

ذلَّ من يغبط الذليل بعيشٍ ربَّ عيشٍ أخفُّ منه الحمامُ[1]
من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرحٍ بميِّتٍ إيلامُ

وقوله [من الطويل] :

كفى بك داءً أن ترى الموت شافياً وحسب المنايا أن يكنّ أمانيا

وقوله [من البسيط] :

أفاضل الناس أغراضٌ لذا الزمن يخلو من الهمِّ أخلاهم من الفطنِ

(١) يغبط الذليل : أي يتمنّى مثل عيشه ويكاد يحسده عليه ، والحمام : الموت .

وقوله [من الطويل] :

وأتعب من ناداك من لا تجيبه   وأغيظ من عاداك من لا تشاكلُ

وقوله [من البسيط] :

لا تشتر العبد إلا والعصا معه   إن العبيد لأنجاسٌ مناكيدُ

وقوله [من الطويل] :

إذ أنت أكرمت الكريم ملكته   وإن أنت أكرمت اللئيم تمرّدا
ووضع الندى في موضع السيف بالعلا   مضرٌ كوضع السيف في موضع الندى
وما قتل الأحرار كالعفو عنهم   ومَنْ لك بالحرِّ الذي يحفظ اليدا
وقيّدت نفسي في ذراك محبّةً   ومن وجد الإحسان قيْداً تقيَّدا

* * *

ومنها إرسال المثل والاستملاء والموعظة وشكوى الدهر والدنيا والناس وما يجري مجراها .

كقوله [من الطويل] :

وما الجمع بين الماء والنار في يدي   بأصعب من أن أجمع الجدَّ والفهما

وقوله [من الكامل] :

يخفي العداوة وهي غيرُ خفيَّةٍ   نظرُ العدو بما أُسِرُّ يبوحُ

وقوله [من المنسرح] :

والأمر لله ، ربَّ مجتهدٍ   ما خاب إلاّ لأنّه جاهد[1]

---

(١) جاهد : راغب في عمله ومثابرٌ عليه .

وقوله [من الطويل] :

إليك فإنّي لست ممّن إذا اتقى عضاض الأفاعي نام فوق العقارب

وقوله [من الكامل] :

خير الطيور على القصور ، وشرُّها يأوي الخراب ويسكن الناووسا[1]

وقوله [من البسيط] :

ليس الجمال لوجهٍ صحّ مارنه أنف العزيز بقطع العزّ يُجتدعُ[2]

وقوله [من الوافر] :

وليس يصح في الأفهام شيءٌ إذا احتاج النَّهار إلى دليلِ

قال ابن جني : هذا كما يقول أهل الجدل « من شك في المشاهدات فليس بكامل العقل » .

وقوله [من الطويل] :

وقد يتزيّا بالهوى غير أهله ويستصحب الإنسان من لا يلائمه

وقوله [من الطويل] :

وما تنفع الخيل الكرام ولا القنا إذا لم يكن فوق الكرامِ كرامُ

وقوله [من البسيط] :

ما كلُّ ما يتمنّى المرء يدركه تجري الرّياح بما لا تشتهي السّفنُ

---

(١) الناووس : القبر .

(٢) مارنه : لين جلده . يجتدع : يقطع ويرغم .

وقوله [من الكامل] :

وأحبّ أنّي لو هويت فراقكمْ   فارقته والدّهر أخبث صاحبِ

وقوله [من الكامل] :

من خصّ بالذمّ الفراق فإنّني   من لا يرى في الدّهر شيئاً يحمدُ

وقوله [من الطويل] :

ومن نكد الدنيا على الحرّ أن يرى   عدوّاً له ما من صداقته بدٌّ[1]

وقوله [من الخفيف] :

وإذا كانت النفوس كباراً   تعبتْ في مرادها الأجسامُ

وقوله [من الكامل] :

تلْفَ الذي اتخذ الشجاعة جنّةً   وعظ الذي اتخذ الفرار خليلا[2]

وقوله [من الطويل] :

فإن يكن الفعل الذي ساء واحداً   فأفعاله اللاتي سررن ألوفُ

وقوله [من الكامل] :

وإذا خفيتُ على الغبيّ فعاذرٌ   أنْ لا تراني مقلةٌ عمياءُ

وقوله [من البسيط] :

إن كنت ترضى بأن يعطوا الجزي بذلوا   منها رضاك ومن للعور بالحولِ ؟!

---

(١) النكد : البلاء والقهر .

(٢) الجنّة : الدرع ، والخليل : الصاحب .

وقوله [من الوافر] :

فآجرك الإلّه على مريضٍ بعثت به إلى عيسى طبيبا

وقوله [من الوافر] :

إذا أتت الإساءة من لئيمٍ ولم أَلُم المسيءَ فَمَنْ ألومُ

وقوله [من الكامل] :

وإذا أتتك مذمّتي من ناقصٍ فهي الشّهادة لي بأنّي فاضلُ

وقوله [من المتقارب] :

إذا ما قدرت على نطقةٍ فإنّي على تركها أقدرُ

وقوله [من الخفيف] :

واحتمال الأذى ورؤية جانيـ ـه غذاءٌ تضوى به الأجسامُ(1)

وقوله [من الكامل] :

وتوهّموا اللعب الوغى والطعن في الـ ـهيجاء غير الطعن في الميدانِ

وقوله [من الخفيف] :

وإذا ما خلا الجبان بأرضٍ طلب الطّعن وحده والنزالا

وقوله [من الخفيف] :

ومن الخير بطءُ سيبك عنّي أسرع السحب في المسير الجهام(2)

---

(1) تضوى : تهزل .

(2) السيب : العطاء ، والجهام : القاتم .

وقوله [من الطويل] :

وليس الـذي يتبـع الوبـل رائداً   كمـن جاءه في داره رائـد الوبلِ

وقوله [من المنسرح] :

أبلـغ ما يطلـب النجـاح به الـــطبـع ، وعنـد التعمّـق الزللُ

وقوله [من البسيط] :

كم مَخْلصٍ وعـلاً في خوضِ مهلكةٍ   وقتلـةٍ قرنـت بالـذمّ في الجبن

وقوله [من المتقارب] :

ومـا قلـت للبـدر أنـت اللجين   ولا قلـت للشـمس أنـت الذهبْ
ومـن ركب الثـور بعـد الجوا   د أنـكر أظـلافه والغبـب[1]

وقوله [من البسيط] :

فقـر الجهـول بلا قلـبٍ إلـى أدبٍ   فقـر الحمـار بلا رأسٍ إلـى رسنِ
لا يعجبـن مضيمـاً حسـن بزّته   وهـل يروق دفينـاً جودة الكفنِ

وقوله [من الوافر] :

إذا ما النـاس جرَّبهـم لبيبٌ   فإنّـي قـد أكلتهـمُ وذاقا
فلـم أر ودّهـم إلاّ خداعاً   ولـم أر دينهـم إلاّ نفاقا

وقوله [من الطويل] :

ذرينـي أنـل ما لا ينـال من العلا   فصعب العلا في الصّعب والسهل في السهلِ
تريدين لقيان المعالـي رخيصةً   ولا بدّ دون الشهـد من إبـر النحل

(١) الغبب : اللحم المتدلّي تحت الحنك من الناس والبقر والديّكة .

وقوله [من الطويل] :

تمـنٍّ يلـذٌّ المستهـام بمثلـه وإن كان لا يغنـي فتيلاً ولا يجدي
وغيظٍ علـى الأيام كالنّـار في الحشا ولكنّـه غيظ الأسير علـى القدِّ[1]

وقوله [من الكامل] :

ومكائـد السفهـاء واقعـةٌ بهمْ وعـداوة الشعراء بئسَ المقتني
لعنـت مقاربـة اللئيم فإنّها ضيفٌ يجـرُّ من النّدامـة ضيفنا

وقوله [من الطويل] :

ومـا الخيل إلاّ كالصـديق قليلةٌ وإن كثـرت في عين من لا يجرِّبُ
إذا لم تشاهـد غير حسـن شياتها وأعضائهـا فالحسـن عنـك مغيَّبُ[2]

وقوله [من الكامل] :

تصفـو الحياة لجاهـلٍ أو غافلٍ عمّـا مضـى منهـا ومـا يتوقَّعُ
ولمـن يغالـط في الحقائـق نفسه ويسومهـا طلـب المحـال فتطمع[3]

كأنه مأخوذ من قول لبيد [من الرمل] :

أكذب النفس إذا حدّثتها إنّ صدق النفس يزري بالأمل

وكقوله [من الطويل] :

وأتعـب خلـق الله من زاد همُّه وقصّـر عمـا تشتهـي النفس وجدُهُ
فلا ينحلل في المجـد مالك كلّه فينحـلَّ مجـدٌ كان بالمـال عقدُهُ

---

(١) القدّ : القيد .
(٢) الشية : العلامة .
(٣) يسومها : يكلّفها .

ودبِّـره تدبير الـذي المجـد كفّه	إذا حارب الأعـداء والمـال زنده
فلا مجـد في الـدنيا لمـن قلّ ماله	ولا مال في الـدنيا لمـن قلّ مجدُهُ
إذا كنـت في شكٍّ من السيف فابْلُهُ	فإمّـا تنفيه وإمـا تعدُّهُ[1]
ومـا الصـارم الهنـديُّ إلاّ كغيره	إذا لم يفارقـه النجـاد وغمدُهُ[2]

وقوله [من الخفيف] :

إنّمـا تنجـح المقالـة في المر	ء إذا وافقـت هوىً في الفؤادِ
وإذا الحلـم لم يكنْ في طباعٍ	لـم يحلّـم تقـادم الميـلادِ
إنّمـا أنـت والـدٌ ، والأب القا	طع أحنـى من واصـل الأولاد

وقوله [من الطويل] :

وما الحسـن في وجـه الفتـى شرفاً لهُ	إذا لم يكنْ في فعلـه والخلائقِ
ومـا بلـد الإنسـان غير الموافق	ولا أهلـه الأدنـون غير الأصادق
وجائـزة دعـوى المحبّـة والهوى	وإن كان لا يخفـى كلام المنافقِ
ومـا يوجـع الحرمـان من كفِّ حارمٍ	كمـا يوجـع الحرمـان من كفٍّ رازقِ

وقوله [من الخفيف] :

إنّمـا أنفس الأنيس سباعٌ	يتفـارسـن جهـرةً واغتيـالا
مـن أطـاق التمـاس شيءٍ غلاباً	واقتسـاراً لم يلتمسـه سؤالا
كلُّ غادٍ لحاجـةٍ يتمنّـى	أن يكون الغضنفـر الرئبالا[3]

وقوله [من البسيط] :

لولا المشقّـة ساد النـاس كلّهم	الجـود يفقـر والإقـدام قتّالُ

---

(١) أبله : اختبره من البلاء .
(٢) الصارم : السيف القاطع ، والهندي : نسبة إلى بلاد الهند .
(٣) الغضنفر الرئبالا : أي الأسد الشجاع .

وقلَّما يبلغ الإنسان غايته ... ما كلُّ ماشيةٍ بالرجل شملالُ[1]
إنّا لفي زمنٍ تَرْكُ القبيح به ... من أكثر النّاس إحسانٌ وإجمالُ
ذكر الفتى عمره الثاني ، وحاجته ... ما قاته ، وفضول العيش أشغال

وقوله [من الوافر] :

يرى الجبناء أنَّ العجز حزمٌ ... وتلك خديعة الطّبع اللئيمِ
وكلُّ شجاعةٍ في المرء تغني ... ولا مثل الشجاعة في الحكيمِ

قيل له : أنى يكون الشجاع حكيماً ؟ فقال : هذا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ! .

وكم من عائبٍ قولاً صحيحاً ... وآفته من الفهم السقيمِ
ولكن تأخذ الأذهان منه ... على قدر القرائح والعلومِ

وقوله [من الكامل] :

ولقد رأيت الحادثات فلا أرى ... يققاً يميت ولا سواداً يعصم[2]
والهمُّ يخترم الجسيم نحافةً ... ويشيب ناصية الصبيّ ويهرمُ[3]
ذو العقل يشقى في النعيم بعقله ... وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم
لا يخدعنَّك من عدوٍّ دمعه ... وارحم شبابك من عدوٍّ يرحمُ
لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى ... حتّى يراق على جوانبه الدم

---

(١) الشملال : السريع .
(٢) اليقق : الشديد البياض ، يقول : البياض في الشعر لا يكون سبباً في الموت فقد يعيش الشيخ ، وسواد الشعر لا يكون سبباً في الحياة فقد يموت الشاب .
(٣) يخترم : يصيب ، واخترم الشيء : ترك فيه خرماً من جانب إلى جانب ، والناصية : شعر مقدّم الرأس .

قال ابن جنى : أشهد بالله لو لم يقل غير هذا البيت لتقدم به أكثر المحدثين .

وهذه الأبيات كلها غرر وفرائد ، لا يصدر مثلها إلا عن فضل باهر ، وقدرة على الإبداع ظاهرة .

والظُّلم من شيم النفوس ، فإنْ تجدْ ذا عفةٍ فلعلّةٍ لا يظلمُ
ومن البليّة عذل من لا يرعوي عن جهله ، وخطاب من لا يفهم
ومن العداوة ما ينالك نفعه ومن الصّداقة ما يضرُّ ويؤلم

وقوله [من الطويل] :

أرى كلُّنا يبغي الحياة لنفسه حريصاً عليها مستهاماً بها صبّا[1]
فحبّ الجبان النفس أورده التُّقى وحبُّ الشُّجاع النفس أورده الحربا
ويختلف الرزقان والفعل واحدٌ إلى أن ترى إحسان هذا لذا ذنبا

وقوله [من الوافر] :

وفيك إذا جنَى الجاني أناةٌ تظنّ كرامةً وهي احتقارُ[2]
بنو كعبٍ وما أثّرت فيهم يدٌ لم يدمها إلاّ السّوار
بها من قطعه ألمٌ ونقصٌ وفيها من جلالته افتخار
لهم حقٌّ بشركك في نزارٍ وأدنى الشّرك في نسبٍ جوارُ
لعلّ بنيهمُ لبنيك جندٌ فأوّل قرّح الخيل المهار[3]
وما في سطوة الأرباب عيبٌ ولا في ذلّة العبدان عار[4]

---

(١) الصبّ : العاشق .
(٢) الأناة : التصبُّر وطول البال .
(٣) القرح : جمع قارح ، وهو ما بلغ التاسعة من عمره من ذوات الحافر ، والمهار : جمع مهر .
(٤) العبدان : أحد جموع العبد ، والسطوة : القوّة والبسطة .

وقوله [من البسيط] :

من اقتضى بسوي الهنديّ حاجته   أجاب كلّ سؤالٍ عن هل بلم
ولم تزلْ قلّة الإنصاف قاطعةً   بين الرجال وإن كانوا ذوي رحم
هوّنْ على بصرٍ ما شقّ منظره   فإنّما يقظات العين كالحلمِ
لا تشكونّ إلى خلقٍ فتشمته   شكوى الجريح إلى الغربان والرخم
وكن على حذرٍ للنّاس تستره   ولا يغرّنْك منهم ثغر مبتسم
وقتٌ يضيع وعمرٌ أنت مدّته   في غير أمّته من سائر الأمم
أتى الزمان بنوه في شبيبته   فسرّهم وأتيناه على الهرم

وقوله [من الكامل] :

الرأي قبل شجاعة الشجعان   هو أوّلٌ ، وهي المحلُّ الثاني
فإذا هما اجتمعا لنفسٍ مرّةٍ   بلغت من العلياء كلَّ مكان
ولربَّما طعن الفتى أقرانه   بالرأي قبل تطاعن الأقران[1]
لولا العقول لكان أدنى ضيغمٍ   أدنى إلى شرفٍ من الإنسان[2]

وقوله [يمدح كافوراً] [من الطويل] :

لحا الله ذي الدنيا مناخاً لراكبٍ   فكلُّ بعيد الهمِّ فيها معذَّبُ !
ألا ليت شعري هل أقول قصيدةً   ولا أشتكي فيها ولا أتعتّبُ !؟
وبي ما يذود الشعر عنّي أقلّه   ولكنّ قلبي ، يا ابنة القوم ، قلَّبُ
أما تغلط الأيام فيَّ بأن أرى   بغيضاً تُنائي أو حبيباً تقرِّبُ ؟

---

(١) القرين : المثيل والنظير ، والأقران :
(٢) الضيغم : المفترس من الحيوانات .

وقوله [يمدحه أيضاً] [من الطويل] :

أبـي خُلُـقُ الـدّنيا حبيبـاً تديمهُ فمـا طلبـي منهـا حبيبـاً تردُّهُ ؟
وأسـرع مفعـولٍ فعلت تغيّراً تكلّف شيء في طباعـك ضدّه

وقوله [يمدحه أيضاً] [من الطويل] :

إذا ساء فعـل المـرء ساءت ظنونه وصـدّق ما يعتـاده من توهُّمِ
وعـادي محبيه بقـول عداتـهُ وأصبـح في ليلٍ من الشّـكِّ مظلم

ومنها :

ومـا كلُّ هاوٍ للجميـل بفاعـلٍ ولا كـلُّ فعّـالٍ له بمتمّمِ

ومنها :

فأحسنُ وجهٍ في الورى وجـه محسنٍ وأيمـن كفٍّ فيهـمُ كفُّ مُنعمِ
وأشرفهـم من كان أشـرف همّه وأكثـر إقدامـاً علـى كلّ معظم
لمـن تطلـب الـدّنيا إذا لم تردْ بها سرورَ محـبٍّ أو مسـاءةَ مجرم ؟

وقوله [يمدح المغيث بن علي العجلي] [من الوافر] :

فـؤادٌ ما تسـلّيه المـدامُ وعمـرٌ مثـل ما يهـب اللئامُ
ودهـرٌ ناسـه نـاسٌ صغارٌ وإن كانـت لهـمْ جثـثٌ ضخامُ
ومـا أنـا منهـم بالعيش فيهم ولـكن معـدنُ الـذّهـب الرُّغام[1]
وشبـه الشـيء منجـذبٌ إليه وأشبهنـا بدنيانـا الطّغام[2]
ولـو لم يعـل إلاّ ذو محلٍّ تعالـى الجيش وانحـطَّ القتام[3]

---

(١) الرغام : التراب .
(٢) الطغام : أرذال الناس .
(٣) القتام : الغبار .

ولـو حِيْزَ الحفـاظ بغير عقلٍ تجنّـب عنـق صيقلـه الحسام[1]

وقوله [من الخفيف] :

أبــداً تستـردّ ما تهـب الدّنـ ـيا فيا ليت جودهـا كان بخلا
فَكَفَـتْ كون فرحـةٍ تورث الغـ ـمّ وخـلٌ يغـادر الوجـد خلاً
وهـي معشوقةٌ علـى الغـدر لا تحـ ـفـظ عهـداً ولا تتمّـم وصلا
كلُّ دمـعٍ يسيل منهـا عليها وبفـكّ اليديـن عنهـا تخلّـى

أي : كل من أبكته الدنيا فإنما يبكي لفوت شيء منها ، ولا يخليها الإنسان إلا قسراً بفك يديه .

وفي هذه القصيدة :

شيم الغـانيات فيهـا فلا أد ري لذا أنّـث اسمهـا النـاس أم لا ؟
ولـذيذ الحياة أنفس في النّفـ ـس وأشهـى من أن يمـلّ وأحلى
وإذا الشيخ قال أفٍّ فمـا مـ ـلّ حياةً وإنّمـا الضّـعف ملاّ
آلـة العيـش صحّـةٌ وشبـابٌ فإذا وليّا عن المـرء ولّى

* * *

ومنها افتضاضه أبكار المعاني ، في المراثي والتعازي

كقوله [من المنسرح] :

سالـم أهـل الـودادِ بعدهُمُ يُسْلِـمُ للحـزن لا لتخليـد

أي : إذا مات الصديق يسلم صديقه للحزن لا للخلود ، لأن كلا ميت .

فمـا ترجّـى الخلـود من زمنٍ أحمـد حاليـهِ غيـر محمودِ

---

(١) حِيْزَ : امتلك .

أي : أحمد حاليك أن تبقى مع صديقك ، وهو مع ذلك غير محمود لتعجيل الحزن وانتظار الأجل .

وقوله [من الكامل] :

المجـد أخسـر والمكـارم صفقةً ... من أن يعيش بهـا الـكريم الأروعُ
والنـاس أنـزل في زمانـك منزلاً ... من أن تعايشهـم وقـدرك أرفعُ
قبحـاً لوجهـك يا زمـان ؛ فإنّهُ ... وجـهٌ له من كلِّ قبـحٍ برقع
أيمـوت مثـل أبـي شجـاعٍ فاتكٌ ... ويعيش حاسـده الخصـيُّ الأوكع ؟[1]

وقوله [من البسيط] :

عدمتـه وكأنّـي سرت أطلبه ... فمـا تزيدنـي الـدّنيا علـى العـدمِ
من لا يشابهـه الأحياء في شيمٍ ... أمسـى يشابهـه الأمـوات في الرّمم[2]

أحسن والله أبدع ما شاء ! .

وقوله [من الطويل] :

وقـد فارق النـاس الأحبـة قَبْلنا ... وأعيا دواء المـوت كلَّ طبيبِ
سبقنـا إلـى الـدنيا ، فلـو عاش أهلها ... منعنـا بهـا من جيئـةٍ وذهوبِ
تملَّكهـا الآتـي تملُّك سالبٍ ... وفارقهـا الماضـي فراقَ سليب

هذا كقـول بعضهـم في الموعظـة : « وإن ما في أيديكم أسـلاب الهالـكين ، ويستخلفها الباقون كما تركها الماضون » .

علينـا لك الإسعـاد إن كان نافعاً ... بشـقّ قلـوبٍ لا بشـقٍّ جيوبِ
فربٌّ كئيبٍ ليس تنـدى جفونه ... وربٌّ كثيرِ الدّمـع غير كئيبِ

---

(١) الأوكع : اللئيم ، والأحمق .

(٢) الشّيم : السجايا والخصال الكريمة . والرّمم : العظام البالية .

وللواجد المكروب من زفراته سكون عزاءٍ أو سكون لغوب[1]

وقوله [من الكامل] :

ما كنت أحسب قبل دفنك في الثّرى أنَّ الكواكب في التراب تغورُ
ما كنت آمل قبل نعشك أن أرى رضوى على أيدي الرجال تسيرُ[2]
خرجوا به ، ولكلٍّ باكٍ خلفه صعقات موسى يوم دكّ الطُّور[3]
حتى أتوا جدثا كأنّ ضريحه في كلِّ قلب موحِّدٍ محفورُ
كفل الثناء له بردِّ حياته لما انطوى فكأنّه منشورُ

وقوله في تعزية سيف الدولة عن أخته [من الخفيف] :

ولعمري لقد شغلت المنايا بالأعادي فكيف يطلبن شغلا
وكم انتشْتَ بالسّيوف من الدّهـ ـر أسيراً وبالنّوال مقلاّ[4]
خطبةٌ للحمام ليس لها ردٌّ وإن كانت المسمّاة ثكلا
وإذا لم تجد من الناس كفواً ذات خدرٍ أرادتِ الموت بعلا

هذا أحسن ما قيل في مرثية حرم الملوك .

وقوله في مرثية طفل لسيف الدولة وتعزيته عنه [من الطويل] :

فإن تك في قبرٍ فإنّك في الحشا وإن تك طفلاً فالأسى ليس بالطفلِ
ومثلك لا يبكي على قدر سنِّهِ ولكنْ على قدر المخيلة والفضل[5]
عزاءك سيف الدولة المقتدى به فإنّك نصلٌ ، والشدائد للنّصلِ

---

(١) اللغوب : الإعياء الشديد .
(٢) رضوى : إسم جبل معروف .
(٣) دكّ : هدم وتحطم ، والطور : جبل .
(٤) انتشت : انتاش : تناول وانتشل ، والمقلّ : الفقير .
(٥) المخيلة : المظنّة .

ولـم أر أعصـى فيك للحـزن عبرةً وأثبـت عقـلاً ، والقلـوب بلا عقل
تخـون المنـايا عهـده في سليله وتنصـره بين الفـوارس والرّجل[1]
ويبقـى علـى مرّ الحـوادث صبره ويبدو كما يبـدو الفرنـد على الصقل
ومـا المـوت إلاّ سارقٌ رقّ شخصه يصـول بلا كفٍّ ويسعـى بلا رجل
يردّ أبـو الشبـل الخميس عن ابنه ويسلمـه عنـد الـولادة للنمل
إذا ما تأمّلـت الزّمـان وصرفه تيقّنـت أن المـوت ضربٌ من القتل
ومـا الدّهـر أهـلٌ أن يؤمّـل عنده حياةٌ وأن يشتـاق فيه إلـى النّسل

وقوله [من السريع] :

نحـن بنـو الـدنيا فمـا بالنا نعـاف ما لا بدّ من شربِهِ
تبخـل أيدينـا بأرواحنـا علـى زمـانٍ هنّ من كسبه
فهـذه الأرواح من جوّه وهـذه الأجسـام مـن تربه
لـو فكر العاشـق في منتهى حسـن الـذي يسـبيه لم يسبه
لـم ير قرن الشـمس في شرقه فشـكّتِ الأنفس في غربه
يمـوت راعـي الضـأن في جهله موتـة جالينـوس فـي طبِّه
وربّمـا زاد على عمره وازداد في الأمـن علـى سربه[2]
وغـاية المفـرط في سلمه كغـاية المفـرط في حربه ؟[3]
فـلا قضـى حاجتـه طالـبٌ فؤاده يخفـق من رعبـه !

* * *

(١) الرجل : المشاة من الجيش .
(٢) السرب : الجماعة .
(٣) المفرط : المتزيّد والمكثر .

ومنها الايجاع في الهجاء

كقوله [من المجتث] :

إن أوحشتك المعالي فإنّها دار غربهْ
أو آنستك المخازي فإنّها لك نسبهْ

وقوله [من البسيط] :

إنّي نزلت بكذّابين ضيفهم عن القرى وعن الترحال محدودُ
جود الرجال من الأيدي ، وجودهُمُ من اللسان ، فلا كانوا ولا الجود !
ما يقبض الموت نفساً من نفوسهم إلاّ وفي يده من نتنها عود

يعني العود الذي يتناوله المعالج للشيء القذر ليكون واسطة بينه وبين يده .

وقوله [من البسيط] :

العبد ليس لحرٍّ صالحٍ بأخٍ لو أنّه في ثياب الحرّ مولودُ
لا تشترِ العبد إلاّ والعصا معه إنّ العبيد لأنجاسٌ مناكيد
من علّم الأسود المخصيّ مكرمةً أقومه البيض أم آباؤه الصيد ؟[1]
أم أذنه في يد النخاس دامية أم قدره وهو بالفلسين مردود ؟
وذاك أن الفحول البيض عاجزةٌ عن الجميل فكيف الخصية السّودُ

كأنه من قول أبي علي البصير [من الخفيف] :

عجز الراكب البصير ، وأولى منه بالعجز راجلٌ مكفوفُ[2]

وقوله [من السريع] :

فلا ترجٍّ الخير عند امرىءٍ مرّت يد النخاس في رأسه

---

(١) الصيد : السادة ، والصيد إمالة الرأس عجباً وتكبّراً .
(٢) المكفوف : الأعمى ، والراجل : السائر على قدميه .

وقوله [من الوافر] :

أخـذتُ بمدحـه فرأيت لهواً   مقالـي للأحيمـق يا حكيمُ
ولمّـا أن هجـوت رأيت عيّاً   مقالـي لابـن آوى يا حليمُ[1]
فهـل من غادرٍ في ذا وهذا   فمدفـوعٌ إلـى السُّقـمِ السّقيمُ

وقوله [من المتقارب] :

لقـد كنـت أحسـب قبـل الخصي   بأنّ الـرءوس مقـرُّ النهى
فلمـا نظـرت إلـى عقلـه   رأيت النهـى كلّهـا في الخصى

وقوله [يهجو إسحاق بن إبراهيم بن كيغلغ] [من الكامل] :

يمشـي بأربعـةٍ علـى أعقابه   تحت العلـوج ومـن وراءٍ يلجم[2]
وجفونـه ما تستقـرُّ كأنّها   مطروفـةٌ أو فتَّ فيهـا حصرم
وتـراه أصغـر ما تراه ناطقاً   ويكون أكذب ما يكون ويقسم
وإذا أشـار مكلّمـاً فكأنَّهُ   قردٌ يقهقـه أو عجـوزٌ تلطم
يقلـي مفارقـة الأكفّ قذاله   حتـى يكاد علـى يدٍ يتعمّم[3]

* * *

ومنها إبراز المعاني اللطيفة في معارض الألفاظ الرشيقة الشريفة والرمز بالطرف والملح

كقوله في الجمع بين مدح سيف الدولة وقد فارقه ، وبين مدح كافور وقد

(١) العيّ : الصعوبة في الكلام .
(٢) العلوج : الحمير .
(٣) يقلى : يكره ، والقذال : القفا من الرقبة .

قصده في بيت واحد [من الطويل] :

فراقٌ ومن فارقت غير مذمّمٍ وأمٌّ ومن يمّمتُ خير ميمّم[1]

ثم قال معرضاً بسيف الدولة :

وما منزل اللذاتِ عندي بمنزلٍ إذا لم أبجّلْ عنده وأكرَّمُ
رحلت فكم باكٍ بأجفان شادنٍ عليَّ ، وكم باكٍ بأجفان ضيغم[2]

المصراع الثاني تصديق لقوله :

* ليحدثنَّ لمن ودّعتهم ندمُ *

وما ربّة القرط المليح مكانهُ بأجزع من ربِّ الحسام المصمّمِ
فلو كان ما بي من حبيبٍ مقنّعٍ عذرت ، ولكن من حبيبٍ معمّمِ[3]

وهذا أيضاً مما نبهت عليه من إجرائه الممدوح من الملوك مجرى المحبوب في كثير من شعره :

رمى واتّقى رمي ، ومن دون ما اتقى هوىً كاسرٌ كفّي وقوسي وأسهمي

وكقوله في مدح كافور والتعريض بالقدح في سيف الدولة [من البسيط] :

قالوا : هجرت إليه الغيث ؟ قلت لهم إلى غيوثِ يديه والشآبيبِ[4]
إلى الذي تهب الدّولات راحته ولا يمنُّ على آثارِ موهوبِ
ولا يروع بمغرورٍ به أحداً ولا يفزّع موفوراً بمنكوبِ
يا أيّها الملك الغاني بتسميةٍ في الشرق والغرب عن نعتٍ وتلقيب

---

(١) يمّم : قصد ناحيته .
(٢) الشادن : الغزال ، والضيغم : المفترس من الوحش .
(٣) معمّم : يلبس عِمّة .
(٤) الشآبيب : جمع شؤبوب ، وهو الدفعة من المطر .

يعني أنا مستغن بشهرته عن لقب كلقب سيف الدولة .

أنـت الحبيب ولكنّـي أعـوذ به   من أن أكون محبّـاً غير محبوبِ

وهذا أيضاً من ذاك .

وقوله من قصيدة لسيف الدولة بعد ما فارق حضرته يعرض باستزادة يومه وشكر أمسه ، وهو من فرائده [من المتقارب] :

وإنْ فارقتنيَ أمطاره   فأكثر غدرانها ما نضبْ
وإنّي لأتبع تذكاره   صلاة الإلّه وسقي السُّحبْ

ومنها في التعريض بكافور :

ومن ركب الثور بعد الجوا   د أنكر أظلافه والغبب[1]

وقوله في هز كافور والتعريض باستزادته [من الطويل] :

أبا المسك هل في الكأس فضلٌ أناله   فإنّي أغنّي منذُ حينٍ وتشربُ

يقول : مديحي إياك يطربك كما يطرب الغناء الشارب ، فقد حان أن تسقيني من فضل كأسك .

وهبت على مقدار كفّي زماننا   ونفسي على مقدار كفّيك تطلبُ

وقوله أيضاً في التعريض بالاستزادة [من الطويل] :

أرى لي بقربي منك عيناً قريرةً   وإن كان قرباً بالبعاد يشابُ[2]
وهل نافعي أن ترفع الحجب بيننا   ودون الذي أمّلت منك حجابُ ؟
أقلّ سلامي حبّ ما خفّ عنكمُ   وأسكت كيما لا يكون جواب

---

(١) الغبب : اللحمة المتدلية تحت الحنك في الإنسان والبقر والدّيكة .

(٢) يشاب : يمزج ويخلط .

وفـي النفس حاجـاتٌ وفيك فطانةٌ سكوتـي بيانٌ عندهـا وخطاب

وكقوله في وصف الفرس [من الطويل] :

ويومٍ كليل العاشـقين كمنته أراقـب فيه الشـمس أيّان تغربُ
وعينـي إلـى أذنـيْ أغـرّ كأنّه من الليل باقٍ بين عينيه كوكب

أي : كأنه قطعة من الليل ، وكأن الغرة في وجهه كوكب ، وعينه إلى أذنه لأنه كامن لا يرى شيئاً ، فهو ينظر إلى أذني فرسه ، فإن رآه قد توجس بهما تأهب في أمره وأخذ لنفسه ، وذلك أن أذن الفرس تقوم مقام عينيه ، وتقول العرب : أذن الوحشي أصدق من عينيه .

له فضلـةٌ عن جسمـه في إهابه تجـيء علـى صدرٍ رحيبٍ وتذهبُ[1]
شققـت به الظلمـاء أدنـى عنانه فيطغـى ، وأرخيه مراراً فيلعب

أي : إذا جذبت عنانه طغى برأسه لطماحه وعزة نفسه ، وإذا أرخيت عنانه لعب برأسه .

وأصـرع أيّ الـوحش قفّيتـه به وأنـزل عنـه مثلـه حين أركبُ

وكقوله في التوديع [من الوافر] :

وإنّـي عنـك بعـد غدٍ لغادٍ وقلبـي في فنائـك غيـر غاد
محبُّك حيث ما اتجهـت ركابي وضيفـك حيـث كنـت من البلاد

وكقوله [من الكامل] :

سرْ حيث شئـت يحلُّـه النوّار وأراد فيك مرادك المقدارُ
وإذا ارتحلـت فشيَّعتْـكَ سلامةٌ حيـث اتجهـت وديمـةٌ مدرارُ

(١) الإهاب : الجلد .

وأراك دهــرك ما تحــاول في العدا حتــى كأنّ صروفـه أنصار
أنــت الــذي بجــح الزمــان بذكره وتزيَّنــت بحــديثه الأسمــار[1]

وكقوله في اللطف بالصديق والعنف بالعدو [من الكامل] :

إنّي لأجبن عن فراق أحبَّتي وتحسّ نفسي بالحمام فأشجعُ
ويزيدني غضب العداة جراءةً ويلمّ بي عتب الصديق فأجزعُ

وكقوله في حسن الكناية [من الخفيف] :

تشتـكي ما اشتــكيت من ألــم الشو ق إلينــا ، والشــوق حيث النحول

وإنما كنى عن تكذيبها ولم يصرح به : أي أنا أشتكي الشوق ونحولي يدل على ذلك ، وهي غير ناحلة فليست مشتاقة .

وكقوله [من الرجز] :

أبيضُ ما في تاجــه ميمونه عفيف ما في ثوبــه مأمونه[2]

أي : عفيف الفرج ، فكنى به .

وكقوله في حسن الحشو [من الكامل] :

صلّــى عليك الله غير مودعٍ وسقــى ثرى أبــويك صوبَ غمامِ

« غير مودع » حشو ، ولكنه حسن .

وكقوله [من الطويل] :

ويحتقــر الــدنيا احتقــار مجرّبٍ يرى كل ما فيهــا ، وحاشــاك ، فانيا

سبحان الله ! ما أحسن الحشو بقوله « وحاشاك » !

---

(1) بجح : افتخر وفرح ، والأسمار : من السَّمر ، وهو الأنس .
(2) الميمون : من اليمن .

وكقوله [من البسيط] :

إذا خَلَتْ منك حمصٌ ، لا خلت أبداً فلا سقاها من الوسميّ باكره[1]

وكقوله في العيادة [من الكامل] :

لا نعذل المرض الذي بك ، شائقٌ أنت الرجالَ ، وشائقٌ علاّتها[2]
ومنازل الحمى الجسوم ، فقل لنا : ما عذرها في تركها خيراتها ؟

أي : لا عذر للحمى في تركها جسمك ، إذ هو أفضل الجسوم .

وكقوله [من المنسرح] :

قصدت من شرقها ومغربها حتى اشتكتك البلاد والسُّبلُ
لم تبق إلاّ قليل عافيةٍ قد وفدت تجتديكها العلل

وقوله [من الوافر] :

تجشَّمك الزمان هوىً ووداً وقد يؤذى من المقت الحبيبُ
وكيف تعلُّك الدنيا بشيءٍ وأنت لعلّةِ الدّنيا طبيبُ ؟
وكيف تنوبك الشكوى بداءٍ وأنت المستجار لما ينوب ؟[3]

وكقوله في التهنئة وهي تهنئة سيف الدولة [من البسيط] :

المجد عوفيَ إذ عوفيت والكرمُ وزال عنك إلى أعدائك الألمُ
وما أخصّك في برءٍ بتهنئةٍ إذا سلمت فكلُّ الناس قد سلموا

---

(١) الوسمي : مطر الربيع .

(٢) شائق : خبر مقدم، وأنت مبتدأ مؤخر والرجال مفعول به لاسم الفاعل شائق وشائق الثاني معطوف على الأول، وعلاتها مفعول والشائق: باعث الشوق، يقول: ألمّ بك المرض لأنك باعث له على الحب لك .

(٣) تنوبك : تصيبك.

وكقوله [من الخفيف] :

إنّما التهنئات للأكفاء ... ولمن يدني من البعداء
وأنا منك لا يهنىء عضوٌ ... بالمسرات سائر الأعضاءِ

وكقوله [من البسيط] :

الصوم والفطر والأعياد والعصر ... منيرة بك ، حتّى الشمس والقمرُ
ما الدهر عندك إلا روضةٌ أُنُفٌ ... يا مَنْ شمائله في دهره زهرُ[1]
ما ينتهي لك في أيّامه كرمٌ ... فلا انتهي لك في أعوامه عمر
فإنّ حظك من تكرارها شرفٌ ... وحظّ غيرك منها النوم والسهر

وكقوله [من الطويل] :

تغيّر حالي والليالي بحالها ... وشبت وما شاب الزمان الغرانق[2]

وكقوله [من البسيط] :

تسوِّدُ الشمس منّا بيض أوجهنا ... ولا تسوِّد بيض العذر واللمم[3]
وكان حالهما في الحكم واحدةً ... لو احتكمنا من الدنيا إلى حكم

وقوله [من الطويل] :

مُشبٌّ الذي يبكي الشباب مشيبُهُ ... فكيف تَوَقّيه وبانيه هادمُهْ[4]
وما خضب الناس البياض لأنّه ... قبيحٌ ، ولكن أحسن الشعر فاحمه[5]

* * *

(١) روضة أنف : أي لم ترعَ.
(٢) الغرانق : الشاب الأبيض الناعم الجميل.
(٣) اللمم : جمع لمّة وهي شعر الرأس.
(٤) مشبّ : مبتدأ خبره مشيبه ، ويجوز العكس ، والبيت الذي يبكي الشباب إنّما أشابه الذي أشبّه ، فقد حصل له الشيب من عند الذي حصل له منه الشباب.
(٥) والفاحم : الأسود.

ومنها حسن المقطع

كقوله [من البسيط] :

قد شرَّف الله أرضاً أنت ساكنها　　وشرَّف الناس إذْ سوَّاك إنسانا

قال ابن جني : لا يعجبني قوله « سواك إنسانا » لأنه لا يليق بشرف ألفاظه ، ولو قال « أنشاك » أو نحو ذلك لكان أليق بالحال .

قلت أنا : ولو قال غير ما قاله لم يكن فصيحاً شريفاً . لأن في القرآن « ثم سواك رجلاً »[1] ولا أفصح ولا أشرف مما ينطق به كتاب الله عز ذكره وكقوله [من المتقارب] :

سما بك همّي فوق الهموم　　فلست أعدّ يساراً يسارا
ومن كنت بحراً له يا عليّ　　لم يقبل الدرّ إلاّ كبارا[2]

وكقوله [يمدح سيف الدولة] [من المتقارب] :

أنلت عبادك ما أمّلوا　　أنالك ربّك ما تأملُ

وكقوله [في المغيث بن علي العجلي] [من الوافر] :

وأعطيت الذي لم يعط خلقٌ　　عليك صلاة ربِّك والسلامُ

* * *

ذكر آخر شعره وأمره

لما أنجحت سفرته ، وربحت تجارته بحضرة عضد الدولة . ووصل إليه من صلاته أكثر من مائتي درهم ـ استأذنه في المسير عنها ليقضي حوائج في نفسه ،

---

(١) من الآية ٣٧ من سورة الكهف .
(٢) يا علي : أي سيف الدولة .

ثم يعود إليها ، فأذن له ، وأمر بأن تخلع عليه الخلع الخاصة ، ويقاد إليه الحملان الخاص ، وتعاد صلته بالمال الكثير ، فامتثل ذلك ، وأنشده أبو الطيب الكافية التي هي آخر شعره ، وفي أضعافها كلام جرى على لسانه كأنه ينعي فيه نفسه ، وإن لم يقصد ذلك ، فمنه قوله [من الوافر] :

فلو أني استطعت خفضت طرفي فلم أبصرْ به حتّى أراكا

وهذه لفظة يتطير منها ، ومنه :

إذا التّوديع أعرض قال قلبي عليك الصّمت لا صاحبتُ فاكا
ولولا أنَّ أكثر ما تمنّى معاودةٌ لقلت ولا مناكا

أي : لو أن أكثر ما تمنى قلبي أن يعاودك لقلته له : ولا بلغت أنت أيضاً منتك ، وهذا أيضاً من ذاك ، ومنه :

قد استشفيت من داءٍ بداءٍ وأقتل ما أعلّك ما شفاكا

أي : قد أضمرت يا قلب شوقاً إلى أهلك ، وكان ذلك داء لك ، فاستشفيت منه بأن فارقت عضد الدولة ، ومفارقته داء لك أيضاً أعظم من داء شوقك إلى أهلك ، وهذا شبه قول النبي ﷺ « كفى بالسلامة داء » وقول حميد بن ثور [من الطويل] :

* وحسبك داءً أن تصحَّ وتسلما *

و « أقتل ما أعلك ما شفاكا » من ألفاظ الطيرة أيضاً ، ومنه :

وكم دون الثّويّة من حزينٍ يقول له قدومي ذا بذاكا

الثوية : من الكوفة ، يقول له « قدومي ذا بذاك » أي هذا القدوم بتلك الغيبة ، وهذا السرور بذلك الحزن ، لم يقل « إن شاء الله تعالى » ومنه :

ومن عذب الرّضاب إذا انخنا يقبّل رحل تروكٍ والوراكا

تروك : اسم ناقة لم ير مثلها لعضد الدولة أمر له بها ، والوراك : شيء يتخذه الراكب كالمخدة تحت وركه .

يحرّم أن يمسّ الطيب بعدي   وقد عبق العبير به وصاكا[1]

وهذا أيضاً من تلك الألفاظ ، ومنه :

وفي الأحباب مختصٌ بوجدٍ   وآخر يدّعي معه اشتراكا
إذا اشتبهت دموعٌ في خدودٍ   تبيَّن من بكى ممَّنْ تَباكى

وهذا أيضاً من ذاك ، ومنه :

فزلْ بعد عن أيدي ركابٍ   لها وقع الأسنّةِ في حشاكا

هذه استعارة حسنة لأنه خاطب البعد وجعل له حشا ، ومنه :

وأيّاً شئت يا طرقي فكوني   أذاةً أو نجاةً أو هلاكا

جعل قافية البيت الهلاك فهلك ، وذلك أنه ارتحل عن شيراز بحسن حال ووفور مال ، فلما فارق أعمال فارس حسب أن السلامة تستمر به كاستمرارها في مملكة عضد الدولة ، ولم يقبل ما أشير به عليه من الاحتياط باستصحاب الخفراء والمبذرقين[2] ، فجرى ما هو مشهور من خروج سرية من الأعراب عليه ومحاربتهم إياه ، وتكشف الوقعة عن قتله وابنه محسد ونفر من غلمانه ، وفاز الأعراب بأمواله وذلك في سنة أربع وخمسين وثلثمائة .

أنشدني أبو القاسم المظفر بن علي الطبسي الكاتب لنفسه في مرثية المتنبي [من الخفيف] :

لا رعى الله سرب هذا الزمان   إذ دهانا في مثل ذاك اللّسانِ

---

(١) صاك : أراد أنّه لصق به .
(٢) المبذرقين : الحرّاس والخفراء .

مـا رأى النـاس ثانـيَ المتنبيّ   أيّ ثانٍ يرى لبـكر الزمان ؟
كان من نفسـه الـكبيرة في جيـ   ـشٍ وفـي كبـرياء ذي سلطان
كان في لفظـه نبيّاً، ولكنْ   ظهـرت معجزاتـه فـي المعاني

فصل ـ وقد جمح بي القلم في إشباع هذا الباب وتذييله ، وتصييره كتابـاً برأسه في أخبار أبي الطيب والاختيار من أشعاره والتنبيه على محاسنه ومساويه ، وقد كان بعض الأصدقاء سألني عمل ذلك ، وله الآن فيه كفاية ، وبه غنية ، فإن أحب إفراده عن الأبواب كان كتاباً على حدة ، وإن نشط لانتساخ الجميع تضاعفت الفوائد لديه ، وانثالت القلائد عليه ، بمشيئة الله وإرادته .

والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً .

* * *

الباب السادس

١٦ - في ذكر النامي والناشي والزاهي وإخراج غرر أشعارهم

أبو العباس أحمد بن محمد النامي - شاعر من فحولة شعراء العصر ، وخواص شعراء سيف الدولة ، وكان عنده تلو المتنبي في المنزلة والرتبة ، وقد أخرجت من ديوانه ما هو شرط الكتاب من عقائل شعره وفرائد عقده ، فمن ذلك قوله من قصيدة [من الطويل] :

له من هواها ما لصبٍّ متيّمٍ وذمة حبٍّ عهده لم يذمَّمِ
أفارق نفسي شعبةً بعد شعبةٍ فريقين باتا منجداً بعد متهم[١]
فقد كثرتْ في كلِّ أرضٍ ديارهمْ ككثرة عذّالي عليَّ ولوَّمي
ولم أر يوماً كان أثلم للحشا من اليوم بين الجزع والمتثلّم[٢]

ومنها :

لكم يا بني العباس سيفٌ على العدا حسامٌ متى يعرض له الداء يحسمِ
أخفُّ إلى يوم الوغى من حمامةٍ وأثبت من شوقٍ بقلبٍ متيَّمِ

(١) الشعبة : الجزء والقسم ومنجدو متهم : نسبة الى نجد وتهامة .
(٢) أثلم : أي أمرّ وأقطع .

وقوله من أخرى [من الطويل] :

أمير العــلا ، إنّ العوالــي كواسبٌ علاءك في الــدنيا وفــي جنَّــة الخلدِ
يمرُّ عليك الحول : سيفك في الطلا ، وطرفــك ما بين الشكيمــة واللبد[1]
ويمضي عليك الدهر : فعلك للعلا ، وقــولك للتقــوى ، وكفــك للرِّفدِ[2]

ومنها في وصف أشعاره :

ربايحــن أذهــانٍ : سماحــك غارسٌ لها ، فاجنِها بالعرف من روضة الحمد
من المذهبــات الــدّارميّات شرَّدٌ تدقُّ معانيهـا علــى الملك الكندي[3]

وقوله من أخرى [من الوافر] :

أحقّــاً أنّ قالتــي زرود وأنّ عهودهــا تلك العهــودُ[4]
وقفــت وقــد فقــدت الصبــر حتّى تبيّن موقفــي أنّــي الفقيدُ
وشــكّتْ فيَّ عذالــي فقالوا لرســم الــدار : أيّكمــا العميد ؟

ومثل هذا النمط من التشبيه قول السري [من الوافر] :

إذا ما الــراح والأتــرج لاحا لعينــك قلــت : أيّهمــا الشرابُ ؟

وقول بعض أهل العصر [من المنسرح] :

لــي سيدٌ فاتــنٌ يعلّمني بحسنــه كيف يعبــد الصّنمُ
لمــا رآنــي وفــي يدي قلمٌ لم يدر مولاي أيُّنــا القلمُ

---

(١) الطلا : الدم المطلول والشكيمة : حديدة اللجام المعترضة في فم الفرس.
(٢) الرفد : العطاء .
(٣) الملك الكندي : يعني امروء القيس.
(٤) زرود : إسم علم.

ومنها :

إليك صدعن أفئدة الليالي ... وفيهن السخائم والحقود[1]
فعيدان الأراك لها عظامٌ ... وأسقية السنان لها جلودُ[2]

ومنها :

وشعرٍ لو عبيد الشعر أصغى ... إليه لظلّ لي عبداً عبيد
كأنّ لفكرة نشر ابن حجرٍ ... ونوديَ من حفيرته لبيد[3]

وقوله من أخرى [من البسيط] :

إلمامةٌ بمغاني داره لممُ ... إذ لا أمامة في دارٍ لها أمم
بأيّ حكمٍ لأيّام الفراق نأتْ ... بناعبٍ كاعبٍ والبين يحتكم ؟
عقلت عيساً كأنّي كنت حاسدها ... بدار سلمى وترب الدار مستلم
إحدى الحسان أساءت بي وقد صرمت ... يوم الحمى وهواها ليس ينصرمُ

أخذه من قول ابن الرومي [من البسيط] :

يا ربّ حسّانةٍ منهنّ قد فعلت ... سوءاً وقد يفعل الأسواء حسّان

[رجع] :

كأنّ قلبي معارٌ للنوى جزعاً ... من قلب قرن عليٍّ وهو منهزمُ
ناط الحمائل في ليثٍ وفي قمرٍ ... وفي الحمائل قد نيطت به الهممُ[4]
كأنّه أجلٌ ، أو طرفه وجلٌ ، ... أو سيفه قدرٌ في الروح يحتكم

---

(١) السخائم : الضغائن.
(٢) الأراك : شجر طيب الرائحة يستعمل عوده سواماً.
(٣) ابن حجر : امروء القيس، ولبيد : لبيد بن ربيعة وعبيد : عبيد بن الأبرص .
(٤) ناط : أوكل وكلّف وعهد.

يا مظمىء الخيل أو تروى ذوابله ... والخيل تشرب من أشداقها اللّجم[1]

إذا ملائكة النصر اختلطت بها ... تشابه العالم النوريُّ والنَّسم

لم تدعَ يا علم المجد المقابلنا ... إلاّ وسبح إجلالاً لك العلم

لا يكتم النصر يوماً أنت شاهده ... واليوم من نقعه قد كاد ينكتم[2]

النصر أسرجها ، والعزُّ ألجمها ... والحزم أمسك بالأسراج لا الحزم

قال النهار له والشمس مغمدةٌ ... وللمنايا شموسٌ غمدها القمم :

هذا عجاجٌ فأين الأفق وهو قنا ؟ ... وتلك خيلٌ فأين الأرض وهي دم ؟

بحدٍّ سيفك سيف الدولة انحطمتْ ... قواعد الشرك والأرواح تنحطم

يحدّث الذئب ذئبٌ وهو مبتهجٌ ... ويخبر النسر نسرٌ وهو مبتسم

قد أرضعتك ثديٌ الأرض درّتها ... ورمحك ابن رضاعٍ ليس ينفطم

من آل حمدان حيث الملك مقتبلٌ ... والمال مقتسمٌ والحمد مغتنم

قومٌ إذا حكموا يوماً لأنفسهم ... جار السماح عليهم في الذي حكموا

أمن علاً أم ندىً أدعوك ؟ أم بهما ؟ ... فأنت ذا والحيا والصارم الخذم[3]

إن يعجل الرأي تلحقه بغايته ... كذا الجواد من الإعجاب يحتدم

وإن تأنّيت عزماً لم يفتك عداً ... إن الأسود تمطّى ثم تعتزم[4]

إن لم أقم أمماً للمدح من فكري ... فشك فيك يقيني أنّك الأمم

إذا طلبتك لم ألحقك في أمدٍ ... ما حيلتي ؟ قد تناهى دونك الكلم[5]

وما عليَّ إذا ما كنت ناظمها ... فعطّلتْ كلٌّ ما قالوا وما نظموا

---

(١) الزوايل : الرماح.

(٢) النقع : الغبار.

(٣) الخذم : القاطع.

(٤) نمطّى : تتهيأ.

(٥) أمد : مجال.

وقوله من أخرى [من الطويل] :

أمـرن هوانـا أن يصـحَّ لنسقما   فأدمى قلوبـاً صاديات إلـى الدّمى[1]

ومنها :

أرتنـا جنـى العنـاب للـورد ظالماً   ومـن أقحـوانٍ مرمضٍ متظلّما[2]

ما أحسن هذا البيت وأظرفه ، وفيه كناية عن حك الوجه بالبنان المخضب وعض اليد بالثغر الأشنب :

طوى البين ديباج الخدود ، ونشّرت   يد البين وشياً للخدود منمنما
تقسّمت الأهـواء قلبـي كمـا غدا   نوال علـيٍّ في العـلا متقسّما
ويومٍ كأجياد العـذارى حليّه   فريد ندىً في جيده قد تنظّما[3]
جلونـا به وجهـي عروسٍ وكاعبٍ   علـى طفـل زهـر قد بكى وتبسّما[4]
وأخـرس يصبينـا بخمسـة ألسنٍ   إلـى أيّهـا مدّ السّنـان تكلّما
لدن غدوة حتـى إذا الشـمس ودّعتْ   مغاربهـا واستـأذنتهـا التصرُّما
ثوينـا كأنّـا بعض أبنـاء قيصرٍ   غدا فيهـم سيف الأمير محكّما
أطعـت العـلا حتـى كأنّـك عبدها   وإن كنـت مولاهـا وكنـت لهـا ابنما
مكارم لا تنفـكّ تتعـب حاسداً   يؤخّـره سعـيٌ لهـا قد تقدّما
زكت فكري فيهـا وأينـع هاجسي   فَظِلْتُ علـى أهـل القـريض مقدّما
وولّـد شعـري فيك شعـراً لمعشرٍ   فكنـت عليهـم مثـل نعمـاك منعما

(١) الصادي : الظامىء ، والدمي : الفتيات.
(٢) مرمضٍ : اشتدت عليه الحرارة.
(٣) الجيد : العنق.
(٤) جلونا : زيّنا.

وقوله من أخرى [من الطويل] :

سلاها لم اسودَّ الهوى في ابيضاضه ؟ وإلا سلاني كيف بيّض مسودّي ؟
كأنّ برأسي عسكرين تحاربا فقد كثر استئمان جندٍ إلى جندِ
وليلٍ له نجمٌ كليلٌ عن السّري تحيّر لا يهدى لقصدٍ ولا يهدي[1]
كأنّي وابن الغمد والطّرف أنجمٌ على قصدها والنجم ليس على قصد
إلى أن رأيت الفجر والنسر خاضبٌ جناحيه ورساً عُلَّ بالعنبرِ الوردي[2]
وحلّت يد الجوزاء عقد وشاحها إزاء الثريا وهي مقطوعة العقدِ
فقلت : أَخَيلُ التغلبي مغيرةٌ أم الفجر يرمي الليل سداً على سدٍّ ؟
فتىً قسّم الأيام بين سيوفه وبين طريفات المكارم والتلد[3]
فسوَّد يوماً بالعجاج وبالرّدى وبيَّض يوماً بالفضائل والمجد
ألم تر فرعوناً وموسى تجاريا فغودرت العقبى لذي الحقّ لا الحشد ؟
جهدت فلم أبلغ مداك بمدحةٍ وليس مع التقصير عندي سوى جهدي
يزيد على شأوي زيادٌ وجرولٌ وقد غودر ابن العبد في نظمها عبدي[4]

وقوله من أخرى [من الطويل] :

له سورةٌ في البشر تقرأ في العلا وتثبت في صحف العطاء وتكتبُ[5]
إذا ما عليٌّ أمطرتك سماؤه رأيت العلا أنواؤها تتحلّب[6]
يرجى ويخشى ضرّه وهو نافعٌ كذا البحر في أزّاته متهيّب[7]

---

(١) كليلٌ: متوانٍ والسُّرى : المسير ليلاً.
(٢) الورس : نبات أحمر للصباح وعلٌّ: مزج.
(٣) الطريف والتلد : المال الحديث والموروث .
(٤) زياد : هو النابغة الذبياني، وجرول : هو الحطيئة وابن العبد : هو طرفة بن العبد البكري.
(٥) السورة : السطوة ، والعلاء والمجد.
(٦) تتحلّب : تتصبّب، والنوء: المطر.
(٧) أزاته : تموّجه.

يروع ويبـدو الأنس منـه كأنّـه الـ ـهـوى لذعـهُ بين الجوانـح يعذب
وأزهـر يبْيضُّ النّدى منـه في الرّضى وتحمـرُّ أطـراف القنا حين يغضب
أمير الندى ، ما للنـدى عنـك مذهبٌ ولا عنـك يومـاً للرغائـب مرغب
إذا فاخـرت بالمكرمـات قبيلةٌ فتغلـب أبنـاء العـلا بك تغلب
قنـاةٌ من العلياء أنـت سنانها وتلك أنـابيبٌ عليهـا وأكعب
وخيلٍ كأمثـال القنـا في لبودها فإن صهلـت فهـي اليراع المثقّب[1]
وضـربٍ يريك الخيل مجّ نجيعه وأشبههـا من لون أشقـر يخضب

وقوله من أخرى [من الخفيف] :

سألـتْ بالفـراق صبّـاً ، ومـا ينـ ـبئهـا بالفـراق مثـل خبيرِ
هو بين الحشـا صدوعٌ ، وفـي الأعـ ـين ماءٌ ، وجمـرةٌ فـي الصدورِ[3]
نحـن أبنـاء ذا الهـوى تسـكن الأنـ ـفس منّـا إلـى الضّنـا والزفيرِ
نال منـا يوم الفـراق كمـا نا ل من النـاكثين سيف الأمير
في خميسٍ للنّصـر فيه لواءٌ عقـده من لوائـه المنصور
رجلـه كالدبـا ، وفرسانـه كالأ سد بأسـاً ، وخيلـه كالصقور[4]
وسجـاياك يا أبـا الحسـن الغـ ـرّ وإتعابهـنّ شكر الشكـور
لو غدا الدهـر صافحـاً لي عن الحـ ـظّ وأعلـى من جدٍّ حالٍ عثور[5]
لتعطّـرت من غبـار مذاكيـ ـك رواحي ، وكان عطري بكوري[6]
ثم صيّرت من دمـاء أعاديـ ـك خلوقي ، وكان منـه طهوري[7]

---

(١) اليراع : القصبة التي يزمر بها.
(٢) الأشهب: الذي يميل لونه إلى الحمرة والسّواد .
(٣) صدوع : شروخ.
(٤) الدبا : القرع.
(٥) الجد : **الحظ** ، والعاثر : السيء.
(٦) المذاكي : جياد الخيل.
(٧) الخلوق : الطيب.

ولقيت المنون تحت عواليـ ـك معداً ذخراً ليوم نشوري
سرْ علـى السعد تستظلّ من الأيّـام ظلّـيْ سلامةٍ وحبور
بين فرضين من جهادٍ وشهرٍ أنت في الناس مثله في الشهور
سمع النصر فيه أمرك لمّا خاطبته الأقدار بالتأمير
أنتم دارة العلا يا بني حمـ ـدان ، سكان بيتها المعمور
وتسيرون في القنا فترى الآ جال مرتابةً بذاك المسير
في شموسٍ من الحديد عليها أنجمٌ يفترون فوق بدور
وعجاجٍ كأنّه من دخان النـ ـدّ يلقى الهواء بالتعطير[1]
عبقٌ من علاكُمُ فكأنّ الـ أرض مسكٌ ، والجوُّ من كافور
فتحيّوا بمدحتي فهي ريحا نةُ حمدٍ تبقى بقاء الدّهور

وقوله من أخرى [من الكامل] :

ومنازلين إذا بدوا في شارقٍ شبّوا ضياء وقوده بوقود[2]
ردّوا على داود صنعة سرده لغناهم بالصّبر عن داود
لا يصبحون إذا انتضوا بيض الظّبا وشبا القنا غير المنايا السّود[3]

وقوله من أخرى [من الطويل] :

ألم تر أعداء الأمير كوفرهِ يظلّ لتوفير العلا غير وافرِ
وحسّاده ممّا تذوب كخيله بلغن مدى أنفاسهنّ الزوافرِ

وقوله من أخرى [من البسيط] :

وصارمٍ مثل لحظ البرق أسلك في مثال جدول ماء فيه منسكبِ

---

(١) العجاج: الغبار، والندّ : نوعٌ من الطيب.
(٢) شبّوا : أوقدوا ، وأسعروا.
(٣) انتضوا : شهروا،وبيض الظبا: ، وبيض الظبا : يقصد بها السيوف، وشبا القنا : رؤوس الرماح.

تنـــأى به الهـــام عن أجسامهـــنّ كما ... تنـأى الخـــواتيم عن مقـــروءة الكتب

وقوله من أخرى [من البسيط] :

في ناظـر الشـــمس إن عنّــت له رمدٌ ... ومسمع الرعـد إن أصغـى له صممُ[1]
يردّهـــا ونظـــام الملك متّسِقٌ ... والمـــوت في خرز الأعنـــاق ينتظم
أسعـــد بعيدٍ إذا كارمتـــه حكمت ... لك المعانـي وأمضـى حكمهـــا الكرم
عيدٌ وفتـــحٌ وملكٌ والأمير له ... دامـــت سلامتـــه ما أورق السلم !
الله أعطـــاك أقســـام الفخـــار ، فما ... خلقٌ يساميك مذ حيزت لك القسم[2]
لو كان يرضـى لك الـدنيا لمـــا فنيتْ ... ونلـــت فيهـــا خلـــوداً أنـــت والنِعم

وقوله في صفة منارة [من الرجز] :

ساميةٌ في الجـــوِّ مثـــل الفرقد ... قاعـــدةٌ فيه وإن لم تقعد
يكاد عاليهـــا ـ وإن لم يبعد ـ ... يغـــرف من حوض الغمـــام باليـد

وقوله [من الطويل] :

خليلـيَ ، هل للمـزن مقلـة عاشقٍ ؟ ... أم النـار في أحشائهـا وهـــي لا تدري
أشـــارت إلـى أرض العـراق فأصبحت ... وكاللؤلـؤ المبتـــول أدمعهـــا تجري[3]
تسربـــل وشياً من خروزٍ تطرّزتْ ... مطارفهـــا طرزاً من البـــرق كالتّبر[4]
سحابٌ حكت ثكلـى أصيبـت بواحدٍ ... فعاجت له نحـو الـرياض علـى قبر[5]
فوشـــيٌ بلا رقـــمٍ ، ونقشٌ بلا يدٍ ... ودمـــعٌ بلا عينٍ ، وضحـــكٌ بلا ثغر

---

(١) عنّت : بدت وخطرت، والرمد : وجع يصيب العين، والصميم : فقد السمع .
(٢) حيزت لك القسم : جعلت ملكك.
(٣) المبتول : المقطع المفصول عن غيره.
(٤) المطارف : أوشحة من الحرير، والتبر : الذهب .
(٥) الثكلى : الفاقدة ، ولدها وعاجت ، المّت ونزلت .

ودخل على ناصر الدولة ويده وجعة قد لطخت بلطوخ ، فقال له : هل قلت شيئاً ؟ قال : ما علمت ، قال : فقل ، فقال ارتجالا [من الوافر] :

يدٌ في برئهـا برءُ الأيادي ووعـكٌ للطـريـف وللتـلاد[1]
يد الحسـن التـي خلقـت سماءً موكّلـةٌ بـأرزاق العبـاد

* * *

١٧ ـ أبو الحسين الناشىء الأصغر

أنشدني أبو بكر الخوارزمي ، قال : أنشدني أبو الحسين الناشىء بحلب لنفسه [من الطويل] :

إذا أنـا عاتبـت الملـوك فإنّما أخـطُّ بأقلامـي علـى المـاء أحرفا
وَهَبْهُ ارعوى بعد العتـاب ، ألـم يكنْ تودّده طبعـاً فصـار تكلُّفا ؟[2]

قال : وأنشدني لنفسه [من الكامل] :

ليس الحجـاب من آلـة الأشراف إنّ الحجـاب مجانـبُ الإنصاف
ولقـلّ من يأتـي فيحجـب مرةً فيعـود ثانيةً بقلـبٍ صافي

وله في سيف الدولة يودعه [من الطويل] :

أودّع ، لا أنّـي أودّع طائعاً وأعطي بكرهـي الدهـر ما كنـت مانعا
وأرجـع لا ألقـى سوى الوجـد صاحباً لنفســي إن القيت بالنفس راجعا
تحمّلــت عنّـا بالصنائـع والعلا فنستـودع الله العـلا والصنائعا
رعـاك الـذي يرعـى بسيفـك دينه ولقّـاك روض العيش أخضـر يانعا

---

(١) البرء : الشفاء ، والوعك : المرض .

(٢) ارعوى : تراجع وأتاب .

وله [من المتقارب] :

إذا لم تنل همم الأكرمين — وسعيهم وادعاً فاغترب
فكم دعةٍ أتعبت أهلها — وكم راحةٍ نتجت من تعب(1)

[وله أيضاً] [من مجزوء الخفيف] :

يا خليلي وصاحبي — من لؤي بن غالبِ
حاكم الحبٍّ جائرٌ — موجبٌ غير واجبِ
لك صدغٌ كأنّما — نونه نون كاتبِ
يلذع الناس - إذ تعقـ — ـرب - لذع العقارب

* * *

١٨ ـ أبو القاسم الزاهي

وصاف محسن ، كثير الملح والظرف ، ولم يقع إليَّ شعره مجموعاً ، وإنما تطرفته من أفواه الرواة ، واستفدته من التعليقات .

أنشدني أبو نصر سهل بن المرزبان فيما أنشدنيه من النتف التي استفادها ببغداد ، وأتحفني به من اللطائف التي استصحبها : منها للزاهي [من الطويل] :

سفرن بدوراً ، وانتقبن أهلَّةً — ومِسْن غصوناً ، والتفتن جآذرا(2)
وأطلعن في الأجياد بالدرّ أنجماً — جعلن لحبّات القلوب ضرائرا(3)

---

(١) الدعة : الراحة.

(٢) سفرن : أظهرن محاسن وجوههن انتقبن اي لبسن النقاب ومِسن : تمايلن وتَثنّين والجاذر : البقر الوحشي.

(٣) الضرائر : جمع ضرّة وهي الزوجة الثانية مع الأولى في البيت الواحد.

وإنما احتذى في البيت الأول مثال المتنبي في قوله [من الوافر] :

بدت قمراً ، ومالت غصن بانٍ وفاحت عنبراً ، ورنت غزالا

وممن نسج على هذا المنوال أبو عامر إسمعيل بن أحمد الشاشي ، فإنه قال من قصيدة [من الطويل] :

رأيت على أكوارنا كلَّ ماجدٍ يرى كل ما يبقى من المال مغرما
ندوِّم أسيّافاً ، ونعلو قواضباً ، وننقضُّ عقبانا ، ونطلع أنجما[1]

وقال أبو الحسن الجوهري في الخمر إلا أنه قلب التشبيه [من الطويل] :

يقولون : بغداد التي اشتقت برهةً دساكرها والعكبريَّ المقيّرا[2]
إذا فضَّ عنه الختم فاح بنفسجاً ، وأشرق مصباحاً ، ونوّر عصفرا[3]

ولبعض أهل العصر في غلام مغن [من الوافر] :

فديتك يا أتمَّ النَّاس ظرفاً وأصلحهم لمتّخذٍ حبيبا
فوجهك نزهة الأبصار حسناً وصوتك متعة الأسماع طيبا
وسائلةٍ تسائل عنك ، قلنا لها في وصفك العجب العجيبا :
رنا ظبياً ، وغنّى عندليباً ، ولاح شقائقاً ، ومشى قضيبا[4]

وللزاهي [من الطويل] :

أرى الليل يمضي والنجوم كأنّها عيون الندامى حين مالت إلى الغمضِ
وقد لاح فجرٌ يغمر الجوَّ نوره كما انفجرت بالماء عينٌ على الأرضِ

---

(١) القواضب : السيوف ، والعقبان : جمع عقاب، وهو نوع من الطيور الجارحة .
(٢) العكبري : الشراب من الخمر ، والمقيّرا : المطلي بالقار.
(٣) فضّ : أزيل ، والعصفر : نبات يصبغ به .
(٤) رنا : نظر وتطلع .

وأنشدني أبو سعد نصر بن يعقوب في كتابه « كتاب روائع التوجيهات ، من بدائع التشبيهات » للزاهي [من البسيط] :

الريح تعصف والأغصان تعتنقُ والمزن باكيةٌ والزّهر معتبق[1]
كأنّما الليل جفنٌ والبروق له عينٌ من الشمس تبدو ثم تنطبق

ومن مشهور شعر الزاهي قوله [من الكامل] :

لولا عذارك ما خلعت عذاري ولكنت في وزرٍ من الأوزارِ[2]
ما كنت أحسب أن أعاين أو أرى تخطيط ليلٍ في بياض نهار
حتى نظرت إلى عذارك فاغتدى سقم القلوب ونزهة الأبصار
فتركت قولي في الوعيد لأجلهِ وعزمت فيك على دخول النّار

ووجدت في كتاب أبي الحسن علي بن أحمد بن عبدان ، في مجموعة المترجم بحاطب الليل ، قصيدة للزاهي أولها [من الكامل] :

الليل من فكري يصير ضياءَ والسّيف من نظري يذوب حياءَ
والخيل لو حمّلتها علمي بها لتركتها تحت العجاج هباءَ

ومنها :

أحصي على دهري الذنوب بمقلةٍ لدموعها لا أملك الإحصاءَ

سرقه من قول ديك الجن [من الخفيف] :

أنا أحصي فيك النجوم ولكنْ لذنوب الزمان لست بمحصِ

(١) المُزنْ : السُّحبْ، ومعتبق : أي مليء بالعبق الذكي.
(٢) الوزر : الإثم.

رجع :

عجباً لصرف الدّهر كيف يخون من غمر البرية نجدةً ووفاءَ
عدم الصباح فناب عنه بفكره وعلت يداه فطاول الجوزاء

وأنشدت له بيت معمى ، وما أراه قاله [من الكامل] :

من كان آدم جمّلاً في سنّه هجرته حواء السنين من الدمى[1]

آدم في حساب الجمل خمس وأربعون ، وحواء خمسة عشر .

وله في وصف الأترج [من البسيط] :

وذاتِ جسم من الكافور في ذهبٍ دارت عليه حواشيه بمقدارِ
كأنّها - وهي قدّامي ممثَّلةً في رأس دوحتها - تاجٌ من النار

* * *

(١) جمّلاً : حساب الجمل، وهو حساب الأحرف الهجائية المقرونة بأرقام من الواحد الى الألف.
والمعنى : أنّ الذي في عمر آدم لابدّ أن تهجره النساءِ .

الباب السابع

١٩ ـ في ذكر أبي الفرج عبد الواحد الببغاء وغرر نثره ونظمه

هو : أبو الفرج عبد الواحد بن نصر المخزومي ، من أهل نصيبين .

نجم الآفاق ، وشمامة الشام والعراق ، وظرف الظرف ، وينبوع اللطف ، واحد أفراد الدهر ، في النظم والنثر ، له كلام بل مدام ، بل نظام من الياقوت ، بل حب الغمام ، فنثره مستوف أقسام العذوبة ، وشروط الحلاوة والسهولة ، ونظمه كأنه روضة منورة تجمع طيباً ومنظراً حسناً . وقد أخرجت من شعره . ما يشهد بالذي أجريت من ذكره ، وإنما لقب بالببغاء للثغة فيه سيجري وصفها في ذكر ما دار بينه وبين أبي إسحاق الصابي من طرف المكاتبات وملح المجاوبات ، وكان في عنفوان أمره وريعان شبابه متصلاً بسيف الدولة ، مقيماً في جملته ، ثم تنقلت به بعد وفاة صاحبه الأحوال في وروده الموصل وبغداد ومنادمته بهما الملوك والرؤساء ، وإخفاقه مرة وإنجاحه أخرى ، وآخر ما بلغني من خبره ما سمعت الأمير أبا الفضل عبد الله بن أحمد الميكالي يورده من ذكر التقائه معه عند صدره من الحج وحصوله ببغداد في سنة تسعين وثلاثمائة ، ورؤيته بها شيخاً عالي السن ، متطاول الأمد ، نظيف اللبسة ، بهي الركبة ، مليح اللثغة ، ظريف الجملة ، قد أخذت الأيام من جسمه وقوته ، ولم تأخذ من طرفه وأدبه ، وأنه مدح أباه الأمير أبا نصر بقصيدة فريدة أجزل عليها صلته ، ثم السلامي وغيره من شعراء العراق ، ثم عرض على القاضي أبو بشر الفضل بن محمد بجرجان سنة إحدى وتسعين كتاب

أبي الفرج الوارد عليه من بغداد مشتملاً من النظم والنثر على ما أثرت فيه حال من بلغ ساحل الحياة ، ووقف إلى ثنية الوداع ، ولست أدري ما فعل الدهر به ، وأغلب ظني أنه إلى الآن قد لحق باللطيف الخبير ، وأنا أبدأ بسياق قصة له من عبارته وحكايته ، لم أسمع أظرف منها في فنها ، ولا ألطف ولا أعذب ، ولا أخف ؛ وإن كان فيها بعض الطول ، والبديع غير مملول .

قال أبو الفرج : تأخرت بدمشق عن سيف الدولة رحمه الله مكرهاً ، وقد سار عنها في بعض وقائعه ، وكان الخطر شديداً على من أراد اللحاق به من أصحابه ، حتى إن ذلك كان مؤدياً إلى النهب وطول الاعتقال ، واضطررت إلى إعمال الحيلة في التخلص والسلامة ، بخدمة من بها من رؤساء الدولة الإخشيدية ، وكان سني في ذلك الوقت عشرين سنة، وكان انقطاعي منهم إلى أبي بكر علي بن صالح الروزباري لتقدمه في الرياسة ، ومكانه من الفصل والصناعة ، فأحسن تقبلي ، وبالغ في الإحسان بي ، وحصلت تحت الضرورة في المقام، فتوفرت على قصد البقاع الحسنة ، والمتنزهات المطرفة ، تسلياً وتعللاً ، فلما كان في بعض الأيام عملت على قصد دير مران ، وهذا الدير مشهور الموقع في الجلالة وحسن المنظر ، فاستصحبت بعض من كنت آنس به . وتقدمت لحمل ما يصلحنا ، وتوجهنا نحوه ، فلما نزلنا أخذنا في شأننا وقد كنت اخترت من رهبانه لعشرتنا من توسمت فيه رقة الطبع وسجاحة الخلق ، حسبما جرى به الرسم في غشيان الأعمار وطروق الديرة ، ومن التطرف بعشرة أهلها والأنسة بسكانها ، ولم تزل الأقداح دائرة بين مطرب الغناء وزاهر المذاكرة إلى أن فض اللهو ختامه، ولوح السكر لصحبي أعلامه ، وحانت مني نظرة إلى بعض الرهبان فوجدته الى خطابي متوثباً ، ولنظري إليه مترقباً ، فلما أخذته عيني أكب يزعجني بخفي الغمز ووحي الايماء ، فاستوحشت لذلك ، وأنكرته ونهضت عجلان ، واستحضرته ، فأخرج إليَّ رقعة مختومة ، وقال لي : قد لزمم فرض الأمانة فيما تضمنته هذه الرقعة ، وونى وسقط

ذمام كاتبها في سترها بك عني ، ففضضتها ، فإذا فيها بأحسن خط وأملحه وأقرئه وأوضحه :

بسم الله الرحمن الرحيم

لم أزل فيما تؤديه هذه المخاطبة يا مولاي : بين حزم يحث على الانقباض عنك ، وحسن ظن يحض على التسامح بنفيس الحظ منك ، إلى أن استنزلتني الرغبة فيك على حكم الثقة بك من غير خبرة ، ورفعت بيني وبينك سجف الحشمة ، فأطعت بالانبساط أوامر الأنسة ، وانتهزت في التوصل إلى مودتك فائت الفرصة ، والمستماح منك ـ جعلني الله فداك ! ـ زورة أرتجع بها ما اغتصبتنيه الأيام من المسرة مهنأة بالانفراد إلا من غلامك الذي هو مادة مسرتك .

وما ذاك عن خلق يضيق بطارق ، ولكن لأخذي بالاحتياط على حالي ، فإن صادف ما خطبته منك ـ أيدك الله ! ـ قبولاً ، ولديك نفاقاً ، فمنية غفل الدهر عنها ، أو فارق مذهبه فيما أهداه إليَّ منها ، وإن جرى على رسمه في المضايقة فيما أوثره وأهواه ، وأترقبه من قربك وأتمناه ، فذمام المروءة يلزمك رد هذه الوقعة وسترها ، وتناسيها واطراح ذكرها . وإذا بأبيات تتلو الخطاب ، وهي [من المنسرح] :

يا عامر العمر بالفتوة والـ	ـقصف وحثِّ الكؤوس والطربِ
هل لك في صاحبٍ تناسب في الـ	ـغربة أخلاقه وبالأدب
أوحشه الدهر فاستراح إلى	قربك مستنصراً على النّوب[1]
فإن تقبَّلت ما أتاك به	لم تشن الظنّ فيه بالكذب[2]
وإن أتى الزهد دون رغبتنا	فكن كمن لم يقل ولم يُجِب

---

(١) النوب : المصائب والأحداث.

(٢) تُشِنْ : تُعِبْ.

قال أبو الفرج : فورد عليَّ ما حيرني ، واسترد ما كان الشراب حازه من تميزي ، وحصل لي في الجملة أن أغلب الأوصاف على صاحبها الكتابة خطا وترسلا ونظما ، فشاهدته بالفراسة من ألفاظه ، وحمدت أخلاقه قبل الاختبار من رقعته ، وقلت للراهب : ويحك ! من هذا ؟ وكيف السبيل إلى لقائه ؟ فقال : أما ذكر حاله فإليه إذا اجتمعنا ، وأما السبيل إلى لقائه فمتسهل إن شئت قلت : دلني ، قال : تظهر فتوراً ، وتنصب عذراً تفارق به أصحابك منصرفاً ، وإذا حصلت بباب الدير عدلت بك إلى باب خفي تدخل منه ، فرددت الرقعة عليه ، وقلت : ارفعها [إليه] ليتأكد أنسه بي وسكونه إلي ، وعرفه أن التوفر على إعمال الحيلة في المبادرة إلى حضرته على ما آثره من ا لتفرد أولى من التشاغل بإصدار جو اب وقطع وقت بمكاتبته ، ومضى الراهب ، وعدت إلى أصحابي بغير النشاط الذي نهضت به ، فأنكروا ذلك ، فاعتذرت إليهم بشيء عرض لي ، واستدعيت ما أركبه ، وتقدمت إلى من كان معي ممن يخدم بالتوفر على خدمتهم ، وقد كنا عملنا على المبيت ، فأجمعوا على تعجل السكر والانصراف ، وخرجت من باب الدير ومعي صبي كنت آنس به وبخدمته ، وتقدمت إلى الشاكري برد الدابة وستر خبري ومباكرتي ، وتلقاني الراهب ، وعدل بي إلى طريق في مضيق ، وأدخلني إلى الدير من باب غامض ، وصار بي إلى باب قلاية متميز عما يجاوره من الأبواب نظافة وحسناً ، فقرعه بحركات مختلفة كالعلامة ، فابتدرنا منه غلام كأن البدر ركب على أزراره مهفهف الكشح مخطفه[1] ، معتدل القوام أهيفه[2] ، تخال الشمس برقعت غرته ، والليل ناسب أصداغه وطرته ، في غلالة تنم على ما تستره[3] ، وتجفو مع رقتها عما تظهره ، وعلى رأسه مجلسية مصمت فبهر عقلي ، واستوقف نظري ، ثم أجفل كالظبي المذعور ، وتلوته والراهب إلى صحن القلاية ، فإذا أنا ببيت فضي

---

(١) المخطف : دقيقة وناعمه.

(٢) الهيف : اعتدال القوام.

(٣) الغلالة : الثياب الشفافة.

الحيطان ، رخامي الأركان ، يضم طارقة خيش ، مفروشة بحصير مستعمل ، فوثب إلينا منه مقتبل الشبيبة ، حسن الصورة ، ظاهر النبل والهيئة ، متزي من اللباس بزي غلامه ، فلقيني حافياً يعثر بسراويله ، واعتنقني ، ثم قال : إنما استخدمت هذا الغلام في تلقيك يا سيدي لأجعل ما لعلك استحسنته من وجهه مصانعاً عما ترد عليه من مشاهدتي ، فاستحسنت اختصاره الطريق إلى بسطي ، وارتجاله النادرة على نفسه حرصاً في تأنيسي ، وأفاض في شكري على المسارعة إلى أمره . وأنا أواصل في خلال سكناته المبالغة في الاعتداد به ، ثم قال : يا سيدي أنت مكدود بمن كان معك ، والاستمتاع بمحادثتك لا يتم إلا بالتوصل إلى راحتك ، وقد كان الأمر على ما ذكر ، فاستلقيت يسيراً ثم نهضت ، فخدمت في حالتي النوم واليقظة الخدمة التي ألفتها في دور أكابر ا لملوك وأجلة الرؤساء .
وأحضرنا خادم له لم أر أحسن منه وجهاً ولا سواداً طبقاً يضم ما يتخذ للعشاء مما خف ولطف ، فقال : الأكل مني يا سيدي للحاجة ، ومنك للممالحة والمساعدة ، فنلنا شيئاً ، وأقبل الليل فطلع القمر ففتحت مناظر ذلك البيت إلى فضاء أدى إلينا محاسن الغوطة ، وحبانا بذخائر رياضها : من المنظر الجناني ، والنسيم العطري ، وجاءنا الراهب من الأشربة بما وقع اتفاقنا على المختار منه ، ثم اقتعدنا غارب اللذة ، وجرينا في ميدان المفاوضة ، فلم يزل يناهبني نوادر الأخبار ، وملح الأشعار ، ونخلط ذلك من المزح بأظرفه ، ومن التودد بألطفه ، إلى أن توسطنا الشراب فالتفت إلى غلامه ، وقال له : يا مترف ، إن مولاك ما ادخر عنا السرور بحضوره ، وما يجب أن ندخر ممكنا في مسرته ، فامتقع وجه الغلام حياء وخفراً ، فأقسم عليه بحياته وأنا لا أعلم ما يريد ، ومضى فعاد يحمل طنبوراً ، وجلس فقال لي : يا سيدي تأذن لي في خدمتك ؟ فهممت بتقبيل يده لما تداخلني من عظم المسرة بذلك ، فأصلح الغلام الطنبور وضرب وغنى [من المجتث] :

يا مالكي وهو مُلكي وسالبي ثوب نسكي

نــزّه يقيـن الهــوى فيــ ــك عن تعــرّض شكٍّ
لــولاك ما كنــت أبكي إلــى الصــباح وأبكــي

فنظر إلى الغلام وتبسم ، فعلمت أن الشعر له ، فكدت والله أطير طرباً وفرحاً بملاحة خلقه وجودة ضربه وعذوبة ألفاظه وتكامل حسنه ، فاستدعيت كيزاناً، فأحضرنا الخادم عدة قطع من فاخر البلور وجيد المحكم ، فشربت سروراً بوجهه ، وشرب بمثل ما شربت ، ثم قال لي : أنا والله يا سيدي أحب ترفيهك وأن لا أقطعك عما أنت متوفر عليه ، ولكن إذا عرفت الاسم والنسب والصناعة واللقب فلا بد أن تشي ليلتنا بشيء يكون لها طرازاً ولذكرها معلماً ، فجذبت الدواة وكتبت ارتجالاً وقد أخذ الشراب مني [من المجتث] :

وليلــــةٍ أوسعــتنــي حســناً ولهــواً وأنســا
مــا زلــت ألثـم بدراً بهــا وأشــرب شمسـا
إذ أطلــع الــدّير سعداً لم يبــق مذْ بان نحسا
فصــار للــروح منّي روحــاً وللنفــس نفسـا

فطرب على قولي « ألثم بدراً وأشرب شمسـاً » ، وجـذب غلامـه فقبلـه ، وقال : ما جهلت ما يجب لك يا سيدي من التوقير ، وإنما اعتمدت تصديقك فيما ذكرته ، فبحياتي إلا فعلت مثل ذلك بغلامك ، فاتبعت آثاره خوفاً من احتشامه ، وأخذ الأبيات وجعل يرددها ، ثم أخذ الدواة وكتب إجازة لها [من المجتث] :

ولــم أكـن لغريمـي والله أبــذلُ فلسـا
لــو ارتضــى لي خصمي بديـر مـرّان حبسـا

فقلت : إذاً والله ما كان أحد يؤدي حقاً ولا باطلاً ، وداعبته في هذا المعنى بما حضر، وعرفت في الجملة أنه مستتر من دين قد ركبه ، وقال لي : قد خرج لك أكثر الحديث ، فإن عذرت ، وإلا ذكرت لك الحال لتعرفها على صورتها ، فتبينت ما يؤثره من كتمان أمره ، فقلت له : يا سيدي ، كل ما لا يتعرف بك نكرة . وقد

أغنت المشاهدة عن الاعتذار ، ونابت الخبرة عن الاستخبار ، وجعل يشرب وينخب عليَّ من غير إكراه ولا حثٍّ ولا استبطاء ، إلى أن رأيت الشراب قد دب فيه ، وأكب على مجاذبة غلامه والفطنة تثنيه في الوقت بعد الوقت ، فأظهرت السكر وحاولت النوم ، وجاء الغلام ببرذعة ففرشها لي بإزاء برذعته ، فنهضت إليها وقام يتفقد أمري بنفسه ، فقلت له : إن لي مذهباً في تقريب غلامي مني ، واعتمدت بذلك تسهيل ما يختاره من هذه الحال في غلامه ، فتبسم وقال لي بسكره ، جمع الله لك شمل المسرة كما جمعه لي بك ، وأظهرت النوم ، وعاد يجاذب غلامه بأعذب لفظ وأحلى معاتبة ، ويخلط ذلك بمواعيد تدل على سعة وانبساط يد، وغلامه تارة يقبل يده وتارة فمه ، وغلبتني عيناي إلى أن أيقظني هواء السحر ، فانتبهت وهما متعانقان بما كان عليهما من اللباس ، فأردت توديعه وحاذرت إنباهه وإزعاجه، فخرجت ، ولقيني الخادم يريد إيقاظه وتعريفه انصرافي ، فأقسمت عليه أن لا يفعل ، ووجدت غلامي قد بكر بما أركبه كما كنت أمرته ، فركبت منصرفاً وعاملاً على العود إليه والتوفر على مواصلته وأخذ الحظ من معاشرته ، ومتوهماً أن ما كنت فيه منام لطيبه وقرب أوله من آخره ، واعترضتني أسباب أدت إلى اللحاق بسيف الدولة ، فسرت على أتم حسرة لما فاتني من معاودة لقائه وقلت في ذلك [من الطويل] :

ويومٍ كأنّ الدهر سامحني به فصار اسمه ما بيننا هبةَ الدّهرِ
جرت فيه أفراس الصّبا بارتياحنا إلى دير مرّان المعظّم والعمر
بحيث هواء الغوطتين معطر الـ ـنّسيم بأنفاس الرياحين والزهر
فمن روضةٍ بالحسن ترفد روضةً ومن نَهرٍ بالفيض يجري إلى نهرِ
وفي الهيكل المعمور منه افترعتها وصحبي حلالاً بعد توفية المهرِ[1]
ونزّهت عن غير الدنانير قدرها فما زلت منها أشرب التبر بالتبرِ

---

(١) افترع : افتضّ.

وحلّ لنا ما كان منها محرّماً … وهل يحظر المحظور في بلد الكفر[1]
فأهدت ليَ الأيام فيه مودةً … دعتنيَ في سترٍ فلبَّيت في ستر
أتى من شريف الطبع أصدق رغبةٍ … تخاطبني عن معدن النظم والنثر
وكان جوابي طاعةً لا مقالةً … ومن ذا الذي لا يستجيب إلى اليسر
فلاقيت ملء العين نبلاً وهمَّةً … محلّى السّجايا بالطلاقة والبشر
وأحشمني بالبرّ حتى ظننته … يريد اختداعي عن جناني ولا أدري[2]
ونزّه عن غير الصفاء اجتماعنا … فكنت وإياه كقلبين في صدر
وشاء السرور أن يلينا بثالثٍ … فلاطفنا بالبدر أو بأخي البدر
بمعطي عيونٍ ما اشتهت من جماله … ومضني قلوبٍ بالتجنّب والهجر
جنينا جنيَّ الورد في غير وقته … وزهر الرّبا من روض خدّيه والثغر
وقابلنا من وجهه وشرابه … بشمسين في جنحيْ دجى الليل والشعر
وغنّى فصار السمع كالطرف آخذاً … بأوفر حظٍّ من محاسنه الزهر
وأمتعنا من وجنيته بمثل ما … تمزّج كفّاه من الماء والخمر
سرورٌ شكرنا منَّة الصحو إذ دعا … إليه ولم نشكر به منَّة السكر[3]
كأنَّ الليالي نمن عنه فعندما … تنبَّهن نكّبن الوفاء إلى الغدر
مضى وكأنّي كنت فيه مهوّماً … يحدث عن طيف الخيال الذي يسري[5]
وهل يحصل الإنسان من كل ما به … تسامحه الأيام إلاّ على الذكر

ولم أزل على أتم قلق وأعظم حسرة ، وأشد تأسف على ما سلبته من فراق الفتى ، لا سيما ولم أحصل منه على حقيقة علم ولا يقين خبر يؤديانني إلى الطمع

---

(١) المحظور : الممنوع .
(٢) الخبان : العقل.
(٣) المنّة : التفضّل.
(٤) نكّبن : حوّلن وغيّرن .
(٥) التهوُّم : النوم القليل، وهوّم : هزّ رأسه لشدّة النعاس.

في لقائه ، إلى أن عاد سيف الدولة إلى دمشق ، وأنا في جملته ، فما بدأت بشيء قبل المصير إلى الراهب ، وقد كنت حفظت اسمه ، فخرج إليّ مرعوباً ، وهو لا يعرف السبب ، فلما رآني استطار فرحاً ، وأقسم ألا يخاطبني إلا بعد النزول والمقام عنده يومي ذلك ، ففعلت ، فلما جلسنا للمحادثة قال : ما لي لا أراك تسأل عن صديقك ؟ قلت : والله ما لي فكر ينصرف عنه ، ولا أسف يتجاوز ما حرمته منه ، ولا سررت بعودي إلى هذه البلدة إلا من أجله ، ولذلك بدأت بقصدك ، فاذكر لي خبره ، فقال لي : أما الآن فنعم ، هذا فتى من المادرانيين جليل القدر ، عظيم النعمة ، كان ضمن من سلطانه بمصر ضياعاً بمال كثير ، فخاس به ضمانه[1] ، لقعود السعر ، وأشرف على الخروج من نعمته ، فاستتر ولما اشتد البحث عنه خرج متخفياً إلى أن ورد دمشق بزيّ تاجر ، فكان استتاره عند بعض إخوانه ممن أخدمه ، فإني عنده يوماً إذ ظهر لي وقال لصديقه : إني أريد الانتقال إلى هذا الراهب إن كان عليّ مأموناً فذكر له صديقه مذهبي ، وأظهرت السرور بما رغب فيه من الأنس بي وأنا لا أعرفه ، غير أن صديقي قد أمرني بخدمته ، وحصل في قلايتي ، فواصل الصوم ، فلما كان بعد أيام جاءنا الرسول من عند صديقنا ، ومعه الغلام والخادم ، وقد لحقا به ومعهما سفاتج[2] وعليهما ثياب رثة . فلما نظر إلي الغلام قال : يا راهب ، قد حل الفطر وجاء العيد ،[3] ووثب إليه فاعتنقه ، وجعل يقبل عينيه ويبكي ، ووقف على السفاتج فأنفذها مع درج رقعة منه إلى صديقه فلما كان بعد يومين حمل إليه ألفي دينار ، وقال له : ابتع لنا ما نستخدمه في هذه الضيعة ، فابتاع آلة وفرشاً ، ولم يزل مكباً على ما رأيت إلى أن ورد عليه بالبغال والآلات الحسنة ، وكتب أهله باجتماعهم إلى صاحب مصر وتعريفهم إياه الحال في بعده عن وطنه لضيق ذات يده عما يطالب به والتوقيع

---

(١) خاس : خسر.

(٢) السفاتج : هي أن تدفع أموالاً في بلدٍ معين لرجل معين ويعطيك لقاء ذلك صكاً أو رسالة تستردّ بها مالك من عميلٍ له في بلد آخر.

بحطيطة المال عنه مقترناً بالكتب ، فلما عمل على المسير قال لغلامه : سلم جميع ما بقي معك من نفقتنا إلى الراهب ليصرفه في مصالح الدير إلى أن نواصل تفقده من مستقرنا ، وسار وما له حسرة غيرك ، ولا أسف إلا عليك ، يقطع الأوقات بذكرك ، ولا يشرب إلا على ما يغنيه الغلام من شعرك ، وهو الآن بمصر على أفضل الأحوال وأجلها ، ما يبخل بتفقدي ، ولا يغبّ بري[1] ، فتعجلت بعض السلوة بما عرفت من حقيقة خبره ، وأتممت يومي عند الراهب ، وكان آخر العهد به (انتهى كلامه) .

* * *

في بيان غرر من رسائله الموصولة بمحاسن شعره

كتب إلى سيف الدولة يذكر منصرفه من بعض الغزوات ظافراً إلى الثغر ومقامه على ابن الزيات صاحبه ، وقد عصي ، وأخذه إياه ، وانكفاءه بعد ذلك إلى حلب :

الرياسة ـ أيد الله سيدنا ! ـ حلة مموقة ، ومرتبة مرموقة ، يتفاضل الناس فيها بقدر الهمم ، وينالونها بحسب مراتبها من الكرم ، فما تدرك إلا بالسماح ، ولا تملك إلا بأطراف الرماح . ولا تتقمص إلا بالحمد . ولا تخطب إلا بلسان المجد ، فكل من أدركها طلبا ، واستحقها بأفعاله لقبا، من غير الدخول لسيدنا تحت شرف التعبد ، ورق الإخلاص لا التودد ، فقد حرم نيل الكمال ، وعدل عن الحقيقة إلى المحال [من البسيط] :

لأنّه الغاية القصوى التي عجزتْ ... عن أن تؤمّل إدراكاً لها الهممُ
ما تستحق ملوك الدهر مرتبةً ... في الفضل إلاّ له من فوقها قدمُ

---

(١) لا يغبّ برّي : أي لا تنقطع صلاته عن الوصول إلي.

ذكاؤه إن دجـا ليل الشـكوك ضحىً وظلّـه إن خطـا صرف الـردى حرم[1]
فلو عدا الـكرم الموصـوف راحته عن أن يجاوزهـا لم يكرم الكرمُ

الشجاعة أقل أدواته ، والبلاغة أصغر صفاته ، يطـرق الدهـر إذا نطـق ، وينطق المجد إذا افتخر . فالآمال موقوفة عليه ، والثناء أجمـع مصـروف إليه ، نهض بما قعدت همم الملوك عن ثقله ، وضعف الدهر عن معاناة مثله . بهمم سيفية ، وعزائم علوية ، فرد شمل الـدين جديداً ، وذميم الأيام حميداً ، بحـق أوضحه ، وخلل أصلحه . وهدى أعاده ، وضلال أباده [من الطويل] :

فلا انتـزع الله الهـدى عزّ بأسه ولا انتـزع الله الوغـى عزّ نصرهِ
وأحسـن عن حفـظ النبـي وآله ورعـي سوام الـدين توفير شكره
فمـا تدرك المـدّاح أدنـى حقوقه بإغـراق منـظوم الـكلام ونثره

لأن أدنى نعمة تستغرق جماع الشكر ، وأيسر منة تفوت المبالغة في جميل الذكر ، فأما هذا الفتح الشريف خطره ، الحميد أثره ، المشهور بلاؤه ، الواجب ثناؤه ، الباسق فرعه ، العام نفعه ، فأشرف من أن يحد بالصفات ، أو يعد بأفصح العبارات ، لإجراء الله تعالى سيدنا فيه من نيل الإرادة ، على مشكور العرف والعادة ، فيما ابتسم به من ثغر الدين ، وشمل صلاحه كافة المسلمين [من البسيط] :

كأنّمـا ادّخـر الـرحمـن معظمةً دون الملوك لسيف الدولـة البطلِ[2]
رآه أكرمهـم في الخير إن ذكروا وصفاً ، وأفضلهم في القـول والعمل
فهـزّه وظُبَـا الأسياف مغْمَدَةٌ واستلّـه غير منسـوبٍ إلـى الفلل[3]

---

(١) دجا : أظلم ، والردى : الموت.
(٢) ادّخر : أبقى ، وجمّع ، ومعظمة : أي أمراً عظيماً.
(٣) الفلل : التقطع والتثلم في حدّ السيف .

حتى غدا الدين من بعد العبوس به جذلان يرفل من نعماه في حلل
فلو تكلم في حالٍ وقيل له: من خير هذا الورى؟ لم يسمِ غير علي

وله من رسالة أخرى :

شهاب ذكاء ، وطود وفاء ، وكعبة فضل ، وغمامة بذل ، وحسام حق ، ولسان صدق . فالليالي بأفعاله مشرقة ، والأقدار لخوفه مطرقة ، تحمده أولياؤه ، وتشهد له بالفضل أعداؤه [من المتقارب] :

يقابلنا البدر من بردهِ ويشملنا السعد من سعدِهِ
ولو فخر المجد لم تلقه فخوراً شيءٍ سوى مجدِهِ

وله من رسالة أخرى :

ثم إن شكري نعمة الله تعالى بما جددت من ملاحظة سيدنا حالي ، وتداركه بطول التطول مرض آمالي ، ما لا أؤمل - مع المبالغة والإغراق فيه - فكّ نفسي بحال من رق أياديه ، غير أني أحسن لها النظر ، وأجمل عندها الأحدوثة والخبر ، بالدخول في جملة الشاكرين ، والاتسام بفضيلة المخلصين ، إذ كان - أدام الله عزه ! - قد نصر نباهتي على الخمول ، واستنقذني من التعهد للتأميل [من البسيط] :

فصرت أمسك عن أوصاف نعمتِهِ عجزاً ، وينطق عن آثارها حالي
لما تحصّنت من دهري بمعقلِهِ سمتْ بحملانه ألحاظ إقبالي[1]
وواصلتني صلاتٌ منه رحت بها أختال ما بين عزٍّ الجاه والمال
فلينظر الدهر عقبي ما صبرت له إذ كان من بعض حسادي وعذالي[2]
ألم أَكِدْهُ بحسن الانتظار الى أن صنت حظّيَ عن حلٍّ وترحال

(١) المعقل : الحصن.

(٢) العقبى : العاقبة والنتيجة .

بلغت ما لا يجوز السؤل نائله ... ولا يدافع عن فضلٍ وإفضال
يا عارضاً لم أشمْ مذ كنت بارقه ... إلاّ رويت بغيثٍ منه هطّال[1]
رويد جودك قد ضاقت به هممي ... وردّ عني برغم الدّهر إقلالي
لم يبق لي أملٌ أرجو نداك به ... دهري لأنك قد أفنيت آمالي

والله ينهضني من شكر طوله ، والنهوض بحقوق فضله . لما يبلغني رتبة الزيادة ، ونيل السؤل والإرادة ، بمنه وكرمه .

وله من رسالة إليه يلتمس رسمه من الكسوة :

والعادة جارية بإعانتي على ما أوثره من التجمل في الخدمة بمتابعة النظر ومواصلة التفقد [من البسيط] :

فإن رأى ـ لا رأى سوءاً ولا برح الـ ... إقبال مشتملاً أيام دولتِهِ ـ
أن يقتضي ليَ من إنعامه خلعاً ... تنوب عن منطقي في شكر نعمتِهِ[2]
إذا تأمّلها الحسّاد لائحةً ... تيقنوا أنّها عنوان نيتِهِ

فعل إن شاء الله .

وله من رسالة إلى المهلبي الوزير :

ولما كانت مناقب سيدنا من المعجز الذي لا يتعاطى استطاعة الوصف مطالوته ، ولا إمكان البلاغة مساجلته ، عدلت إلى شكر الله تعالى على ما ألهمنيه من تأميل سيدنا ، والتجمل بحمل منته ، واكتساب الشرف بسمة ذكره . متحققاً أني على البعد منه حاضر بالإخلاص ، لا حق بذوي الحظوة والاختصاص . إذ كانت خدمة مثلى إنما هي بلبه لا بقربه وبفهمه لا بجسمه [من البسيط] :

وفي الحقيقة لولا أنّ معتقلي ... عن السُّرى جود سيف الدولة الملكِ

---

(١) أشم : انظر واتطلع ، والعارض : السحاب .
(٢) الخلع : العطايا والهبات .

لما اقتصرت على غير المسير إلى ... من حظّه في المعالي غير مشترك
لكنّه فلك الفضل المحيط، وما ... من عادة الشمس أن تنأى عن الفلكِ

وفي هذه الرسالة [من البسيط] :

وإن رأى المتناهي من سيادته ... إلى المحلّ الذي لم يرقهُ أحدُ[1]
أن يقتضي ليَ حظّاً من مكارمه ... يغري على العدى من أجله الحسدُ
فالشمس تدنو ضياءً وهي نازحةٌ ... والسّحب تروي ومن أوطانها البعد[2]

وله من رسالة إلى أبي محمد جعفر بن محمد بن ورقاء :

وقد كنت أوثر أن لا يصدر كتابي هذا إلا بقصيدة في الأمير ، غير أن الوقت لم يتسع لما أوثره فأنفذت هذه الأبيات ، وأرجو أن يكون موقعها باسطاً لي إلى ما أوثره من المواصلة بأمثالها ، ولا والله ما حسبت فيها ، ولا فيما تقدمها من المنثور ، عنان القلم، وهي [من الخفيف] :

جاد ربعاً حللته يا همامُ ... من ندى كفّك العزيز رهامُ[3]
فقبيحٌ إن استزدت له صو ... ب غمامٍ وأنت فيه غمامُ
ما بأرضٍ لم تبد فيها صباحٌ ... ما بدارٍ حللت فيها ظلامُ
وإذا ما حللت في بلدٍ فهـ ... ـو جميع الدنيا وأنت الأنام
سؤددٌ عنده التفاخر ذلٌّ ... وندى عنده الكرام لئام
وسجايا كأنّها الروض ، إلاّ ... أنّها للعدوّ موتٌ زؤام[4]
أنتُمُ أنفس العلا يا بني ور ... قاء والناس كلّهم أجسام

---

(١) لم يرقه : لم يصعده ، أو لم يصل اليه .
(٢) النازحة : البعيدة .
(٣) الرهام : بكسر الراء : هو المطر الضعيف الدائم .
(٤) الزؤام : المحتّم القاتل .

سخّط المال من أكفّكمُ ما حمدته السيوف والأقلام

وله من رسالة كتبها بعد وفاة سيف الدولة ، إلى عدة الدولة أبي تغلب بن ناصر الدولة ، يذكر رغبته في قصده وإيثاره الانقطاع إليه ، وذلك في سنة ثمان وخمسين وثلثمائة :

ومن أبرز لسيدنا صفحة رجائه ، ووفق للانقطاع إلى سعة نعمائه ـ فقد استظهر لما بقي من عمره ، وحكم لنفسه بالفوز على دهره [من المتقارب] :

فما يقدح الفقر في حاله ولا يطمع الدهر في قصدِهِ
وكيف وقد صار ضيف الغما م وهو قريبٌ على بعده ؟
ومن علقت بأبي تغلبٍ يداه احتذى البدر من سعده
همامٌ قضى الله من عرشه له بالإمارة في مهدِهِ
فطود السيادة في دسته وشمس الرياسة في برده[1]

ولما ورد الجواب عن مكتوبه مقروناً بإزاحة العلة في جميع ما يحتاج إليه في سفره ، والتوقيع بالمبادرة في المسير إلى الموصل ، وردها ، ولقي أبا تغلب برسالة طويلة منها :

أفصح دلائل الإقبال ، وأصدق براهين السعادة ـ أطال الله بقاء سيدنا ! ـ ما شهدت العقول بصحته ، ونطقت البصائر بحقيقته ، ونعمة الله تعالى على الدين والدنيا بما أولاهما من اختيار سيدنا لحراستهما بناظر فضله ، وسترهما بظل عدله ، مفصحة بتكامل الإقبال ، مبشرة بتصديق الآمال [من البسيط] :

محروسةٌ ضمن الشكر الوفيُّ لها عن الزيادة نيل السؤل في الدركِ[2]
تحقّق الدهر أنَّ الملك منذ نشا له أبو تغلب اسمٌ غير مشترك

---

(١) الدست : المجلس ، وصدر البيت.
(٢) الدرك : اللحاق وإدراك الحاجة.

واستخلف الفلك الدوّار همَّته　　فلو ونى أغنت الدُّنيا عن الفلك[1]

موفر الحسنات ، مأمون الهفوات ، متناصر الصفات ، ربعي النفاس ، حمداني السياسة ، ناصري الرياسة ، عطاردي الذكاء ، موفق الآراء ، شمسي التأثير ، فلكي التدبير ، قمري التصوير ، للصدق كلامه ، والعدل أحكامه ، وللوفاء ذمامه . وللحسام عناؤه ، وللقدر مضاؤه ، وللسحاب عطاؤه [من البسيط] :

دعوتهُ فأجابتني مكارمهُ　　ولو دعوت سوى نعماه لم تُجِبِ
وجدته الغيث مشغوفاً بعادته　　والروض يجني بما في عادة السّحب
لو فاته النسب الوضّاح كان لهُ　　من فضله نسبٌ يغني عن النّسب
إذا دعته ملوك الأرض سيّدها　　طراً دعته المعالي سيد العرب[2]

فأجمل بره ، وتقبله مدة مقامه بحضرته، إلى أن سار عنها إلى مدينة السلام سنة تسعة وخمسين وثلاثمائة، وجعل يعاود الموصل مرة ، ومدينة السلام اخرى .

وله من رسالة شكر :

وكأني أرى عواقب اشتمالك علي ، وتفقدك المتواصل إلي ، من مرآة العقل ، وبصيرة الذكاء والفضل ، إذ كانت امارات الإقبال على حالي بك لائحة ، وشواهد السعادة لدي بعنايتك واضحة [من الوافر] :

فمن نظرٍ يسارع في صلاحي　　ومن وصفٍ يحثُّ على نفاقي
فإنعامٌ أسرُّ من التداني　　على عدمٍ أفظّ من الفراقِ[3]

---

(١) وني : ضعف.
(٢) طراً : قاطبة، جميعاً.
(٣) العدم : الفقر : وأفظّ : أغلظ وأقسى.

وله في مثلها :

من كان جميل رأي سيدنا عدته ، أمن من الدهر شدته ، ومن فزع إلى إحسانه ، استظهر على زمانه ، ومن توجه برغبته إليه ، لم تقدم الأيام عليه [من الكامل] :

وأنا الذي علمت من طلب الغنى ... كيف الطريق إلى الغنى برجائِهِ
فظللت مخصوصاً بحمد عفاتهِ ... وغدوت ممدوحاً بشكر عطائه[1]
وأفدت قدماً معجزات فضائلي ... من نور فطنته ونار ذكائه
فإذا نطقتُ نطقتُ من ألفاظه ... وإذا وهبت وهبتُ من نعمائه

* * *

ذكر ما دار بينه وبين أبي إسحاق الصابي

كان كل منهما يتمنى لقاء صاحبه ، ويكاتبه ويراسله ، فاتفق أن أبا الفرج قدم مرة بغداد وأبو إسحاق معتقل منذ مدة بعيدة ، فلم يصبر عنه ، فزاره في محبسه ، ثم انصرف عنه ولم يعاوده ، فكتب إليه أبو إسحاق [من الطويل] :

أبا الفرج اسلم وابق وانعم ولا تزلْ ... يزيدك صرف الدهر حظّاً إذا نقصْ
مضى زمنٌ تستام وصلي غالياً ... فأرخصته ، والبيع غالٍ ومرتخصْ[2]
وآنستني في محبسي بزيارةٍ ... شفت كمداً من صاحب لك قد خلصْ
ولكنّها كانت كحسوة طائرٍ ... فواقاً كما يستفرص السارق الفرصْ[3]
وأحسبك استوحشت من ضيق محبسي ... وأوجست خوفاً من تذكّرك القفصْ
كذا الكرز اللّماح ينجو بنفسهِ ... إذا عاين الأشراك تنصب للقنصْ[4]

---

(١) العفاة : عطائه.
(٢) استام البضاعة : سأل عن ثمنها.
(٣) الحسوة : الجرعة.
(٤) الكرز : البازي.

فحـــوشيت يا قسَّ الــطيور فصاحةً ... إذا أنشد المنظوم أو درس القصص[١]
من المنسر الأشغى ومـن حزّة المدى ... ومن بندق الرامي ومن قصّة المقص[٢]
ومـن صعـدةٍ فيهـا من الدبـق لهذمٌ ... لفرسانكم عنـد الطعـان بهـا قعص[٣]
فهـذي دواهـي الـطير وُقِّيت شرَّها ... إذا الدهر من أحداثه جرّع الغصص[٤]

فأجابه أبو الفرج في الحال مع رسوله :

أيا ماجـداً مذ يمّـم المجـد ما نكص ... وبــدر تمـامٍ مذ تكامــل ما نقصْ[٥]
ستخلص من هذا السّـرار ، وأيّما ... هلالٌ توارى بالسّــرار فمـا خلص[٦]
برأفــة تاج الملّــة الملك الذي ... لسؤدده في خطّـة المشتـري خصص
تقنّصت بالألطاف شكري ، ولـم أكنْ ... علمــت بأن الحــرّ بالبــرِّ يُقتنصْ
وصادفــت أدنــى فرصــةٍ فانتهزتها ... بلقياك إذ بالحــزم تنتهــز الفرص
أتتنـي القوافـي الباهـرات تحمــل الـ ... ـبدائع من مستحسن الجـدّ والرخص
فقابلت زهـر الـروض منهـا ولـم أرعْ ... وأحـرزت درَّ البحـر منهـا ولـم أغُصْ
فإن كنـــت بالببغــاء قدمــاً ملقّباً ... فكم لقبٍ بالجور لا العدل مخترص[٧]
وبعـد ، فمــا أخشــى تقنّص جارحٍ ... وقلبــك لي وكرٌ ورأيك لي قفص !

فانتهى الابتداء والجواب إلى عضد الدولة ، فأعجب بهمـا واستظرفهمـا ، وكان ذلك أحد أسباب إطلاق أبي إسحاق من اعتقاله ، ثم اتصلـت بينهمـا المكاتبـة والمودة .

---

(١) قسّ الطيور : يعني أفصحها ، وقسّ: هو قسّ بن ساعدة الايادي .
(٢) المنسر : المنقار والأشغى: الطويل.
(٣) الدبق : غراء تصاد به الطيور، **واللهذم**: الحاد القاطع من السيوف **والقعص** : القتل والإجهاز.
(٤) جرع : شرب.
(٥) يمّم : قصد ، ونكص : ولّى وهرب .
(٦) السِّرار : المحاق ، ماخر أيام الشهر.
(٧) مخترص : مختلق، والتخريص : الكذب.

وكتب أبو إسحاق إلى أبي الفرج أبياتاً في صفة القبج[1] والخطاطيف ، ثم كتب إليه هذه الأرجوزة في صفة الببغاء :

أنعتها صبيحةً مليحه ناطقةً باللّغة الفصيحهْ
غدت من الأطيار ، واللسانُ يوهمني بأنّها إنسانُ
تنهي إلى صاحبها الأخبارا وتكشف الأسرار والأستارا
سكّاء إلا أنّها سميعه تعيد ما تسمعه طبيعه[2]
وربّما لُقِّنتِ العضيهه فتغتدي بذيئةً سفيههْ[3]
زارتك من بلادها البعيده واستوطنت عندك كالقعيده
ضيفٌ قراه الجوز والأرزُّ والضيف في أبياتنا يعزُّ
تراه في منقارها الخلوقي كلؤلؤٍ يلقط بالعقيق
تنظر من عينين كالفصّين في النور والظلمة بصّاصين[4]
تميس في حلتها الخضراءِ مثل الفتاة الغادة العذراءِ
خريدةٌ خدورها الأقفاصُ ليس لها من حبسها خلاص[5]
تحبسها وما لها من ذنبِ وإنّما تحبسها للحبِّ
تلك التي قلبي بها مشغوفُ كنّيت عنها واسمها معروفُ
نشرك فيها شاعر الزمان والكاتب المعروف بالبيانِ
وذاك عبد الواحد بن نصر تقيه نفسي عاديات الدهرِ !

فأجابه أبو الفرج بهذه الأرجوزة :

من منصفي من حكم الكتاب شمسُ العلوم قمر الآدابِ ؟

---

(١) القبج : هو الحجل .
(٢) السكّاء : أي أذنها صغيرة ، او مقطوعة من أصلها
(٣) العضيهة : الكذب والزور البهتان .
(٤) بصّاصين : مضيئين ، ناظرين .
(٥) الخريدة • البكر.

أضحى لأوصاف الكلام محرزا ... وسام أن يلحق لمّا برّزا

وهل يجاري السابق المقصّرُ ؟ ... أم هل يساوي المدرك المعذّر ؟

ما زال بي عن غرضٍ معرضا ... ولي بما يصدره مستنهضا

فتارةً يعتمد الخطافا ... ببدعٍ تستغرق الأوصافا

وتارةً يعني بنعت القبجْ ... من منطقٍ لفضله محتج[1]

يحوم حول غرضٍ معلومٍ ... ومقصدٍ في شعره مفهومٍ

حتى تجلّت رغوة الصّريح ... وسلّم التلويح للتصريح

وصحّ أن الببغاء مقصدهْ ... بكلّ ما كان قديماً يوردهْ

فلم يدع لقائلٍ مقالا ... فيها ولا لخاطرٍ مجالا

أهدى لها من كل نعتٍ أحسنهْ ... وصاغ من حلي المعاني أزينهْ

أحال بالريش الأشيب الأخضر ... وباحمرار طوّقها والمنسر[2]

على اختلاط الروض بالشقيقِ ... وأخضر الميناء بالعقيقِ

تزهى بدوّاجٍ من الزّمرد ... ومقلةٍ كسبجٍ في عسجد[3]

وحسن منقارٍ أشمّ قاني ... كأنّما صيغ من المرجانِ

صيّرها انفرادها في الحبس ... بنطقها من فصحاء الإنسِ

تميّزت في الطير بالبيان ... عن كلّ مخلوقٍ سوى الإنسان

تحكي الذي تسمعه بلا كذبْ ... من غير تغيير لجدٍّ أو لعبْ

غذاؤها أزكى طعامٍ رغدا ... لا تشرب الماء ولا تخشى الصّدا[4]

ذات شغى تحسبه ياقوتا ... لا ترتضي غير الأرز قوتا[5]

---

(١) القبج : الحجل.

(٢) الأشيب : المختلط، والمنسر : المنقار.

(٣) الدوّاج : لحاف يلبس، والسبج : خرزٌ أسود ناعم.

(٤) الصدا : الظمأ.

(٥) الشغى : المنقار، أو السن الزائدة طولاً عن رفيقاتها.

كأنّما الحبّة في منقارها ... حبابةٌ تطفو على عقارها[1]
إقدامها ببأسها الشديدِ ... أسكنها في قفص الحديدِ
فهي كخودٍ في لباسٍ أخضرِ ... تأوي إلى خركاهةٍ لم تسترِ[2]
ووصفها المعجز ما لا يدركُ ... ومثله في غيرها لا يملكُ
لو لم تكن لي لقباً لم أختصرْ ... لكن خشيت أن يقال منتصرْ
وإنما تنعتُ باستحقاق ... لوصفها حذق أبي إسحاقِ
شرّفها وزاد في تشريفها ... بحكمٍ أبدع في تفويفها[3]
فكيف أجزي بالثناء المنتخبْ ... من صرف المدح إلى اسمي واللّقبْ

وكتب إليه أبو إسحاق بأحسن ما قيل في مدح الألثغ [من الطويل] :

أبا الفرج استحققت نعتاً لأجله ... تسمّيت من بين الخلائق بَبْغا
بياناً منيراً كاللّجين مضمّناً ... نضاراً من المعنى أديباً وأفرغا
فلو لامرىء القيس انتدبت مجارياً ... كبا أو لقسٍّ في فصاحته صغا[4]
متى ما يرمْ ذا الاسم غيرك رائمٌ ... ليبلغَ من غايات فضلك مبلغا[5]
فإنّي أسميه به ثم أنثني ... فأسلبه باءً من الاسم إذ بغى
إذا أنا سلّمت البلاغة طائعاً ... إليك فأيُّ الناس خالفني طغى
كفتك على رغم الحسود شهادتي ... بأن كنت منه ثم منّيَ أبلغا
وما هجّنت منك المحاسن لثغةً ... وليس سوى الانسان تلقاه ألثغا[6]

---

(١) العقار : الخمرة، والحباب : فقاعٌ يعلو الخمرة حين تصبُّ في الكأس.
(٢) الخود : الفتاة القاعمة.
والخركاهة : إسم مكان فارسي.
(٣) التفويف : التنزيين والتوشية.
(٤) صغا : مالَ.
(٥) يروم : يبتغي.
(٦) اللثغة : تكون في نطق الحرف كالسين ينطق شيناً.

أتعرفها فيما تقدم خالياً لعيرٍ إذا ما صاح أو جمل رغا[1]
فيا لك حرفاً زدت فضلاً بنقصه فأصبحت منه بالكمال مسوّغا
بقيت ولا تعدم بقاءً مرفّهاً وعشت ولا تعدم معاشاً مرفّغا[2]

ولما نقل عز الدولة بختيار ابنته المزوجة بعدة الدولة أبي تغلب إليه بالموصل ـ كتب عنه أبو إسحاق في معناها فصلاً من كتاب استحسنه الناس وتحفظوه وأقر له بالبراعة والبلاغة كل بليغ ، وهو :

قد توجه أبو النجم بدر الحرمي ، وهو الأمين على ما يلحظه ، الوفي بما يحفظه ، نحوك يا سيدي ومولاي ـ أدام الله عزك ! ـ بالوديعة ، وإنما نقلت من وطن إلى سكن ، ومن مغرس إلى معرس . ومن مأوى بر وانعطاف ، إلى مثوى كرامة وإلطاف . ومن منبت درت لها نعماؤه ، إلى منشأ تجود عليها سماؤه . وهي بضعة مني انفصلت إليك ، وثمرة من جنى قلبي حصلت لديك . وما بان عني من وصلت حبله بحبلك ، وتخيرت له بارع فضلك . وبوأته المنزل الرحب من جميل خلائقك ، وأسكنته الكنف الفسيح من كرم شيمك وطرائقك . ولا ضياع على ما تضمه أمانتك ، ويشتمل عليه حفظك ورعايتك . وأرجو أن يقرن الله موردها بالطائر السعيد . والأمر الرشيد . والعز الزائد ، والمجد الصاعد . والنماء في الائتلاف ، والعصمة من الفرقة بالخلاف . حتى تكون عوائد البركة بأحوالها منوطة ، ومن عوادي الأيام وغيرها محوطة .

وإنما ألم أبو إسحاق في تسميته لها بالوديعة بالفصل الذي كتبه جعفر ابن محمد بن ثوابة عن المعتضد إلى ابن طولون في ذكر ابنته قطر الندى المنقولة إليه ، وهو :

وأما الوديعة ـ أعزك الله ! ـ فهي بمنزلة ما انتقل من شمالك إلى يمينك ،

---

(١) رغا : أزبد وهاج.
(٢) الرفاغية : السّعة في العيش.

عناية بها ، وحياطة لها ، ورعاية لموالاتك فيها .

فلما عرضه على الوزير عبد الله بن سليمان ارتضاه جداً واستحسنه ، وقال له : تسميتك إياها بالوديعة نصف البلاغة ، ووقع له بالزيادة في إقطاعه ومشاهرته .

ولما قرىء الفصل من إنشاء الصابي بحضرة أبي تغلب اعتمد في الجواب عنه على أبي الفرج الببغاء ، وكتب كتاباً يشتمل على هذا الفصل الذي هو الجواب عن الفصل المذكور ، وهو :

وأما أبو النجم بدر الحرمي ـ أيده الله ! ـ المستوجب للارتضاء والإحماد ، الموفى بمناصحته على كل مراد ، فقد أدى الأمانة إلى متحملها ، وسلم الذخيرة الجليلة إلى متقبلها ، فحلت من محل العز في وطنها، وأوت من حمى السؤدد إلى مستقرها وسكنها : متنقلة من عطن الفضل والكمال ، إلى كنف السعادة والإقبال . وصادرة عن أنبل ولادة ونسب ، إلى أشرف اتصال وأنبه سبب ، وفي اليسير من لوازم فروضها وواجبات حقوقها ، ما صان رعايتي عن الوصاة بها ، ونزه وفائي عن الاستزادة لها ، وكيف يوصي الناظر بنوره ؟ أم كيف يحض القلب على حفظ سروره ، وإن سببا قرن بإحماد أمير المؤمنين ـ أطال الله بقاءه ! ـ ذكرى ، ووصل بحبل السيد العم ركن الدولة ـ أدام الله تأييده ! ـ حبلي . ومنح عز الدولة ـ أيده الله ! ـ مكنون ودي ، واختص الأخوة من ولد أبيه السعيد رضي الله عنه وأيدهم بوثيق عهدي ، إلى أن صرت بفضل الجماعة قائلاً ، ودونها بالنية والفعل مناضلاً ، وبمحاسنها المجموعة إلى ناطقاً ، وبمالي عندها من المساهمة والمشاركة واثقاً ـ لحقيق بالتناهي في الإعظام ، وخليق بالمبالغة في الإيجاب والإكرام ، والله يعين على ما اعتقده من ذلك وأخفيه . ويوفقني لما يوفي على المحبة والبغية فيه . بمنه وقدرته ، وحوله وقوته .

* * *

هذا ما أخرج من شعر أبي الفرج الذي يتغنى به

[فمنه قوله] [من الوافر] :

لقـد عزّ العـزاء علـيَّ لمّـا ... تصـدّى لي لتقتلني الصـدودُ

إذا بَعُـدَ الحبيب فكلُّ شيءٍ ... من الـدنيا ولذّتهـا بعيـدُ

وقوله [من البسيط] :

يا سادتـي ، هذه نفسـي تودِّعكُمْ ... إذ كان لا الصبر يسليها ولا الجزعُ[1]

قد كنـت أطمـع في روح الحياة لها ... فالآن إذ بنتُـمُ لم يبـقَ لي طمعُ

لا عذّب الله روحـي بالبقـاء فما ... أظنّنـي بعـدكم بالعيش أنتفعُ

وقوله [من الوافر] :

حصلـت من الهـوى بك في محلٍّ ... يسـاوي بيـن قربـك والفراقِ

فلـو واصلـت ما نقص اشتياقي ... كمـا لـو بنـت ما زاد اشتياقي

وقوله [من البسيط] :

يا مسقمـي بجفـونٍ سقمهـا سببُ ... إلـى مواصلـة الأقسـام في جسدي

وحقّ جفنيك لا استعفيت من كمدي ... دهري ، ولو متُّ من همٍّ ومن كمدِ[2]

عذرت من ظلّ في حبِّيك يحسدني ... لأنّـه فيك معـذورٌ علـى حسدي

وقوله [من البسيط] :

يا من تشابـه منـه الخلْـقُ والخُلُقُ ... فمـا تسافـر إلاّ نحـوه الحدقُ

توريدُ دمعـيَ من خدّيك مختلسٌ ... وسقـم جسمـي من جفنيك مستَرقُ[3]

---

(١) الجزع : الخوف واليأس.

(٢) استعفيت : طلبت الخلاص والكمد : الحزن الشديد.

(٣) مختلس : مأخوذ ومسروق.

لم يبق لي رمقٌ أشكو هواك به   وإنّما يتشكّى من به رمق[1]

وقوله [من الكامل] :

ومهفهفٍ لمّا اكتست وجناتُهُ   حلل الملاحة طُرِّزتْ بعذارِهِ
لمّا انتصرتُ على عظيم جفائه   بالثلب كان القلب من أنصارِهِ
كملت محاسن وجهه فكأنّما اقـ   ـتبس الهلال النّورَ من أنواره
وإذا ألحَّ القلب في هجرانه   قال الهوى : لا بدَّ منه فدارِهِ[2]

وقوله [من الكامل] :

ما ضرّ من بعد السرور ببعدِهِ   لو كان يجمل في صيانةِ عبدِهِ[3]
يبدو فأطرق هيبةً ومخافةً   من أن يؤثّر ناظري في خدِّهِ
قد صرت أعجب أنّ علَّة طرفه   ليست تؤثّر علَّةً في ودِّه

وقوله [من الكامل] :

يا طيف من أنا عبده من أين لي   شكرٌ يقوم ببعض ما توليْهِ
ينأى فتدنيه إليَّ على النوى   فأراه كالتّحقيق في التشبيه
ما كان أحسن حالتي لو أن ما   أوتيت من كرمٍ وعطفٍ فيه

وقوله [من البسيط] :

علِّمتْ طيفك اسعافي فما هجعتْ   عيناي إلاّ وطيفٌ منك يطرفني[4]
فكيف أشكر من إن نمت واصلني   بالطّيف منه وإن لم أغف قاطعني

---

(١) الرمق : بقيّة الروح.
(٢) فدارِهِ : من المدارة ، أي التمهّل والتأنّي.
(٣) يجمل : يحسن.
(٤) يطرفني : يسكن طرفي ولا يفارقه فيمنعه النوم.

وقوله [من الوافر] :

خيالك منـك أعـرفُ بالغرامِ وأرأفُ بالمحـبٍّ المستهامِ
فلـو يستـطيع حين حظـرت نومي علـيَّ لزار في غير المنام[1]

وقوله [من البسيط] :

قد كان أحســن شيءٍ بعــد بعدهمِ بروح مثلك أن تنـأى عن الجسدِ
هم بالوصــال أعادوهــا إليك ، فلمْ ذخرتهــا بعدهــمْ للصّبــر والجلدِ ؟
وعــدت بالدمــع تعليلاً كأنّــك قد أظهــرت ما ليس موجــوداً لدى أحدِ

وقوله [من البسيط] :

يا من إذا خفــت فيه العــذل آمنني جميل إنصافــه من عذلِ عذّالي
ما يستحــقٌّ زمانــي ـ وهــو سامحني بمثــل ودّك ـ أن أشــكوه في حالِ
رآك غاية آمالــي ، فمــا برحتْ تسعــى لياليه حتــى نلــت آمالـي

وقوله [من الكامل] :

أو ليس من إحــدى العجائــب أنّني فارقتــه فحييت بعــد فراقـه
يا من يحــاكي البــدر عنــد تمامهِ ارحـم فتـىً يحـكيه عنــد محاقه[2]

وقوله [من البسيط] :

جاورت بالحــبٍّ قلبــاً لم تذَرْ فكري للحــبّ مستمتعــاً فيه ولــم تدعِ[3]
مفرّقــاً بين همٍّ غير مفتـرقٍ عنــه ، وبين سلــوٍّ غير مجتمع

* * *

---

(١) خطرت : منعت.

(٢) يحاكي : يماثل ، والمحاق : القمر في السرار آخر الشهر.

(٣) جاورت : من الجوار ، وهو القرب والجيرة ولم تذر : لم تترك.

وهذه غرر من شعره في الغزل والخمر

أنشدت له في رمد المحبوب ، وهو أحسن ما سمعت في معناه [من الطويل] :

بنفسيَ ما يشكوه من راح طرفه ونرجسه ممّا دهى حسنه وردُ
أراقت دمي ظلماً محاسن وجههِ فأضحى وفي عينيه آثاره تبدو
غدت عينه كالخدّ حتّى كأنّما سقى عينه من ماء توريده الخدُّ
لئن أصبحت رمداء مقلةُ مالكي لقد طالما استشفت بها مقلٌ رمدُ[1]

وله في الفصد [من الخفيف] :

بأبي الغائب الذي لم يغبْ عـ ـنّي فأشكو إليه همٌّ المغيبِ
باشرته كفّ الطبيب ، فلو نلـ ـت الأماني قبّلت كفٌّ الطبيبِ
فعلت في ذراعه ظبّة المبـ ـضع أفعال لحظه بالقلوبِ[2]
فأسالت دماً كأنّ جفوني عصفرته بدمعها المسكوب[3]
طاب جدّاً فلو به سمح الدهـ ـر لأمسي عطري وأصبح طيبي

وله في غلام خرج غازياً [من البسيط] :

يا غازياً أتت الأحزان غازيةً إلى فؤاديَ والأحشاء حين غزا
إن بارزتك كماةُ الرّوم فارمهمُ بسهم عينيك تقتلْ كلٌّ من برزا

وله في وصف معصرة [من مجزوء الوافر] :

ومعصرةٍ أنخت بها وقرن الشمس لم يغبِ
فخلت قزازها بالرّا ح بعض معادن الذهب

---

(١) المقلة : العين ، والرّمد : أذى يصيبها.

(٢) ظبّة المبضع : أي حده القاطع.

(٣) العصفر : نبات أصفر يصبغ به .

وقـد ذرفـت لفقـد الكر م فيهـا أعيـن العنبِ
وجـاش عبـاب واديهـا بمنهـلٍّ ومنـسكـبِ
ويـاقـوت العصيـر بهـا يلاعـب لؤلـؤَ الحبـب[1]
فيا عجبـاً لعاصرهـا ومـا يغنـي بـه عجبي !
وكيف يعيش وهـو يخو ض في بحـرٍ مـن اللّهب ؟

قوله في الخمر والقدح [من المنسرح]:

بـالقفص للقصف منـزل كثبُ ما للتصابـي في غيره أربُ
جـادت به ديمـة السّـرور، وحـلّ اللهـو فيه ، وعـرّسَ الطّرب[2]
دارت نجـوم السّـرور في فلكٍ منـه لـه مـن فتوّتـي قطبُ[3]
مـن كلّ جسـمٍ كأنّـه عرضٌ يكاد لطفـاً باللّحـظ ينتهب
نـورٌ وإن يغـبْ ، ووهـمٌ وإن صحّ ، ومـاءٌ لو كان ينسكب
لاعيب فيه سوى إذاعتـه الـ سرّ الـذي في حشـاه يحتجب
كأنّمـا صاغـه النّفـاق فمـا يخلص صدقٌ منـه ولا كذبُ
فهـو إلـى لون ما يجاوره علـى اختـلاف الطّبـاع ينتسب
إذا ادعـاه اللّجين أكذبه بالـرّاح في صبـغ جسمـه الذهب
جلـت عروس المـدام حاليةً فيـه علينـا الأوتـار والنخب[4]
فالـراح بدرٌ ، والجـام هالتهُ والأفق كفّـي ، والأنجـم الحبب[5]
حـال به المـاء عن طبيعته بالمـزج حتّـى خلنـاه يلتهبُ

(١) الحبب : فقاعٌ يعلو الماء والخمر وغيرهما .
(٢) الديمة : السحابة الممطرة، وعرّس : أقام.
(٣) القطب : نجمٌ يهتدي به .
(٤) النخب : أي نخب الشراب.
(٥) الجام : إناء الخمر.

ونحــن في مجلسٍ تدير به الـ   خمــر علينــا الأقــداح لا العلب
ينســى بأوطانــه الحنين إلــى الـ   أوطــان من بالســرور ويغترب
لـولا حفاظي المشهــور ما أمنتْ   من بعــد بغــداد سلوتــي حلبُ

وله [من الخفيف]:

ومــدامٍ كأنّهــا في حشــا الدنّ   صبــاحٌ مقــارنٌ لمساءِ
فهــي نفسٌ لهــا من الــطّين جسمٌ   لم تمتّــع فيه بطــول البقاءِ
ما توهّمــت قبلهــا أن في العا   لم ناراً تذكي بقــرع الماءِ[1]
بزلــت والضحــى عن الليل محجو   بٌ فلاحــت كالشــمس في الظلماءِ[2]
وتــلاه الفجــر المنير فعنا   ه لأنّــا عن نوره في غناء
مازجــت جوهــر الزّجــاج فجاءتْ   كشعــاعٍ ممــازجٍ لهواء
وتحلّــت من الحبــاب بدرٍ   يتلاشــى باللحــظ والإيماء
بينمــا تسكتســي به زرد البلّو   ر حتّــى ترفضُّ مثــل الهباء[3]
فكأنّــا بين الــكؤوس بدورٌ   تتهــادى كواكبُ الجوازاءِ
وكأنّ المــدير في الحلّــة البيـــــضــاء منهــا في حلّــةٍ صفراءِ
حبــذا العيش حيث تســري الأماني   بين جدّ الغنــا وهــزل الغناء
حيث سكر الشبــاب أقضــى علــى قلــــبــي وأمضــى من نشــوة الصهباء

وله [وهو] من أبلغ ما قيل في عتق الخمر [من الكامل]:

وعريقــةِ الأنســاب والشّيمِ   موجــودةٌ والخلــق في العدمِ
قدُمَــتْ فلا تعــزى إلــى حدثٍ   إلاّ إذا عُزِيتْ إلــى الهرمِ[4]

---

(١) تذكي : تسعر.
(٢) بزلت : شُقَّت.
(٣) ترفضّ : تزول.
(٤) تعزى : تنسب ، والحدث : الجديد .

هي آدمُ الكرم المولدّ في الـ ... دنيا وحوّا الخمر في القدمِ
كملت فضائلها وقصرّ عن ... أوصافها الإغراق في الكلمِ
ظهرت ونور الشمس في فلكٍ ... من قبل خلق الصبح والظُّلمِ
فانهلّ جوهرها بمنسكبٍ ... لم يعتصرْ بيدٍ ولا قدم
واشتق معنى اسم السُّلاف لها ... من كونها في سالف الأمم[1]
فكأنّها في صفوها خلقي ... وكأنّها في عتقها كرمي

وله [من الخفيف]:

غادني بالصبوح قبل الصباحِ ... واجْرِ في حلبة الصِّبا والمراحِ
واغتنم زائر الغرام فقد بشّـ ... ـر بالغيث من نسيم الرياحِ
عاطنيها كالجلنار إذا ما ... كلّلت من حبابها بالأقاحِ[2]
في اختصاص التفاح بالطيب والخمـ ... ـرة لا في كثافة التفّاح
غير نكرٍ أن تستمدّ شعاع الـ ... ـشمس منها كواكب الأقداح
فهي أصل الأنوار لطفاً كما كا ... ساتها عنصر الزلال القراح[3]
خدمتها الأجسام بالطبع لمّا ... شاهدت قربها من الأرواح
فتداركْ بها حشاشة أفرا ... حي وحرّك بها سكون ارتياحي
بين وردين من بنانٍ وخدٍ ... وشرابين من رضابٍ وراح[4]
ونشيدٍ مستنبطٍ من حديثٍ ... وغناءٍ يُغْني عن الأقتراح
فألذُّ الحياة ما خلط العا ... قل فيه فساده بصلاح

---

(١) السلاف: من اسماء الخمرة، وسالف الأمم: قديمها.
(٢) كلّلت: أي علاوجهها حباب الخمر والأقاح والجلّنار: من الورود.
(٣) الزلال القراح: العذب الصافي.
(٤) الرضاب: اللعاب.

وله في وصف شراب في قدح أزرق فيه صور [من المنسرح]:

كم منَّةٍ للظلام في عنقي ... بجمع شملٍ وضمٍّ معتنق
وكم صباحٍ للراح أسلمني ... من قلقٍ ساطعٍ إلى فلق
فعاطنيها بكراً مشعشعةً ... كأنّها في صفائها خُلُقي
في أزرقٍ كالهواء يخرقه الـ ... لحظ وإن كان غير منخرق
كأنّ أجزاءه مركّبةٌ ... حسناً ولطفاً من زرقة الحدق
ما زلت منه منادماً لعباً ... مذ أسكرتها السُّقاة لم تفق
تختال قبل المزاج في أزرق الـ ... فجر وبعد المزاج في الشّفق
تغرق في أبحر المدام فيسـ ... تنقذها شربنا من الغرق
فلو ترى راحتي وزرقته ... من صبغها في معصْفَرٍ شرِقِ
لخلت أنّ الهواء لاطفني ... بالشمس في قطعةٍ من الأفق

وله من قصيدة [من الكامل]:

كم للصبابة والصبا من منزلِ ... ما بين كلوا ذا إلى قطربّل
جادته من ديم المدام سحائبٌ ... أغنته عن صوت الحيا المتهلّل[1]
غيثٌ إذاما الرّاح أو مض برقه ... فرعوده حثّ الثقيلِ الأوّلِ
لطفت مواقع صوبه فسجاله ... تهمي على كرب النفوس فتنجلي
راضعت فيه الكأس أهيف ينثني ... نحوي بجيدِ رشاً وعيني مغزل
فأتى وقد نقش الشعاع ثيابه ... بممزَّجٍ من نسجها ومثقّل
وكسا البنان بها خضاباً ياله ... لو أنّه من وقته لم ينصل[2]
قدح البزال زنادها من دونها ... فتهافتت مثل الشراب المرسل[3]

---

(١) صوب الحيا المتهلّل : أي المطر المنهمر.

(٢) ينصل : يتغيّر لونه.

(٣) البزال : اداةٌ يثقب بها الشيء.

وطغــت لعجــز المــاء عن إطفائها	حتى ظننت الكأس جذوة مصطلي[1]
فوردت أروي موردٍ وشربــت أحـ	لى مشــربٍ ونهلــت أعــذب منهلِ
ونزعـت لافـي السّكر خنــت تصونّي	بخناً ولا في الصحو شنـت تجملي[2]

وقال في الورد [من الخفيف]:

زمــنُ الــورد أظـرف الأزمانِ	وأوان الــربيع خــير أوانِ
أدرك النّــرجس الجنــيَّ وفزنا	منهمــا بالخـدود والأجفان
أشـرف الزهــر زار في أشـرف الدهـ	ـر فصِيــلْ فيه أشــرف الإخوان
وأَجِــلْ شمس العقــار في يد بدر الـ	ـحســن يخدمـك منهمــا النيران
وأدرهــا عذراء وانتهــز الإمـ	ـكان من قبــل عائــقِ الإمكان
في كؤوسٍ كأنّهــا زهــر الخشـ	ـخاش ضمّــت شقائــق النعمان
واختدعهــا عنــد البــزال بألفا	ظِ المثانــي ومطربــات الأغاني
فهــي أولــى من العــرائس إن زفّـ	ـت بعــزف النــايات والعيـدان

وقال في النرجس [من السريع]:

ونــرجسٍ لم يعـدُ مبيضّــهُ الكأس	ولا أصفــره الرّاحا
تخــال أقحــاف لجــينٍ حوَتْ	من أصفــر العسجد اقداحاً[3]
كأنّمــا تهــدي التحــايا به	لطفــاً إلى الأرواح أرواحاً
يلهــي عن الــورد إذا مارنا	ويخلـف المســك إذا فــاحا
أحبــبْ بـه من زائــرٍ راحلٍ	عوّضَ بالأحــزان أفراحــا
فانتهــزِ الفـرصــة فـي قربه	وكنْ إلى اللّــذات مـرتـاحا

---

(١) الجذوة : النار أو قبسٌ منها.
(٢) الخنا : الفحش، والشين: العيب.
(٣) الأقحاف : جمع قحف، وهو إناء من الخشب مثل قحف الرأس كأنه نصف قدح واللجين : الفضة والعسجد : الذهب.

وهاتـهـا عـذراء لم تفترع ... في الليل إلاّ عاد إصباحاً
كأنّما كلّ بنانٍ حوتْ ... كاساتهـا تحمـل مصباحا
واجـنِ بألحاظـك من وجنتيْ ... مـديرهـا ورداً وتفـاحـا

* * *

غرر شعره في سائر الفنون

وله من قصيدة [من الوافر]:

صحبت الدّهـر في سهـلٍ وحزْنٍ ... وجرَّبـت الأمـور وجرَّبتني[1]
فلـم أر مذ عرفـت محـلّاً نفسي ... بلـوغ غنـىً يسـاوي حمـل مَنٍّ[2]
ولـم تتضمّـن الـدّنيا لحظّي ... منـال مسرّةٍ إلاّ بحـزن
حملـت على السوابـق ثقـل همّي ... وشاهـدت العواقـب صفـو ذهني
وشمـت بوارق الآمـال دهراً ... فلـم أظفر على ظمـأ بمزن[3]
ولـم أر كالجياد أصـح وداً ... إذا عـدل الـودود إلى التضنّي
نكلّفهـا عزائمنـا فتـكفي ... ونستدنـي الحظـوظ بهـا فتدني
وهبـت لمثـل قطـع الليل منها ... أغـرّ كمثـل ضوء الصبـح منّي
وكنـت بحيث ظنّ من اعتزامٍ ... وكان من المضـاء بحيث ظنّي
وثالثنـا ابـن جدٍّ لا يرى أن ... يصاحـب في تصرّفـه ابـن وهنٍ[4]
حجبـت لجفنـه الأبصـار عنه ... ومـن لي أن يكون الجفـن جفني
سقيت نداي ما أسنـى محلّ ... وأرفـع همّتـي وأعـزّ ركني
رسـا في تربـة العلياء أصلي ... وأينـع في بروج العـزّ غصني

---

(١) الحزن : المصاعب.
(٢) المنّ : ذكر التفضل في كل مناسبة.
(٣) شمت : نظرت.
(٤) ابن وهن : ابن ضعف.

وليس عليَّ غير الجد فيما | سعيت له لأستغنى وأغني
فإن أحرم فلم أحرم لعجزٍ | وإن أبلغ فنفسي بلّغتني

وله من أخرى [من المنسرح]:

ما الذلّ إلاّ تحمل المننِ | فكن عزيزاً إن شئت أوْفهنِ
إذا اقتصرنا على اليسير فما الـ | علة في عتبنا على الزمن

وله من أخرى [من البسيط]:

جزيت أفضل ما يجزاه ذو كرمٍ | أحلافه في دياجي دهره شعلُ
حماه وهو غلامٌ غير مكتهلٍ | عن المطامع فضلٌ فيه مكتهل

وله من أخرى [من الوافر]:

أكلُّ وميضِ بارقةٍ كذوبُ | أما في الدّهر شيءٌ لا يريبُ؟
أبى لي أن أَقول الهجر قدرٌ | بعيد أن تجاور العيوب

وله من أخرى في سعد الدولة بن سيف الدولة [من المنسرح]:

لا غيث نعماه في الورى خلب الـ | برقِ ولا ورد جوده وشل[1]
جاد إلى أن لم يبقِ نائله | مالاً، ولم يبق للورى أمل

وله [من الكامل]:

واليوم من غسق العجاجة ليلةٌ | والكرُّ يخرق سجفها الممدودا[2]
وعلى الصفاح من الكفاح وصدقه | روعٌ أحال بياضها توريدا[3]

---

(١) الوشل: الماء القليل.
(٢) السجف: الستائر، وشدّة الظلام.
(٣) الصفاح: السيوف.

والطعـن يغتصـب الجياد شياتها والضـرب يقـدح في التّـريك وقودا
وعلى النفـوس من الحمام طلائعٌ والخـوف ينشـد صبرهـا المفقودا
وقـد استحـال البُّـر بحـراً ، والضّحى ليلاً ، ومنخـرق الفضـاء حديدا
وأجـلٌ ما عنـد الفـوارس حثّها في طاعـة الهـرب الجياد القودا[1]
حتـى إذا ما فارق الـرأيُ الهوى وغـدا اليقـين على الظنـون شهيدا
لم يغـن غـير أبـى شجـاعٍ والعلا عنـه تناجـي النصر والتأييدا

وله من أخرى [من البسيط]:

من كلّ متسـع الأخـلاق مبتسمٍ للخطب إن ضاقـت الأخـلاق والحيَلُ
يسعـى به البـرق إلاّ أنّـه فرسٌ في صورة الموت إلاّ أنّـه رجل
يلقـى الرمـاح بصـدرٍ منـه ليس لهُ ظهـرٌ وهـادى جوادٍ ما له كفل[2]

وله من أخرى [من الكامل]:

في سالـبٍ للشّـمس ثوب ضيائها بعجاجـةٍ مـلء الفضـاء لهامٍ[3]
كاللّيل إلاّ أنّ ثوب ظلامه من عثـيرٍ ونجومـه من لامٍ[4]
يلقـى الدجـى من بيضـه بضحـى كما يلقـى الضحـى من نقعـه بظلامِ

وله من أخرى [من الكامل]:

قاد الجياد إلى الجياد عوابساً شعثـاً ولـولا بأسـه لـم تنقدِ
في جحفـلٍ كالسيل أو كالليل أو كالقـطـر صافـح موج بحـرٍ مزبد
متوقِّـدُ الجنبـات يعتنـق القنـا فيه اعتنـاق تـواصـلٍ وتوددُّ

---

(١) حثها : العمل على إسراعها.
(٢) الكفل : الردف أو المؤخرة.
(٣) اللهام : العظيم من الجيش وغيره.
(٤) العثير : الغبار والتراب واللام: الأشخاص والناس.

مثعنجرٌ بظبا الصوارم مبرقٌ ... تحت الغبار وبالصواهل مرعد[1]
ردَّ الظلام على الضحى فاسترجع الـ ... إظلام من ليل العجاج الأربد[2]
وكأنّما نقشت حوافر خيله ... للناظرين أهلّةً في الجلمد
وكأنّ طرف الشمس مطروفٌ وقد ... جعل الغبار له مكان الإثمد[3]

ما أحسن هذا التشبيه وأوقعه ! وكل هذه الأوصاف مالا مزيد عليه حسنا وبراعة . وله من أخرى [من المنسرح]:

من كلِّ مختالةٍ تنقب بالـ ... عثير وجه الضحى من الخجل[4]
تضم أحشاءها على أسدٍ ... تزأر في غابةٍ من الأسل[5]

وله من أخرى [من الخفيف]:

في خميس كأنّما السمر والأبـ ... طال غيلٌ حمته أسودُ[6]
سلب الشمس ضوءها بشموسٍ ... طالعاتٍ أفلاكهن حديدُ
عارضٌ كلّما جلته بروق الـ ... بيض حثّته بالصهيل الرعودُ

وله من أخرى [من الطويل]:

وموشيةٍ بالبيض والزغف والقنا ... محبَّرةِ الأعصاب بالضُّمَّر القبِّ[7]
بعيدة ما بين الجناحين في السرى ... قريبة ما بين الكميين بالضربِ

---

(١) مُثعنجر : متسلّح ومتمنطق.
(٢) الأربد : الكالح المتجهم .
(٣) مطروفٌ : لحقه بعض الأذى، والإثمد الكحل .
(٤) العثير : الغبار والتراب.
(٥) الأسل : والرماح
(٦) الخميس : الجيش من خمس فرق، والغيل: الشجر الملتف.
(٧) الزغف : الدرع الفضفاضة الواسعة والمحكمة الصنع. والغمر : القبّ الخيل الهزيلة الخصر والبطن.

من السالبات الشمس ثوب ضيائها بثوب تولّى نسجه عثير الترب
يعاتب نشوان القنا صادح الظّبا إذا التقيا فيها على قلّة الشرب
أعادت علينا الليل بالنقع في الضحى وردت إلينا الصبح في الليل بالشهب
تبلّج عن شمسي نزار ويعرب وتفترُّ عن طودي علا تغلب الغلب
موقّرةٌ يقتاد ثني زمامها بصيرٌ بأدواء الكريهة والحرب[1]
أصح اعتزاماً من خؤونٍ على فلا وأنفذ حكماً من غرامٍ على صبٍّ

وله من أخرى [من المتقارب]:

ويومٍ أغصّ اتساع الفضا ء جيشٌ لمن أمّه مُهولُ
يخيّل أنّ ما له آخرٌ إذا ما تراءى له اوّلُ
ويغصب شمس الضحى نورها من الخيل ما تبعث الأرجلُ
دجى أنت بدرٌ به والنجو م زرقك والظلمة القسطلُ[2]

وله من أخرى [من البسيط]:

في عارضٍ ضاقت الأرض الفسيحة عن سراه إذ سال فيها سيله العرمُ
كأنّه الليل لا قربٌ ولا بعدٌ يخفى عليه ولا فجٌّ ولا عَلَمُ
يهدي الغبار إليه الشمس كاسفةً كأنّها فيه سرٌّ ليس ينكتمُ
شقّ الغضنفر آجام الرماح بهِ والموت يسفر أحياناً ويلتثم
فراسل الدهر في الأعداء عزمته وكاتب النصر عنه السيف لا القلم
وما سمعنا بليثٍ قبل رؤيته إذا سرى صاحبته في السرّى الأجمُ[3]

---

(١) بصيرٌ: خبير، والكريهة: الحرب.
(٢) الزرق: كناية عن السيوف، والقسطل: الغبار.
(٣) السُّرى: المسير ليلاً، والأجم: جمع أجمة، وهي غابة الأسد.

الباذل العرف والأنواء باخلةٌ والمانع الجار والأعمار تخترم[1]
حيث الدجى النقع ،والفجر الصوارم، والأسد الفوارس ،والخطّية الأجم[2]

وله من أخرى [من الطويل]:

وكلّ بعيدٍ قرّب الحين نحوه سلاهبك الجرد الخفاف قريبُ[3]
تباشر أقطار البلاد كأنها رياحٌ لها في الخافقين هبوبُ
تماشي بفتيانٍ كأن جسومهمْ لخفتها فوق السروج قلوب

وله من أخرى [من الطويل]:

أتاهم بألحاظ الجياد ولم تكن لينأى عليها المنزل المتباعدُ
من اللاء يهجرن المياه لدى السرى ويعتضن شمَّ الجوِّ والجوّ راكدُ
مرنٌ على لدغ القنا فكأنمّا عليهنّ من صبغ الدماء مجاسد[4]
نسجن ملاء النقع ثم حرقنه بكرٍّ لها منه إلى النصر قائد
عليهنّ من نسج الغبار غلائلٌ رقاقٌ ومن نضح الدماء قلائد[5]

وله من قصيدة في وصف فرس [من الكامل]:

إن لاح قلت أدميةٌ أم هيكلُ أو عنٌ قلت أسابحٌ أم أجدلُ[6]
تتخاذل الألحاظ في إدراكه ويحار فيه الناظر المتأمِّلُ
فكأنه في اللطف فهمٌ ثاقبٌ وكأنّه في الحسن حظٌّ مقبلُ

---

(١) تخترم : تقتطع.
(٢) الخطيّة : الرماح.
(٣) السلاهب : الطويل من الخيل ، والجرد : القصيرة الشعر.
(٤) لدغ القنا : آثارُ جراحها والمجاسد : جمع مجسد ، وهو الثوب الذي يلامس الجسد .
(٥) نضح الدماء : فيضها.
(٦) السابح : الفرس ، والأجدل : الصقر.

وله من قصيدة يشكر بها بعض إخوانه وقد أهدى إليه بغلة [من البسيط]:

قد جاءت البغلة السفواء يجنب منـ ـهـا البـرد غيث ندىً ينهـلُّ ماطرهُ[1]
عريقـةٌ ناسبـت أخوالهـا فلها بالعتـق من كرم الجنسـين فاخرهُ
ملء الحـزام ومـلء اللبـد مجفرةً يريك غائبهـا في الحسـن حاضره[2]
أهـدى لها الـروض من أوصافه شيةً خضراء ناضرةً إذ حال ناضره
ليسـت بأول حمـلانٍ شريت به حمـدي ، ولا هي ياذا المجـد آخره
كم قد تقدمهـا من سابـح بيدي عنانـه، وعلى الجـوزاء حـافره

وله في وصف بركة [من المتقارب]:

وقـوراء كالفلك المستدير تروق العيون بلألائها[3]
حبتهـا البحـار بأمواجها وسحـب السماء بأنوائها
كأنّ تدفُّـق تيارها يـداك تفيض بنعمائها
وجـودك أغـزر من جريها وخلقـك أعـذب من مائها

* * *

---

(١) السفواء : السريعة التي تسفّ الغبار خلفها كما تسفّ الريح الرمال والغبار.

(٢) الجفرة : جوف الصدر ، ومن الشيء معظمه.

(٣) القوراء : المجوّفة.



الباب الثامن

٢٠ - في ذكر الخليع الشامي ، والوأواء الدمشقي وأبي طالب الرقي

أما الخليع فكنيته أبو عبد الله ، وقد ذهب عني اسمه وكان شاعراً مفلقاً قد أدرك زمان البحتري وبقي إلى أيام سيف الدولة فانخرط في سلك شعرائه .

فحدثني أبو بكر الخوارزمي قال : رأيت الخليع بحلب شيخا قد أخذت منه السن العالية ، وثقلت عليه الحركة ، فمما أنشدنيه لنفسه قوله [من الكامل] :

جيراننا جار الزمان عليهمُ ... إذا جار حكمهم على الجيرانِ

ما الشأن ويحك في فراق فريقهمْ ... الشأن ويحك في جنون جناني

خذ يا غلام عنان طرفك فاثنهِ ... عنّي ، فقد ملك الشمول عناني[1]

سكران سكر هوىً وسكر مدامةٍ ... أنّى يفيق فتىً به سكْرانِ ؟!

وقوله وهو مما يتغنى به [من المتقارب] :

بأيِّ المدامين لم أسكر ... بكأسك أم طرفك الأحورِ[2]

سقيت من الشمس مشمولةً ... على غرّةِ القمر الأزهرِ

إذا الماء خالطها جنّحت ... أكاليل درٍّ على جوهر

---

(١) اثنه : اطوه ، والشمول : الخمر .

(٢) الطرف : النظر : والأحور ، الشديد البياض والشديد السواد .

كأنّ علـى الشـرب من لونها ثيابـاً من الذّهـب الأحمـرِ

وقوله لسيف الدولة [من الكامل] :

أنـا شاعـرٌ ، أنـا شاكرٌ ، أنـا ناشرٌ ، أنـا راجـلٌ ، أنـا جائـعٌ ، أنـا عاري
هي ستّـةٌ فكن الضـمين لنصفها أكنِ الضـمين لنصفهـا بعيارِ
والنّـار عنـدي كالسـؤال فهـل ترى أن لا تكلّفنـي دخـول النارِ

وأنشدني غيره للخليع ، وأنا أشك فيه [من السريع] :

لـو لم تحـل ما سمِّيت حالا وكلُّ ما حال فقـد زالا
انظـر إلـى الظـلّ إذا ما انتهى يأخـذ في النقص إذا طالا

* * *

٢١ - أبو الفرج محمد بن أحمد الغسانـي الدمشقـي الملقـب بالوأواء

من حسنات الشام ، وصاغة الكلام ، ومن عجيب شأنه ما أخبرني به أبو بكر الخوارزمي قال : كان الوأواء منادياً في دار البطيخ بدمشق ينادي على الفوكه ، وما زال يشعر حتى جاد شعره وسار كلامه ، ووقع فيه ما يروق ، ويشوق ويفوق ، حتى يعلو العيوق[1] . ثم أخبرني أبو الحسن المصيصي بما يصدقه ، وأنشدني لمعاً يسيرة من شعره ، وذكر أنه سمعها من إنشاده . وأول من حمل ديوانه إلى نيسابور أبو نصر سهل بن المرزبان ، فإنه استصحبه من بغداد في جملة ما حصلّه من اللطائف والبدائع التي عنى بها ، وأنفق الرغائب عليها ، وأتحفني بذلك في دفتر صغير الجرم ، خفيف الحجم ، ثم ألحق به ما استملاه من القوال المعروف بعين الزمان . وهو غير ثقة في الرواية والحكاية ، وكنت تأنقت في إخراج ما يفتقر الأديب

---

(١) العيوق : نجم أحمر مضيء في طرف المجرّة الأيمن يتلو الثريا ولا يتقدّمها.

إلى فقره ، ولا يستغنى الشاعر عن غرره . من شعر الوأواء في النسخة الأولى من هذا الكتاب ، ولم أزد في هذه المقررة كثير زيادة .

وقرأت في بعض الكتب عن ابن حمدون قال : كان الفتح بن خاقان يأنس بي ، ويطلعني على الخاص من سره ، فقال لي مرة : أشعرت يا أبا عبد الله أني انصرفت البارحة من مجلس أمير المؤمنين فلما دخلت منزلي استقبلتني فلانة (يعني جارية له) فلم أتمالك أن قبلتها فوجدت فيما بين شفتيها هواء لو رقد المخمور فيه لصحا ، فكان هذا ما يستحسن ويستظرف من كلام الفتح وكأن الوأواء قد سمع ذلك فألم به ونظمه في قوله [من الطويل] :

سقى الله ليلاً طاب إذ زار طيفه فأفنيته حتّى الصّباح عناقا
بطيب نسيمٍ منه يستجلب الكرا ولو رقد المخمور فيه أفاقا
تملّكني لما تملّكت مهجتي وفارقني لمّا أمنت فراقا

ومما أنشدنيه كل من الخوارزمي والمصيصي له ، ووجدته في ديوان شعره والبيت الرابع منه نهاية في الملاحة [من الوافر] :

أتاني زائراً من كان يبدي لِيَ الهجر الطويل ولا يزورُ
فقال الناس لمّا أبصروه : ليهنك ! زارك البدرُ المنيرُ
فقلت لهمْ ودمع العين يجري على خدّي له درٌّ نثير :
متى أرعى بروض الحسن منه وعيني قد تضمّنها غديرُ ؟
ولو نَصَبَتْ رحىً بإزاء دمعي لكانت من تحدّره تدور[1]

وأقدر أنه ألم في البيت الرابع بقول ابن المعتز [من الطويل] :

وإنْ تك في خدّيك للحسن روضةٌ فإنّ على خدّي غديراً من الدمعِ

---

(١) الرّحى : الطاحون.

ومن ملح قوله في وصف الدمع [من الخفيف] :

كلُّ دمعٍ فبالتّكلّف يجري غير دمع المحبِّ والمهجورِ
وردَّ البين دمع عيني فأضحى كعقيقٍ أذيب في بلّورِ(1)

ومن ملحه في الخمر[من المنسرح] :

عذّبتها بالمزاج فابتسمت عن بردٍ نابتٍ على لهبِ
كأن أيدي المزاج قد سبكتْ في كأسها فضة على ذهبِ

وقوله [من الكامل] :

فامزجْ بمائك نار كأسك واسقني فلقد مزجت مدامعي بدمائي
واشربْ عغى زهر الرياض مدامةً تنفي الهموم بعاجل السَّرَّاءِ
لطفت فصارت من لطيف محلِّها تجري كمجرى الروح في الأعضاءِ
وكأنَّ مخنقةً عليها جوهرٌ ما بين نارٍ أذكيت وهواءِ(2)
وكأنّها وكأنّ حامل كأسها إذ قام يجلوها على النّدماءِ
شمس الضحى رقصت فنقّط وجهها بدر الدجى بكواكب الجوزاء

وقوله [من الطويل] :

يطوف براحٍ ريحها ومذاقها نسيم الصّبا والعيش في زمن الصّبا

ومن ملحه في الخط[من الطويل] :

وشمسٍ بأعلاه وليلين أسبلا بخدّيه إلاّ أنها ليس تغربُ(3)
ولما حوى نصف الدجى نصف خدِّهِ تحيّر حتى ما درى أين يذهبُ

---

(1) البين : الفراق.
(2) المخنقة : سلك ينظم به الجوهر.
(3) أسبلا : أرخيا ، وأسبل الستر : أرخاه.

وقوله [من مخلع البسيط] :

زار بليلٍ على صباح ... على قضيبٍ على كثيبِ[1]
حتى أتت ألسن الليالي ... معتذراتٍ من الذنوبِ
فيا لها زورةٌ أخذنا ... بها أماناً من الخطوبِ

وقوله [من الكامل] :

بدرٌ تقنّع بالظلا ... م على قضيبٍ في كثيبِ
تدعو محاسنه القلو ... ب إلى مشافهةِ الذنوبِ
فعلت به ريح الصّبا ... ما ليس تفعل بالقضيبِ
عقلت ركائب حسنه ... بعقولنا عند المغيبِ[2]
وتلطّمت وجناتنا ... بيد الدموع من النحيبِ
وكأنّما تشويشنا ... تشويش ألفاظ المريبِ
يا بدر بالبدر الذي ... أطلعت من فلك الجيوبِ
وبعقرب الصدغ الذي ... زرفنتَ من حسنٍ وطيبِ[3]
ترعى وما استرعيتها ... ثمر القلوب بلا دبيبِ[4]
هبْ لي مزارك في الكرا ... كيما أراك بلا رقيبِ

ومن بدائع تشبيهاته قوله [من البسيط] :

قالت وقد فتكت فينا لواحظها ... كم ذا ؟ أما لقتيل الحبِّ من قَوَدِ ؟[5]
وأسبلت لؤلؤاً من نرجسٍ ، وسقتْ ... ورداً ، وعضّت على العناب بالبردِ[6]

---

(١) الكثيب : التلُّ من الرمل
(٢) عقلت : من العِقال.
(٣) زرفن صدنميه : أدارهما وجعلهما كالحلقه.
(٤) الدبيب : مشي النمال.
(٥) القود: القصاص.
(٦) العنّاب : يقصد بها الشفاه ، والبرد يقصد بها الأسنان.

هذا البيت مما أحسن فيه ، وضمنه خمس تشبيهات بغير أداة التشبيه :

إنسانةٌ لو بدت للشمس ما طلعتْ ... من بعد رؤيتها يوماً على أحدِ
كأنّما بين غاباتِ الجفون لها ... أسد الحمام على طرقِ الهوى رصدي

وقوله [من المنسرح] :

قد سترت وجهها عن النظر ... بساعدٍ حلّ عقد مصطبري
كأنّه والعيون ترمقهُ ... عمود نورٍ في دارة القمرِ

وقوله [من الخفيف] :

جعلت تشتكي الفراق وفي أجـ ... ـفانها عقد لؤلؤٍ منثورِ
فكأنّ الكحل السحيق مع الدمـ ... ـع على خدّها بقايا سطورِ

وقوله في قوس قزح مع البروق والشمس [من البسيط] :

سقياً ليوم ترى قوس السماء به ... والشمس مسفرةٌ والبرق خلاّسُ
كأنّها قوسُ رامٍ والبروق له ... رشق السهام وعين الشمس برجاس[1]

وقوله وهو مما يتغنى به [من الكامل] :

لا تنكري ما بي فليس بمنكرِ ... عند التفرُّق دهشة المتحيِّرِ
يا هذه روحي إليك هديةٌ ... فتجمّلي في أخذها لي واعذري
وتأمّلي غير الزمان فإنّها ... تحكي تغيُّر عهدك المتغيِّرِ
ولربَّ ليلٍ ضلَّ عنه صباحهُ ... وكأنّه بك خطرةُ المتذكّرِ[2]
والبدر أوّل ما بدا متلثّماً ... يبدي الضياء لنا بخدٍّ مسفرِ

---

(١) البرجاس : غرض ينصب في الهواء على رأس رمح أو نحو.

(٢) ضلَّ: لم يهتد ، والخطرة : الفكرة.

فكأنّما هو خوذةٌ من فضّةٍ قد ركِّبت في هامةٍ من عنبرِ

وقوله في غلام عليل [من مخلع البسيط] :

إبيضّ واصفرّ لاعتلالْ فصار كالنّرجس المضعّفْ
كأنّ نسرين وجنتيه بشعر أصداغه مغلّفْ
يرشح منه الجبين ماءً كأنّه لؤلؤٌ مصنّفْ

وقوله [من الخفيف] :

ليت ليلي أمدٌّ من نفس العا شق طولاً إذ زار فيه الخليلُ
ما اعتنقنا حتى افترقنا وخفّا ن الدجى عن قميصه محلول[1]
وكأنّ الهلال تحت الثريا ملكٌ فوق رأسه إكليلُ

وقوله [من الخفيف] :

وغدافُ الظلام في شرك الفجـ ـر شريكي في قبضة الارتهانِ[2]
وكأنّ النجوم أحداق رومٍ ركِّبتْ في محاجر السودانِ

وقوله من أبيات [من المنسرح] :

كم حثّ شربي بكأسه قمرٌ بقدٍّ غصنٍ وخصرِ زنبورِ

وقوله من قصيدة [من الطويل] :

يقمن لنا برق الثغور أدلّةً إذا ما ضللنا في ظلام الذوائب[3]

---

(١) الخفّان : الجوانب.
(٢) الغداف الغراب الأسود ، وهو لا يبيض أصلا.
(٣) الذوائب : خصلات الشعر في مقدّمة الرأس.

ومما يتغنى به من شعره [من مجزوء الكامل] :

يا من سقام جفونه ... لسقام عاشقه طبيبُ
حزتَ المودة فاستوى ... عندي حضورك والمغيبُ
كنْ كيف شئت من البعا ... د فأنت من قلبي قريبُ

وقوله [من البسيط] :

أستودع الله في بغداد لي قمراً ... بالكرخ من فلك الأزرار مطلعُهُ
ودّعته وبودّي أن تودّعني ... روح الحياة وأنّي لا أودِّعُهُ
وكم تشبّث بي يوم الرحيل ضحى ... وأدمعي مستهلاتٌ وأدمعهُ
وكم تشفّع في أن لا أفارقه ... وللضرورة حالٌ لا تشفعهُ

وقوله [من البسيط] :

بالله ربّكما عوجا على سكني ... وعاتباه لعلّ العتب يعطفهُ
وعرِّضا بي وقولا في كلامكما : ... ما بال عبدك بالهجران تتلفهُ ؟
فإنْ تبسّم قولا عن ملاطفةٍ ... ما ضرّ لو بوصالٍ منك تسعفهُ
وإن بدا لكما من سيدي غضبٌ ... فغالطاه وقولا ليس نعرفهُ

وقوله [من المتقارب] :

زمان الرياض زمانٌ أنيقُ ... وعيش الخلاعة عيشٌ رقيقُ
وقد جمع الوقت حاليهما ... فمن ذا يفيق ومن يستفيقُ
فيا من هو الفوز لي والمنى ... ومن هو بالودّ منّي حقيقُ
أدرْ لحظ عينيك وامرجه في ... مروج الرياض تجدها تشوقُ[1]
ترى مزوج الحسن في مفردٍ ... جليلُ المحاسن فيه دقيقُ

---

(١) امرجه : ارسله ينظر إليها.

إذا ضاحك الزهر زهر الوجوه … فكيف الخلاص وأين الطريقُ ؟
بهـارٌ بهيرٌ بـه غيرةٌ … على نرجسٍ وشقيقٌ شقيقُ[١]
فـذا عاشـقٌ وجـلٌ خائفٌ … وذا خجـلٌ وكذاك العشيقُ
مداهـن يحملن طلّ النّدى … فهـاتيك تبـرٌ وهـذِي عقيقُ
تنظّـم أوراقـها درّهـا … وتنثـر منهـا التـي لا تطيقُ
يميـل النسيم بأغصانهـا … فبعضٌ نشـاوى وبعضٌ مفيقُ
ويومٍ ستارتـه غيمـة … وقـد طرّزت رفرفيهـا البروقُ
جعلنـا البخـور دخانـاً له … ومـن شرر الـراح فيه حريقُ
تظـلُّ به الشـمس محجوبةً … كأنّ اصطباحـك فيه غبوقُ
على شجـراتٍ رافعـات الذيول … لمـاء الجـداول منهـا شهيق
سجدنـا لصلبـان منثورها … وقـد نصرتنـا عليهـا الرحيقُ
وقلنـا بهـا ولضـوء الصّباح … على عنبـر الفجـر منهـا خلوقُ[٢]
أدِرْ يا غلام كُؤوس المدام … وإلاّ فيكفيك لحـظٌ وريقُ
أيا من هو الفـوز لي بالمنى … ومـن هو بالـودّ منّـي حقيقُ
تغنّـم بنـا غفلـة الحادثات … فوجـه الحـوادث وجـهٌ مفيقُ
وحـثّ الصبـوح لضـوء الصباح … فمتسـعُ الهـمِّ فيه يضيقُ

وقوله [من البسيط] :

وزائـرٍ راع قلـب النـاس منظره … أحلى من الأمن عند الخائف الوجل[٥]
ألقـى علـى الليل ليلاً من ذوائبه … فهابـه الصبـح أن يبـدو من الخجل
أراد بالهجـر قتلـي فاستجـرت به … فاستلّ بالوصل روحي من يديْ أجلي

---

(١) البهار : نباتٌ طيب الرائحة ، والبهير : المنقطع النَّفس من شدّة التعب .
(٢) الخلوق : الطيب.
(٣) راع : أخاف ، والوجل : الخائف.

وصـــرت فيه أمير العاشــقين فقدْ صارت إمـارة أهـل العشـــق من قبلي

وقوله [من الوافر] :

ومـــا أبقـــى الهـــوى والشـــوق منّي سوى روحٍ تردّد في خيـــالِ
خفيت عن النوائـــب أن تراني كأنّ الـــروح منّي فـي محـالِ

وقوله [من البسيط] :

ما حكّم البين إلاّ جار محتكماً ولا انتضـــى سيفـــه إلاّ أراق دما
يا دارهـــم خبّرينـــا ما الـــذي فعلوا فربّمـــا جهـــل المشتـــاق ما علما
الله يعلـــم أنّـــي يوم بينهمِ ندمـت إذا لم أمـتْ في إثرهـــم ندما
قد سرّني أنّهـــم قد سرّهـــم سقمي فازددت كيمـا يسـرّوا بالضّنـا سقما[1]

وقوله [من مجزوء الرجز] :

رمـــاه ريمٌ فأصاب ب القلـــب منـــه إذرمى[2]
واحتـــج في قتلته بأنّـــه مـــا علمـــا
يا معشـــر النـــاس أما ينصفنـــي من ظلمـــا ؟
علّـــم سقـــم طرفه جسمـــي منـــه سقما
فسقـــم جسمـــي في الهوى من طرفـــه تعلّمـــا
لـــو قيل لي ما تشتهي مخيراً محـــكّما
لقلـــت أن ألثمـــه نحـــراً ووجهـــا وفمـــا

وقوله [من المتقارب] :

لـــه مضـــحكٌ برقـــه خاطفٌ عقـــول الرجـــال إذا ما ابتسمْ

---

(١) الضنا : المرض والألم.
(٢) الريم : الظبي الخالص البياض.

أقـول لـه إذ بـدا درّه : شهدنـا لصـانعـه بالحـكمْ
أرى الـدرّ يثقبـه الناظمو ن ومـا ثقبـوا ذا فكيف انتظم ؟!

وقوله [من المتقارب] :

تملّـكت يا مهجتـي مهجتي وأسهـرت يا ناظـري ناظري
وفيك تعلّمـت نظـم الـكلام فلقّبنـي النـاس بالشاعرِ
ومـا كان ذا أملـي يا ظلوم ولا خطـر الهجـر في خاطري

وقوله [من مجزوء الخفيف] :

وحـديثٍ كأنّه أوبـةٌ من مسافرِ[1]
كان أحلـى مـن الرقا د لدى طرفٍ ساهرِ
بـت ألهـو بطيبـه في رياضٍ زواهرِ
بين ساقٍ وسامرٍ ومغـنٍّ وزامـرِ

حدثني أبو بكر الخوارزمي ، قال : حضرت مع الشيخ أبي الحسن النمري دعـوة القاضـي أبـي بكر الحميري ، فغنـى بعض القـوالين بهـذه الأبيات [مـن الكامل] :

قـمْ يا غلام إلـى المدامِ قم داونـي منهـا بجامِ
قـم فاسقنـي برق الثغو ر فقـد مضـى برق الغمام
بـادر إلـى صرف الحميّـــا سابقـاً صرف الحمامِ[2]
وتغنّـم الغفـلات من دهـرٍ يجـور علـى الكرامِ

فاستملحها أبو الحسن ، وسألني عن قائلها ، فأخبرتـه أنهـا لأبـي الفـرج

---

(١) الأوبة : العودة.
(٢) حرف الحمّيا : أي الخمر الخالصة والحمام : الموت.

الوأواء ، فاقترح عليّ معارضتها ، فارتجلت أبياتا ثم أتممتها قصيدة منها [من الكامل] :

لما بدت روح الضيا ء تدبّ في جسم الظلامِ
وغدت نجوم الليل وهي تفرُّ من حدق الأنامِ
والدّيك يتلو دائماً هجو النيام على القيامِ
ناقضت ما قال المؤذّ ن بالفعال وبالكلامِ
هو قال حيّ على الصلا ة وقلت حيّ على المدامِ

ومنها :

لما رأيت الهم يطرق من أتاه بلا سلامِ
ضيفٌ يزور فليس يأ كل غير لحمي أو عظامي
والدّهر قد حمل السلا ح على الكرام عن اللئام
داويته بالرّاح إنّ الرّاحَ ترياق الكرام[1]

ومن ملح الوأواء وطرفه قوله في جرب معشوقه [من مجزوء الرمل] :

يا صروف الدهر حسبي أي ذنبٍ كان ذنبي ؟
طرقتني نائباتُ الدّهر في إعلال حبّي
علةٌ عمّت وخصّت في حبيبٍ ومحبٍّ
دبّ في كفّيه ما من حبّه دبٌّ بقلبي
فهو يشكو حرَّ حبٍّ واشتكائي حرَّ حبٍّ

وقوله في زرقة عين محبوبه [من البسيط] :

يا من هو الماء في تكوين خلقته ومن هو الخمر في أفعال مقلتهِ[2]

---

(١) الترياق : دواء السموم ، والراح : الخمر .
(٢) طلّ دمي : سفكه .

ومـن بزرقـة سيف اللحـظ طلَّ دمي والسيـف ما فخـره إلا بزرقته
علَّمـت إنسـان عينـي أن يعـوم فقدْ جادت سبـاحتـه في بحـر دمعته[1]

وللسري الموصلي في مثله [من المتقارب] :

وقالـوا بمقلتـه زرقـةٌ تشيـن فظـلَّ لهـا مطرقا
وهـل يقطـع السيف يوم الوغى إذا لم يكن متنـه أزرقا ؟[2]

ومن ملح الوأواء [من البسيط] :

يا ذا الـذي ورد خدّيه إذا أخذتْ منـه اللواحـظ شيئـاً ردّه الخجلُ
ماذا يضـرُّك أن تجنـي وقـد ضمنتْ أضعاف ما تجتني من لحظها المقلُ ؟
هذا لعمرك مـاعونٌ بخلت به على العيون، وبئس الخلّة البخل![3]

وله [من السريع] :

رثـى له ممّـا به نابه صبٌّ غدا صبّـاً بأوصابِهِ[4]
ميتٌ يرى حياً ولكنَّهُ تربتـه ما بيـن أثوابـه
أيّ حياة لامـرىءٍ قد بلى بالقـرب من فرقـة أحبابه ؟

وقوله من قصيدة [من الخفيف] :

قد أطلـت الصـلاة في قبلـة الكأ س بتسـبيح ألسـن العيـدانِ
كم صلاةٍ علـى فتـىً مات سكراً قد أقيمـت فينـا بغيـر أذان

* * *

---

(١) إنسان العين : بؤبؤها .
(٢) المتن : الحدّ.
(٣) الماعون : كلُّ ما انتفع به من أشياء البيت والخلّة : السجيّة والصفه.
(٤) الأوصاب : الأمراض.

٢٢ ـ أبو طالب الرقّي

لم أجد ذكره إلا عند أبي بكر الخوارزمي ، وسمعته يقول : إنه أحد المقلين المحسنين ، الذين يطبقون المفصل في أغراضهم ، وينظمون الدر المفصل في معانيهم وألفاظهم ، ثم أنشدني له قوله [من الكامل] :

ولقد ذكرتك في الظلام كأنّه ... يوم النوى وفؤاد من لم يعشقِ
وكأنّ أجرام النجوم لوامعاً ... دررٌ نثرن على زجاجٍ أزرقِ
والفجر فيه كأنّه قطر الندى ... ينهلُّ من سحِّ الغمام المغدق[1]

وقوله [من الكامل] :

ومعيرُ وجه البدر ما في وجههِ ... والغصن ما في قدّه المتأوّد[2]
رمدت جفوني من تورُّد خدِّهِ ... فكحلتها من عارضيه بإثمدِ[3]

وقوله [من الكامل] :

ديباجُ خدِّك بالعذار مطرّزٌ ... وشبيه وجهك في البرايا معوز
وكأنّما إنسانُ عينك شاهرٌ ... سيف اللحاظ يصيح : من ذا يبرُزُ ؟
يا من أعزّ بذلتي في حبِّه ... مثلي رأيت بذلّةٍ يتعزَّزُ ؟

وقوله [من الطويل] :

ومشتملٍ ثوبي عفافٍ وفتنةٍ ... يرى قتل من يهوىٰ إلى النّسك مسلكا
إذا طاف بالأركان طاف به الورى ... فيقضي ولا يقضون للحجِّ منسكا[4]

---

(١) سح الغمام : هطوله.
(٢) المتأوّد : المتثنّي والمتمايل.
(٣) العارض : صفحة الخدّ ، والاثمد : الكحل.
(٤) المنسك : فرض من فروض الحج.

جنـى اللحـظ من خدّيه ورداً مورَّداً ومـن عارضيه ياسمينـاً ممسكا[1]
فيا رائحـاً منـه بأوفـر فتنةٍ تجهّـزْ لعـامٍ بعـد هـذا لعلّكا

وقوله [من الرجز] :

مصفـرة الظاهـر بيضـاء الحشا أبـدع في صنعتهـا ربّ السّما
كأنّهـا كفٌّ محـبٍّ دنفٍ مبعـد يحسِـبُ أيّام الجفا

وقوله [من المنسرح] :

ووردةٍ في بنـان معطار جئـت بهـا في لطيف أسرارِ
كأنّهـا وجنـة الحبيب وقدْ نقّـطها عاشـقٌ بدينـار

(١) الممسّك : المشوب بالمسك.



الباب التاسع

في ملح أهل الشام ومصر والمغرب
وطرف أشعارهم ونوادرهم

هذا باب كثرته على غرر تلقفتها من أفواه الرواة ، وتطرفتها من أثناء التعليقات ، ولم أجد لأصحابها أشعاراً مجموعة يتفسح في طريق الاختيار منها ، وإنما هي تفاريق تلتقي أطرافها ، وتجتمع حواشيها ، ولن تعدم القلائد فيها بحمد الله ومشيئته .

أنشدني أبو بكر الخوارزمي للتلعفري ولم يسمه ولم يكنه [من السريع] :

ما أصعب العيش على بائسٍ معاشه في حلب النحوُ
ليس له في بردها جبةٌ ولا قميصٌ لا ولا فروُ

ثم أنشدني له مرة هذين البيتين ومرة لبعضهم وزعم أنهما مما يتغنى بهما [من مخلع البسيط] :

يا راكب العيس قفْ وعرّج واقرأ سلامي على بني طي
وقل لهم ظبيكم جفاني لما رآني وما معي شي

ووجدت للسري والسلامي هجاء في التلعفري يدل على أنه من مذكوري الشعراء بتلك البلاد .

ثم أنشدني محمد بن عمر الزاهر ، قال : أنشدني أبو الحسن علي بن أحمد

التلعفري بنصيبين لنفسه من قصيدة أولها [من الكامل] :

من ذا يدلّ علـى الرقـاد جفوني قـد ضاع بين صبابتـي وشجوني
أمّـا النجـوم فقـد ألفـن رعايتي والعائـدات فقـد مللـن أنيني

قال : وأنشدني أيضاً علي بن محمد الشاشي بميا فارقين ، قال : أنشدني لنفسه في غلام نصراني [من الوافر] :

غريب الحسن ، مَنْ سمَّاك بدرا ؟ وبـدر التـمّ ، في خدّيك خالُ
كتمـت هواك إذ قلبـي سليمٌ فذاب القلـب وانحـلّ العقال
وكنـت كمـودع الحلفـاء ناراً وكتـم النـار في قصـبٍ محالُ[1]

وأنشدني أيضاً [من الخفيف] :

ربَّ ليلٍ سهـرت حتـى تجلّى مغرمـاً في ظلامـه أتقلّى[2]
والثـريّا كأنّهـا رأس طِرفٍ أدهـمٍ زيـن باللّجـام المحلّى[3]

وقوله [من الكامل] :

ومتيّمٍ أبـدى إلـيّ غرامه فعذلتـه والعـذل فعـل الجاهلِ
حتـى إذا أبصـرت مالك رقه كادت لواحظـه تصيب مقاتلي
إن عدت أعـذل عاشقـاً من بعده فأصابنـي ربّـي بحتفٍ عاجلِ

* * *

وأنشدني أيضاً قال : أنشدني أبو نصر بن أبي الفتـح بن كشاجـم بصيداء

---

(١) الحلفاء : نبات محدّد الأطراف يصنع من ورقه القفف والحصر والحبال وهي سريعة الاشتعال.
(٢) أتقلّى : أتحرّق.
(٣) الطرف : الحصان.

الشام لنفسه في وصف الكتاب من أبيات [من المنسرح] :

وصاحبٍ مؤنسٍ إذا حضرا جالسني بالملوك والكبرا
جسمٌ مواتٌ تحيا النفوس به يجلُّ معنىً وإن دنا خطرا
ملكت منه كنزاً غنيت به فما أبالي ما قل أو كثرا
أظلّ منه في مجلسٍ حفلٍ بالنّاس طرّاً ولا أرى بشرا
وإن أُطفِّلْ بهِ فيا لك من مستحسنٍ منظراً ومختبرا[1]
أعجب به جامعاً ولو جعلتْ عليه كفّ الجليس لاستترا

وله في شمعة [من المنسرح] :

بركة صفرٍ عمودها شمعٌ تفيض ناراً من موضع الماءِ
تبكي إذا ما المقصّ خمّشها فرط حياء من الأخلاّءِ
كأنّها عاشقٌ مخايله فيه بوادٍ لمقلة الرّائي
صفرة لونٍ ، وذوب معتبةٍ ودمع حزنٍ ، ونار أحشاءِ[2]

قلت : شبه أربعة بغير حرف تشبيه ، وقال في بخيل [من الطويل] :

صديقٌ لنا من أبدع الناس في البخل وأفضلهم فيه وليس بذي فضلِ
دعاني كما يدعو الصديق صديقه فجئت كما يأتي إلى مثله مثلي
فلما جلسنا للطعام رأيته يرى أنّه من بعض أعضائه أكلي
ويغتاظ أحياناً ويشتم عبده وأعلم أنّ الغيظَ والشتمَ من أجلي
فأقبلت أستلُّ الغذاء مخافةً وألحاظ عينيه رقيبٌ على فعلي
أمدّ يدي سرّاً لأسرق لقمةً فيلحظني شزراً فأعبث بالبقل[3]

---

(١) أطفّل : أي يبقى حتى الغروب.
(٢) المعتبة : أي عاتبة من العتاب ، أو غاضبة.
(٣) الشزر : النظر بغضب.

إلى أن جنت كفّي لحتفي جناية ... وذلك أنّ الجوع أعدمني عقلي
فجرّتْ يدي للحين رجل دجاجةٍ ... فجرّت كما جرّت يدي رجلها رجلي
وقدّم من بعد الطعام حلاوةً ... فلم أستطع فيها أمرٌّ ولا أحلي
وقمت لو اني كنت بيّت نيّةً ... ربحت ثواب الصوم مع عدم الأكلِ

وكتب على تفاحة حمراء بالذهب إلى الوزير أبي الفضل جعفر بن الفضل ابن الفرات وأنفذها إليه وقد خرج إلى متنزهه بالمقس [من المنجتث] :

إذا الوزير تجلّى ... للنيل في الأوقاتِ
فقد أتاه سميا ... ه جعفر بن الفراتِ

وله في طبيب[من المجتث] :

عيسى الطبيب ترفقْ ... فأنت طوفان نوحِ
يأبى علاجك إلاّ ... فراق جسمٍ لروحِ
شتان ما بين عيسى ... وبين عيسى المسيحِ
فذاك محي مواتٍ ... وذا مميتُ صحيحِ

وقال في فصد إسحاق بن كيغلغ [من المنسرح] :

يا فاصداً شقّ عرق إسحاق ... أي دمٍ لو علمت مهراقِ ؟[1]
سفكته من يدٍ معودةٍ ... لنيل مالٍ وضرب أعناقِ
لو يوم حرب أصبت من دمه ... إذاً أقام الدّنيا على ساقِ

وأنشدني له يصف جونة الطعام من قصيدة مزدوجة [من الرجز] :

وجونةٍ موصوفةٍ من الجونِ ... قد جمع الطباخ فيها كلّ فنّ[2]

(١) الفاصد : الذي يخرج الدم من الجسم بآلة حادة .
(٢) الجونة : سلّة مستديرة تكون مع العطارين ويوضع عليها الطيب .

مـن كلِّ سخـنٍ منضـجٍ وباردِ ما بين ألـوانٍ إلـى بوارد
فمـن رقـاقٍ ناعـم رقاق يحمـد في المنـظر والمذاق
وأرغف تشـفّ للصفـاء كمـا تشفُّ أوجـه المرائي
ومن مصوصٍ من مخاليف الحجل كأنّمـا كانـت ترفُّ في الجبلْ[1]
ومـن فراريج بمـاء الحصـرم تصلـح للمخمـور أو للمحتمي
قـد شوّشـت أكبادهـا ببيض فهـي كمثـل نرجسٍ في روض
وجاءنـا فيهـا ببيضٍ أحمر كأنـه العقيق ما لم يقشـرِ
حتـى إذا قدّمـه مقشّرا أبـرز من تحـت عقيقٍ دررا
حتـى إذا ما قطـع البيض فلقْ رأيت منـه ذهبـاً تحـتَ ورقْ
يخـال أنّ الشطـر منـه من لمحْ أعـاره تلـونيه قوس قزحْ
مـا بين أوسـاطٍ لطـاف القدِّ مقـدودةٍ كمثـل قدِّ الندِّ
مـن صدر درّاج وصـدر حجلهْ بملحهـا وبقلهـا متبلّـه[2]
فيهـا جبـن صادق الحرافه مقطّـعُ باللـطـف والنظافـهْ
قـد ألبسـت قضبـان طلـعٍ غضّه كأنّهـا سلاسـل مـن فضهْ[3]
وجـاءنـا فيهـا بباذنجـان مثـل قدود أكـر الميدان[4]
قـد قارن الهليـون بالممازجة تقـارن الـكـرّات بالصوالجـه
ثـم أتـت سكارج الكوامـخ كمثـل أنـوارٍ من اللخالخ[5]
مـا بين طرخـونٍ وبين صعتر وفيجـنٍ غضٍّ وبين كزبر[6]

---

(١) المصوص : الفراريج الطريّة اللحم.

(٢) الدرّاج : طائر يشبه الحجل.

(٣) الطلع من النخل شيء كالكوز يخرج منه وفيه حب منضود .

(٤) الأكر : جمع أكرة وهي الكُرة.

(٥) السكارج : الآنية التي يؤكل فيها الكوامخ : جمع كامخ نوع من الأدم معرّب اللخالخ : ضرب من الطيب.

(٦) الطرخون : نبات ، والفيجن : الزاب .

وبين بن عدة المشطور ... كأنّه تعلية النحور[1]
ثم أتى براضعٍ لم يعتلفْ ... كأنّ في جنبيه قطناً قد ندفْ
وحَمَل مبزرٍ مشبر ... كأنّه مضمّخٌ بعنبرِ
يتلوه جديٌ قارسٌ بخلٍّ ... كأنّه بالزعفران مطلي
تخاله في خلّه المزعفر ... مركبًّا تحت عقيقٍ أحمر
وقد عملت أطرافه سلاقهْ ... عجيبة الصنعة والمذاقهْ
زيدت من الخردل والصباغ ... وكشف القحف عن الدماغ
وصفّ فيه فلق الرمان ... مثل رصيع خرز المرجانِ
ثم أتى بناطفٍ هيّاج ... يحرُّ طبع البارد المزاج[2]
كأنه في العين والقياس ... سبائكٌ جاءت من الروباس[3]
ثم أتانا بعده لوزينج ... كأنّه في الأتحمي مدرج[4]
تنشله من دهنه العميق ... كما أخذت بيد الغريقِ
وجاءنا الغلمة بالمدام ... ونحن لم ننهض من الطعامِ
بغير ترتيبٍ ولا صواني ... وغير أنقالٍ ولا ريحان[5]
لأنّ في الجونة أنواع الأرب ... وعوضاً من كلّ شيءٍ يطلبُ
هذا هو النوع الذي أختاره ... ليس الذي عذّبنا انتظاره

* * *

وأنشدني عبد الصمد بن وهب المصري ، قال : أنشدني أبو نصر بن أبي

---

(١) المشطور : الخبز المطلي بالكامخ .
(٢) الناطف : نوع من الحلوى البيضاء .
(٣) الروباس : الفضة .
(٤) الأتحمي : نوع من البرد .
(٥) الأنقال : ما يقدم مع الخمرة من فستقٍ وغيره .

الفتح كشاجم لنفسه [من الخفيف] :

غبط النـاس بالكتابـة قوماً حرمـوا حظّهـم بحسـن الكتابهْ
وإذا أخطـأ الكتابـة حظٌّ سقطت تاؤهـا فصـارت كآبهْ

* * *

وأنشدني الخوارزمي لعبد الرحمن بن جعفر النحوي الرقي [من مجزوء الرمل] :

قـل لمـن تاب ولـم يقـ ـض من اللّـذات نحبَهْ
توبـة الحشـويِّ لا تعـ ـدلِ عنـد الله حبّه
أمُّ من تسـبقـه أنـ ـت إلـى الجنّـة قحبه

* * *

وأنشدني أبو الحسن علي بن مأمون المصيصي ، قال : أنشدني أبو العميد هاشم بن محمد المتيم الاطرابلسي لنفسه [من الهزج] :

مضـت للهـو أوقات ولـلأوقـات لـذّاتُ
إليهـا أنـا مشتاق وقـد فاتـت بمـن فاتوا
ومـا لي عوضٌ عنهم وأحيا النـاس أموات
مضـى أهـل المروءاتِ فلـم تبـقَ المـروءاتُ

* * *

وقرأت في كتاب التحف والظرف لابن لبيب غلام أبي الفرج الببغاء لأبـي عمارة الصوفي في ثقيل خفيف على القلب [من الخفيف] :

وثقيلٍ لو كان في حسناتي وجميعُ الأنـام فـي سيئاتـي
لاستخفّ الذنوب بل كسر الميـ ـزان من ثقلـه علـى الكفّاتِ

وله في ثقيل [من الطويل] :

ثقيلٌ براه الله أثقــل من برى ففـي كلِّ قلـبٍ بغضــةٌ منــه كامنهْ[1]
مشـى فدعــا من ثقلــه الحــوت ربّه فقال : إلهي زدت في الأرض ثامنه ؟

* * *

وأنشدنا أبو الحسن محمد بن أحمد الإفريقي المتيم في كتاب أشعار الندماء لأبي الحسن الممشوق الشامي - ولست أتحقق اسمه - في المشمش [من الرجز] :

أمــا ترى المشــمش يا خلّ الأدب مشطّبــاً أكرم بهــاتيك الشّطبْ
مثقّــبُ الهامــات من غير ثقبْ كأنّهــا بنــادقٌ من الذّهب

* قد صاغها صائغها بلا تعبْ *

وله في جام فالوذج [من الكامل] :

إنــي اتخــذت أبــا علــيٍّ ذا العلا معقــودةً لك ذات طعــمٍ طيِّبِ
فقــد اغتــدت في جامهــا وكأنّها شمسٌ علــى بدر أوانِ المغربِ[2]
وتخــال فيهــا اللــوز وهــو منصف أنصــاف درٍّ فوق صحــنٍ مذهبِ
فتعــال نخمش وجههــا بأكفّنا غضبــت علينــا أو غدت لم تغضبِ

وأنشدني غيره للممشوق [من المتقارب] :

فــؤادي كَفيْكِ إذا ما نطقت وصبــري كخصــرك فــي دقّتهْ
ومــا آس عارضــك المستنيــ ـر كالقلــب منِّــيَ في حرقته[3]
وبالجســم منّــي الــذي يشتكيــــــه طرفــك من غير ما علّته

---

(١) براه الله : أنحله .

(٢) الجام : الإناء من فضة .

(٣) الآس : الريحان ، ورقه عطر ، خضرته دائمة .

أشبه وعدك إمّا وعدت بعقرب صدغك في عطفته
وأزداد في كلٍّ يومٍ هوى وحبّيك يزداد في فتنته

وأنشدني محمد بن عمر الزاهر ، قال : أنشدني أبو الحسن الممشوق صاحب المتنبي لنفسه [من الخفيف] :

ليلةٌ بتّها بقرتمَ أسقي عاتقاً عتّقت مداها الدّهورُ
وكأنّ السماء والبدر والأنجم روضٌ ونرجسٌ وغديرُ

* * *

وأنشدني أيضاً محمد بن عمر الزاهر ، قال : أنشدني أبو الحسن علي بن محمد الأنطاكي [من الكامل] :

لما تأمّل جودك القطرُ وسما ليدرك صدرك البحرُ
خجلا جميعاً مثل ما خجلا إذ قابلاك الشمس والبدرُ
يا صالح الخيرات ما صلحا إلاّ لك التأييد والأمر

* * *

وأنشدني أيضاً للحسن بن عبد الرحيم الزلالي صاحب كتاب الأسجاع على معنى الحمدوني في طيلسان ابن حرب [من مجزوء الرمل] :

طيلسانٌ كان رسماً ثم قد أصبح وهما[1]
لا تراه العين إلاّ بعد أن يهجع حلما
تتعب المقلة كي تد رك منه أثراً ما
تعب الفكرة في إخـ ـراجها البيت المعمّى

---

(1) الطيلسان : كساء أخضر لا تفصيل له يلبسه خواص العلماء والمشايخ .

وقوله [من الرمل] :

نظرةٌ كانت لحتفي سببا جلب الحين لها ما جلبا
ضحكت أسماء من ذي لمّةٍ ضاحك الأشيب فيه الأشيبا
إنّما يعرف أيام الصبِّا من صبَا في غير أيّام الصبّا

* * *

وللأنطاكي في وصف عود [من البسيط] :

وبربطٍ صحب الترنام نغمته أحلى من اليسر وافى بعد إعسارِ[1]
يملي القريض عليه لفظ محسنه فينبري مخبراً عنها بإجهارِ
ما حثّ أوتاره في وجه نائبةٍ إلاّ استفاد بتاراتٍ وأوتار
تحنو عليه أمٌّ تخاطبه سرّاً فيخبر بالنّجوى بإظهار[2]
وإن هفا عركت آذانه شفقاً عليه من وصمة النقصان والعار

* * *

وأنشدني أبو الحسن علي بن مأمون المصيصي وغيره لتميم بن معد أبي تميم صاحب مصر ، وهي مشهورة [من الكامل] :

ما بان عذريَ فيهِ حتّى عذّرا ومشى الدجى في خدّه فتحيّرا
همّت تقبّله عقارب صدغه فاستلّ ناظره عليها خنجرا
والله لولا أن يقال تغيّرا وصبَا وإن كان التصابي أجدرا
لأعدت تفاح الخدود بنفسجاً لثماً وكافور الترائب عنبرا[3]

* * *

---

(١) البربط : آلة موسيقية تشبه العود والترنام : النغم والغناء.
(٢) النجوى : السرّ.
(٣) الترائب : جمع تريبة، وهي موضع القلادة من الصدر.

وأنشدني أبو نصر سهل بن المرزبان ، قال : أنشدت بمدينة السلام لمعد ابن تميم ويروي للوأواء [من السريع] :

لا تظلموا الناس ولا تطلبوا بثأريَ اليوم أذى مسلمِ
ويا لقومي دونكم شادناً معتدل القامة والمبسمِ
وإنْ أبى إلاّ جحوداً له واكتتم الأمر فلم يعلم
قولوا له يكشف عن وجهه فإنّ فيه نقطةً من دمي

وأنشدني المصيصي له [من المنسرح] :

وَجْنَةُ من شفّني هواه ومن أفنيت فيه دموع آماقي[1]
كأنّما الصيرفيُّ دنَّر ما نجم منها ودرهمَ الباقي[2]

ووجدت له من قصيدة [من الطويل] :

وما بلد الإنسان إلاّ الذي به له سكنٌ يشتاقه وحبيبُ
إلى الله أشكو وشك بينٍ وفرقةٍ لها بين أحشاء المحبّ ندوبُ
ترى عندهم علمٌ وإن شطّت النوى بأنَّ لهم قلبي عليَّ رقيب[3]

* * *

وأنشدني أبو حفص عمر بن علي الفقيه لأبي منصور نزار بن معد أبي تميم وقد وافق بعض الأعياد وفاة ابنه وعقد المأتم عليه [من المنسرح] :

نحن بنو المصطفى ذوو محنٍ يجرعها في الحياة كاظمنا[4]

---

(١) شفني : براني وآلمني ، والآماق : عروق الدمع .
(٢) دنّر : أي جعلها كالدنانير.
(٣) شطّت : باعدت.
(٤) الكاظم : المتحمّل للمحن والصابر عليها

عجيبـةٌ في الأنـام محنتنا أولنـا مبتلى وآخرنـا
يفـرح هذا الـورى بعيدهم طرّاً وأفـراحنـا مآتمنـا

* * *

وأنشدني المصيصي للأمير تميم [من الطويل] :

شربنـا علـى نوح المطوّقـة الورقِ وأردية الـروض المفوفـة البلقِ
معتّقـةً أفنـى الزّمـان وجودها فجاءت كفوت اللحظ أو رقّـةِ العشق
كأنّ السحـاب الغـرَّ أصبحـن أكؤساً لنـا ، وكأنّ الـراح فيهـا سنـا البرق
فبتنـا نحـثُّ الـكأس فينـا ، وإنّنا لنشربهـا بالحـثِّ صرفـاً ونستسقي[1]
إلـى أنْ رأيت النجـم وهـو مغرِّبٌ وأقبلن رايات الصبـاح من الشرق
كأنّ سواد الليل والفجـر طالعٌ بقية لطـخ الكحـل في الأعين الزرق

أحسن في هذا البيت ما شاء .

* * *

وأنشدت للمرواني في الهلال وأجاد [من الكامل] :

والبـدر في جوِّ السمـاء قد انطوتْ طرفـاه حتـى عاد مثـل الزورقِ
وتـراه من تحـت المحـاق كأنّما غرق الـكثير وبعضـه لم يغرق

وهو من قول ابن المعتز [من الكامل] :

* قد أثقلته حمولةٌ من عنبر *

قال : وسمعت الشيخ الإمام أبا الطيب يحكي أن المرواني صاحب الأندلس كتب إليه صاحب مصر كتاباً يسبه ويهجوه فيه . فكتب إليه « أما بعد فإنك عرفتنا

---

(١) الصرف : الصافية الغير ممزوجة .

فهجوتنا ، ولو عرفناك لأجبناك ، والسلام » .

وأنشدني أبو سعيد بن دوست ، قال : أنشدني الوليد بن بكر الأندلسي الفقيه المالكي لأميرهم محمد بن أبي مروان بن أخي المستنصر بالله المدعو الخليفة بالأندلس ، وهو الحكم بن عبد الرحمن المرواني ، من قصيدة كتب بها إلى صاحب مصر يفتخر [من الطويل] :

ألسنا بني مروان كيف تبدَّلتْ ... بنا الحال أو دارت علينا الدوائرُ ؟
إذا ولد المولود منّا تهلَّلت ... له الأرض واهتزَّت إليه المنابرُ

وذكر أن المستنصر وهو أبو الحسن قتل ابن أخيه خوفاً منه على المملكة .

* * *

قال : وأنشدني لوزير المستنصر وهو أبو الحسن جعفر بن عثمان المصحفي [من البسيط] :

يا مَنْ أراني بألحاظٍ يصرّفها ... عنّي الصبا والهوى رشدي وتوفيقي
جمعت فيك غليل العاشقين كما ... جمعت ما تشتهي من كلٍّ معشوقِ

وله أيضاً [من الطويل] :

لعينيك في قلبي عليَّ عيونُ ... وبين ضلوعي للشجون شجونُ
لئن كان جسمي مخلقاً في يد الهوى ... فحبُّك غضٌّ في الفؤاد مصونُ
نصيبي من الدّنيا هواك ، وإنه ... عذابي ولكنّي عليه ضنينُ[1]

وله أيضاً في الخمر [من الكامل] :

صفراء تطرق في الزّجاج فإن سرتْ ... في الجسم دبّت مثل أيمٍ لاذع[2]

---

(١) ضنين : حريص.
(٢) الأيم : الحيّة، ولدغ : عضّ.

لم يحسن في تشبيه دبيب الخمر في جسم شاربها بدبيب الحية اللادغة ، وقد أحسن في البيت الذي يليه جداً :

خفيت على شرّابها فكأنّهم   يجدون ريّاً من إناءٍ فارغِ

* * *

قال : وأنشدني لعيسى بن وطيس كاتب المستنصر [من البسيط] :

يا سيداً أفرطَتْ بالعبد سطوتُهُ   ما كلُّ مالك رقٍّ مغضبٌ حنقُ
أعتقْ وإلاّ فبعْ، كم ذا تعذبني ؟   إنّ العبيد إذا ما عذبوا أبقوا[1]
وثقت منّي بأنَّ الحبَّ قيَّدني   أجل وحقك إنّي فوق ما تثق

ومعنى بيته الثاني مما يزيفه نقدة الشعر المتغزلون ولا يرضونه . وإنما يميلون إلى مثل ما قال أهل العصر [من الخفيف] :

لي مَولى أقسى البرية قد قا   سيت فيه الهموم والأشواقا
قلت إذ لجَّ في جفائيَ واحتـ   ـجّ عليه فساق نحوي السّياقا
أيهذا المليك رأيك في سو   ءِ امتلاكي فلن أروم الفراقا

* * *

قال : وأنشدني حبيب بن أحمد الأندلسي لنفسه [من الطويل] :

ثلاثون من عمري مضين فما الذي   أؤمّلُ من بعد الثلاثين من عمري
أطايب أيامي مضين حميدةً   سراعاً ولم أشعر بهنّ ولم أدرِ
كأنّ شبابي والمشيب يروعه   دجى ليلةٍ قد راعها وضح الفجرِ

---

(١) اعتِقْ : من العتق : وهو التحرير والأبق : الهرب .

وأنشدت لأحمد بن عبد الرحمن المتيم النحوي[1] [من الوافر] :

إذا ما نلتَ من دنياك حظاً فأحسنْ للغنيٍّ وللفقيرِ
ولا تمسك يديك على قليلٍ فإنّ الله يأتي بالكثير

* * *

٢٣ - عبد المحسن بن محمد الصوري

أحد المحسنين الفضلاء ، المجيدين الأدباء ، وشعره بديع الألفاظ ، حسن المعاني ، رائق الكلام ، مليح النظام ، من محاسن أهل الشام ، فمن شعره قوله [من الكامل] :

أترى بثأرٍ أم بدينِ علقت محاسنها بعيني
في خصرها وقوامها ولحاظها ما في الرّديني
وبوجهها ماء الشبا ب خليط نار الوجنتينِ
بَكَرتْ عليّ وقالت اخـ ـتر خصلةً من خصلتين[2]
إمّا الصدود أو الفرا ق فليس عندي غير ذين
فأجبتها ومدامعي منهلّةٌ كالمرزمين[3]
يا هذه لا تعجلي إن حان بينك حان حيني[4]
فكأنّما قلت اذهبي فمضت مسارعةً لبيني

قال : وأعطاه بعض الأمراء عمامة حسنة فلبسها أياماً ، ثم باعها ، ولبس عمامة

---

(١) سينشد البيتين فيما يأتي لأحمد بن محمد بن عبد الكريم النحوي.
(٢) بكرت : أتته باكراً.
(٣) المرزم : المطر المصحوب بالرعد.
(٤) الحين : الأجل.

لطيفة ، ومشى ، فقال بعض من رآه : ثقلت عليه العمامة فباعها . فقال ارتجالا [من الكامل] :

قالـوا عسـى ثقلـت عليـ ـه فباعهـا من غير عدمِ
والله ما ثقلـت علـيَّ عمامتـي بل خفَّ كمي

وقوله [من الطويل] :

وكم آمـرٍ بالصبـر لم يرَ لوعتي وما صنعـت نار الأسى بين أحشائي
ومـن أين لي صبـرٌ وفـي كلِّ ساعةٍ أرى حسناتـي في موازين أعدائي ؟

وقوله [من الوافر] :

ومعتـذر العـذار إلى فؤادي لجـرمٍ سابـقٍ من مقلتيهِ
وكم أعرضـتُ عنـه فأعرضـتْ بي عن الإعـراض خضـرةُ عارضيهِ
ولمّـا قلـت إنّ الشعـر يسعى لقلبي في الخلاص سعـى عليهِ

وقوله [من مجزوء الرمل] :

لحـظـاتٌ تتـرامـى بي الى المرمـى القصيِّ
طـرحتني مـن عليٍّ بيـن ألحـاظ علـيٍّ
فادّعـى رقـي ومـا رقـى بدعـوى المدّعـي
أنـا عبـد المحسـن الصو ريّ لا عبـد المسي

وقوله [من مجزوء المتقارب] :

جنـى ما جنـى وانصرفْ وأنـكر ثـمّ اعترفْ
وظـنّ بـأن القصـا ص يمنـع منـه الترف
سلـوا صدْغَـهُ لِمْ جرى ؟ ولمّـا جرى لِمْ وقفْ ؟
وكـان علـى أنّـه يجـوز المـدى فانعطـف

وقوله [من مجزوء الرمل] :

بـالـذي ألهـم تعذيـــــــبـي ثنـاياك العـذابا
والـذي ألبس خدّيـــــــك مـن الـورد نقابا
والـذي صيّـر حظي منـك هجـراً واجتنابا
يـا غزالاً صاد باللّحـــــــظ فـؤادي فأصابا
مـا الـذي قالتـه عينا ك لقلبـي فأجـابا ؟

وقوله [من السريع] :

تعلّمـت وجنتـه رِقيةً لعقـرب الصـدغ فمـا تلسعُ
صمّت عن العـاذل في حبِّهِ أذني فمـا لي مسمـعٌ يسمعُ

وقوله في صبي اسمه عمر [من السريع] :

نادمنـي من وجهـه روضةٌ مشرقـةٌ يمـرح فيهـا النّظر
فانظـر معـي تنظـر إلـى معجزٍ سيف علـيٍّ بين جفنـي عمرْ

وقوله [من الطويل] :

زففـت إلـى نبهـان من عفـو فكرتي عروساً غدا بطن الكتاب لهـا خدرا[1]
فقبّلهـا عشـراً وهـام بذكرها فلمّـا ذكرت المهـر طلّقهـا عشرا

وأنشدني له وقد مر بقبر صديق له [من الخفيف] :

عجبـاً لي وقـد مررت بآثا رك أنّـي اهتـديت قصـد الطريقِ
أترانـي نسيت عهـدك يوماً صدقـوا ما لميّتٍ من صديق

---

(١) الخدر : الستر والخباء .

وقوله [من الخفيف] :

أمنـون بدت لنـا أم جفونُ حركاتٌ للسّقـم فيهـا سكونُ
بعتهـا ما حييت طول هجوعي بدمـوعي فأيّنـا المغبـون ؟[1]

وقوله [من الطويل] :

تعلّقتـه سكران من خمـرة الصبا به غفلـةٌ عـن لوعتـي ولهيبي
وشاركنـي في حبّـه كلُّ أغيدٍ يشاركنـي في مهجتـي بنصيبِ
فلا تلزمونـي غيرةً ما عرفتها فإنّ حبيبـي مَنْ أحـبَّ حبيبي

وقوله [من السريع] :

قلـت وقـد أوردنـي حبُّهُ مـوارداً ليس لهـا مصدرُ
أفسـدت دنياي ولا دين لي تفسـده فاصـدعْ بمـا تؤمرُ[2]

وقوله [من الطويل] :

أتابعـت أهـل البيعـة اليوم في دمي غلبـت فخـذ أخطارهـم وتقدَّمِ
ولا تورثـنْ عينيك سقمـي فإنّهُ حرامٌ علـى الذّمـيِّ ميراثُ مسلمِ

وقوله [من السريع] :

رأيت ما لم يره رائي ماءً غدا يسبـح في ماءِ
أومـأت باللحـظ إلـى جسمه فكاد أنْ يدميه إيمائي

وقوله [من مجزوء الكامل] :

ظبـيٌ أقـامَ قيامتـي من قبـل أنْ تأتـي القيامهْ

---

(١) المغبون : المنتقص حقّه.
(٢) اصدعْ : امتثل.

عـطـب القلـوب جفونـه فعـلام سمّـوه سلامـهْ ؟

وقوله [من الخفيف] :

ولئـن كنـت قد رحلـت بقلبي فاعلمـي أن سرّ حبـك فيهِ
لا تقـولي ضيّعتـه بعـد بين ضيعيه إن شئـت أو فاحفظيه

وقوله [من مجزوء الكامل] :

رقّـت فكادت لا تـرى فـي كأسـهـا إلاّ التّماسا
لـولا الحبـاب لخالهـا شرّابهـا فـي الـكأس كاسا

وقوله [من المنسرح] :

لمّـا تبيّنـتُ أنَّ حبّكمْ يحسـن عنـدي وليس يحسـن بي
بشّـرت طرفـي بحسـن عاقبتي فيكم وقلبـي بسـوءِ منقلبي

وقوله [من الخفيف] :

يا مطيع العـذول في عصياني ومذيقـي حـرارة الهجـران
اتـق الله لا ترعنـي بالصـدّ وجـازِ الإحسـان بالإحسان[1]
كيف أبقـى علـى الزمـان وهجرا نك ممّـا جنـت صروف الزمان
صرت أجفوك مكرهـاً وعلـى الحـبّ دليلٌ من ناظـري ولساني
فـإذا عدت بالتجلُّـد عنكمْ كذّبتنـي نواظـر الأجفان
كيف تجنـي ولا تخـاف عقاباً وفـؤادي معاقـبٌ غير جاني
خـلّ ما بين مقلتيك وقلبي فعلينـا يدٌ من السلطـانِ
لا تكونـن ثالثـاً لقويّـن فلـو كان واحـدٌ لكفاني
لك والله في صميم فؤادي لذّةُ المـاء في فم العطشان

---

(١) ترعني : تخفني ، والصدّ : الإعراض.

وقال يهجو بعض من أضافه [من الخفيف] :

وأخٍ مسَّه نزولي بقرحٍ ... مثل ما مسّني من الجوع قرحُ[1]
قيل لي إنّه جوادٌ كريمٌ ... والفتى يعتريه بخلٌ وشحُّ
بت ضيفاً له كما حكم الدهـ ... ـر وفي حكمه على الحرِّ قبحُ
قال لي إذ نزلت وهو من السكـ ... ـرة والهمّ طافحٌ ليس يصحو
لِمْ تغرَّبت قلت قال رسول اللـ ... ـه والقول منه نصحٌ ونجحُ
سافروا تغنموا فقال وقد قا ... ل تمام الحديث صوموا تصحّوا

وقوله [من الخفيف] :

بدر تمٍّ يثنيه دعصٌ وخوطُ ... عذري في عذاره مبسوطُ
أيّ درٍّ للثقب أيُّ كتابٍ ... لو تأتَّتْ بصفحتيه الخطوط
وإذا اغترّ قلت ظبيٌ غريرٌ ... وإذا افترَّ قلت درٌّ سقيط[2]

وقوله [من الرجز] :

يستوجب العفو الفتى إذا اعترفْ ... وتاب مما قد جناه واقترفْ
لقوله قل للذين كفروا ... إن ينتهوا يُغفر لهم ما قد سلفْ

وقوله [من المنسرح] :

طرَّةُ مسكٍ وشاربٌ أخضرْ ... وثغرُ درٍّ ومقلتا جؤذرْ[3]
ريمٌ إذا رمت أن أكلّمه ... كلّمني من جفونه خنجرْ
وإن تعوّضت من عوارضه ... لثماً تجنّى عليَّ واستكبرْ[4]

---

(١) القرح : الجرح ، والمرض.
(٢) افتر : ضحك وتبسّم.
(٣) الجؤذر : البقر الوحشي.
(٤) تعوّض : استبدل.

كأنّ خيلانه ووجنته سماء حسنٍ نجومها تزهرْ
سبحان من صاغه على قدرٍ فذلك الله خير من قدَّرْ

وقوله [من السريع] :

يا حار إنّ الركب قد حاروا فاذهب تجسّس لمن النّارُ
تبدو وتخبو إنْ خبت وقفوا وإن أضاءت لهم ساروا[1]
قام عليها موقِّد مرشدٌ له بفضل الزّاد إيثار
فلا تلوموني إذا مسّكم أو مسّها من قربكم عار
وسائلٍ يسأل عن حالتي قلت كما تهوى وتختار
وأين ما أسررت في لحظه ممّا أسرّ الطين والقار[2]
ما نظرةٌ إلاّ لها سكرةٌ كأنّما طرفك خمّارُ
هذا هوىً يصدر عنه جوىً تتلوه لوعاتٌ وأفكارُ
وهذه أفعالها هذه ما بعد رأي العين إخبار
ولست أعتدُّ عليك الضّنا ألست من جفنيك أمتار![3]

وقوله [من الطويل] :

هواي الذي أبدى وأضمره يحيى وسؤليَ في دار الخلود وفي الدُّنيا
وعيني التي أرعى بها من يودّني وكفّي التي أرمي الأعادي بها رميا
أأصبر عن يحيى وأطوي وصاله إذاً فطواني عنه صرف الرّدى طيّا
كتمت الهوى جهدي ونفّيت طاقتي وقد زاد حتى ما أطيق له نفيا
يودُّ أناسٌ لو عميت عن الصّبا إذاً فأراني الله أعينهم عميا

---

(1) خبت : انطفأت أو ضعفت.
(2) القار: القطران.
(3) أمتار : أجمع الطعام والمونة ، أتغذى.

فمــا بالهــم لا قدّس الله بالهم ولا حاط ميتــاً منهــمُ لا ولا حيّا
يلومــون في يحيى ولــو أنّ لائماً رأى وجهــه لاستقبــح اللــوم واستحيا
فيا منيتــي كم فيك عاصيت عاذلاً أرى غيّهــم رشــداً ورشدهــم غيّا
وكم جاءنــي ما قالــه فيك كاشحٌ فزدتــك حبّــاً كلّمــا زادنــي نعيا[1]
أأسمــع فيك العــذل ممّــن يلومني فلا سمعــت أذنــي إذاً بعدهــم شيّا
فمــا أحســن الــدنيا إذا كنــت جانبي وإن غبت عن عيني فمــا أقبح الدّنيا

وله يهجو [من مجزوء الرجز] :

حــديثــه كــالحــدث يرفــث كــلّ الرفــث[2]
يــودُّ مــن يسمعــه لــو أنّــه فــي جــدث[3]

وله يرثي [من الكامل] :

قالــوا ألــم تحضــر علياً بعــد ما دفنــوه قلــت هنــاك بئس المحضرُ
لا أستــطيع أرى المعالــي بينكم محمولــةً وأرى المــكارم تقبرُ
لم يمض قبلك من أراه أسوةً فأقــول هذا مثــل ذاك فأصبرُ
قد كنــت جزءاً والأكارم كلُّهم جزءٌ ، ولــكنّ الأقــل الأكثر
ما كان أكثرهــم وأنــت جليسهم وأقلّهــم إذ شيّعــوك ، وكبّروا

ومما يتغنى به من شعره قوله [من الخفيف] :

ما عليهــا سهــرت أم بتّ نائمْ بعــد أن لا يلــمَّ بي طيف حالمْ
تسأل النــاس كيف حالــي ومــن أعــــلــم منهــا ؟ وفاعــل الشــيء عالمْ
وغــزالٍ أغــنّ أغيد ساجــي الطـــــرف مستحســن الخلائــق ناعم[4]

(١) الكاشح : المبغض.
(٢) الحدث : ما يخرجه المرء من فضلات وريح والرفث: الجماع والفحش.
(٣) الجدث : القبر.
(٤) الأغن : الذي في صوته غنّة ، وساجى الطرف : ساكنه .

لم يصلني ولم يعدني وقال اكتم فماذا أسرّ حتّى أكاتمْ

وقوله [من المنسرح] :

قبلتها أشتفي بقبلتها فزادني ذلك اللّمى ألما[1]
وساءلتني عن مبتدا سقمي مسقم جفنيك مسقمي بهما

وقوله [من السريع] :

يا علّة الأجفان كفّي كفّي ما حملت منك وما استوثقتْ
وساعدينا واعلمي أنّها قد نذرت قتلي وما أعتقتْ

وقوله [من البسيط] :

أرى الليالي إذا عاتبتها جعلتْ تمنُّ أن جعلتني من ذوي الأدبِ
وليس عند الليالي أنَّ أقبح ما صنعن بي أنْ جعلن الشعر مكتسبي
إن كان لا بدّ من مدحٍ فها أنا ذا بحيث آمن في قولي من الكذب

وقوله [من الطويل] :

إذا كسدت سوق الثناء فجوده طلوبٌ لأسباب الثناء كسوبُ
تضيق بما تحوي يداه ، وصدرهُ بتفريق ما تحوي يداه رحيبُ

وقوله [من الخفيف] :

وغزالٍ مثل الغزالة يحكيـ ـها كمالاً إلاّ بقلب وودّ
رقّ جسماً فرقّ دمعي عليه فجرى مثل خدّه فوق خدّيَ

وقوله [من السريع] :

والله ما عورضتُ في مهجتي إلاَّ لأن أرفع عنها يدي

---

(١) اللّمى : السمرة في الشفة.

الأهيف الأغيد والنفس ما آلفها للأهيف الأغيدِ[1]
يعجبها أن ترتدي حسنه والحسن قد يُردى به المرتدي[2]
طوفان نوحٍ طبّق الأرض لا يبرح منها آخر المسند
طاف علينا فاستوينا على الـجوديّ من جود أبي أحمد[3]
أبو العلا إذْ ذكرتْ وابنها يا ذا المكانين من السؤدد
غيَّر من حالي ومن نيّتي في غيره كم مصلحٍ مفسد
لو كان من أحبته بعض ما في يده زارت بلا موعد

وقوله من قصيدة [من الطويل] :

فتىً كلّما قالوا تناهى صعوده إلى كلّ مجدٍ خالف القول صاعدا
ترى كلَّ ملقى المقاليد في الوغى إليه إذا لاقاه ألقى المقالدا[4]
ولست ترى بيتاً من المجد أو ترى من الجود أركاناً له وقواعدا
لقد شرّفتْ أبيات عوفٍ وطهَّرتْ من الرّجس حتى خلتهن معابدا[5]
وكلٌّ يعاف الورد من بعد ربّه وأرماح عوفٍ لا تعاف الموردا[6]
ترى منهم يوم الوغى كلّ ناشرٍ من النقع فوق الدار عينٌ مطاردا
ينالون ما أمسى بعيداً مناله كأنّهم طالوا الرماح سواعدا
وقلّبت الهيجاء أعيان خلقهمْ فقد وثبوا أسداً ودبّوا أساودا[7]

---

(١) الأغيد : الجميل ، وآلفها : من الألفة ، وهي الصحبة والمحبة .
(٢) يردي : يقتل .
(٣) الجودي : جبل في العراق ، استوت عليه سفينة نوح عليه السلام بعد الطوفان .
(٤) المقالد : القيادة ، أي أوكله بالأمور .
(٥) الرجس : الاثم .
(٦) يعاف : يملّ .
(٧) الأساود : الحيّات ، واحدها أسود .

على أنَّ من لاقيتَ منهـم مسالماً لقيت به نوء السِّماك مجاودا[1]

وقوله [من البسيط] :

وقـد حسـدتَ على ما بي فواعجبي حتّى على الموت لا أخلـو من الحسد
ما بعتـكم مهجتـي إلاّ بوصلكمُ ولا أُسلِّمهـا إلاّ يداً بيدِ

ومن قصيدة يقول في مدحها [من الخفيف] :

طالما جاد لي وظـنٌّ بأنّ الـــجـود يبلي في كلٍّ يومٍ مجدّدْ
بيمـينٍ طالـت فكم تضرب الأيـ ـام عنّـي بهـا وكم تتجلَّدْ
أحسـن الفعـل بي فأحسنـت قولاً فاشتبهنـا فقيل جادٌ وجوّدْ

وقوله [من الكامل] :

وغـريرةٍ مغـرورةٌ بجمالها وتظـنُّ أنّ المنتهى كالمبتـدي
ظلت تناكرنـي الهـوى من بعـد ما اعــترفـت به زمنـاً فقلـت تقلّدي
ليكن عقابـك لي بقـدر تجلّدي لا بالنـوى فضعيفـةٌ عنهـا يدي

وقوله في أبي الجيش حامد بن سلهم [من الكامل] :

ما زال ينحلنـي أبـو الجيش اسمهُ فيما يجـدّ وكلُّ يومٍ جودا
حتـى غدوت أنـا المسمـى حامداً وغـدا يسمـى حامـداً محمودا

وقوله [من البسيط] :

نام الخليون من حولي فقلـت لهمْ : ما كلُّ عـينٍ لهـا عـينٌ تسهِّدها
لا تنـكروا عقلتـي عامـين في يده فإن صيداء معـروف تصيُّدها[2]

---

(١) نوء السماك : نجم السِّماك المضيء ومجاودا : متكرّماً.

(٢) عقلتي : عِقالي وأسري.

كأنّما أهلها أهل المقيم بها فذلك الزهد في الأوطان يبعدها

وقال يهجو أخاه عبد الصمد [من الرمل] :

قال لي : أنت أخو الكلب ، وفي ظنّه أنْ قد تناهى واجتهدْ
أحمد الله كثيراً أنّهُ ما درى أني أخو عبد الصمدْ

وقوله من قصيدة أولها [من السريع] :

لا بتماديك على هجري ولا بإكثارك من ذكري
عهِدتكم من حيث عاهدتكمْ لم تعرفوا شيئاً سوى الغدر
فما لكم لمّا نذرتم دمي صرتم من الموفين بالنذر
جاءت عطاياك موفّرةً فلم يكن عندي سوى النشر[1]
مقرونةً بالعذر إنّي لفي التـ ـقصير أولى منك بالعذر

وقوله من قصيدة أولها [من المنسرح] :

حتّى متى كلّ مشتكٍ زاجرْ واللوم مثل الهوى بلا آخرْ
كم عاذلٍ عاشقٍ وكنت أرى أنّ الذي جرّب الهوى عاذرْ
يا نافراً نفرة الغزال وكا ن الحزم لو أنني أنّا النافرْ
يبيت ما تستعدّ مقلته من خمرها فوق ثغره قاطرْ
فطرفه عاصرٌ وليس به خمرٌ وفوه خمرٌ بلا عاصرْ
وشادنٍ طائفٌ على نفرٍ شخص الكرى من يمينه دائرْ
صرّعهم حوله وأوجسهم بما اشتكى نائبٌ له ساهر[2]
فحثني ساعةً فلم ترني في أثر القوم بعدهم سائر
فقال أوصيك بي وأسلمه الـ ـصبر على رغمه إلى الصابر

(١) في الأصول : «جاءت عطاياك موفورة » وغيرّناها لإقامة الوزن .
(٢) أوجس : شعر وأحسّ .

فبتُّ في روضه ألفٌ على الـغـادة طرفي وأمرح الناظر

يقول في مدحه بالكتابة وأجاد :

لا يخطر الفكر في كتابته كأنَّ أقلامه لها خاطر
القول والفضل يجريان معاً لا أوَّل فيهما ولا آخر

وقوله [من مجزوء الكامل] :

وأغنّ أغيد، ودُّه مستأنسٌ بي، وهو نافرْ
إن قلت زرني قال نمْ فالطيف ليس يزور ساهر
ويقول لي فيما يقو ل نعم وما للقول آخر
حتّى أشاور قلت لـكنّي هويت ولم أشاور !

وقوله [من الخفيف] :

سهلت عنده المسالك حتّى أوصلته إلى العلا وهي وعرَهْ
ثم هامت به المعالي فصارتْ تتقي صدّه وتحذر هجرَهْ

وقوله من قصيدة يقول فيها [من المتقارب] :

هلموا اسألوا عن سلوٍّ يباعْ أو استخبروا عن كرىً يكترى[1]
هل الناس مثلي ؟ وإلاّ فما أشدّ القلوب وما أصبرا
وصفراء تنفذ من كأسها فتترك ما حولها أصفرا
بمدٍّ إذا شعشعت كالهباء لمن كان قدّامها أو ورا[2]
وفي القوم من لم يكن عنده إذا سكر القوم أن يسكرا

---

(١) الكرى : النعاس : ويكتري : يشتري.

(٢) شعشعت : أضاءت ، والهباء : غبارٌ دقيق يظهر مع نور الشمس إذا دخلت من كوّة بيت مظلم.

سقاني وشدّ معي مئزراً ... فما شدّ من بعدها مئزرا

وقوله [من البسيط] :

عندي حدائق شكرٍ غرسِ جودكم ... قد مسّها عطشٌ فليسقِ من غرسا
تداركوها وفي أغصانها رمقٌ ... فلن يعود اخضر العود إنْ يبسا

وقوله من قصيدة يقول في مدحها [من الكامل] :

بئس السياسة والرياسة منزلٌ ... أصبحت وحدك في ذراه مقيما
وجعلت تفعل مثل ما فعل الألى ... فيه وتتخذ الخطوب خصوما
ولو اختصرت على القديم كفى العلا ... إنّ القديم ليوجب التّقديما
للحادثات معي حديثٌ مبهمٌ ... أضحى النّهار عليَّ منه بهيما
وصناعتي عربيّةٌ وكأنّني ... ألقى بأكثر ما حفظت الرّوما
فلمن أقول وما أقول فأين بي ... فأسير أولا أين بي فأقيما
وإذا اشتكيت إلى امرىءٍ ما حلَّ بي ... فأقول يرحمني أراه حليما

وقوله من قصيدة يقول فيها [من الطويل] :

يروح إلى كسب الثناء ويغتدي ... إذا كان همّ الناس كسبُ الدراهمِ
وإن جلس الأقوام عن واجب الندى ... وحق العطايا كان أوّل قائمِ
يزيد ابتهاجاً كلما جاء قاصدٌ ... كأنّ به شوقاً إلى كلِّ قادمِ

وقوله [من السريع] :

إنّ لها من لوعةٍ شانا ... أضرمت الأحشاء نيرانا
وحالفت دمعي فلم يطفها ... وقد جرى سحّاً وتهتانا[1]

---

(١) سحّاً : متصبباً، والتهتان : المطر الذي يتقطع ثم يعود فيهطل.

وآل ما زال عدوّاً لها مذ كانت النار ومذ كانا[1]
لكنّ في حيني وفي شقوتي ما يجعل الأعداء خلاّنا[2]
وغادةٍ قمت لتوديعها أسعى إلى التفريق عجلانا
فغاض دمعي وجرى دمعها زوراً على الحبِّ وبهتانا
ثم انثنت قائلةً : ما له لم يبكه البين وأبكانا ؟
فقلت : جار الدمع في حكمه ففاض من أجفان أجفانا[3]

وقوله [من السريع] :

ما زال يبني كعبةً للعلا ويجعل الجود لها ركنا
حتى أتى الناس فطافوا بها وقبّلوا راحته اليمنى

وقوله في أبي الجيش حامد بن سلهم [من الطويل] :

أبا الجيش ، حسب الشعر ما أنت صانعٌ فقد عجزت عن وصف ذاك القصائدُ
أما انصلحت للمال منك طويّةٌ فتصلحه حتى متى أنت حاقدُ[4]
سبقتَ بني الدنيا فما هبَّ قائمٌ سواك إلى جودٍ ولا قام قاعدُ

وقوله [من السريع] :

ومن بني القواد من بغته عن سيفه سيوف أجفانهِ[5]
سلطان عينيه له سطوةٌ أشدّ من سطوة سلطانهِ

---

(١) آل : أقسم .
(٢) الحين : الموت والخلاّن : الأصحاب .
(٣) جار : ظلم ، وأجفانا : أكثرنا جفاءً وهجراً .
(٤) الطوية : دخيلة النفس ، وما تضمره .
(٥) في الأصول : «عن سيفه سيف أجفانه» وغيرّناه لإقامة الوزن .

وقوله [من الكامل] :

يا ذا الـذي في خدّه جيشـان من زنـجٍ وروم
هـذا يغـير على القلو ب وذا يغـير على الجسوم
إنّـي وقفـت من الهوى في موقفٍ ضنـكٍ عظيم
كوقـوف عارضـك الـذي قد حار في ماء النعيم

وقوله [من الخفيف] :

غنّنـي يا أعـزّ ذا الخلـق عندي حيٍّ نجـداً ومـن بأكنـاف نجد[1]
واسقنـي ما يصـير ذو البخـل منه حاتمـاً والجبـان عمـرو بن معدي
لي ومـا فوق وجنتيك من الو رد مدامٌ كالمسـك في لون ورد
فاسقينهـا ملأى فقـد فضـحَ الليـ ـلَ هلالٌ كأنّـه فتـرُ رندٍ[2]
والثـريا خفّاقـةٌ بجنـاح الـ ـغـرب تهـوي كأنهّـا رأس فهد
في أوان الشبّـاب عاجلنـي الشيّـ ـب فهـذا من أوّل الـدنّ دردي[3]

وقوله [من السريع] :

إنّ خيالاً زارنـا وهنا من عنـدكم هاج لنـا حزنا
أحبابنـا ، لا بلغـتْ منكم أيدي النّـوى ما بلغـت منّا
فلـم يغـبْ عنـكم على بعدكم ما فعلـت غيبتـكم عنّا
أيسر ما في عهـدكم أننا لمّا حفظنـا عهـدكم ضعنا

* * *

(١) الكناف : الجنبات .
(٢) الفتر : ما بين الخنصر والابهام والرند : عودٌ طيب الرائحة .
(٣) دردي : أي الكدر الذي يبقى في أسفل الإناء راسباً .

٢٤ ـ أحمد بن سليمان الفجري

شاعر ماهر ، كتب إلى عبد المحسن الصوري هذه الأبيات [من الوافر] :

أعبدَ المحسنِ الصوريّ لم قدْ ... جثمت جثوم منهاضٍ كسيرِ ؟[١]

فإن قلت العبالة أقعدتني ... على مضضٍ وعاقت عن مسيري[٢]

فهذا البحر يحمل هضب رضوى ... ويستثني بركنٍ من ثبير[٣]

وإن حاولت سير البرّ يوماً ... فلست بمثقلٍ ظهر البعير

إذا استحلى أخوك قلاك يوماً ... فمثل أخيك موجودُ النظير[٤]

تحرّك علَّ أن تلقى كريماً ... تزول بقربه إحن الصدور[٥]

فما كلُّ البرية من تراه ... ولا كلُّ البلاد بلاد صور

فأجابه عبد المحسن [من الوافر] :

جزاك الله عن ذا النصح خيراً ... ولكنْ جاء في الزمن الأخيرِ

وقد حدَّتْ لي السّبعون حدّاً ... نهى عما أمرت من المسير

ومذ صارت نفوس الناس حولي ... قصاراً عدت بالأمل القصير

* * *

٢٥ ـ أبو حامد أحمد بن محمد الأنطاكي المعروف بأبي الرقعمق

نادرة الزمان، وجملة الإحسان ، وممن تصرف بالشعر الجزل ، في أنواع الجد

---

(١) المنهاض : المقعد.

(٢) العبالة : الضخامة : والمضض : الألم والإرغام.

(٣) رضوى : إسم جبل معروف ، وثبير إسم جبل.

(٤) قلاك : أبغضك.

(٥) إحن الصدور : أحقادها.

والهزل ، وأحرز قصب الفضل ، وهو أحد المداح المجيدين ، والفضلاء المحسنين ، وهو بالشام كابن حجاج بالعراق ، فمن غرر محاسنه قوله يمدح من قصيدة أولها [من الخفيف] :

قد سمعنا مقاله واعتذارهْ ... وأقلناه ذنبه وعثاره[1]
والمعاني لمن عنيت ، ولكن ... بك عرَّضتُ فاسمعي يا جاره
من مراديه أنه أبد الدهـ ... ـر تراه محلّلاً أزراره
عالمٌ أنّه عذابٌ من اللـ ... ـه مباحٌ لأعين النظّاره
هتك الله ستره فلكم هتّـ ... ـك من ذي تستّرٍ أستاره
سحرتني ألحاظه وكذا كـ ... ـلّ مليحٍ لحاظه سحّاره
ما على مؤثر التباعد والإعـ ... ـراض لو آثر الرضى والزياره
وعلى أنّني وإن كان قد عذّ ... ب بالهجر مؤثرٌ إيثاره
لم أزل لا عدمته من حبيبٍ ... أشتهي قربه وآبى نفاره

يقول في مدحها :

لم يدع للعزيز في سائر الأر ... ض عدوّاً إلاّ وأخمد ناره
فلهذا اجتباه دون سواه ... واصطفاه لنفسه واختاره
لم تشيِّدْ له الوزارة مجداً ... لا ولا قيل رفَّعتْ مقداره
بل كساها وقد تخرّمها الدهـ ... ـر جلالاً وبهجةً ونضاره[2]
كلُّ يومٍ له على نُوَبِ الدهـ ... ـر وكرِّ الخطوب بالبذل غاره[3]
ذو يدٍ شأنها الفرار من البخـ ... ـل وفي حومة الوغى كرّاره

---

(١) أقلناه : أعفيناه : والعثار : من التعثر أي السقوط في الخطأ وغيره.
(٢) تخرّمها الدهر : ترك بها خروماً.
(٣) كرِّ الخطوب : تجدّدها واستمرارها.

هـي فلّتْ عن العـزيز عداه بالعطـايا وكثّـرت أنصاره[1]
هـكذا كلُّ فاضـلٍ يده تمـــسي وتضحـي نفّاعـةً ضرّاره
فاستجـره فليس يأمـن إلاّ من تفيّا بظلّـه واستجاره
فـإذا ما رأيتـه مطرقـاً يُعـمِـل فيما يريده أفكاره
لـم يدع بالـذكاء والذهـن شيئاً في ضمـير الغيوب إلاّ أناره
لا ولا موضعـاً من الأرض إلاّ كان بالـرأي مدركاً أقطاره
زاده الله بسطـةً وكفاه خوفـه من زمانـه وحـذاره[2]

وقوله من أخرى أولها [من الخفيف] :

إنّ ربعـاً عرفتـه مألوفا كان للبيض مربعـاً ومصيفا
غيّرت آيةُ صروف الليالي وغـدا عنـه حسنـه مصروفا
مـا مررنـا عليه إلا وقفنا وأطلنـا شوقـاً إليه الوقوفا
آلفـاً فيه للبـكاء كأنّي لم أكن فيه للغوانـي ألوفا
حاسـداً للجفـون لمّا أزالت في مغـانيه دمعهـا المذروفا
إنّ يعقـوب قد أفـاد وأقنى وأعـاد النـدى وأغنـى الضعيفا[3]
سـلّ سيفـاً من البصيرة والرأ ي فأغنـاه أن يسـلّ السيوفا
بـاذلاً للعـزيز دون حمـاه مهجـةً حرّةً ورأيا حصيفا
لـم تزل دونـه تخـوض المنـايا وتـردُّ الـردى وتلقـى الصفوفا
ناصحـاً مشفقـاً محبّـاً ودوداً قائمـاً في رضـاه صعبـاً عسوفا
ليس يخشـى فسـاد أمـرٍ تولاه وأضحـى برأيه مكنوفا[4]

---

(١) فلّت : قطّعت.
(٢) البسطة : القوة والهيبة .
(٣) أقنى : أملك واعطى.
(٤) مكنوناً : محاطاً .

ما رأيناه قطُّ إلاّ رأينا خلقاً طاهراً وفعلاً شريفا
ورأينا قرماً كبيراً هماماً منعماً مفضلاً رحيماً رؤوفا[1]
لذّ طعم العطاء وهو إذا جا د وأعطى يرى الكثير طفيفا[2]
خلقٌ منه - منذ كان - كريمٌ يستلذُّ النّدى ويقري الضيوفا
ويريش الفقير بالبذل والجو د ويعطي ويسعف الملهوفا[3]
فأرانا الإله صرف الليالي أبداً عن فنائه مصروفا

وقوله من أخرى [من المجتث] :

حيّ الخيام فإنّي مغرى بأهل الخيامِ
بالراميات فؤادي بصائبات السّهامِ
أسقمتني وتألّيـ ـن لأشفين سقامي[4]
أيام وصلي حرامٌ والهجر غير حرام
لا عذب الله قلبي إلاّ بطول الغرام
سقياً لدهر تولّى بشرّتي وغرامي[5]
كأنّما ذلك العيـ ـش كان في الأحلام
لم يبق من نرتجيه لحادث الأيام
إلاّ ابن أحمد ذو الطو ل والأيادي الجسامِ
كفاه أغدق جوداً من واكفات الغمامِ
يلقى العفاة بوجهٍ مستبشرٍ بسّامِ

---

(١) القرم : السّيد.
(٢) الطفيف : القليل.
(٣) يريش : يقوّي ويغني.
(٤) تألّين : أقسمن ودعون الله.
(٥) الشرّة : حدّة الشباب ونشاطه.

معظّماً ترتجيه للنائبات العظامِ
يرمي الخطوب برأيٍ أمضى من الصمصام
قرمٌ له عزماتٌ تفلُّ حدَّ الحسام

وله من أخرى [من المتقارب] :

توهّمت أمراً فلم أنبسِ بحرفٍ وناديت بالأكؤسِ
حميّا كأنَّ سنا نورها سنا بارقٍ لاح في الحندسِ[1]
يعاطيكها رشأٌ طرفُهُ سريعٌ إلى تلف الأنفس
بخدٍّ يروقك توريده وعينٍ تنوب عن النرجسِ

يقول في مدحها :

له قلمٌ أبداً ناطقٌ بأسعد قومٍ وبالأنحسِ
إذا ما انتضاه لأمرٍ رمى به الدّهر عن صائبات القسي[2]
رآه الوزير على غايةٍ من الفضل تعلو على الخنّسِ[3]

ومن أخرى [من الوافر] :

أظنّ ودادها من غير نيّة وهل هي فيه إلاّ مدّعيّهْ
فتاةٌ لا تملُّ عذاب قلبي ولا تخليه وقتاً من أذيّهْ
ولا ذنبٌ له إلا التوافي لمن في الحبّ ليست بالوفيّهْ
ويعجبني التمنّع والتشاجي من الخود الممنّعة الشجيّه[4]
فوا أسفاً على حرٍّ يعزّي أخا رزءٍ على عظم الرزيهْ[5]

---

(١) الحميّا : الخمر ، والحندس : الظلام.
(٢) انتضاه : استلّه وشهره ، والقسيّ : جمع قوس .
(٣) الخنّس : الكواكب .
(٤) التشاجي : شدّة الشوق والتذكرّ والخود : الفتاة الناعمة .
(٥) الرزية : المصاب.

ومنها[1] :

وذلك أنّ إيري فيه رطلٌ ... وما في حرّها إلاّ وقيّهْ

ومن بعث المدام فليس بدٌّ ... ولاتك غير بكرٍ بابليّهْ

فثمّ هناك حرٌّ شافعيٌّ ... عظيم الشأن واستٌ مالكيّهْ

ونفسي غير مائلةٍ إليها ... لأحوالٍ مقبّحةٍ بذيّهْ

أحبُّ دنوّها وتحبُّ قربي ... وهذا لا يكون بلا بليّهْ

وما لاقيتها إلاّ تلاقى ... مبالانا بإسقاط التقيّهْ

وهذا الرأي لا رأيٌ سواهُ ... فلا تحفل بأقوال الرعيّهْ

ولا عيشٌ سوى تقليب بظرٍ ... وثقبٍ من صبيٍّ أو صبيّهْ

على أنّي أقول بكلِّ شيءٍ ... سوى نيك العجوز القذمليّهْ[2]

ولا ألوي على أحدٍ يراني ... بعين النقص والحال الدنيّهْ

ومن نال العلاء حجاً ومجداً ... وأفعالاً مهذّبةً سنيّهْ[3]

تشابه خلقه والخلق حسناً ... وحسبك بالنّفاسة والسجيّهْ

تشاهد منه طوداً مشمخرّاً ... وأفعال الملوك الكسرويهْ

له الأقلام كيف يشاء تجري ... بتأييد القضاء بالمشيّة

كأنّ اللفظ في القرطاس زهرٌ ... تفتّح عن معانٍ معنويّهْ

ومن أخرى [من البسيط] :

كفِّي ملامك يا ذات الملاماتِ ... فما أريد بديلاً بالرّقاعاتِ

---

(1) لم نشأ أن نحذف شيئاً ممّا في هذا الكتاب من المجون ـ كما يفعل بعض الناشرين ، تحرّجاً منهم وتأثماً كما يزعمون، وحرصاً على مكارم الأخلاق لأنّا لا نؤلّف ، وإنّما نحقق نصاً قيدّه صاحبه في زمنٍ كان الناس فيه أشدّ تحرّجاً من هذا الزمن الذي نعيش فيه ، ولأنّا نرى من حقنا ان نتصرّف في كتب الناس ثم نبقيها منسوبة إليهم . . .

(2) القذملية : الواسعة .

(3) الحجى : العقل والرأي .

كأنني وجنود الصفع تتبعني ... وقد تولت مزامير الرطانات[1]
قسيس ديرٍ تلا مزماره سحراً ... على القسوس بترجيعٍ ورنّاتِ
وقد مجنتُ وعلّمت المجون فما ... أدعي بشيءٍ سوى ربٍّ المجاناتِ
وذاك أني رأيت العقل مطّرحاً ... فجئت أهل زماني بالحماقاتِ
إني سأدخل عذّالي على عذلٍ ... في الحبّ أن عذلوني في الحراماتِ
أفدي الذين نأوا والدار دانيةٌ ... وشتّتوا بالجفا شمل المودات
كم قد نتفت سبالي في صدودهم ... والصدّ أصعب من نتف السبالات[2]
سقياً ورعياً لأيّامٍ لنا سلفتْ ... بالقفص قصّرها طيب اللذاذاتِ
إذا لا أروح ولا أغدو إلى وطنٍ ... إلاّ إلى ربع خمّارٍ وحاناتِ
أيام أسحب أذيال الهوى مرحاً ... مصرّعاً بين سكراتٍ ونشواتِ
عوّضت منهن أحزانا تؤرّقني ... بعد السرور وفرحاتٍ بترحاتِ
لولا عذارٌ تعالى كيف صوّره ... ربٌّ العباد لتعذيبي وحسراتي
كأنّه مِشقةٌ من خدٍّ من شقيت ... روحي بهجرانه أو عطف نونات[3]
لما حللت بدارٍ مالها أحدٌ ... إلاّ أناسٌ تواصوا بالخساساتِ
لو كنت بين كرام ما تهضّمني ... دهرٌ أناخ على أهل المروءاتِ[4]

ومنها :

لو نيل بالمجد في العلياء منزلةٌ ... لنال بالمجد أعنان السمواتِ
يرمي الخطوب برأيٍ يستضاء به ... إذا دجا الرأي من أهل البصيراتِ
فليس تلقاه إلاّ عند عارفةٍ ... أو واقفاً في صدور السّمهريّاتِ[5]

---

(١) الرطانة : الكلام الأعجمي.

(٢) السبال : الشارب.

(٣) المشقة : طول ورقّة في الخد.

(٤) تهضّمني : أنقصني حقوقي ـ ظلمني.

(٥) السمهري : الرمح.

يا من غدت أوجه الأيام مشرقةً بجوده مستهلاتٍ منيراتِ
مالي بلا سبب غودرت مطّرحاً وقد حرمت عطاياك الجزيلاتِ
ولي مدائح قدماً فيك سائرةٌ مستطرفاتٌ بألفاظٍ طريفاتِ

ومن أخرى [من البسيط] :

كلٌّ بشعريَ مفتونٌ ومشغوفُ وجيّد الشعر منعوتٌ وموصوفُ
كلفت من أمرهم ما لا أقوم به ومن يقوم بأمرٍ فيه تكليفُ
لأنتفن سبالي طاعةً لهمُ والذّقن إن دام ذا الإعراض منتوفُ
أمسي وأصبح مجفوّاً ومطّرحاً هذا ورأسي وما والاه مكشوفُ
وبي وعندي وفي ملكي ولا رزقوا رزقي قذالٌ أصمُّ السمع مكفوفُ[1]
من تلك أقفية القوم الكشاخنة الـ ـفدم الذين لهم منها مجاديفُ[2]
مفوّقات بتنفيشٍ وأطبعها لا شكّ ما فيه تنفيشٌ وتفويفُ
معطوفةٌ وبنفسي يا ابن أمّ قفا على الأخادع مثنيٌّ ومعطوفُ
كم قاتلٍ ويداه في أطايبه وطيِّب الشيء مجنيٌّ ومقطوفُ
فإن يكن ذا فلا غروٌ ولا حرجٌ فللّيالي وللأيّام تصريفُ
هذا الذي من رآه دون ملمسه لم يأكل اللحم إلاّ وهو معلوف
ولم يمدّ إلى رأسٍ على طربٍ يديه إلاّ وفي اليمنى تطاريفُ[3]
بينا يرى الثوب منشوراً بلا سببٍ حتى يرى وهو بعد النشر ملفوفُ
فكم ألام ؟ وكم ألحى ؟ وهل حمقي إلاّ نتيجة رأسٍ فيه تخفيف ؟[4]
ألِفتهُ حسب مالي من محبّته دون البرية والمحبوب مألوفُ

---

(١) القذال: القفا.
(٢) الكشاخنة : الفسدة والفسقة والفدم الأحمق الغليظ.
(٣) التطاريف : من الأطراف.
(٤) ألحى : ألام .

إلف المكارم والجدوى فتىً أسدٌ محمدٌ خير من ناداه ملهوفُ
حرٌّ إذا ذكر الأحرار مشتملٌ على السّماح ببذل العرف معروفُ
بمثله يدفع الخطب الجليل إذا تصرّفت ببني الدّنيا تصاريفُ
ندبٌ نماه كرام سادةٌ نجبٌ شمّ الأنوف بها ليلٌ غطاريفُ[1]
تحصى النجوم ولا تحصى فضائله ولا يحيط بها وصفٌ وتكييفُ

ومن أخرى [من الهزج] :

لمن أمدح بالشعرِ؟ لمن أقصد ؟ لا أدري !
إلى من إنْ دجا خطبٌ ونابت نوب الدّهرِ
فقد والشفع والوتر ومن أقسم بالفجرِ
تحيّرت فما أدري الـذي أصنع في أمري
على أنّيَ بالدّهـر وبالأيام ذو خبرِ
ولكنّيَ للحيرة سكرانٌ بلا سكرِ
كأني لست مخلوقاً لغير الجهد والضرّ
ومذ كنت فمدفوعٌ إلى الفاقة والفقرِ
فما أصنع في مصر إذا لم أحظ في مصرِ؟
وفي الآفاق أقوامٌ يميلون إلى شعري
ونبّئت بأنّ القو م لا يخلون من ذكري
ففيم الترك للسير؟ وهل في ذاك من عذرِ؟
وقد قدّمت أثقالي وسيري غرّة الشهرِ
فأمّا أكثر الحمقِ فقد سيّرت في البحر
وباقيه معي يذهـ ـب في البرّ على ظهري

---

(١) الندب : السريع الى الفضائل والبهاليل : جمع بهلول، وهو السيد المحبّ للخير وكثيرة والغطاريف : جمع غطريف وهو الفتى الجميل.

ولا أتــرك في مصر لذكر الحمــق من أثرِ
فمــن بعــدي ليطبيـ ـه في النظم وفـي النثر ؟[1]
ومــن يلعــب في الرأس من العصــر إلـى العصر ؟
ومَــنْ مِنْ شدّة الصفع له رأسٌ بلا شعر ؟
ومــن هامتُــهُ أقوى علـى الصّفـع من الصخرِ ؟
ومــن يضــرطُ في الذّقن بلا كيلٍ ولا حزر ؟[2]
ومــن ينتف بالدّبق سبــالاتِ بنــي البظر ؟[3]
ولكنّــيَ لا كنت لمــا فيَّ من الكبرِ
إذا أمْرانــيَ الصّفع تجشّــأت من الدّبرِ[4]
وهيهــات ترى صفعاً لغيري أبــداً يمري

ومنها :

ألا يا منتهـى الجود ويا ذا المجـد والفخر
ويا ابــن السّـادة الغر ويا ابــن الأنجـم الزهر
ويا أبهـى من الشمس ضياءً ومــن البدرِ
لمــاذا أنــت لا تعدي علــى الأيّام والدّهر ؟
همــامٌ طاهــر الذّيلِ سليل السّـادة الغرِّ
كريم الأصــل والخيم رحيب البــاع والصدر[5]
جــوادٌ غير مدفوعٍ عن الإفضــال والبرِّ

---

(١) أطباه : دعاه .

(٢) الخرر : المقدار والمعرفة.

(٣) سبالات بني البظر : أي شعر العانة .

(٤) أمراني : يقال أمري الدَم: استخرجه وربما الصفع أمرى دموعه .

(٥) الخيم : السجايا .

وما زال إلى كلٍّ له عارفةٌ تسري[1]
لقد عمّت أياديه جميع البدو والحضر

ومن أخرى [من المديد] :

عجبٌ ما مثله عجبُ فعلوا بي غير ما يجبُ
قرقرت بطني فواحزني ذقن من بالسّلح يختضب[2]
هرباً من شرّها هرباً فعسى أن ينفع الهَرَبُ
ذهب النّاس فما أحدٌ يشتهي أن تنفخ القربُ
حزَنني أنّيَ مذْ زمنٍ ما لعبناه ولا لعبوا
ولكم بتنا على طربٍ ورؤوس القوم تستلب
وكؤوس الصفع دائرةٌ ملؤها اللّذات والطّربُ
وانتخبناها وهامهمُ وأكفٌّ القوم تصطخبُ
وكأنّ الصفع بينهمُ شعلُ النّيران تلتهبُ
والعمى منهم وإن شغلوا عنه باللّذات مقتربُ
سوف يدرون أيما رجلٍ ضيّعوا مني إذا طربوا
بسيوفٍ شركها أدمٌ مرهفاتٍ للعمى سببٌ[3]
وعجيبٌ والحسين له راحةٌ بالجود تنسكب
أنّ شربي عنده رنقٌ ولديه مربعي جدب[4]
وله الوِرْدُ المعاذ به والجناب الممرع الخصب

(١) العارفة : النوال والفضل.
(٢) القرقرة : أصوات الريح في البطن.
(٣) الشرك : ما ينصب من الحبال ليصطاد به.
(٤) الرنق : الكدر.

وهــو الغيث الملــثّ إذا أعوزتنــا دَرَّهــا السُّحب[1]
وإلــى الرسّــيِّ ملجؤنا من صروف الدهـر والهربُ
سيدٌ شادت علاه له في العــلا آبــاؤه النجبُ
ولــه بيتٌ تمــدّ له فوق مجرى الأنجم الطنب[2]
حسبــه بالمصطفــى شرفاً وعلــيٍّ حين ينتسبُ
رتبــةٌ في العــزّ شامخةٌ قصّــرت عن نيلهــا الرتبُ
ذاك فخــرٌ ليس تنكره لكُمُ عجْــمٌ ولا عرب
ولأنتــم من بفضلهمِ جاءت الأخبــار والكتب
وإليكم كلّ منقبةٍ في الورى تعزي وتنتسب[3]
وبــكمْ في كلّ معركةٍ تفخـر الهنـديّةُ القُضُبُ[4]
وبــكمْ في كلّ عارفةٍ ترفــع الأستــار والحجب
وإذا سمــر القنــا اشتجرت فبـكم تستـكشف الكُرَبُ[5]

وقوله من قصيدة في الرسّي أولها [من مجزوء الرمل] :

بــاح وجــداً بهواه حين لم يعــط مناهُ
مغــرمٌ أغــرى به السّقــــــم فمــا يرجــى شفاهُ
كاد يخفيه نحــول الــ ـجســم حتــى لا تراهُ
لــو ضنــاً يخفــى عن العيــــــنِ لأخفــاه ضناهُ

ومنها :

حبّــذا الرسّــيُّ مولىً رضــيَ النّــاس ولاهُ

---

(١) الغيث الملثّ: المطر الهاطل والدرّ : يعني به مطر السحاب.
(٢) الطنب : الحبال .
(٣) المنقبة : المأثرة.
(٤) الهنديّة القضب : السيوف القاطعة المنسوبة الى الهند.
(٥) اشتجرت : تداخلت وتشابكت في العراك.

جعل الله أعاديـه من السوء فداهُ
فلقد أيقن بالثر وة من حلَّ ذراهُ
من رقى حتى تناهى في المعالي مرتقاه
فات أن يبلغ في السؤ دد والمجد مداهُ
ملكٌ مذ كان بالسطـوة ممنوعٌ حماهُ
بحر جودٍ ليس يُدْرَى أين منه منتهاهُ
لم يضع من كان إبرا هيمُ في الناس رجاهُ
لا ولا يفرق من صر ف زمان إن عراهُ[1]
من به استكفى أذى الأيّـام والدّهرِ كفاهُ
كيف لا أمدح من لم يخلُ خلقٌ من نداهُ

وقوله من أخرى يقول فيها [من مجزوء الرمل] :

لو برجلي ما برأسي لم أبت إلاّ بنجدِ
خفَّةٌ ليست لغيري لا أراني الله فقدي
ومحالٌ أن يرى مثـليَ أو يبصرَ بعدي
رجلٌ لا يضرط الضرّ طة إلاّ بعد جهدِ
فلذا الأمر تراه يأكل التّمر بزبدِ
غير أنّي قيل عنّي إنّني مغرىً بدعدِ
وبليلي وبسلمي وبسعدى وبهندِ
ثم لا أملك شيئاً غير سنّورٍ وخلدِ[2]
وحماقاتٍ وعمري إنّ لي رأساً مرندي[3]

---

(١) يفرق : يخاف ، وعراه : أصابه وحلّ به .
(٢) السنّور : الهرّ ، والخلد : حيوان يشبه الجردون يعيش داخل الأرض ويتخذ له فيها طرقاً عدّة .
(٣) المرندي : الصلب والقوي التحمُّل .

أصبـــر الأرؤس في صفــــــعٍ بلا حزرٍ وعدٍّ

ومنها :

خلقــت كفّــاه من جو دٍ لراجيه ورفدِ
مــوردٌ يورِد راجيـــــــه إلــى أعــذب وِردِ
لا خلا من منّــةٍ منــــــه إلــى الأحــرار يسدي[1]
فهـــو القائــم بالحـــــــقّ وموفــي كلّ عهدِ

ومن أخرى [من البسيط] :

قلبـي لك الخير بالأفــراح معمورُ مستبشـــرٌ جذلٌ بالفتــح مسرورُ

يقول فيها :

خذ في هناتــك ممّــا قد عرفــت به ممّــا به أنــت معــروفٌ ومشهور[2]

واحــك العصــافير صي صي صي صصي صصصي
إذا تجاوبــن في الصبــح العصافير
ففيك ما شئت من حمقٍ ومـن هوسٍ قليلــهُ لكثيرِ الحمــق إكسير[3]
كم رام إدراكه قومٌ فأعجزهمْ وكيف يُدْرَكُ ما فيه قناطيرُ
لا تنــكرنّ حماقاتــي لأنَّ بها لواء حمقــيَ في الآفــاق منشورُ
ولســت أبغــي بهــا خلاً ولا بدلاً هيهـات غيري بتـرك الحمــق معذور
لا عيب فيَّ سوى إنِّــي إذا طربوا وقـد حضـرت يرى في الـرأس تفجير

---

(١) يسري : يقدّم ويتكرّم.
(٢) الهناة : الدّهاء .
(٣) الإكسير : ما يلقى على الفضة أو نحوه فيحوّله إلى ذهب خالص ، وذلك من خرافـات أصحـاب الكيمياء القديمة .

والأخدعـان فمـا زالا يُرى بهما لكثـرة المـزح توريمٌ وتحمير[1]

وذا الفعـال مع الإعـراض مطّردٌ صفـعٌ ونقـعٌ وتيسيرٌ وتعسير

فذا وذاك وهـذا ثم ذاك وذا كذا الليالـي لهـا صفـوٌ وتكدير

أستغفـر الله ممّـا قلتـه عبثاً لغير شيءٍ وما في الصّـحف مسطور

أقـول للنفس لمـا استشْعَـرَتْ جزعاً وبـات يردعها خوفٌ وتحذير

إنّ الإمـام نزاراً مدحـه فثقي ذخـرٌ لمثلك عنـد الله مذخور

هو الـذي ليس بعـد الله من أحدٍ سواه في النـاس محمـودٌ ومشكور

مشمِّـرٌ في المعالـي ذيل مجتهدٍ ومالـه في سوى العلياء تشمير[2]

ومن أخرى [من الوافر]:

أترضـى بالتخلُّف والتـواني على ضربِ اللّجاجـة والحـرانِ؟[3]

ومـا أنـا والأحـاديث اللواتي تزهـد في المثالـث والمثاني ؟

ألا طربـت إلـى النشـوات نفسي وتقـت إلـى معتَّقـةِ الـدِّنان[4]

كمـا طربـت أبـاريق النـدامى إلـى أصـوات قهقهـة القناني

ويومـك إذ تطـوف بـه فتاةٌ علـى الخدّين منهـا وردتـان

مهفهفـة القـوامِ إذا تثنَّتْ تثنَّـتْ كـالقضيب الخيزران[5]

ولـم أر قبلهـا شمسـاً تبدّت ولا قمـراً بـأعلـى غصـن بـان

لحـاه الله من شيخٍ ضـروطٍ ضجيجُ ضـراطـه بالنهروان

ولـكن رأسـه جـلْـدٌ جليدٌ صبـورٌ عنـد مختلف الطعـان

---

(١) الأخدعان : عرقان في العنق .
(٢) مشمّر : متأهّب .
(٣) الحران : العناد .
(٤) تقـت : اشتقت .
(٥) تثنّت : تمايلت .

ولم أر قبله رأساً سواه غدا وقفاً على حربٍ عوان[1]
ولا سيْما إذا الأيدي توالتْ عليه والتقت حلق البطان[2]

ومنها :

إلى من راحتهاه ندىً وجودٌ علينا بالمواهب ثرّتان[3]
كريمٌ لا يدافع عن سماحٍ جوادٌ ماله في الجود ثان
تناهت عنده الآمال لمّا غدا أقصى النهاية في الأماني

ومن أخرى [من مجزء الرمل]

كلُّ يومٍ أنا من إيريَ في أمرٍ عجاب
ليس يخليني من همٍّ وحزنٍ واكتئاب
لم يدعْ لي ذهباً إلاّ رماه بالذهاب
وابتدى المشؤوم أن يعمل في امر التّباب[4]
هل مجيرٌ ليَ منهُ أهلَ ودّي وصحابي
أو وإلاّ تبت والرحـ من من لعب الكعاب
أنا مبلي من بلاياهُ بنصبٍ وعذاب
أنا لولاه لألفيت قليل الاضطرابِ
وتجزّيت بنزرٍ من طعام وشرابِ
ولما طال انتزاحي عن بلادي واغترابي[5]
لعنة اللّهِ عليه وبراغيثُ الكلاب

---

(١) الحرب العوان : الحرب الضّروس المتتابعة .
(٢) حلق البطان : أي بطون الأكف .
(٣) الثرّة : المنعمة بالخير الكثير .
(٤) التباب : الهلاك والخسران .
(٥) الانتزاح : الابتعاد .

فَلَكَمْ أوقفني موقف خزيٍ واكتئاب
ولكم أغلقت باباً من هواه دون باب
ربَّ قد أبليتني منه بمعتوهٍ مصاب
عينه في كلِّ من دبَّ على وجه التراب
ثم لا يرضيه منه غير دبرٍ مستطاب

ومنها :

وبإحسان تميمٍ عُذْتُ من عُظْمِ مصابي[1]
بالأمير السيِّد الماجد والقرم اللّباب[2]
والهمام المنعم المفضل والبحر العباب
والذي لا فرق ما بين جداهُ والسّحاب[3]
تنثني منه الى ذي كَرَمٍ رحبِ الجناب
رافعٍ دون بني الآمال أستار الحجاب
لم أزره قطُّ إلاّ بتُّ محمود الإياب
ذكره أعذب في الانفس من ذكر الشباب
ولقد رقَّ عن الماء وعن طبع الشراب
أكثمٌ في الرأي والفضل وقسٌّ في الخطاب[4]

وقوله [من الكامل]:

كتب الحصير إلى السريرِ أنّ الفصيل ابن البعيرِ

---

(١) عذتُ : احتميت .
(٢) القرم : السيد ، واللّباب : الخالص من كلّ شيء .
(٣) جداه : تفضّله وكرمه .
(٤) أكثم : هو أكثم بن صيفي حكيم العرب وقس : هو قسّ بن ساعدة خطيبهم .

فلمثلها طرب الأمير إلى طباهجة بقير[1]
فلأمنعن حمارتي سنتين من علف الشعيرِ
لا همَّ إلاّ أن تطير من الهزال مع الطيورِ
فلأخبرنّك قصّتي فلقد وقعت على الخبير
إنّ الذين تصافعوا بالقرع في زمن القشور
أسفوا عليّ لأنّهمُ حضروا ولم أكُ في الحَضورِ
لو كنت ثمّ لقيل: هلْ من آخذٍ بيد الضّريرِ؟
ولقد دخلت على الصديق البيت في اليوم المطير
متشمّراً متبختراً للصفع بالدّلو الكبيرِ
فأدرت حين تبادروا دلوي فكان عمى المدير
ياللرجال تصافعوا فالصفع مفتاح السرور
لا تغفلوه فإنّهُ يستلُّ أحقاد الصدور
هو في المجالس كالبخور فلا تملّوا من بخور
ولأذكرنّ إذا ذكرت أحبتّي وقت السحور
ولأحزننّ لأنّهمْ لمّا دنا نَضْجُ القدور
رحلوا وقد خبزوا الفطير ففاتهم أكلُ الفطير
لا والذي نطق النبيُّ بفضله يوم الغدير
ما للإمام أبي عليٍّ في البريّة من نظير

وله من أخرى أولها [من المتقارب]:

سلامٌ على الربع ربع الجدا سلامٌ على تمره واللّبا[2]

---

(١) طباهجة: اللحم المشرّح، بقير: مقطّع ومشقّق.

(٢) اللّبا: أوّل اللبن عند الولادة.

سـلامٌ عليه سلام امرئٍ معنًـى بتـذكار ما قد مضى[1]
سـلامٌ عليه فكمْ موقفٍ وقفنـاه فيه نذير الدّلا
لعهـديَ فيه شيوخٌ لنا غلاظ الرّقـاب عراض اللحى
إذا ما قبضـت علـى لحيةٍ ونـاديت بطنـي أجـاب الخرا
وكنّـا من الظّـرف لو أنّنا أقمنـا نصافـع شهـراً ولا
نعيب الوفـاء ولهفـي على أخـادع من لا يعيب الوفا
ولا عذر ألاّ أدير اللّطام إذا الصفـع دار وكلٍّـي قفا
وقـد كنـت تبـت ولكنّني إذا الصفـع دار أتانـي الجشا
فـلا تتـرك الصفـع جهـلاً به فمـا أطيب الصّفـع لولا العمى
ومالـي أكاتمـكمْ قصّتي رأضـرب بالطبـل تحـت الكسا
إذا كان في الصيف لي جنّةٌ لأيّةِ حالِ أذمُّ الفِرا[2]
ولـم أكسـبِ الحمـق لكنّني خلقـت رقيعـاً كمـا قد ترى
لقـد فقـت فيه كمـا الفارسـيُّ في الرَّمـي فاق جميع الورى
كأنّ البنـادق طوعٌ لهُ فهـنَّ يصبـن له ما اشتهى
إذا ما رمـى طائـراً حطَّهُ ولـو أنّـه بمـكان السُّها[3]
فيالك من موقفٍ مبهجٍ عجيبٍ ومـن منظـرٍ مُشتهى
فعيد الـطيور به مأتمٌ وأضيافـه عنـده في القِرى

ومن أخرى [من مخلع البسيط]:

عـاذلِ كمْ فيه تعذليني وكمْ إلـى كم تؤنبيني
لـو بك ما بي من التصابي لكنـت لاشـك تعذريني

---

(١) معنّى : مولعٌ ومغرم ومُشقى .
(٢) الفرا : يعني الفراء .
(٣) السّها : النجوم .

إنّ الــذي قد أذاب جسمي بالثّغــر والجيد والجفونِ
بــدر تمــامٍ علــى قضيبٍ رَكّبَ من نغمــةٍ ولين
مــا شئــت من نرجسٍ جنيٍّ غضٍ وورد وياسمين
عينــاه تسطــو علــى فؤادي والمــوت في سطــوة العيون

ومنها :

فــأطيب العيش كان عندي أيّام للفســق قلّدوني
وكنــت طبّــاً به بصيراً وأقــودُ النّــاس في سكونِ[1]
فــكم غزالٍ أخــذت قسراً وكم مليحٍ حوت يميني
والنــاس يسعــون نحــو داري من كلٍّ أرضٍ ويقصدوني
فــذا يوافــي بثــوب خزٍّ وذا يوافــي بثــوب توني[2]
وذا يفــدّي وذاك يهدي وذاك يمضــي وذا يجيني
وكلٌّ علــقٍ الــى مراحي أهــدى من الــطير للوكون[3]
وكان خلقــي لهــم رضيّاً أصفعهــم ثم يصفعوني
قــد أجمــع النــاس أنّ حمقي أحســن من عفتــي وديني
قــد عشــت دهــراً أعــول عقلي والنّــاس إذ ذاك يبعدوني
فمــذ تحامقــت قد كساني حمقــي وقــد عالنــي جنوني
ومــن بلائــي أبــو عميرٍ معــرّضٌ لي إلــى المنون
منتصــبٌ ما ينــام وقتاً وليس يهــدى من الرنين
مــن كان ذا زوجــةٍ فإنّي لشقوتــي زوجتــي يميني
عميرةٌ قد جلــدت حتى خشيت والله يجلدوني

---

(١) طبّاً : عالماً .

(٢) التوني : نوع من الحرير .

(٣) الوكون : أعشاش الطيور .

فراقبـوا الله في أموري فطلقوهـا وزوجوني

ومن أخرى [من السريع]:

يا أهـل ذا المنـزل هل حيلةٌ تنجـي فمـن ظبيكمْ مُعطبي
عقـرب صدغيه فقلبـي إذا همّ توقّى لـدغـة العقرب
وكلّمـا لاحظنـي طرفه لاحظنـي عن مقلـة الرّبرب
يبسـم إنّ ناولنـي ثغرَهُ عن ذي غروبٍ واضـح أشنب[1]
أنجبـت في الحمـق وهـل فاضلٌ كنـاقصٍ في الحمـق لم ينجبِ
لو علمـوا مالـيَ من لذّةٍ لم أُلـحَ في الحمـق ولـم أعتب[2]
أعتبنـي الدهـر ولـولا الذي عمّ الـورى بالبـذل لم يعتب
لمـا رأى الآمـال مصروفةً إلـى السّـديد ابـن أبـي الطيب
فارقنـي من شرّه صاحبٌ كان لعمـري شرٌّ مستصْحَبِ
هنـاك لـو تبصرنـي تائهاً علـى بنـي الدهـر تعلّقـت بي
تطلـب منّـي نائـلاً بعـد أن كنـت أرى الـرّزق مع الكوكب
كذاك من صاحـبٍ من لم يزلْ ربّ جنـابٍ ممـرعٍ مخصب
أكرمُ مـن جـاد فمـا بعدَهُ لطالبـيْ جدواه من مطلب
أوّل من يثنـي بـه خنصرٌ وأصفـح النفس عن المذنب
مهـذب الآراء محمودها مفضّـلٌ في الشـرق والمغرب
لا فرق عنـدي بين أقلامه وبين فعـل الصـارم المقضب
ما استلّهـا إلاً أذلّـتْ لهُ من الأعـادي كلٌّ مستصعب

---

(١) عن ذي غروب أشنب : يقصد الرضاب البارد .

(٢) ألحى : ألام .

ومن أخرى [من المجتث]:

إنّـي ليرتـاح قلبي إلـى اصطحـاب المثاني
بحيث تنفـي همومي معتّقـاتُ الدِّنـان
مـع شادنٍ ذي دلا لٍ مهفهفٍ فتّان
يرنـو إلـيَّ بطرفٍ وناظـرٍ وسْنـان[1]
أعـار حسـن التثنّي تثنّـي الأغصـان
إذا تبسّـم تيهاً يفتـرُّ عن أقحوان
لأسخطـنًّ عذولي فيه بخلـع العنـان
فقـمْ رفيقـي فاحثثْ كؤوسنـا غير واني[2]
وهاتهـا كسنـا البر ق لا ح من نعمان
صفـراء ممّـا اقتناها كسـرى أنـو شروان
صفـت ورقّـت ففاتت إدراكهـا بالعيان
فليس تـدرك بالحـسِّ لا ولا الأذهان
روحٌ من الـراح لكـنّـهـا بـلا جثمان
فالـريحُ للمسـك منهـا واللـون للـزعفـرانِ[3]

يقول في مدحها:

مـن قال من غير خيْرٍ بأن في النـاس ثاني
لسـؤدد ابنـي عليٍّ قد جاء بالبهتان[4]
يداهمـا بالعطايا وبالنّـدى ثـرّتـان

---

(١) يرنو: ينظر، والوسنان: الناعس.
(٢) فاحثث: أسرع وعجّل، والواني: المبطىء.
(٣) الزعفران: نبات له أصل كالبصل زهره أحمر إلى الصفرة.
(٤) البهتان: الزور والكذب.

ومن أخرى [من مجزوء الرومل :

ربَّ يومٍ قد قطعنا ه حديثاً وعتابا
وجمعنا بين خمرين مداماً ورضابا
وشفينا غلَّة النَّفس دنوّاً واقترابا
وترشّفت على شو ق ثناياه العذابا
وسألنا ذلك الشي ء جهاراً فأجابا

يقول في مدحها :

ورحلنا نطلب السّيد والقرم اللبابا[1]
فرأينا العزّ والثر وة والبحر والعبابا
ورأينا أفضل النا س وأحلامهم خطابا
يقظاً يدرك بالفطنة ما فات وغابا
هذَّبته فطنةُ العلم فما يخشى معابا
عرف اللّذة للبذ ل فأعطى وأثابا
وإذا ما كَرُمَ الأصل زكا الفرع وطابا

ومن أخرى يقول فيها [من مجزوء الرجز] :

كأنّما عذاره سطرا سوادٍ في يققْ[2]
كأنّما رضابه خمرٌ بمسكٍ قد فتِقْ

ومنها :

إنّ نكته فاستمعنْ نصحك من خلٍّ شفقْ

---

(١) اللباب : الخالص من كلّ شيء .
(٢) اليقق : الشديد البياض .

كنْ حذراً كن حذراً ... كن حذراً من الغرق
لأنّـه من سعةٍ ... يصلـح للبحـر طبق
انْ قلـت إنّـي حسنٌ ... والحسـن منّـي مسترق
قلنـا مقـالاً بيّنـاً ... لا كـذبـاً ولا خـرق[1]
كلُّ امـرىءٍ صوّره ... خـالقـه كمـا اتفـق
كنْ غُصُنـاً كـن قمراً ... كن شمس دجـنٍ في الأفق[2]
كن يوسف الحسـن الذي ... من طينـة الحسـن خلق
هـل أنـت إلاّ خلقٌ ... زدت علـى كلٍّ خلق
يا أيهـا العلـق الذي ... فقحتـه بلا غلق[3]
خانـك في الـودّ الذي ... بودّه كنـت تثـق

ومن أخرى [من المتقارب]:

خليلـيَّ من عامـرٍ اسعدا ... علـى الشّـوق خلاً بلا مسعدِ
قفـا وقفـةً بربـوع الحمى ... فلـولا الوفـا لهـوى الخرَّدِ[4]
لمـا عجـتُ بالـركب مستنجداً ... دموعـي علـى الـطلل الملبد
معاهـدُ لهـوٍ كأنّ الهوى ... بهـا بعـد زينـب لم يعهد
فسبحـان من جعـل المكرمات ... جميعـا بكفٍّ أبـي أحمد
وقـال له كن كمـا تشتهي ... فكان النهـاية في السؤدد
وهـل غيره أحـدٌ يرتجى ... ويعـدى علـى الزمـن المعتدي

---

(١) الخرق : الجهل والطيش .
(٢) الدجن : الغيم الكثير المظلم .
(٣) العِلق : المخنّث ، والفقحة : فتحة المخرج .
(٤) الخرّد : الناعمات من النساء .

ومن اخرى [من مجزوء الرمل]:

عــدِّ عن قالٍ وقيل وصعودٍ ونزولِ
حصــحص الحــق فمــا [ذا] شئــتِ من قولٍ فقولي
غير أنّــي أقبــل النا س لشــيءٍ مستحيل
فاسمعــن منّــي ودعني من كثيرٍ وقليل
وصــغيرٍ وكبيرٍ ودقيقٍ وجليــل
قــد ربحــنــا بالحماقا ت علــى اهــل العقول
فرعــى الله ويبقى كلُّ ذي عقــلٍ قليل
مــا له في الحمــق والخفّــــة مثلــي من عديل[1]
فمتــى أذكر قالوا شيخنــا طبــلُ الطبول
شيخنــا شيخٌ ولكنْ ليس بالشّيخ النبيل
طالمــا نادى نداما ه إلــى شرب الشمول[2]
قائــلاً بالشــادن الأغــــــيد ذي الطّــرف الكحيل
أطــرب النــاس إذا غــــنّــى علــى ثانــي الثقيل
قفْ علــى المنــزل بالنحــــتين فالرسم المحيل
وقفــةَ الــوالــه للتســآل ما بين الطلول
أهملنْ دمعــك فالرا حة في الدمــع المهمول
عــدِّ عمــا أنــت فيه من محــالٍ وفضول[3]
واصــرف المــدح إلــى ذي الـــطّـــول والفعــل الجميل[4]

---

(١) العديل : المثيل .

(٢) الشمول : الراح .

(٣) عدِّ : تجاوز .

(٤) ذي الطول : ذي القوّة والبأس .

الـذي ذكراه في كـل محـلٍّ وقبيلِ[1]
ذي يدٍ بالجـود أندى من ندى الغيث الهطولِ
لـم يكنْ قطّ لراجيـه سوى سمـحٍ منيل
أسمـح الأمّـة بالما ل وبـالنَّيل الجزيل
وإذا ما سيل الفي بالنَّـدى غير بخيل
لـم يزلْ يذخـر للحا دث والخطـب الجليل
نـاهضٌ إذْ عجـز الأقـوام بالعـبء الثقيل
ليس يصغي في المقالا تِ إلـى عذل العذول
وإذا ما قال قولاً لم يكنْ غير فعول
ولقـد عزَّت به الآ داب من بعـد الخمول

ومن أخرى في الرثاء [من الوافر] :

لعمـرك إنّـه رزءٌ عظيم وخطـبٌ أمـره جللٌ جسيم
رزئنـا من صلاة الله تترى عليه ما دجـا ليلٌ بهيم
ومـا أطّـت إلـى البيت المطايا وما طلعت على الأرض النجوم[2]
لعمـرك ما المصـاب به خصوصٌ ولـكنَّ المصـاب بـه عموم
سقـى جدثـاً به حمّـاد أضحى من الوسمـيٍّ هطـالٌ سجوم[3]
ففيه المجـد أمسـى والمعالي وفيه العـزُّ والفخـر القديم
أبعـد وفاتـه يدعـى همامٌ لخطـبٍ أو يقـال بقـي كريم
كأنّـا يوم مَنْعَـاهُ إلينا وقـد فتـكت بأنفسنـا الهموم[4]

---

(١) القبيل : الجماعة .
(٢) أطّت : سارت وشقت الأرض .
(٣) الجدث : القبر ، والوسمي : مطر الربيع والساجم : اللامنقطع .
(٤) منعاه : من النعي ، وهو نبأ الوفاة .

ثـواكل حزنهـنّ علـى الليالي وإن قدم المـدى حزنٌ مقيم
وكان ربيعنـا في كلِّ محلٍ إذا ضنَّـت بوابلهـا الغيوم
جميل الفعـل محمـود السجايا يزين فعالـه كرمٌ وخيّمُ[1]

ومن أخرى [من البسيط] :

هل من سبيلٍ إلـى بيتـي وجاريتي أنّـى ؟ وكيف ومـا داري بدانية ؟!
أم هل سبيلٌ إلى البيت الـذي سكنتْ فيه التـي بفراقـي غير راضيةِ
لا أحمـد البعـد عنهـا بعـد معرفتي بأنّهـا لبعـادي غير حامدة
أشـكو إلـى الله دهـراً غير متَّئدٍ من قبـح ما لجَّ فيه من معاندتي[2]
ما زدت فيه اجتهـاداً في معاتبةٍ إلاّ وزاد اجتهـاداً في مغايظتي
أقـول والدهـر لا يألـو مراغمةً وليس يثنيه شيءٌ عن مراغمتي[3]
يا واحـداً ليس إلاّ من يؤمّله ويرتجـى عفـوه جدْ لي بواحدة[4]
وامنـن عليَّ علـى أنّـي وإن نزحت عنّـي فمـا هي عن قلبـي بنازحة
ناشدتـك الله فيمـا أشـرت به إلاّ قبلـت ولا تهمـل مناشدتي
واستعمل السخف واتـرك ما سواه فما لذاذة العيش إلاّ في المساخفة
والصفـع إيّاك منـه فالعمـى أبداً بغير شكٍّ منـوطٌ بالمصافعة

ومنها :

لكن مدحـت حميداً فامتدحـت فتىً وقفـاً علـى منَّـةٍ تسـدى وعارفةِ
رأيتـه فرأيت البـدر في أفقٍ والشـمسَ طالعـةً من كلِّ شارقة
والبحـر معترضـاً والغيث منبجساً برائـحٍ لمـرجِّيـهِ وغاديـة[5]

---

(١) السجايا : الصفات ، والخيم : المآثر والمزايا الحميدة .
(٢) اتئد : تواقف وامتنع وتمهّل .
(٣) يألو : يترك ويمتنع ، ويقصّر .
(٤) جدْ : تكرّم .
(٥) انبجس الغيث : هطل ، وانبجس الماء : تفجّر .

ساس الأمور بآراءٍ مهذّبةٍ صوادرٍ بين أفكارٍ وبادرة
مستحسن اللفظ في القرطاس موجزه موفَّقُ الرأي محمود المخاطبة
ذو أنملٍ ما انتضت في حادثٍ قلماً إلاّ وفلّ شباه كلَّ حادثة[1]
في كلِّ يومٍ له نعمى مجدَّدةٌ ليست إذا طلعت عنّا بآفلة
ما زال يتبع معروفاً بعارفةٍ جوداً ويجهد نفساً في معاونتي
حتى رأيت صروف الدهر عائذةً من بعد ضربي وحربي بالمسالمة

ومن أخرى [من الوافر] :

نشدتك أن تحول عن الوداد وعن حال الصلاح إلى الفسادِ
ولو عاينت ما لك في ضميري ولو شاهدت ما لك في فؤادي
إذاً لعلمت أنّك منه تُمسي وتصبح دون غيرك في السّواد
فما آلوك نصحاً في ودادٍ ولا آلوك جهداً في اجتهاد[2]
وليس سوى المودّة والتصافي أبا عبد الإلّه لك اعتقادي
ولو في ذاك حاولت ازدياداً إذاً ما اسطعت فيه على ازدياد
ولم أعهدك في طلب المعالي وكسب الحمد غير فتىً جواد
ومن ألف المكارم والعطايا كالفك جاد عن غير اعتداد
ويوشك أن يجود بما حواه وأن يهب الطّريف مع التلاد[3]
ووعدك في الحياة له مرادي ولست أريده يوم التناد[4]

ومنها :

فكم منن قرنت بهنّ شكراً كشكر الروض منهلُّ الغوادي

---

(١) انتضت : استلّت وحملت ، فلّ شباه كلّ حادثة : أي قصمها وقطّعها وأعان من أصابته عليها .

(٢) آلوك : أقصرّ في نصحك .

(٣) الطريف والتلاد : المال المكتسب والموروث .

(٤) يوم التنادي : يوم القيامة .

وكم لك يا محمّد من أيادٍ لديّ ومن جميلٍ وافتقاد

ومن أخرى [من البسيط] :

ليلي بتنّيس ليلُ الخائف العاني ... تفنى الليالي وليلي ليس بالفاني[1]
أقول إذ لجَّ ليلي في تطاوله ... يا ليل أنت وطول الدهر سيّان
لم يكف أنّي في تنّيس مطرَّحٌ ... مخيّمٌ بين أشجان وأحزان
حتى بليت بفقدان المنام فما ... للنوم إذ بعدوا عهدٌ بأجفاني
ما صاعد البرق من تلقاء أرضهمِ ... إلاّ تذكرت أيّامي بنعمان
ولا حننت إلى نجرانَ من طربٍ ... إلاّ تكنّفني شوقٌ لنجران[2]
لا تكذبنّ فما مصرٌ وإن بعدتْ ... إلاّ مواطنُ أطرابي وأشجاني
ليالي النّيل لا أنساك ما هتفتْ ... ورق الحمام على دوحٍ وأغصانِ
أصبو إلى هنواتٍ فيك لي سلفتْ ... قطّعتهنّ وعين الدهر ترعاني[3]
مع سادةٍ نجبٍ غرٍّ غطارفةٍ ... في ذروة المجد من ذهلِ بن شيبان[4]
وذي دلالٍ إذا ما شئت أنشدني ... وإن أردت غناءً منه غنّاني
سقيته وسقاني فضل ريقته ... وجاد لي طرفه عفواً ومنّاني
ما زلت أجني بلحظي ورد وجنته ... وأستغير على تفّاح لبنان
ما زال يأخذها صفراء صافيةً ... حتى توسّد يسراه وخلاّني
الله يعلم ما بي من صبابته ... وما عليّ جناه طرفه الجاني
كم بالجزيرة من يومٍ نعمت بهِ ... على تصاخب ناياتٍ وعيدان
سقياً لليلتنا بالدّير بين رباً ... باتت تجود عليها سحب نيسان[5]

---

(١) العاني : الشاكي والقلق .
(٢) تكنّفني : أحاط بي ، وشملني .
(٣) الهنوات : أوقات جمع هنو .
(٤) الغطارفة : جمع غطريف وهو الشاب الفتي الجميل .
(٥) سقياً : دعا له بالمطر والخير .

والطـلُّ منحـدرٌ والـروض مبتسمٌ　　عن أصفـرٍ فاقـعٍ أو أحمـرٍ قانِ[1]
والنَّـرجس الغضُّ منهـلٌّ مدامعه　　كأنَّ أجفانــه أجفــان وسنان

ومنها :

أستغفـر الله من عقـلٍ نطقـتُ بهِ　　ما لي وللعقل ليس العقل من شاني !؟
لا والـذي دون هذا الخلـق صيَّرني　　أحدوثـةً وبحـبٍّ الحمـق أغراني
ما للشذائـيِّ من مثْـلٍ يقـاس بهِ　　ولا له في اصطنـاع العـرف من ثان
مهـذَّبُ الـرأي محمـودُ خلائقه　　رحـبُ المـكارم سمـحٌ غير منَّان
من كان في الجـود والإفضـال لذَّته　　لم يخلـه الجـود من فضـلٍ وإحسان
وجملـة الأمـر فيه أنَّـه رجلٌ　　يراقـب الله في سرٍّ وإعلان
إن كنـت قلـت سوى ما فيه أعرِفُهُ　　إذاً كفـرت بمعبـودي وديَّاني
إذا جرت يده في الطِّـرس كاتبةً　　تبلَّـج الطـرس عن درٍّ وعقيان[2]
وإن تكلـم جاءتـه براعتـه　　بكلٍّ ما شاء من فهـمٍ وتبيان

٢٦ ـ أبو القاسم الحسين بن الحسين بن واسانة بن محمد المعروف بالواساني

أعجوبة الزمان ونادرته ، وفريد عصـره وباقعتـه[1] ، وهـو أحـد الفضـلاء المجيدين في الهجاء ، وكان في زمانه ، كابن الرومي في أوانه : فمن شعره قوله يهجو ابن أبي أسامة [من الكامل] :

يا ساكنـي حلـب العوا　　صم جادهـا صوب الغمامهْ
أنـا في مدينتـكم غريـــبٌ لست من أهـل الإقامهْ

---

(١) الباقع : الخالص الصافي من الألوان .
(٢) الطرس :الصحيفـة ، تبلّج : أشرق

والخان يحدث للغريب إذا أبنَّ به سآمهْ[2]

فقرضتُ من طول المقا م بها وأعوزت المدامه

وخرجتُ في بعض الليا لي قاصداً باب السلامه

وشربتُ من بئرٍ بها من يأتها ينقعْ أوامه[3]

ورتعتُ في فلواته وعلوت مرتقياً أكامه[4]

فلمحت في بعض الوها د وقد قعدت سواد هامه[5]

فسعيت أحسبها غرا باً أو حداةً أو حمامه[6]

وإذا بأسود كالفنيق يقلُّ إيراً كالدّعامه[7]

وإذا بشيخٍ تحته حسن الوسامة والقسامه

والشيخ يعصر تحته قد بلَّ من عرقٍ حزامه

فزجرتُ نايكه فقا ل له ألست ترى مقامه

انهض فديتك علّنا نقضي بنهضتنا ذمامه

ونعود بعد عزوبه عنّا وتربحنا خصامه

فسطا عليه وقال نكْ لا كان ذاك ولا كرامه

هذا الرقيع بعينه ليَ في رقاعته علامه

لولا فضولٌ فيه لم يصرف إلى دبري اهتمامهْ

وبكى وقال ليَ امْضِ ويحك واسأل الله السلامه

---

(١) الباقعة : الرجل الذكيّ الدّاهية .

(٢) أبنّ : أقام بالمكان .

(٣) الأوام : العطش .

(٤) الأكام : القمّة والمرتفع .

(٥) الهامه : طائرٌ كان العرب يعتقدون أنه يخرج من رأس القتيل ويطلب الثأر .

(٦) الحدأة : طائرٌ كبير من الجوارح يصطاد الجرذان والحيوانات الداجنة .

(٧) الفنيق : الفحل من الإبل .

واشــكره لمــا صار سر	مك لا يريد له صمامه[1]
واعلــم بأنّــي كنــت من	أهــل الرّياســة والزّعامه
يُومــي إلــيَّ إذا عبر	ت يقال ذا ابـن أبـي أسامه
حتــى ابتليت بمبعـري	فحصلـت بين النـاس شامه
فعجبــت من تلك الفصا	حة وهـو يعفـج والعرامه[2]
شيخٌ له سمــةٌ تخا	طبنــي بألفـاظٍ مقامه
والأير يغــرق في استه	قد غاب في مفســاه قامه
فتضاحــك الحبشــيُّ منـــــه	وقــال لا تسمــع كلامـه
هــذا وعيشـك دأبـه	من قبـل مبلغــه احتلامه
أبــدا يبــاري باسته	بين الورى صوب الغمامـه
واســتلّه مــن دبـره	وكأنّــه عنـق النعامه

وقال يهجو منشا بن إبراهيم القزاز [من المنسرح] :

قــال منشــا يومــاً لسعدانه	وهــي سحــور العينين فتّانه
مـن بعـد أن غلّف العـوارض بالـ	ـطّيب وغــلا بالمســك أسنانه[3]
وامتص من خمــرةٍ معتّقــةٍ	تحــول بين الدِّنــان في الحانه
وكان خشفٌ قد باسهــا بفمٍ	وهــي من البــوس بعــد شبعانه
هــل لك في قبلــةٍ وهــاك خذي	خمسين حمــراً وحــلّ هميانه[4]
قالــت له هاتهــا ودونــك فاسـ	ـطعنــي بجعصٍ وعجّــل الآنه
فباسهــا ثم قال قد بقيتْ	أخــرى فقالــت وعظّمــت شانه

---

(١) الصمامة : السدّة .

(٢) يعفج : يلاط ، والعرامة : الشدّة والقوّة .

(٣) العوارض : الأسنان .

(٤) الهميان : حزام من الجلد توضع فيه الدراهم .

مـــا هي قل لي ألـــم أبس شرجاً		جمّشـــت أعفاجـــه ومصرانـــه[1]
ألـــم أقـــدمٍّ فمـــا أضـــنّ به		إلـــى كنيف أطـــرت ذبانه ؟
فقـــال أن تدخلـــي لسانـــك في		فيَّ فردت مردًّ حردانه
يا ألف كشخـــان وابـــن زانيةٍ		نعـــم ويا زوج ألف كشخانه[2]
لـــم ترض أنّـــي قبّلـــت مقعدةً		تحـــت سبـــالٍ كأنّهـــا عانه
حتـــى تنـــاهيت في الهـــوان فشبّهـ		ـــت لسانـــيَ ببنـــت وردانه[3]

وقوله فيه [من المنسرح] :

إن منشـــا قد زاد في التّيه		وزاد في شامنـــا تعدّيهِ
فـلا ابـنُ هنـدٍ ولا ابـن ذي يزنٍ		ولا ابـــنُ ماء السما يدانيهِ
وهـــو مغيظٌ عليّ الـــوصّي ومنْ		يعـــزى إليه من يواليهِ
يذكر أيّام خيبـــرٍ بهمِ		وهـــم قذىً جال في أماقيهِ
وقـــد حكى أن فاه أطيب من		سرمـــي وأنّـي ممّـــن يعاديهِ
ومـــن يقـــول القبيح فيه ومن		أصبـــح بالمعضـــلات يرميهِ
فســـوّكوه بكلٍّ طيّبـــة الر		يح تعفـــي على مساويهِ[4]
ومضمضـــوه بالخـــلّ واجتهدوا		معـــاً بكلّ اجتهـــادكم فيهِ
وأطعمـــوه من الجـــوارش ما		يعمـــل بالمســـك والأفاويهِ[5]
واسقـــوه من خمـــرةٍ معتّقةٍ		قد صانهـــا القسُّ في خوابيهِ
واستفقحونـــي واستنكهـــوه فإنْ		كان لسرمـــي فضـــلٌ على فيهِ

---

(١) الشرج : المخرج ، وجمّش : داعب وقبّل .
(٢) الكشخان : الفاسد والفاسق .
(٣) بنت وردان : بنت آوى .
(٤) سوكوه : من السواك ، وهو عود تخلّل به الأسنان من بقايا الأطعمة .
(٥) الجوارش : نوع من الحلاوات .

فحمّلـوا الكلـب والحمار على عيالـه واصفعـوا محبّيهِ

وقوله فيه [من السريع] :

يا راكبـاً يقطـع عرض الفلا على أمـونٍ جسرةٍ حرف[1]
أبلـغ أبـا سهـلٍ إذا جئته رسالـةً عن عبـده المنفي
وقـل له عرنـين ذاك الفتى في حالـةٍ جلّـت عن الوصفِ[2]
قـد ذاب مذ ليلـةٍ ساررته وصـار للسقـم على النصفِ
يبـكي فما ترقـا له عبرةٌ ويسهـر اللّيل فما يغفي
حزنـاً على أرنبـةٍ غودرت تقطـر قطـراً من دمٍ صرفِ
فهـو بسرم الكلـب يا سيدي من داء أنفاسـك يستشفي
مَـنْ عاذري مِنْ رجـلٍ زرته للحـين والإدبـار والحرفِ
فقـال عنـدي لك أحدوثةٌ مليحـةٌ تكتـب في الصحفِ
فـادنُ لكي تسمعهـا واحتفظْ بالسر في مكنـون ما تخفي
فقمـت للغفلـة مستعجلاً أمشي برجـلي إلى حتفي
ففـاه عن أنتـنٍ مَنْ جعسه يعـدُّ بـين البخـر بالألفِ[3]
وشـاربٌ فيه دمٌ فارثٌ ولثّـهُ تشخب كالخلف[4]
تحـوم ذبـانُ الخـلا حوله مثـل حمـامٍ طار من كفٍّ
كشعـر زقٍّ الـدّبس أو شعـرة الـ ـحـائض أو مكنسـة الكنفِ[5]
وشـكٍّ خيشومـي بنشّابةٍ من يد حرٍّ طامشٍ وجْفِ[6]

---

(١) أمونٍ : الناقة ، الحرف : الناقة القوية .
(٢) العرنين : الأنف .
(٣) الجعس : الرجيع مولّد ، أو اسم الموضع الذي يقع فيه الجعموس .
(٤) الفارث : من الفرث وهو بقايا الطعام في الـكرش ، والدم الفارث : المتجمّد .
(٥) الكنف : المرحاض .
(٦) الوجف : المضطرب .

تصمى العرانين ولو أنها ... في الدلص الموضونة الزغف[1]

وتدرك الهارب منها ولا ... ينجو ولو كان على طرفِ[2]

فانغمرت روحي وناديته ... يا أيُّها الثعبان بالكهفِ

بحق من كلّم موسى على الطور ... فدكٌّ الطور بالرَّجفِ

هبْ ليَ ما أبقيت منِّي فقدْ ... أشفى على مثل شفا الجرفِ[3]

ولم أزل أدفعه جاهداً ... وقد تقاعست إلى خلفِ

فانقدٌ بعض الثوب في كفِّهِ ... وقال أفلتٌ فيالهفي

وكان للحين على موضعٍ ... مستشرفٍ مرتفعِ السقّفِ

فانكسرت ساقي وهيْضَتْ يدي ... واندقٌ صدري ووهى كتفي[4]

وقمت أجري بعدها هارباً ... أسعى على رجلي كالخشفِ[5]

يا معشر الناس اسمعوا ما أنا ... قائله واسمعوا وصفي

إذا أردتم سرم أستاذنا ... فلتكن الآنافُ في غلف[6]

ثم اغسلوا شعر اللحى بعدها ... غسل الدرابيك أو القطفِ

وبخِّروها بعد تطييبها ... بكلِّ شيءٍ طيِّب العرف

وما أرى سائر ما قلته ... يغني ولا أحسبه يكفي

أو فانتفوها واستريحوا فما ... ينجيكم شيءٌ سوى النتف

وسوِّكوه بخّروا أمّه ... في رأس كرناف من الرّعفِ[7]

---

(١) تصمي : تقتل ، والدلص : الدروع ، والموضونة : المنسوجة ، والزغف : الدرع الفضفاضة الطويلة .

(٢) الطرف : الجواد السريع .

(٣) شفا الجرف : شفير الهاوية .

(٤) هيضت يدي : ضعضعت ورضرضت ، ووهى : ضعف .

(٥) الخشف : صغير الغزال ، غلف : أي في غلاف .

(٦) الكرناف : أصول قضبان النخل التي تبقى في الجذع بعد قطع القضبان .

فـإنّ جالينـوس ما عالـج الـ ـبخـرة إلاّ بخـرا القلف[1]

وقال في الغزل ، ويعرض بابن بسطام في الهجاء ، ويذكر أنها لميسر [من الكامل]:

ومهفهفٍ يزهـو عليّ بجيدهِ وبخصره وبـردفـه وبساقهِ
وافى إليّ وقلبُـهُ متخوِّفٌ كتخـوّف المعشـوق من عشّاقهِ
حتـى إذا مدّدتـه وحللـت عن كفـلٍ مبـاح الحـلّ بعـد وثاقهِ
وافـت إليّ أصنّـةٌ من دبره بخـلاف ما قد فاح من أطواقهِ[2]
فأجبتـه ماذا فقـال بحرقةٍ ودموعـه تنهـلٌ من آماقهِ
هـذا ابـن بسطـامٍ أتانـي طارقاً بلـطيف حيلتـه وحسـن نفاقهِ
وعـلا على كفلي وبلغـم مثقبي بريالـه المنهـلّ من أشداقهِ[3]
فبقـى صنـان رضابـه في مثقبي زمنـاً لحـاه الله بعـد فراقهِ
فـالله يحرمـه معيشتـه كما قد سدّ مكسـب مثقبـي ببصاقه

وقال يصف ما جرى عليه في الدعوة التي عملها في قرية حرايا من أعمال دمشق [من الخفيف] :

مـن لعيـنٍ تجـود بالهملان ولقلـبٍ مدلَّـهٍ حيرانٍ ؟[4]
يا خليليَّ أقصرا عن ملامي وارثيا لي من نكبتـي وارحماني
ومتـى ما ذكرت دعـوة أولا د البغـايا والعاهـرات الزّواني
فانتفـا لحيتـي وجـزّا سبالي وبنعـل الـكنيف فاستقبلاني[5]
مـا الـذي ساقني لحينـي إلى حتـ ـفي ؟ وما غالني ؟ ومـاذا دهاني ؟

---

(١) القلف : الذي لم يختن .
(٢) الأصنّة : الرائحة الكريهة من البول .
(٣) الكفل : المؤخّرة .
(٤) المدلّه : المعذّب من العشق .
(٥) السِّبال : الشارب .

مِن عذيري من دعوةٍ أوهنت عظـ ـمـي وهـدَّت بهولهـا أركاني ؟
كنـت في منظـرٍ ومستمتـعٍ عنـ ـهـا ومـن ذا يغتـرُّ بالحدثانِ[1]
فنـزت بطنتـي وهاجـت على نفـ ـسي بلاءً ما كان في حسباني[2]
كان عيشي صافٍ فكدَّره أهـ ـل صفائـي بنـو أبـي صفوانِ
فارثوا لي يا معـاشر النّـاس من ضـ ـرّي ومـن طول عطلتـي وامتحاني
ضرب البـوق في دمشـق ونادوا لشقائـي في سائـر البلدانِ
النفـيرَ النفـيرَ بالخيل والرجـ ـل إلى فقـر ذا الفتـى الواساني
جمعوا ليَ الجمـوع من خيل جيلا ن وفرغانـةٍ إلى ديلمانِ
ومـن الـرّوم والصقالـب والتّر ك وخلقـاً من بلغـرٍ واللاّنِ
ومـن الهنـد والطماطـم والبر بر والكيلجـوح والبيلقانِ
لـم يبقّـوا ممـن عددت من الآ فاق من مسلـمٍ ولا نصراني
والبـوادي من الحجـاز إلى نجـ ـدٍ معدّيهـا مع القحطاني
كلّ ضربٍ فمـن طوالٍ ومـن حُد بٍ قصـارٍ والحـول والعورانِ
وشيوخٍ مثـل الفـراخ وشبّا نٍ رحـاب الأشـداق والمصرانِ
مِعَـدٌ جوّعـتْ ثلاثـين يوماً بسـلاحٍ شاكٍ من الأسنانِ
مـن مرنـدٍ ومـن تكينَ وطرخا ن وكسرى وخـردٍ وطعانِ
وخمـارٍ وزيركٍ وعجيببٍ وبـديعٍ وفـارسٍ وجوانِ
وجـريحٍ ونـار قسطـا ويونا ن وبـرحفثيا يوحنانِ
وطـرادٍ وَجَهْيلٍ وزيادٍ وشهـابٍ وعامـرٍ وسنانِ
قمّسٌ جمّعـوا بغـير عقولٍ ردعتهـم عنـي ولا أديانِ[3]

---

(١) الحدثان : الليل والنهار .
(٢) فزت : وثبت ، والبطنة : كثرة الأكل .
(٣) القمس : رتبة كنهوتية عند الأقباط

هـل سمعتـم بمعشرٍ جمعـوا الخيـ ... ـل وسـاروا في الرجـل والفرسانِ
رحلـوا من بيوتهـم ليلـة المر ... فع من أجـل أكلـةٍ مجّانِ
يركضـون البـريد تسعـة أميا ... لٍ بنصٍّ الـوجيف والذملان(١)
شرهٌ باردٌ وحـرصٌ على الأكـ ... ـل بأنّـا قومٌ من المجّانِ
مـا شعرنـا ونحـن من آمـن العا ... لم إلاّ بصرخـة الديدبانِ(٢)
أدركونـي فهـذه غرر الخيـ ... ـل وسمـرٌ يعسـلن كالأشطانِ(٣)
لسـت أنسى مصيبتـي ويوم جاءو ... ني وقـد غصّ منهـم الواديانِ
وردوا ليلـة الخميس علينا ... في خميسٍ ملء الرُّبـا والمحاني(٤)
متلثـبٍ كالسّيل لا يلتقـي منـ ... ـه لفـرط انتشـاره الطرفانِ(٥)
شزرونـي بأعـينٍ تقـدح النـ ... ـيران خوصٍ إلى العـدوّ زواني(٦)
أشرفـوا لي على زروعٍ وأحطا ... بٍ وبيتٍ من خـيره ملآنِ
لبـنٌ قارسٌ وخبـزٌ كثيرٌ ... وقـدورٌ تغلي على الدادكانِ(٧)
وشـواءٌ من الجـداء ومعلو ... فُ دجـاجٍ وفائـق الحملانِ
وشرابٌ ألـذٌّ من زورة المعـ ... ـشـوق بعـد الصّـدود والهجرانِ
يخجل الـورد في الروائـح والطعـ ... ـم ويحـكي شقائـق النعمانِ
أذكرتنـي جيوشهـم يوم جاءو ... ني جيوش العـدو في رغبانِ
بقـدم القـوم هاشمـيٌّ هريت الشّـ ... ـدق رحب المعـيٌّ طويل اللسانِ(٨)

---

(١) الوجيف : الاضطراب والخفقان ، والذملان : الإسراع .
(٢) الديدبان : الحارس والرقيب .
(٣) الأشطان : الحبال .
(٤) الخميس : الجيش ، والمحاني : الأرض المنحنية كالأودية .
(٥) متلثب : مندفع .
(٦) الشزر : النظر بغضب ، والخوص : الضيقة .
(٧) الدادكان : المواقد .
(٨) الهريت : الواسع .

هــو نمسُ الدّجــاج والبــطّ والأو زّ وذئــب النعــاج والخرفان[1]
والشريفــان أشرفــا في خلال الــ ــخيل في موكبٍ من الحبشان
وسـوادٍ من عظمــه طبّــق الأرض وخيلٍ تهــوين كالظلمان[2]
وأبــو القاســم الكبــير على طِر فٍ كميتٍ أقــبٌ كالسرّحان[3]
وأخــوه الصغــير يعتــرض الخيـ ـل على قارحٍ عريض اللّبان[4]
وهما يهــويان بالســوط والرجـ ـل إلى ما يسوءنــي مسرعان
أيُّ قلــبٍ يطيق شتــم بنــي خيـ ـر البــرايا وأكرم النسوان ؟
غــير أنّــي يوم القيامــة أشكو هم إلى الحــرّة الحصــان الرزان[5]
وأنــادي يا بنــت خــير النبييــ ـن ويا أمّ أكرم الفتيان
أيّ شيءٍ صنعــت بابنيك حتّى غزوانــي في الزّنــج والسودان ؟
والسرّيُّ الــذي سرى في جيوشٍ أضعفتنــي وقصرّت من عناني
بفــمٍ أشــوهٍ وشــدقٍ رحيبٍ وبــكفــٍّ يجــول كالصولجان
وأخــوه الفضــل الــذي بان للعا لم من فضــل أكلــه نقصاني
والشمــوليُّ خلقــه خلــق ترّا سٍ عريض الأكتاف عبل الحران[6]
لسـت أنســاه جاثياً جاحــظ العيـــــن عبوسـاً في صورة الغضبان
كالعقــاب الغرثــان يقتنص اللحـ ـم ويهــوي إلى طيور الخوان
والأديب الــذي به كنــت أعتـ ـدُّ غزانــي للحــين فيمــن غزاني

---

(١) النمس : حيوان قصير اليدين والرجلين .
(٢) الظلمان : ذكور النعام .
(٣) الطرف : الجواد ، والكميت : الذي لونه أحمر مائل إلى السواد ، والأقب : الضامر الخصر والسرحان : الذئب .
(٤) القارح : القوي من الخيل ، واللبان : الصدر .
(٥) الحصان الرزان : العفيفة الراجحة العقل .
(٦) ترّاس : صانع التروس ، عبل الحران : ضخم .

وكذا الكاتب الذي كان جاري … وصديقي ومُشتكى أحزاني

غيرَّته الأيام حتى أتاني … جائعاً للشقاء مذْ سنتان

وصديق الأشراف أخنى على خمـ … ـري وأفنى بالكرع ما في دناني[1]

كلّما شقّق الفراريج شقّقـ … ـت لغيظي من فعله قمصاني

وهو في أمره مجدٌّ رخيٌّ الـ … ـبال لم يعنه الذي قد عناني

مجرهدٌ كالسوس في الصوف في الصيـ … ـف بقلبٍ خالٍ من الإيمان[2]

قلت قل لي يا ابن المبشرّ ما شأ … نك من بين من غزاني وشاني

ليس هذا من شهوة الأكل هذا … من طريق البغضاء والشنآن

قلت للفيلسوف لما غدا في الـ … أكل أعني فتى أبي عدنان

واستحثّ الكؤوس صرفاً بلا مز … جٍ مكبّاً كالهائم العطشان[3]

ليت شعري أمن رسائل بقرا … ط تعلّمت ذا وسمع الكيان

أنت تزداد يا خليلي بهذا الـ … ـفعل علماً بالعالم الروحاني

ثم لا تنس ما لقيت وما مرَّ … لشؤمي من عسكر الفرغاني

أعجمي اللسان أفصح من قـ … ـسٍّ إذا ما نشا ومن سحبان

قال قم فأتنا بخبزٍ ولحمٍ … ونبيذٍ في حمرةِ الأرجوان

وغلامٍ مقينٍ حسن الوجـ … ـه يحاكي بقدّه غصن بان[4]

لم توكلْ فرغان إلا بتفريـ … ـغ دناني وصبّها في الجفان

إنّ من أعظم المصائب يا قو … م بلائي بذلك الطرمذان[5]

رجلٌ كالفنيق فدمٌ بلا لـ … ـبٍّ طويلٌ في صورة الشيطان[6]

---

(١) أخنى : جثم وأفحش في الشراب .

(٢) المجرهد : المشتغل والعابث .

(٣) استحث الكؤوس : أكثر منها .

(٤) المقيّن : المؤدب من القيان .

(٥) الطرمذان : الأبله .

(٦) الفنيق : الفحل من الإبل ، والفدم : الأحمق .

يققاً كالعمود يستعذب الصفـ ـع ورأسٌ أصمٌّ كالسندان[1]
زائد الخلق ناقص العقل والديـ ـن غليظ القذال كالقلّتان[2]
يبلع الطيبات بلعاً بلا مضـ ـغٍ ويحسو النبيذ كالثعبان
لا تمتني حتى أراه وقد قصّـ ـر من فضل طوله شبران
وأتوني بزامرٍ زمره يحـ ـكي ضراط العبيد والرّعيان
ومغنٍ غناؤه يطلق البطـ ـن ويأتي بالقيء والغثيان
قصدت هذه الطوائف حمرا يا لهتكي وذلّتي وامتحاني
قلت ما شأنكم قالوا أغثنا ما طعمنا الطعام منذ ثمان
وأناخوا بنا فيا لك من يو مٍ عبوسٍ عصبصبٍ أرونان[3]
نزلوا حجرتي وأطلقت الأفرا س بين الرطبان والقصلان[4]
لم يكن مربعاً سوى ساعة حـ ـتى رأيت الزروع كالفلحان
أفقروني وغادروني بلا دا رٍ ولا ضيعةٍ ولا بستان
حيرّوني ودلهّوني فقد صر ت بليداً كالذاهل السكرانِ
أسمع اللفظ كالطنين لسهوي وهو لفظٌ يجري لغير معاني
تركوني يا قوم أفقر من فر خٍ وأعرى ظهراً من الأفعوان
أكلوا لي من الجرادق ألفيـ ـن ببينٍّ تشتاقه العارضان[5]
أكلوا لي أضعافها غير مسطو رٍ ومالوا إلى سميد الفران
أكلوا لي من الجداء ثلاثين قريصاً بالخلّ والزعفران[6]

---

(١) اليقق : الشديد البياض .
(٢) القذال : القفا حيث يكون الصفع .
(٣) عصبصب : أي عصيب شديد ، والأرونان : الصعب من الأيام .
(٤) الرطبان والقصلان : العلف الطري والناضج .
(٥) الجرداق : الأرغفة .
(٦) الجداء : جمع جدي ، وهو الحمل الصغير ، والقريص : ضربٌ من الأدم .

أكلــوا ضعفهــا شواءً وضعفيـ ـهــا طبيخــاً من سائــر الألوان

أكلــوا لي تبالــةً تبلّــت عقـ ـلي بعشرٍ من الدجــاج السّمان

أكلــوا لي مضـيــرةٍ ضاعفــت ضرّ ي بروس الجــداء والعصبان

أكلــوا لي كشــكيّةً قرّحــت قلـ ـبـي وهاجــت لفقدهــا أشجاني

أكلـوا لي سبعــين حوتــاً من النهـ ـر طريّاً من أعظـم الحيتان

أكلــوا لي عدلاً من المالح المشـ ـويّ ملقــى في الخـلّ والأنجدان

أكلــوا لي من القريشــاء والبر ني والمعقــلي والصــرفان

ألف عدلٍ سوى المصقــر والبر دي واللؤلــؤي والصيحاني

أكلــوا لي من الكوامــخ والجو ز معــاً والخـــلاط والأجبان

ومــن البيض والمخلّل ما تعـ ـجـز عن جمعــه قرى حوران

فتّتــوا لي من السفرجــل والتّـ ـفــاح والرازقــيّ والرّمان

والرياحــين ما رهنــت عليه جبتّــي عنــد أحمــد الفاكهاني

درســوا لي من البنفســج والنر جس ما ليس مثلــه في الجنان

ذبحــوا لي بالرغــم يا معشر النا س ثمانــين من معــينٍ وضان

مــا كفاهــم ما مرّ من غنــم القر ية حتــى أخنــوا على الثيران[1]

ذبحوهــا والدمــع يجــري على خدّ ي انسيابــاً مثــل انسياب الجمان

أكلــوا كل ما حوتــه يميني وشمالي ومــا حوى جيراني

ثــم قالــوا هلــمّ شيئــاً فناديـ ـت غلامي قم ويك فاخبأ حصاني

لــم تدع لي بطونـكم يا بني البظـ ـر سواه وذا شطــوبٌ يماني[2]

فتمالــوا عليّ شتماً ولعناً واستباحــوا عرضي بكلّ لسان

مــن له قدرةٌ على الشعــر يهجو ني ومــن كان مفحماً يلحاني[3]

(١) أخنوا : أفحشوا بقتلها وذبحها .

(٢) شطوب يماني : سيف يماني .

(٣) مفحماً : عاجزاً .

وكأنّي أنا الذي عشت في الخيـ ـر وغيرّت صورة الحيوان
ثم جاء المعقّبون من السّا سة والشاكريّ والعبدان
فرأيت النخاع واللطم والدفـ ـع وكدم الأنوف والآذان
وتفانوا صفعاً وفاح من القو م غبارٌ من الفسا والصِّنان
ثم لّما أتوا على كلِّ شيءٍ ختموا محنتي بكسر الأواني
ثم قاموا إلى الجلاهق والبا شق والمحدقات والزربطان[1]
فرأيت الحمام بعضاً على بعـ ـض وبعضاً ملقى على الأغصان
ورأيت الدّجاج في وسط القر ية ملقى مكسرّ السّيقان
أكلوا ما ذكرت واستعملوا لي يا ثقاتي كرّاً من الأشنان[2]
ومن المحلب المطيب بالبا ن وماء الكافور سبع براني
شربوا لي عشرين ظرفا من الرا ح لذيذ المذاق أحمر قان
فأقاموا سواسهم والمكاريـ ـن إلى أن سمعت صوت الأذان
ينقلون الأحطاب من حيث وافو ها فبالطير مرّ لي غيضتان
جوزةٌ كان حملها أحسن الحمـ ـل وكانت ظليلة الأفنان
كان لي في فنائها منزلٌ رحـ ـبٌ أنيقٌ يحفّه نهران
ورياضٌ مثل البرود علاها الـ ـطلُّ بين البهار والأقحوان
وطيورٌ ما بينها تتغنّى بجميع اللّغات والألحان
هي كهفي ومستظليّ من الحـ ـر وذخري لنائبات الزّمانِ
أحرقوها يا قوم في ساعة القفـ ـز وضرب الأحطاب بالنيرانِ
كسروا السّكر فاختلطت فقالوا كيف تبقى بغير شاذروانِ[3]
قطعوا اللوز والسفرجل أحطا باً ومالوا بها على غلماني

---

(١) الجلاهق : القوس التي يرمى بها البندق .
(٢) الأشنان : حمض تغسل به الأيدي والثياب .
(٣) الشاذوران : نوع من الحلوى .

والنواطير مدّدوا وعلوهم حنقاً بالعصيّ والقضبانِ
طالبوني بالنيك في آخر الليـ ـل وجمع النساء والمردانِ
قم فأسرع فبعضنا يطلب المر د وبعضٌ مستهترٌ بالغواني
فتوهّمته مزاحاً فجدّوا قلت هذا ضربٌ من الهذيانِ
ليس يبقي على أرامل حمرا يا سوى بذلهنّ للضيفانِ
لو سمعتم يا قوم في غسق الليـ ـل بكاء النِّساء والولدان
يتنادون بالعويل والويـ ـل وراء الأبواب والجدرانِ
ويقولون ويلنا من أبي القا سم هذا المطرمذ المخرقاني[1]
قصدته الأعداء فاستملكونا فحصلنا أسرى بغير أمان
أوجروني النبيذ بالرطل حتى صرت أمشي كمشية الفرزان[2]
فجعوني لمّا سكرت بهميا ني وشقّوا عصائب الطيلسانِ
كان في أوّل النهار على رأ سي فأمسى على رءوس القيان
ثم راحوا بعد الهدوء إلى دا ري فلم يتركوا سوى الحيطان
كان لي مفرشٌ وكلٌّ مليحٍ فوقه مطرحٌ من الميساني
وبساطٌ من أحسن البسط مذخور لعرسٍ او دعوةٍ أو ختان[3]
غرّقوه بالزّيت والبول والقـ ـيء فأضحى وقدره بعرتان
أوقدوا زيتنا جزافاً بلا كيـ ـلٍ يكيلونه ولا ميزانِ
خلت داري يا إخوتي المسجد الجا مع ليلاً للنصف من رمضان
سرقوا جبّتي وسيفي وسكيـ ـني وخفّي وجوربي ورّاني

---

(١) المطرمذ : الأبله . والمخرقان : الكاذب المختلق .

(٢) الفرزان : من حجارة الشطرنج .

(٣) الختان : طهور الطفل الذكر .

ثم لمـا انتهت بهم شدّة الـكظّـــة خرّوا صرعـى علـى الأذقان[1]
هوّمـوا ساعـةً كتهويمـة الخا ئف في غير ارضـه الفزعان
ثـم قامـوا ليلاً وقـد جنـح النسـر ومـال السّمـاك والفرقدان
يصرخون الصبوح يا صاحب البيـت فأبكوا عيني وراعـوا جنانـي
سحبوني من جوف بيتي علـى وجـهي كأنّـي أدعـى إلـى السلطان
بقلـوبٍ أشـدُّ حرّاً من الجمـر وأقسـى من الصفـا الصوان
قلـت رقّـوا لذلك الطفـل ميمو نْ ولا تؤتمـوه يا إخواني[2]
مـا تفـي أكلـةٌ بقتـل غريبٍ ذي عيالٍ ناءٍ عن الأوطان
علّقونـي بفـرد رجـلٍ إلـى السّقـ ف وعذّبـت ليلتـي بالدخان
لو رآنـي أبـي وأمـي على رأسـي ورجـلاي بالعصـا تنقران
بـكيا لي من ذاك واشتريانـي من يديهـم بكلّ ما يملكان
وقع الضـرب ياخليلـي علـى جسـ ـمٍ من السّـوط والعصـا قرحان[3]
قلـت للفضـل والسـريّ غثاني ومماتـي قد حلّ بي خلّصاني
واذكرا عشرتـي ودّي وإخلا صي وحنّـا علـيّ واستبقياني
أنتمـا إن قتلتماني وحقّ اللـ ـه من أجـل أكلـةٍ تندمان
أيّ شيءٍ تركتمـاه لضعفي قد مضـى لي بالأمس ما قد كفاني
أحلفانـي أن ليس عنـدي مشرو بٌ ولا في خزانتـي لقمتان
فاستشاطا علـيّ غيظـاً وقـال الـ فضـل قلّ لي بأيّ عينٍ تراني
نحـن من أجهـل البـرية طرّاً إن حصلنا منـكم علـى الأيمان
قطعـوا الحبـل فانقلبـت علـى رأ سي وظهـري فانـدقّ لي ضلعان

---

(١) الكظّة : التخمة .

(٢) تؤتموه : أي تجعلوه يتيماً .

(٣) قرحان : سريض .

ثـم لمّـا تمـكّن اليأس خلّو ... ني ومالـوا حشـواً علـى الأتبان[1]

وأجـيري مسـخّرٌ ينقـل الأتـــبان بالذل عـارياً والهوان

وهو يبكي فقلت ويحك ما تصـ ... نع بالتبـن بعـد موتـة الفدّان

سرقـوا السُّـرج والقنـاديل والزيـ ... ت وأقداحنـا وكلٌّ القناني

والنبيذ استقـوه واغتنموه ... آخـر الليل كاستقـاء السواني[2]

زوّدوه سواسهـم والمكاريـ ... ن معـاً بالجـرارِ والكيزان

لو ترى الفضل وهو يحمل في السر ... ج قميصـاً مخيَّط الأردان

قـد حشـاه لحمـاً وطيراً وسبعيـ ... ن رغيفـاً من أعظـم الرغفان

سرقـوا الـراح في الزقـاق وراحوا ... بطعـامٍ منضّـدٍ في الصّواني

ميزّوا خيلهـم بكلٍّ كسيرٍ ... وعقيرٍ مدبَّـرٍ جربان

خلّفـوه يرعـى بقيَّة زرعي ... رعـيَ لا خائفٍ ولا متوان

ما رثـى لي سوى المبارك من ضـــــرّي وذاك القصير الدحدحاني

رفّهانـي وخفّفـا الثقـل عني ... فهمـا من ملامتـي سالمان

والسـري السـرى حقـاً كمـا سـ ... مى أيضـاً من بطنـه أعفاني

هـل سمعتـم فيمـا سمعتـم بإنسا ... نٍ عراه في دعـوةٍ ما عراني

أسعدونـي يا إخوتـي وثقاتي ... بدمـوعٍ تجـري من الأجفان

إخوتـي من لواكف الدمـع محزو ... نٍ كئيبٍ مدلّـهٍ حيران

هائـم الفـكر ساهـر الليل باكي الـ ... ـعين واهي القـوى ضعيف الجنان

لـم يكن ذا القـران إلاّ علـى شؤ ... مي فويلـي من نحس ذاك القران

قد أحسن في هذه القصيدة غاية الإحسان، وأبان فيها عن مغـزاه أحسـن بيان . وتصرف فيها وأطال، وأمكنه القول فقال. وإذا تخلص الشاعر عند الإطالة

---

(١) الأتبان : قصب القمح والشعير وغيره اليابس ، يطحن ويستعمل علفاً للحيوانات .

(٢) السواني : البُهم .

والوصف هذا التخلص، وسلم مما يؤديه الى التكلف والتلصص . فهو الذي لا يدرك غوره ، ولا يخاض بحره .

وقال أيضاً يهجو أبا الفضل يوسف بن علي، ويعرض فيها بمنشأ بن إبراهيم ابن القزاز ، ويقال : إن هذه القصيدة كانت سبب عزله من عمله ، وقد تصرف فيها كل التصرف ، وهي سالمة عن التكلف، ولم يقل في معناها مثلها ، وهي [من المنسرح]:

يا أهـل جيرون هل لسامركم إذا استقلّـت كواكب الحمل

في ملـحٍ كالـرّياض باكرها نوء الثـرّيا بعـارضٍ هطلَ

أو مثل نظـم العقـود بالشـذر والـ درٍّ وَوَشـي البـرود والـكللِ[1]

يلـذُّ للسامـع الغنـاء بهـا علـى خفيف الثقيل والـرمل

كنـت علـى باب منزلـي سحراً أنتظـر الشـاكريّ يسـرج لي

وطـال ليلـي لحاجـةٍ عرضت باكرتهـا والنجـوم لم تمل

فمـرّ بي في الظـلام أسـود كالـ فيل عريض الأكتـاف ذو عضل

أشغـى له منخـرٌ كـكوّة تنـ ورٍ وعينٌ سجـراءَ كالشّعل[2]

ومشفـرٌ مسبـلٌ كخـبٍّ رحىً علـى نيوبٍ مثـل المـدى عُصُل[3]

مشقّـق الكعـب أفـدع اليد والر جل طويل السـاقين في سمل[4]

فأهـدت الـريح منـه لي أرجاً مثل جني الروض في النـدى الخضل

مسـكاً وقفصيّةً معتّقةً شيبـا ببـانٍ وعنبـرٍ شمل[5]

فقلـت ما هكذا يكون إذا راح الندامـى روائـح السفل

---

(١) الشذر : العقد ، والكلل : جمع إكليل .

(٢) الأشغى : الطويل المنقر المعقوف ، والمسجور : المحمّى والمستعر .

(٣) العصل : المعقوفة .

(٤) أفدع : أعوج ، والسمل : البالي الرث من الثياب .

(٥) شيبا : مزجا .

أسـود غادٍ من الأتـون له عرف أميرٍ نشـوان في فضل
هذا وربّ السّمـاء أعجـب من حمـار وحشٍ في البـرّ منتعل
اردُدْهُ يانصـر كي أسائـله فشأنـه عضـلـةٌ مـن العضل
فقـال يخشـى فوات حاجتنا وليس هذا من أكبـر الشغل
فقلـت ترك الفضـول يا ناقص الـ ـهمّـة عين الإدبـار والكسلِ
بادره من قبـل ان يفوتـك في سلـوكه بين هذه السُّبلِ
فصـدّ عنّـي تغافـلاً ومضى يعجـب من عقلـه ومـن خللي
وصـاح من خلفـه رويدك يا أسـود مالـي بالعـدوّ من قِبَلِ
ارجـعْ إلـي ذلك الـرّقيع وإن أطـال في خطبـه فلا تطل
أجـبْ إذا ما سئلـت مقتصداً في اللفـظ واسكتْ إن أنـت لم تسل
وهـو بتـرك الفضـول أجـدر لو يسلـم من خفّـةٍ ومـن خطل[1]
فكرّ نحـوي عجـلان يعثـر في مرطِ كسـاءٍ مبرغـثٍ قمل[2]
وقـد مذى والمـذي يقطـر من غرمولـه في الـذيول كالوشل[3]
وظـنّ أنّـي صيدٌ فأبـرز لي فيشلـةً مثـل ركبـة الجمل[4]
سوداء قد طوّقـت بطـوق خرا أصفـر تزهـى به علـى الحجل
وقـال لجْ داركم لأولجها فيك وإن كنـت لم تبـل فبل
فطالمـا أسهلـتْ طبيعـة من ليس لأمثالهـا بمحتمل
هذا علـى أنّهـا مؤدّبةٌ من الفياشـي المروضـة الذلل
وطـال والله ما خدمـت بهـا الـ ـملـوك خلف السّتـور والكلل
وكنـت أغشاهـم علـى فرش الـ ـخزّ بـلا سقطـةٍ ولا زلـل

---

(١) الخطل : فساد الرأي .
(٢) المرط : الثوب الطويل المذيل .
(٣) المذى : ما يخرج من القضيب عند تهيّجه ،والوشل : الماء القليل .
(٤) الفيشلة : عنق القضيب الضخم .

لأنهـا صنعتـي وصنعـة آ بائـي قديمـاً في الأعصـر الأول

وزاد في دولـة اليهـود بها شرطـي علـى ما مضـى من الدّول

حتّـى لقـد فتّقـتْ فروشهم وطـرّيت بالغـدوّ والأصـل

فانظـر إليهـا فإن رأيت لها شبهـاً فلا تدعنـي أبـا الجعل

وخـذ عمـوداً أغلافـه شرجٌ لم يمتهـنْ ساعـةً ولـم يذل[1]

قلـت له لا عدمـت برّك قد بذلـت ما لم يكن بمبتذل

وجـدت عفـواً من غير مسألةٍ بدرّةٍ لا تبـاع بالجمـل

لكنّنـي والـذي يمـدُّ لك الـ ـعمـر ويعـطيك غاية الأمـل

ما شقّ دبـري مذ قطّ فيشلةٌ ولا انتخـاب الأيور من عملي

ولا لهـذا دعيت فاطلـب لميـ لوخـك من يستلـذّهُ بدلي

وهـاتِ قل لي بالله من أين أقـ بلـت ودعنـي من هذه العلل

فقـال لي بتٌّ عنـد عاملكم هذا أبـي الفضـل يوسف بن علي

فصـاك بي طيبـه وصـاك به منّـي صنـانٌ في حدّة البصل[2]

تركتـه بالنهـار اخفش لا ينظـر في خـدمـةٍ ولا عمـل

قلـت تزيّدت وادّعيت علـى شيخٍ نبيـلٍ ينمـى إلـى نبل

أبـوه سمـحٌ وجـدّه ملكٌ يدعـى حنينـاً وعمُّـهُ الصملي

لعـلّ ذا غيره فصفـهُ فما يخـدع مثلـي بهـذه الحيـل

فإن تكن صادقـاً نجـوت وأنـــحيت عليه باللـوم والعذل

وإن تكن كاذبـاً صفعتـك بالنـــعـل فإن كنـت قائـلاً فقل

فقـال يا سيدي عجلـت بمكــــر وهـي وكان الإنسـان من عجل

هذا الـذي بتُّ عنـده نصفٌ دون مسـنٍّ وفـوق مكتهل

---

(١) الشرج : نهاية المعيّ .

(٢) صاك : لزق .

في فيه نتنٌ وتحت عصعصه عينٌ تمجُّ الصديد في دغل[1]
آدر رخو العجان منخرق الـ مبعر ألحى مهيّج السفل[2]
حيضة باسوره إذا اختلطت بالسّلح كالسمن شيب بالعسل
له إذا ما علوته نفسٌ أمضى من السيف في يد البطل
يصرع طير السماء في الأفق الـ أعلى ويوهي مخارم القلل
أنتن من كلٍّ ما يقال إذا بالغ في الوصف ضارب المثل
وهو على ذاك مولعٌ أبداً لشؤم بختي بالعضِّ والقبل
نعم وفي باب سرمه وضحٌ أبيت ليلي منه على وجل
أخاف يعدى أيري ببرصته فأغتدى مثلةً من المثل
أسود كالليل بين أكرعه عمود صبحٍ ينجاب عن طفل[3]
فقلت هذى صفاته ولقد شغلت قلبي بذلك الرجل
فقال أمّا إذ اهتممت به فإنّه في نهاية الجذل
قد طاب عيشاً وقد أصاب من الـ لذة ما لم يصب ولم ينل
يكون مثل العروس مفترشاً طوراً وطوراً كالفحر في الإبل
فيجمع اللذّتين مغتبطاً ذي دبره تارةً وفي قبل
وهو عوانٌ لم يخش من ألم الـ حمل عقيمٌ لم يخش من حبل[4]
وأنت يا ابن الخراء محتفلٌ بأمره وهو غير محتفل
فقلت قل لي من أين تعرفه فقال ذرني من هذه العقل
كنت أجيراً بيدٍّ معصرةٍ بصور كانت لكاتب البجل
وكنت أضحى النهار في ظاهر الـ يد إذا ما انصرفت من شغلي

---

(١) الدغل : في خفاء .
(٢) آدر : فاسق ، والعجان : الإست .
(٣) الطفل : وقت مغيب الشمس .
(٤) العوان : نصف المرأة ، لا بكر ولا متزوجة .

فنمت يوماً وكنت من سهر الـ … ـليل وقيذاً كالشارب الثمل[1]
وهبّت الريح فانكشفت ولم … أشعر وطار الشراع عن قبلي
واجتاز للحين والقضاء الذي … حمّ منشا في موكبٍ زجل
حف بّصفر البنود والخيل والر … جل وبيض الصفيح والأسل
على كميتٍ أقبّ كالصّخرة الـ … صماء قدت من قنّة الجبل[2]
ليس بأشغى ولا أجش ولا … أهضم طاوي الحشى ولا شغل[3]
وهو أمام الصفوف تقدمه … جرد الهوادي شوازبُ المقل[4]
مجنّباتٌ كأنهنّ سرا … حين قطاءٍ أو كالقنا الذّبل[5]
وحان منه التفاتة فرأى … ذيل قميصي قد قدّ من قبل
فاشتدّ تحديقه إليّ كما … حدّق ذئبٌ طاوٍ إلى حمل
ولم أبت ليلتي وعيشك يا … مولاي حتّى دعيت بالرسل
فجئته خائفاً كما يلج الـ … ـعصفور مستكرهاً على الورل[6]
فارتعت لما رأيت لحيته … وكدت أخرى من شدّة الوهل
وظنّ أني استحييته فغدا … يبسطني بالمزاح والغزل
وقال هذا الحياء - يا بأبي … أنت - بريد النكول والفشل[7]
فاطرّح الهيبة المضرة بي … واعتزل الخوف أيّ معتزل
إن كنت أكرمتني لترفع من … قدري فبعض الهوان أنفع لي

---

(١) الوقيذ : المحزون والثقيل والشديد المرض ، والثمل : السكران .
(٢) قنّة الجبل : قمّة الجبل .
(٣) طاوي الحشى : جائعه وضامره ، والشازب : الضامر والخشن .
(٤) الجرد : الخيل ، والشازب : الضامر والخشن .
(٥) السّراحين : الذئاب .
(٦) الورل : دابة تشبه الضبّ تكون في الصحارى والرمال .
(٧) النكول : النكوص والهرب .

انتف سبالى واصفع قفاي ولا ... تنظر إلى قدرتي ولا خولي
ولا عبيدي ولا فروشي ولا ... طيبي ولا حليتي ولا حللي
إن يشقَ أعلاي باللطام فقد ... يسعد بالرهز بعده سفلي[1]
وليس بعد المزاح يا بأبي ... في الرأس من حشمةٍ ولا خجل
ولم يزل دائباً يشمرخ شا ... قولي ويختال لي على مهل[2]
فحين أدليت كالحمار بدا ... يرفع أجلاله عن الكفل
وخرّ للوجه والجبين وقد ... رطّب حول خصييه بالبلل
طعنته طعنةً بصدق الأنا ... بيب أصمّ الكعوب معتدل
فقال : أوجعت جوف مقعدتي ... وظلّ يدعو بالويل والهبل
وقرقرت بطنه وربّتما ... حذّرت من مثلها ولم أبل
ثم رماني بسلحة خطمت ... أنفي فزاولتها على ميل[3]
فقلت: يا سيدي ويا أملي ... أظن ذا السرم من بني ثعل
فقال: أخطأت إذ أسلت دمي ... فقلت: كلا والله لم يسل
أين النجيع القاني ؟ فديتك من ... لطخٍ رجيعٍ كالورس منسحل[4]
ألا تبرّزت لا أبالك أو ... شددت من باب سرمك النغل ؟[5]
فقال لما أنشأت تعفجني ... في استي برمحٍ لم يعتصم سفلي[6]
ألم تكن عالماً بأنّ سلا ... ح استي سلاحي في كلّ منتضل[7]

---

(١) الرهز : النهز والإدخال .
(٢) يشمرخ : ينتصب ، والشاقول : القضيب .
(٣) خطمت : أصابت وقطعت .
(٤) النجيع : الدم ، ومنسحل : مطحون .
(٥) تبرّزت : خرجت ، والنغل : الفاسد .
(٦) تعفج : تعالج وتعرك .
(٧) منتضل : معترك .

خذ آبنوساً حلّيته ذهباً ... فالحلي أولى به من العطل[1]
ولا تلمني فكيف أصنع في ... سرمٍ شديد الحكاك مؤتكل
تمنعه اللّذة الحياء فتسـ ... ترخي حواشي مثقّفٍ نغل
نعم وعاجلتني بجانفةٍ ... أصمت ومرّت في موضع العلل[2]
عاجلت قلبي عن التحفّظ في ... أمري برهزٍ كالبرق مشتعل
وخاض جعسي أيرٌ به هوجٌ ... يجوز حدّ الجنون والخبل[3]
يا سيدي ما اسمه فقلت أبو الـ ... أسود يكنى وليس بالدؤلي
فقال: يا حبذا أبو الأسود الزا ... هد فينا بسلحةٍ قبلي
هل رابه غيرها وقد جعل الـ ... ـماء طهوراً لكلّ مغتسل
فامض وعد بعدها لترويني ... من بعد نومي علاً على نهل
ولاتخف بعدها وصاح بفرّا ... ش قصير السّربال معتمل
فقال ذاك الفرّاش: مالك قد ... متّ كذا فاغتسل ولا تبل
فهذه عادةٌ لسيّدنا ... موروثةٌ عن أبيه لم تزل
ولم أزل في خزانة الفرش أيّاماً ... مخلّى في زيّ معتقل
حتى انثنت صعدتي وبان له ... فيَّ اناة الفتور والكسل[4]
ثم تغنّي والأير في يده ... قد خفّ بعد العتوّ والثقل
يا دار هندٍ بالخيف من ملل ... حييت من دمنةٍ ومن طلل
وقال لي ويك في دمشق أخٌ ... للوقف والخرج والضياع بلى
وهو بحبّ السودان أعرفه ... وليس عن رأيه بمنتقل
فخذ كتابي وسر إليه ولا ... تترك مقالاً مذ قطّ لم يقل

(١) الجيد العطِل : الخالي من الحليّ .
(٢) الجانفة : الجالفة ، جلف وجنف بمعنى كشط الجلد .
(٣) الخبل : فساد العقل .
(٤) الصعدة : القوّة ، أي ضعفت شهوته وفتر قضيبه .

وقـلّ سرتْ بي في الليل ذعلبةٌ تهـدي صدور المهـريّة البزل[1]
تمطـو جماحـاً إذا المطـيُّ ونتْ حتـى تراخـى لهـا من الجذل[2]
أهـوى بطـون الأقطـار في غسق الـ لميل وآوي مناهـل الـوعل
وليس لي شافـعٌ إليك سوى فيشلـةٍ أسهلـت أبـا سهل
فإنّـه سوف يلتقيهـا ويحـ بوهـا إذا أقبلـت بحيهل[3]
وتغتـدي عنـده أعـزّ من ال أهلين والأقـربين والخول
فجئتـه واثقـاً بقـول أبي سهـلٍ ومـن يسمـع المنـى يخل
فمـا حصلنـا إلا علـى سهرٍ يعمـي ورهـزٍ يوهـي القـوى نكل
وكان هذا ابتـداء معرفتي به ، فحسبـي فاقطـعْ ولا تصل
وقـد مضـى يومنـا بلا عملٍ ترجـى لـه أجـرةٌ ولا أمل
ظننـت للنيك قد دعيت، ولم أدري بأنـيّ دعيت للجدل

صرف عنه بعض الأدباء وهو ابن خيران العبد لأنه أصال ولم يصرفه صرف عنه بعض الأدباء وهو ابن خيران العبد لأنه أطال ولم يصرفه بعد منثور يتقدم ذلك :

قلـت له : اذهـب مصاحبـاً فلقد حدّثـت عنـه بحـادثٍ جللٍ
فمـرّ يسعـى كأنّـه ثملٌ من سهـرٍ كدّه ومـن ملل[4]
يقـول في سيره وقـد وضـح الـ صبـح : ألا ربّ واثـقٍ خجل
كان نكاح إبليس زوّره بلا شهـودٍ ولا حضـور ولي
لا بارك الله فيهمـا فلقد جاءا بمـا لا يجـوز في الملل

---

(١) الذعبلة : الناقة السريعة ، البزل : النوق والجمال .
(٢) تمطو جماحاً : أي تسرع في مشيتها ، والونى : الضعف .
(٣) بحيهل : كلمة منحوتة ، من حيّ أي أقبل ، وأهلاً وسهلاً .
(٤) كدّه : أرهقه .

وعــدت بالله أســتعيذ من الـ ... سوء ومــن كلّ موقفٍ رذل
والحمــد للواهــب السلامــة من ... جرحٍ يداوي بهــذه الفُتُل[1]

وإن اتفق وجود المنثور ألحقته بعون الله وقدرته .

٢٧ ـ أحمد بن محمد الطائي الدمشقي

قال [من الخفيف] :

قــد غدونــا إلــى صلاة الغداة ... ثم ملنــا منهــا إلــى الحاناتِ
فشربنــا مدامــةً كدم الخشـ ... ـف عقــاراً تضــيء في الكاساتِ
فــإذا شجّهــا السقــاة بمــاءٍ ... أبــرزت مثــل ألسـن الحيّات[2]
وكأنّ الأنــامــل اعتصرتهــا ... من شقيق الخـدود والوجناتِ

* * *

٢٨ ـ أبو محمد الموصلي

قال يرثي أم الأمير أبي الحسن علي بن عبد الله بن حمدان ، وقد رثاها الناس على طبقاتهم [من الخفيف] :

يا أميراً علا علــى النّجـم همّه ... مثل ما قد زرى على الخلـق عزمهْ[3]
أكثــر النــاس في التعـازي وقـالوا ... كلّ معنــىً ينسـي أخــا الهــمّ همّهْ
فاختصــرت العــزاء في نصف بيتٍ ... كلّ خطــب إذا تعــدّاك نعمهْ

* * *

(١) الفتل : جمع فتيل ، وهو ما يداوى به الجرح ويستخرج به قيحه .

(٢) شجّها : مزجها وشقها .

(٣) زرى : عمّ .

٢٩ ـ أبو محمد الحسن بن علي بن وكيع التنيسي

شاعر بارع . وعالم جامع . قد برع في إبانه ، على أهل زمانه ، فلم يتقدمه أحد في أوانه . وله كل بديعة تسحر الأوهام ، وتستعبد الأفهام . فمن ملح شعره وغرائبه قوله من قصيدة مربعة [من الرجز] :

رسالــةٌ من كلفٍ عميد حياتــه في قبضــةِ الصّدودِ
بلَّغــه الشّــوق مدى المجهود ما فوق ما يلقــاه من مزيدِ

* * *

جــار عليه حاكمُ الغــرام فدقَّ أن يُدرك بالأوهام
فلــو أتــاه طارقُ الحمــام لم يرده من شدَّة السقام

* * *

لــه اهتــزازٌ وارتياحٌ وطربْ لوجــه من أورثــه طول الكربْ
فهل سمعتــم في أحـاديث العجبْ بمـن منــاهُ قُرْبُ مَنْ منــه العَطَبْ

* * *

مـا غاب عنــه الحــزم في الأمور لكنّ مقــدار الهــوى ضروري
صاحبــه يخبــط في ديجور منفســد التّقــديــر بالمقدور

* * *

إذا التقــى في مســمعيه العذلُ وقيل من دون المــراد القتلُ
قــال لهــم لوم المحــبِّ جهلُ إنّ الهــوى يغلــب فيه العقلُ

* * *

مـا العــذر في السلــوة عن غزالِ منقطــع الأقــران والأشكالِ

تستخلف الشمس لدى الزوال ضياء خدَّيه على الليالي

* * *

بخفة الروح احتوى صلاحي فصرت لا أرغب في الفلاحِ
والشكل والخفّة في الأرواح أملح ما يعشق في الملاحِ

* * *

من عشق الفدم وإن دقّ البصرْ فليقصد البيعة وليهوَ الصُّور[1]
من كان يهوي منظراً بلا خبر فما له أوفق من عشق القمر

* * *

ظبيٌ سلويّ عنه مثل جودهْ خياله أكذب من موعودهْ
أجفانه أسقم من عهوده أردافه أثقل من صدودهْ

* * *

يا وصله صل مثل وصل صدّه يا حكمه كن في اعتدال قدِّه
يا قلبه كن رقةً كخدّه يا خصره كن مثل ضعف عهده

* * *

أمّا وخصر ضعفه كصبري له ووجه حسنه كشعري
له عذارٌ قام لي بعذري لا تِبْتُ من شوقي إليه دهري

* * *

أضحى لإبليس به استقدار على بني آدم واستبشارُ
وقال : في ذا تستطاب النار ما لهم عن مثل ذا اصطبارُ

* * *

(١) الفدم : الغليظ الأحمق .

تمّـت لي الحيلـة في العباد أدركت من صالحهـم مرادي
بمثـل ذا أمكننـي إفسادي لأنفـس العبّـاد والزّهادِ

* * *

والهفتـي من خدّه الأسيلِ إذا انجلى عن صفحتـيْ صقيلِ[1]
واحربـي من طرفـه الكحيلِ مَنْ منصفـي منه ومَـنْ مديلي ؟[2]

* * *

مـن مقلـةٍ كالصّـارم البتّار ألحاظهـا أمضـى من المقدار[3]
تحـكم في لبِّـي وفـي اصطباري نظيرَ حكم الدّهـر في الأحرار

* * *

حـلّ قواي العقـد من زنّاره ألهـب قلبـي خدُّهُ بنارهِ
عـذّرٍ صبـري مبتـدا عذاره حيّرنـي بالطـرف واحوراره[4]

* * *

جـاء بوجـهٍ حسنـه محبوبُ تطيب في أمثالـه الذّنوبُ
وقامـةٍ ذلّ لهـا القضيبُ والقـدُّ تنقـدُّ به القلوبُ

* * *

هفـا بقلبـي منـه إفـراطُ الهيَفْ فقلـت لمـا أن تثنّـى وانعطف :[5]
يا سيدي من دون ذا الميل التلفْ وشرط من كان ظريفاً في القطف[6]

* * *

(١) الأسيل : الأملس الناعم ، والصقيل : السيف المصقول .
(٢) الحرَب : الأسف والحزن ، والمديل : المعين والمغلّب .
(٣) البتّار : القاطع .
(٤) الحور : شدّة سواد العين وشدّة بياضها .
(٥) هفا : حنّ ومال ، والإفراط : الإكثار .
(٦) التلف : الهلاك .

مـا قِصَـرُ القامـة مثـل الطول ولا البـدين الجسـم كالمهزول
عشـق الـرشيق الأهيف المجدول شأن ذوي الأفهـام والعقول

* * *

لا يعشـق الضخـم الغليظ الجسمِ غير غليظ الطبـع جافٍ فدمِ
مـكدّر الحسّ ركـود الفهم يقـول في الحسـن بغير علمِ

* * *

قد صحـت لمـا خفـت منـه القتْلا وكدت من فرط السقـام أبلى :
يا حاكمـاً جانَـبَ فيَّ العـدلا مهـلاً بمـن يهـواك مهـلاً مهلا [1]

* * *

يا ظالمـاً يقتلـنـي مجاهره قد منـع الوجـد من المساتره
هلـم إن شئـت إلـى المناظره واستعمـل الإنصـاف لا المكابره

* * *

فـي أيِّ دينٍ حلَّ قتـل الروح وهـل لمـا تفعـل من مبيحِ
إن قلـت ذا جاء عن المسيح فليس مـا تـزعـم بالصحيحِ

* * *

مُـرْقُصُ ما أخبرنـا بذا الخبرْ عنـه ولا لوقـا حكاه في الأثرْ
وقـد نهـى عن ذا يوحنـا وزجر ولا ارتضـى متَّـى به ولا أمرْ

* * *

أربعـةٌ ليس لهـم عديلُ ولا لهـم فـي أمـرهـم كفيلُ

---

(١) جانبَ : ابتعد وفارق .

مـــا فيهـــمُ مـــن قـــال مـــا تقولُ   فهـــل سوى إنجيلهـــم إنجيلُ

* * *

فـــإن زعمـــت أن ذا موجود   في زبـــرٍ جاء بهـــا داودُ
فمـــا الزّبـــور بيننـــا مفقود   فكيف لـــم تعلـــم بـــه اليهودُ

* * *

ولـــم يخبّـــر أحـــدٌ سواكا   مـــن النصـــارى كلّهـــمْ بذاكا
لا تتقـــوّل غـــير ما أتاكا   وغلّـــبِ الحـــقَّ علـــى هواكا[1]

* * *

سفـــك دمـــي يحظـــر في الأديانِ   فدع حجاجـــاً ظـــاهـــر البطلانِ
لا تجمـــع الإثـــم مع البهتانِ   وكن علـــى خوفٍ من العدوانِ[2]

* * *

واعلم بأنـــي إن تمـــادى بي الهوى   وخفـــت أن أتلف من فرط الضّنى
ودمـــت في هجـــرك لي كمـــا أرى   ولـــم أجـــدْ منـــك لمـــا بي مشتكى

* * *

شـــكوت ما تلقـــاه نفســـي البائسهْ   من خطـــراتٍ للهمـــوم هاجسهْ
عفـــت رســـوم الصبـــر فهـــيَ دارسهْ   إلـــى جميع عصبـــةِ الشمامسهْ

* * *

فـــإنْ هُـــمُ لـــم يرحمـــوا أنيني   وخيّبـــوا في قصدهـــمْ ظنوني

---

(١) لا تتقوّل : لا تختلق الأقوال .

(٢) البهتان : الزور وعدم الحقيقة .

ولــم أجــد في القــوم من معين ينصفنــي منـك ولا يعديني

* * *

شــكوت ما يلقـى من الأحزان قلبـي إلـى مشيخـةِ الرُّهبانِ
عســاك تستحــي من الشّيخان وإن تهاونـت بهـم في شاني

* * *

فــلا أراك مغضبــاً عبوسا إذا أتيت أســأل القسّيسا
معونــةً أرجــو لهــا التّنفيسا عن مهجــةٍ قاربـت النسيسا[1]

* * *

واعلــمْ بأنــي إن رددت شافعي هذا ولـم يرجــع بأمـرٍ نافعِ
فليس ذا بحــاســمٍ مطـامعي كم طالــب جدًّ بجـدٍ مانعِ

* * *

لـو كنــت مبــذولاً لنــا لم تطلبِ وإنمـا نـرغــب إذ لـم ترغبِ
وكلّــت النّفس بتــرك الأقرب وشدّةَ الحـرص علـى المستصعبِ

* * *

وإن تمــاديت علــى جفائـكا ودمــت بالقلّـة من حبائـكا[2]
فــي هجرنــا عل قبيحٍ رأيـكا واســتيأس الرهبــان من إصفائـكا

* * *

(١) النسيس : آخر الرمق والروح .
(٢) الحباء : العطاء والتكرّم بالوصل .

فـلا تلمنـــي إن قصـــدت الأسقفا　　من برَّحَ السُّقــم بهِ رامَ الشِّفا[1]
فـلا تقـل أبــديت مكنــون الخفا　　أنــت الــذي أحوجتنـــي أن أكشفا

* * *

سوف إلـى المطـران أنهـي قصّتي　　إن دام ما تؤثــره من هجرتي
فـإن رثــى لي طالبــاً معونتي　　ولــم تشفّعــه بكشف كربتي

* * *

شـــكوت ما يلقـــاه من فرط السقمْ　　قلبي إلى البطـرك والحبـر العلم[2]
عســـاك إن حالفتـــه فيمـــا حكمْ　　يدخلك الحـــرم فويلُ من حرم

* * *

هنـــاك تأتـــي مســـتقيلاً ظلمي　　تسألنـــي عطف الـــرضى بالرغم
ترضـــى بمـــا ينفـــذ فيك حكمي　　إذا بك اشتــدّ عذاب الحرم

* * *

دع ذا فهـذا كلّــه تهديدُ　　أرجــو به قربــك يا بعيــدُ
هيهــاتَ سرّي أبــداً جحود　　فيـك وقولــي كلّمــا تريــدُ

* * *

مـولاي قد ضاقــت بيَ الأمورُ　　فقلــت ما قلــت وقولــي زورُ
قلبــيَ إلاّ في الهــوى جسورُ　　فلا تلــم أن ينفــث المصدورُ[3]

* * *

---

(١) برّح : آلم وعذّب .
(٢) الحبر : العالم النحرير ، وهو رئيس الأساقفة .
(٣) المصدور : المسلول ، مريض الصدر .

مـولاي بالرحمـن أحـيِ مغرما ... يخـاف أن تغضـب إن تظلَّما
إليك أشـكو فعسـى أن تنعما ... مهـلاً قليلاً قد قتلـت المسلما

* * *

يا جرجس ارفـق بفـؤادٍ هائمِ ... يا سيدي خفْ سوء عقبى الظالمِ
وقـد رضينـا بك في التّحاكمِ ... والجـور لا يشبـه فعـل الحاكمِ

* * *

أقصـى رجائـي منـك نيل الودِّ ... وقبلـةٍ تشفـي غليـل الوجـدِ
يا جائـراً أفـرط في التعدِّي ... منـك إليك في الهـوى أستْعـدي

* * *

وقال في أزمنة السنة مزدوجة [من الرجز] :

يا سائلـي عن أطيب الدّهور ... وقعـت في ذاك علـى الخبير
سألتنـي أيّ الزمـان أحلى ... وأيّهُ بالقصف عنـديَ أولى
عنديَ في وصف الفصـول الأربعة ... مقـالـةٌ تغنـي اللبيب مقنعه

فصل الصيف :

أمـا المصيف فاستمـعْ ما فيهِ ... من فطـنٍ يفهـم سامعيه
فصـلٌ من الدّهـر إذا قيل حضرْ ... أذكرنـا بحـرِّه نار سقر[1]
تبصـر فيه النبـت مقشعرا ... والأرض تشـكو حرَّه المضرّا
نهـاره مقسّـمٌ بين قِسَمْ ... جميعهـا يعـاب عنـدي ويذمْ
أوّلـه فيه ندىً مبغضُ ... كأنّـه علـى القلـوب يقبضُ
يلصـق منـه الجسـم بالثّياب ... وتعلـق الأذيال بالترابِ

(١) سقر : جهنّم .

حتى تراهـا مثـل منـديل الغمرْ فيهـنّ تخـطيطٌ كتخـطيط الحبرْ[1]

حتـى إذا ما طردتـه الشمسُ وفرحـت بأن يزول النفس

فتحـت النّـار لـه أبوابهـا وشـبّ فيهـا مالكٌ شهابهـا

حـرٌّ يحيـل الأوجـه الغرّانا حتـى ترى الـروم بهـا حبشانا[2]

يعلـو به الـكرب . ويشتـد القلقْ وتنضـج الأبـدان منـه بالعرق

تبصـره فوق القميص قد علا حتـى ترى مبيضّـهُ مصندلا[3]

إن كان رثّـاً زاد في تمزيقه أو مستجـداً حلّ حبـل زيقه[4]

ثـم يعيد المـاء ناراً حامية تزيد في كرب قلـوب الضاويه[5]

شاربـه يكرع فـي حميمِ كأنّـه من ساكنـي الجحيم

ينسيه ما يلقـى من التّهابه أن يحمـد الله علـى شرابه

حتـى إذا عنّـا انقضـى نهـاره وأرخيـت مـن ليلـه أستاره

تحـرّكتْ في جنحـه دواهي ساريةً وأنـت عنهـا ساهي

من عقـربٍ يسعـى كسعـيِ اللّصِ سلاحهـا في إبـرٍ كالشّصِّ[6]

وحيّةٍ تنفـث سمّـاً قاتلا تزود الملـدوغ حتفـاً عاجلا

تبصـر ما في جلدهـا من الرقشْ كوجنـةٍ مصفـرّةٍ فيهـا نمشْ

لـو نهشـت بالنّاب منهـا الخضرا لبتـرت منـه الحياة بترا[7]

فـإن أردت الشـرب في إبانهْ علـى الـذي وصفتـه من شانهْ

أبشـر بمـا شئـت من الصراعِ فضـلاً عن التهـويس والصّداعِ

---

(١) الحبرة : الملاءة .

(٢) يحيل : يجعل ويحوّل ، والغران : البيضاء .

(٣) الصندل : شجر هندي أبيض الزهر خشبه طيّب الرائحة .

(٤) الزيق : من القميص ما أحاط بالعنق .

(٥) الضاوية : الملتهبة .

(٦) الشّص : حديدة معكوفة الرأس تشدّ بها حبال الرحل .

(٧) بترت : قطعت .

وعللٍ تعجز إحصاء العددْ من جربٍ ومن دُوارٍ ورمَدْ
وبعد حمّى الكبد لا تنساه لأنّه أوّلُ ما تلقاه
ولا تقل إن جاء يوماً أهلا فلعنة الله عليه فصلا

فصل الخريف :

حتى إذا زال أتى الخريفُ فصلٌ بكلٍّ سوءةٍ معروفُ
أهويةٌ تسرع في كلِّ الجسدْ وهو كطبع الموت يبساً وبردْ
يخشى على الأجسام من آفاته فأرضه قرعاء من نباتهِ[1]
لا يمكن الناس اتقاء شرِّهِ من اختلاف بَرْدِهِ وحرِّهِ
تبصره مثل الصبيِّ الأرعنِ في كثرة التغيير والتلوُّنِ[2]
فإن أردت الشرب للعقارِ في حينه بالليل والنهارِ
فأنت منه خائفٌ على حذرْ لأنه يمزجُ بالصَّفْوِ الكدرْ
أحسن ما يهدي لك النسيما يقلُبُهُ في ساعةٍ سموما[3]
وهو على المعدود من ذنوبه خيرٌ من الصيف على عيوبه

فصل الشتاء :

حتى إذا ما أقبل الشتاءُ جاءتك منه غمَّةٌ غمَّاءُ[4]
أقبل منه أسدٌ مزيرُ له وعيدٌ وله تحذيرُ
لو أنّه روحٌ لكان فدما أو أنّه شخص لكان جهما[5]
يأتيك في إبانه رياحُ ليس على لاعنها جُناح[6]

---

(١) قرعاء : جرداء .

(٢) الأرعن : الطائش .

(٣) السّموم : الريح اللافحة تهب صيفاً فتشوي الوجوه شيّاً .

(٤) الغمّة : الكرب .

(٥) الجهم : العابس المقطّب .

(٦) جناح : إثم أو ذنب أو ملامة .

حراكها ليس إلى سكونِ تضرُّ بالأسماع والعيونِ
يحدث من أفعالها الزكام هذا إذا ما فاتك الصدامُ
ثم يليها مطرٌ مداومُ كأنه خصمٌ لنا ملازمُ
يقطعنا بغضاً عن الطّريقِ وعن قضاء الحقّ للصديق
وربّما خرَّ عليك السَّقْفُ وإن عفا عنك أتاك الوكفُ[1]
هذا وكم فيه من المغارمِ وكثرة الإنفاق للدّراهمِ
في ملبسٍ يدفع شرَّ بردِهِ يكفُّ عنّا منه غِرْبَ حدِّهِ[2]
ملابسٌ تعيي الجليد حملا كأنّما يحمل منها ثقلا
يحكي بها المنحوف أصحاب السِّمَنْ لكن تراه سمناً غير حَسَنْ
فإن أردتَ بالنّهار الشُّربا فيه فقد قاسيت خطباً صعبا
واحتجت أن توقد فيه النارا تطير نحو الحدق الشرّارا
تترك مبيضَّ الثيابِ أرقطا تحكي السعيديّ لك المنقّطا[3]
وبعد ذا تسدِّدُ الثِّقابا من خوفه وتغلق الأبوابا[4]
نعمْ وترخي نحوه الستورا حتى ترى صاحبه ديجورا
فحسنُ لون الراح فيه لا يُرى لأنّه صار سواءً والدُّجى
تشرب فيه إن شربت الخمرا ليس لأنْ تلهوَ أو تسرًّا
لكن لتحمي خضر الأعضاء فشربها ضربٌ من الدواء[5]
وإن أردت الشرب في الظلام عاقك عن تناول المدام
حسبك أن تندسّ في اللحاف وخشيةَ البرد على الأطرافِ

---

(١) الوكف : الانحراف والثقل والضعف .

(٢) الغرب : السهم .

(٣) الأرقط : المنقّط .

(٤) الثقابا : الكوى والفتحات والثقوب .

(٥) خضر الأعضاء : كسلها وفتورها .

ورعـدةٍ تشغـل عن كلّ عملْ وتؤثـر النـوم وتسـتحلي الكسل
حتـى إذا ملـت إلى الرّقاد نمـت على فرشٍ من القتاد[1]
إنّ البـراغيث عذابٌ مزعج لكلٍّ ما قلـبٍ وجلـدٍ تنضج
لا يستلـذّ جنبـه المضاجعا كأنّمـا أفرشتـه مباضعا[2]
قبِّـح فصـلاً فوق ما ذممتهُ لو أنّـه يظهـرُ لي قتلتهُ
حتّـى إذا ما هو عنّـا بانا وزال عنّـا بعضـه لا كانا

فصل الربيع :

جـاء إلينـا زمـنّ الربيعِ فجـاء فصـلٌ حسـن الجميعِ
لبـرده وحـرِّه مقـدارُ لم يكتنف حدّهمـا الإكثار
عـدِّل في أوزانـه حتـى اعتدلْ وحمـد التّفصيل منـه والجملْ
نهـاره من أحسـن النّهارِ في غاية الإشـراق والإسفارِ
تضحك فيه الشمس من غير حُجُبْ كأنّهـا في الأفـق جامٌ من ذهبْ
وليلـهُ مستلـطـف النّسيمِ مقـوَّمٌ في أحسـن التّقويمِ
لبـدره فضـلٌ علـى البـدورِ في حسـن إشـراقٍ وفـرط نورِ
كجامـة البلّـور في صفائهـا أو غرّةِ الحسنـاء في نقابها
كأنّهـا إذا دنـت من نحرِهِ جوزاؤه قبـل طلـوع فجره
روميةٌ حلّتُهـا زرقاءُ في الجيد منهـا درّةٌ بيضاءُ
هـذا وكم يجمـع من أمور إسـراف مطربهـا من التقصير
فيه تظـلّ الـطير في ترنُّمِ حاذقـةً باللحـن لم تعـلّمِ
غناؤهـا ذو عجمـةٍ لا يفهمُهْ سامعـه ، وهـو علـى ذا يقرمه[3]

(١) القتاد : الشوك الحاد .
(٢) المباضع : جمع مبضع ، يستعمل في الجراحة والشقّ .
(٣) يقرمه : يقضمه ، والقرم : شدّة الشهوة .

مـن كلِّ دبسـيٍّ له رنينُ وكلِّ قمـريٍّ له حنين[1]
فـي قرطـقٍ أعجـل أن يورّدا خاط له الخياط طوقـاً أسودا[2]
هـذا وفيه للـرياض منظـر يفشـي الثّرى من سرّهـا ما يضمرُ
سـرّ نبـاتٍ حسنـه إعلانهُ إذا سواه زانـه كتمانهُ
فيه ضروبٌ للنّبـات الغضّ يحـكي لبـاس الجنـد يوم العرض
مـن نرجسٍ أبيضَ كالثّغور كأنّـه مخـانـقُ الكافور
وروضـةٍ تزهـر من بنفسج كأنّهـا أرضٌ من الفيروزجِ
قـد لبسـت غلالـةً زرقاءَ فكايدت بلـونهـا السماءَ[3]
تبصرهـا كثـاكلٍ أولادها قد لبسـت من حزنٍ حدادها
يضحـك فيهـا زهـر الشّقيقِ كأنّـه مداهـنُ العقيقِ
مضمَّنـاتٌ قطعـاً من السَّبجْ فأشرفـت بين احمـرارٍ ودعجْ[4]
كأنّمـا المحمـرُّ في المسود منـه إذا لاح عيون الرمد
أمـا ترى أترجـهُ ما أحسنهْ يختـال في غلائـلٍ مبيَّنهْ
وانظـر إلـى الخشخـاش إن نظرتا يحـكي كراتٍ ظوهـرت كيمختا[5]
وارم بعينيك إلـى البهـار فإنّـه من أحسـن الأنوار[6]
كأنّـه مداهـنٌ من عسجدِ قد سمِّـرتْ في قضـب الزّبرجدِ
فـانهضْ إلـى اللهـو ولا تخلفِ فلسـت في ذلك بالمعنّفِ
واشـرب عقـاراً طال فينـا كونها يصفـرُّ من خوف المـزاج لونها

(١) الدبسي : طائر أدكن يقرقر .
(٢) القرطق : نوع من الأردية .
(٣) الغلالة : الثياب الرقيقة ، وكايدت : ماثلت .
(٤) السّبج : خرز أسود ، والدعج : سعة العين مع شدّة بياضها وشدّة سوادها .
(٥) كيمخت : رفعت رأسها تكبراً .
(٦) البهار : نبتٌ طيّب الرائحة .

مـن كفٍّ طبـيٍ من بنـي النصارى ألبابنـا فـي حسـنـه حيارى

إذا بدا جمالـه لذي النظرْ قال : تعالـى الله ما هذا بشرْ

يبـدي جمـالاً جلّ عن أن يوصفا لو أنّـه رزقُ حريصٍ لاكتفى

تزينُـهُ أحشـاءُ كشـحٍ طاويهْ وسـرّةٍ محشـوّةٍ بالغاليهْ[1]

لاسيمـا مع مسمـعٍ وزامرِ قد سلمـا من وحشـة التّنافرِ

* * *

دونـك هذي صفـة الزمـان مشروحـةً في أحسـن التبيان

فأَصغِ نحـو شرحهـا كي تسمعا ولا تكـن لحقّهـا مضيّعا

وارض بتقليـديَ فيمـا قلتُهُ فإنّنـي أدرى بمـا وصفتهُ

ولا تعارضنـيَ في هذا العمل فإنّنـي شيخُ الملاهـي والغزل

وقال أيضاً [من الرجز] :

باعثـاً لدعوتـي غـلامهْ وعاتبـا من تركنـا إلمامه[2]

إذا أردت أن تزار في غدِ فلا تغـال في الطعـام واقصدِ

واعْمـدْ إلـى ما أنـا منـه واصفُ فإنّنـي بالطيّبـاتِ عارفُ

ابعـث فخـذ عشـراً من الرِّقاقِ تلذُّهـا نواظـرُ الأحـداقِ

تـكاد ممـا رقّ من حرسائها تشف للأعين من صفائها[3]

أَرَقْهـا الصّانـع حتّـى خفّتِ ولطّفـتْ أجسامهـا ومدّتِ

تـكاد لولا حذقـه في صنعته تطيرهـا أنفاسـه من راحتهْ

حتـى أتـت في صورة البدورِ أو مثـل جامـاتٍ من البلّورِ

---

(۱) الغالية : أنواع الطيب .

(۲) الإلمام : الزيارة ، والقصد .

(۳) الحرساء : الغلاف والجلد الحافظ للشيء .

حتـى إذا فرغـت منهـا متقناً ولـم ير العائـب فيهـا مطعنا[1]
فاعمـد إلـى مدوّرٍ من البصلْ فإنّـه أكبـر أعـوان العملْ
يحـكي لعينيك اخضـرار قشره إذا رمـاه ناظـرٌ بفكرهِ
غلائـلاً خضـرا علـى جسومِ بيضٍ رطـابٍ من بنـات الرّوم
حتـى إذا أحكمتـه تقطيعا وقلـت قد جوّدتـه صنيعا
خلطتـه باللّحـم خلطـاً جيِّدا ولـم تزلْ تخلـطه مردّدا
حتـى إذا أنـت أجـدت فعلهُ ثم جمعـت في الرِّقـاق شملهُ
صيَّرتـه يا ذا العـلا السنيَّهْ شابـورةً ليسـت لهـا سميَّهْ[2]
ثمّـت أغـل الشبـرق المقشّرا من فوقـه حتـى تراه أحمراْ[3]
مـكتسياً حلّتـه الخمريَّهْ من بعدمـا عهدتهـا فضيَّهْ
ثـم أدِرْ كأس الشمـول منعما أكرم بهـذا مشربـاً ومطعما
فلسـت في فعلك ذا مبذّرا كلاّ ولا في حقّنـا مقصِّرا

وله في الروض [من الرجز] :

أسفـر عن بهجتـه الدّهـر الأغرْ وابتسـم الـروض لنـا عن الزهرْ
أبـدى لنـا فصـل الـربيع منظراً بمثلـه تفتـن ألبـاب البشرْ
وشياً ولـكن حاكـه صانعه لا لابتـذال اللبس لكنْ للنّظرْ
عاينـه طرف السمـاء فانثنى عشقـاً له يبـكي بأجفـان المطرْ
فـالأرض في زيٍّ عروسٍ فوقها من أدمـع القطـر نثـارٌ من دررْ[4]
وشْـيٌ طواه في الثّـرى صوانه حتـى إذا ملّ من الطـي نشرْ[5]

---

(١) المطعن : الانتقاص .
(٢) شابورة : ملكة (شاه بور) .
(٣) الشبرق : نبات رطب .
(٤) نثار : ما ينثر من الماء والمال وغيره .
(٥) نشر : فاح وعرَّض لأشعة الشمس .

أمـا ترى الـورد كخـدَّيْ كاعبٍ راودهـا فامتنعـت منـه ذكرْ
كأنّمـا الخمـر عليه نفَّضتْ صباغهـا أو هي منـه تعتصرْ
أخجلـه النـرجس إذ جاد له فاحمـرّ من فرط حياءٍ وخفرْ[1]
قـال له العين ومـا الخـدُّ لها موازنـاً في عُظْـمِ قدرٍ وخطر
مـاذا الـذي يرجـى لخـدٍّ بَهِجٍ مستحسـنٍ صاحبه أعمـى البصر
فاحمـرّ من حجّتـه إذ ظهرتْ والحـقُّ لا يدفـع يومـاً إنْ ظهر
وانظـر إلـى النارنـج في بهجته يلـوح في أفنـان هاتيك الشجر
مثـل دنـانير نضـارٍ أحمرٍ أو كعقيقٍ خرِّطـت منـه أُكَر[2]
وانظـر إلـى المنثـور في ميدانه يرنـو إلـى الناظـر من حيث نظر
كجوهـرٍ مختلفٍ ألوانه أسلمـه سلكُ نظـامٍ فانتثر
كأنّ نور الباقـلا إذا بدا لناظـريه أعينٌ فيهـا حور
كمثـل ألحـاظ اليعافيـر إذا روّعهـا مـن قانصٍ فـرطُ الحـذر[3]
كأنّـه مداهـنٌ من فضّةٍ أوساطهـا بهـا من المسـك أثر
كأنّهـا سوالفٌ من خرّدٍ قد زيَّنـت بياضهـا سود الطُّرر[4]
وانظـر إلـى الأطيار في أرجائهِ إذا دعـا الشـاكل منهـا وصفر
كأنّهـا تصفـر في رياضها سرب قيانٍ فوق بسـطٍ من حبر
فانهض إلـى اللهـو ولـذات الصبّا لامـك من يعـذل فيهـا أو عذر
فقلَّمـا يغنيك من يعـذل فيـ ـمـا تشتهـي حتـى تواريك الحفرْ
فـكيف هجـران اللـذاذاتِ ولمْ يبـدِ نهـار الشّيب في ليلِ الشّعَرْ
والنُّسـك في عصـر الصّبـا كأنّه من قبحـه خلـعُ عذارٍ في الكِبَرْ

---

(١) الخفر : الحياء .
(٢) الأكر : الكتل .
(٣) اليعافير : جمع يعفور ، وهو ظبيٌ بلون التراب .
(٤) الطرّر : خصال الشعر في مقدمة الرأس .

يا لائماً يعذلني في طربي ... حسبك قد أكثرت من هذا الهذر[1]

أعرف فضل العقل إلاّ أنّهُ ... لعيش من آثره عين الكدر

الجهل ينبوع مسرّاتِ الفتى ... والعقل ينبوع الهموم والفكر

فاجسر على ما تشتهي جهالةً ... ما فاز باللّذّاتِ إلاّ من جسر[2]

واشرب عقاراً لو أصابت حجراً ... لطار من خفّته ذاك الحجر

عدوّةُ الحزن الذي ما ظفرت ... قطُّ به إلا أساءت في الظّفر

لو رام أن يجيره من كيدها ... صرف الزمان الحتم يوماً ما قدر

أرَقّها الدّهر إلى أن شاكلت ... من رقّةٍ شعر جميلٍ وعمر

خفية الحيلة في جسم الفتى ... تحدث في الجسم دبيباً وخَدَرْ[3]

كأنّما الأوطار فيها جمعت ... فليس في العيش لجافيها وطر[4]

لاسيّما من كفٍّ ظبي لم يشنْ ... بفرط طولٍ لا ولا فرط قصرْ

له سهامٌ من لحاظ صيّبٍ ... كأنّما يرمين عن قوس القدر

مزنّرٌ شككّني في دينهِ ... حتى أحلت الكفر فيمن قد كفر

لأنّه كالحُوْرِ في تصويره ... والحور لا يسكنها الله سقر[5]

لو لم يكن زنّاره في وسطهِ ... يمسك ضعف الخصر منه لانبتر

وبان منه نصفه عن نصفه ... لكنّه جاء لهُ على قدر

إن قلت يحكي قمراً عنّفني ... عقلٌ له أعدمه عند القمر

أنى يوازيه وهذا ناطقٌ ... وذاك إن خوطبَ لم ينطقْ حَصَرْ[6]

---

(١) الهذر : الهذيان والكلام الذي لا طائل وراءه .

(٢) جسر : تجرأ .

(٣) الدبيب : المشي ، والخدر : الضعف والفتور .

(٤) الوطر : الحاجة .

(٥) سقر : جهنّم .

(٦) حصراً : إعياءً .

يا لكَ منه منظراً أشهى إلى ... قلبيَ من جنّةِ عدنٍ أو أسرّ
يا طيب ذي الدنيا لنا منزلةً ... لو لم نكن نزعج منها بسفر

وقال أيضاً [من البسيط] :

علِّلْ فؤادك والدنيا أعاليلُ ... لا يشغلنْكَ عن اللّهو الأباطيلُ
ولا يصدنَّكَ عن أمرٍ هممت بهِ ... من العواذل لا قالٌ ولا قيلُ
فخير يوميك يومٌ أنت فيه إذا ... ميّزت في الناس محمودٌ ومعذولُ
وإن أتوك فقالوا كن خليفتنا ... فقل لهم إنّني عن ذاك مشغولُ
فإن ذلك أمرٌ معْ نفاستهِ ... ونبله بفناء العمر موصولُ
وارض الخمول فلا يحظى بلذّتهِ ... إلا امرؤٌ خاملٌ في الناس مجهولُ
ولا تبع عاجل الدنيا بآجل ما ... ترجو فذلك أمرٌ شأنه الطولُ
واسفك دم القهوة الصهباء تحي به ... روحي فإنّ دم الصهباء مطلول[1]
يا خائف الإثم فيها حين تشربها ... لا تقنطن فعفو الله مأمولُ
قم فاسقني النضّ ممّا حرموه ، ولا ... تعرض لما كثرت فيه الأقاويل[2]
من قهوةٍ عتقتْ في دنِّها حقباً ... كأنّها في سواد الليل قنديلُ[3]
عروس كرم أتت تختال في حللٍ ... صفرٍ على رأسها للمزج إكليلُ
كأنّها بأكفِّ القوم إذ جليتْ ... ذوبٌ من الذّهب الإبريز محلولُ
في فتيةٍ جعلوا للهو طاعتهمْ ... فما لهم عن طريق اللهو معدولُ
جليسهم ليس يُروى من حديثهم ... يوماً وبعض حديث القوم مملولُ
لا كالذين إذا ما كنت حاضرهم ... ففي سكوتهم المأمول والسولُ
ترى مجالسهم مملوءةً لجباً ... وكلّ ذاك فضولٌ عنك معزولُ[4]

---

(١) المطلول : مباحٌ سفكه .

(٢) نضّ الماء : سال قليلاً ، أو خرج رشحاً ، والناض : الزائد .

(٣) الحقب : مفردها حقبة وهي مدّة طويلة من الزمن .

(٤) اللجب : الصخب .

وقال أيضا [من مخلع البسيط] :

اشرب فقد طابت العقارُ وابتسم الورد والبهارُ
من قهوةٍ ما انبرت لهمُ إلاّ وولّى له انشمارُ[1]
لها جيوشٌ من الملاهي للهمّ قدّامها الفرارُ
لألاؤها في الدّجى نهارٌ يظلم من نوره النّهارُ
إذا استقرت حشا لبيبٍ رأيته ما له قرارُ
لم يرها ناظرٌ حديدٌ إلا ثنى لحظه انكسارُ
خيالها جسمه لجينٌ وجسمها شخصه نضار[2]
كأنّها تحته كميتٌ عليه من فضّةٍ عذارُ
لها لدى حزن شاربيها ثأرٌ وعند الحلوم ثار
فالحزن عن أهلها مُطارٌ والحلم في إثره مطارُ
فلا انتصار لذا عليها ولا عليها لذا انتصارُ
يسعى بها جؤذرٌ غريرٌ في لحظ أجفانه احورار
يحسن مني الوقار إلاّ فيه فما يحسن الوقارُ
أغار منّي عليه حتّى عليه من نفسه أغارُ
كلّ جمالٍ ترى فمنهُ إذا تأمّلت مستعارُ
كأنّ صدغاً له تراه وهوَ على خدّهِ مدارُ
ميدان آسٍ بدا جنياً ألهب في جانبيه نارُ[3]
بيتٌ من الحسن لي إليه حجٌّ مدى الدّهر واعتمارُ
زيارة البيت كلّ عامٍ ودهر ذا كلّه يزارُ

---

(١) ولّى : ذهب ، وانشمار : انقباض .
(٢) اللجين : الفضة ، والنضار : الذهب .
(٣) الآس : الريحان .

قلـت له إذ بدا وقلبي | من لاعـج الشـوق مستطارُ[1]
يا جامـع الحسـن كلّ حسنٍ | للنـاس من شرطـك اختصارُ
مـا فضّـل الغـانيات عندي | عليك إلاّ امـرؤٌ حمارُ

وقوله أيضا [من مخلع البسيط] :

اشـرب فقـد طابـت المدامُ | وافتـرّ عن ثغـره الغمامُ[2]
مـن قهـوةٍ حُرِّمـت علينا | والصّبـر عن مثلهـا حرامُ
جلّـتْ عن الـوصف فهـي شيء | يدقُّ شأنهـا الكلامُ
إذا استـذمّ الأسـى إليها | فمـا له عندهـا ذمامُ
طـوّقها المـاء سمـط درٍّ | ليس لمنشـوره نظـامُ[3]
كأنّهـا تحتـه كميتٌ | عليـه من فضّـةٍ لجامُ
إذا بدت للهمـوم ظلّت | وهـي لإعظامهـا قيـامُ
تلـوذ منهـا فلا لواذٌ | ينفـع منها ولا اعتصامُ
فـي فتيةٍ كلُّهـمْ كريمٌ | وخير مَنْ يُصحـب الكرامُ
يكسـد سوق الفتـاة فيهمْ | ظرفـاً ولا يكسـد الغلامُ
أئمّـةٌ كلُّهـمْ عليمٌ | بكلّ ما فعلـه أثامُ
لكننـي فيهـمْ علـى مـا | وصفـت من فضلهـم إمامُ
وعندنـا شادنٌ غريرٌ | في لحـظ أجفانـه سقامُ
للحسـن قدّامـه جيوشٌ | للصـبـر قدامهـا انهزام
يخفّ في حبّـه التصابي | كمثـل ما يثقـل الملامُ
ذا العيش فافطـنْ له وبادرْ | من قبـل أن يفطـنَ الحمامُ

---

(١) لاعج الشوق : حرّة وشدّته ، ومستطار : أي شرر يتطاير .
(٢) افترّ : تبسّم .
(٣) السمط : العقد .

وانعــم فغــام الســرور عندي يومٌ ،ويوم الهمــوم عامُ

وقال أيضاً [من الكامل] :

جانبــت بعــدك عفّتــي ووقاري وخلعـــت في طرق المجـون عذاري
ورأيت إيثــار الصبابــة في الذي تهــوى النفـوس ممحّق الأعمارِ[1]
لا تأمرنّــي بالتّستُّــرِ فــي الهوى فالعيش أجمــع في ركوب العار
إنَّ التوقّــر للحياة مكدِّرٌ والعيش فهــو تهتُّــكُ الأستارِ
من تابعــت أمــر المــروءة نفسه فنيت من الحســراتِ والأفكار ؟
لا تكثــرنَّ علــيَّ إنّ أخــا الحجا بَرِمٌ بقــرب الصّاحــب المهذارِ[2]
خوَّفتنــي بالنــار جهــدك دائباً ولججــت في الإرهــاب والإنذارِ
خوفــي كخوفــك غير أنّــي واثقٌ بجميل عفــو الــواحــد القهّارِ
أقــرَرْتُ أنّــي مذنــبٌ ومحرِّمٌ تعــذيب ذي جرمٍ علــى الإقرارِ[3]
انظـر إلـى زهــر الــربيع ومــا جلتْ فيه عليك طرائف الأنوارِ
أبــدت لنــا الأمطــار فيه بدائعاً شهــدت بحــكمـة منـزل الأمطارِ
ما شئــت للأزهــار في صحرائه من درهــم بهــجٍ ومــن دينارِ
وجواهــرِ لولا تغيُّرُ حسنها جلَّــتْ عن الأثمــان والأخطار
من أبيضٍ يقــقٍ وأصفــر فاقعٍ مثــل الشمــوس قرنَّ بالأقمارِ
ناحــت لنــا الأطيار فيه فأرهجت عرس الســرور ومأتــم الأطيارِ[4]
دارٌ له اتصــل البقــاء لأهلها لم يحفلــوا بنعيم تلك الدّارِ
فانهضْ بنــا نحــو السّــرور فإنَّهُ ما زال يســكن حانــة الخمّارِ

---

(١) ممحــق الأعمار : متلفها .
(٢) برم : ضجِرٌ ومال .
(٣) الجرم : الذنب .
(٤) أرهجت : أقامت .

فاشرب معتَّقةً كأنَّ نسيمها مسكٌ تضوّعه يدُ العطارِ[1]
أَخْفَى دبيباً في مفاصل شربها وأدقّ ألطافاً من المقدارِ
أحكامها في العقل إنْ هي حكِّمتْ أحكام صرف الدهر في الأحرارِ
يرضى على الأقدار شاربها الذي ما زال ذا سخطٍ على الأقدارِ
وكأنّها والكأس ساطعةٌ بها ذوبٌ تحلّل في عقيقٍ جاري
لا سيّما من أغيد شادنٍ يسبي العقول بطرفه السَّحَّارِ
فضل الغصون لأنّها من غرسنا عند التأمُّل وهو غرسُ الباري
قد غيَّب الزّنار دقّةَ خصره حتّى ظنناه بلا زنّارِ
متنصرٌ قويت على إسلامنا بالحسن منه حجَّةُ الكفارِ
قالوا أيصنع مثل هذا ربكم ويرى فساد صنيعه بالنارِ ؟
مع مسمعٍ حلفتْ له أوتاره أنْ لا تنافر رنَّة المزمارِ[2]
فطنٌ يحرِّك كلّ عضوٍ ساكنٍ تحريكه لسواكن الأوتارِ
شدوٌ إذا الحلماء زار حلومَهمْ باعوا بطيب السّخف كلَّ وقارِ
والشدو أحسنه الذي لم يستمعْ إلاّ أطار العقل كلَّ مطارِ
ذا العيش ، لا نعتْ المهامه والفلا وسؤال رسم الدّار والأحجارِ[3]
لا فرَّجَ الرحمن كربةَ جاهلٍ يبكي على الأطلال والآثارِ

وقال أيضا [من الخفيف] :

قد رضينا من الغزال الكحيل بغرورِ العدات والتعليلِ[4]
وهجرنا سواه وهو منيلٌ وهويناه وهو غير منيلِ

---

(١) تضوّعه : تنشر عبقه .
(٢) المسمع : اسم فاعل من مصدر أسمع ، وأراد به المغنّى .
(٣) نعت : وصف ، والمهامه : القفار .
(٤) العدات : جمع عدة ، وهي الوعد .

فكثير البغيض غير كثيرٍ وقليل الحبيب غيرُ قليلِ
يا عذولي زعمت صبري صواباً وطريق الصواب غير محيلِ
هلك العزم بين شوقٍ صحيحٍ أنا فيه ، وبين صبرٍ عليلِ
لا تعِبْ من هويتَ بالبخل ، إنّي لا أحبُّ الحبيب غير بخيلِ
يجمل البخل بالملاح وإن كا ن بغير الملاح غير جميلِ
كلّ من سرَّه حبيبٌ جوادٌ فلتطبْ نفسه بقرنٍ طويلِ

وقال أيضا [من الطويل] :

ألست ترى وشيَ الرّبيع المنمنما وما رصّع الربعي فيه ونظّما[1]
فقد حكت الأرض السماء بنورها فلم أدرِ في التّشبيه أيُّهما السّما
فخضرتها كالجوّ في حسن لونه وأنوارها تحكي لعينيك أنجما
فمن نرجسٍ لما رأى حسن نفسه تداخله عجبٌ بها فتبسّما
وأبدى على الورد الجنيٍّ تطاولاً فأظهر غيظ الورد في خدّه دما
وزهر شقيقٍ نازعَ الورد فضلَهُ فزاد عليه الورد فضلاً وقدّما
وظلّ لفرط الحزن يلطم خدَّه فأظهر فيه اللّطم جمراً مضرّما[2]
ومن سوسنٍ لمّا رأى الصبغ كلّهُ على كلٍّ أنوار الرياض تقسّما
تجلبب من زرق اليواقيت حلّةً فأغربَ في الملبوس منه وأعلما[3]
وألوان منثورٍ تخالف شكلها فظلّ بها شكل الربيع متمّما
جواهر لو قد طال فينا بقاؤها رأيت بها كلّ الملوك مختما
فقم فاسقني ما حرّموه ، فما أرى من العيش حلواً غير ما قيل حرّما

---

(١) الربعي : مطر الربيع .
(٢) المضرَمْ : المتّقدّ .
(٣) تجلبب : أي لبس ، وأعلم : أي صار معروفاً عن غيره .

وقال أيضاً [من البسيط]:

قالــوا عشقــت كثير البخــل ممتنعا   فقلــت هيهــات عنــكم غاب أطيبهُ
لو جاد هانٍ وقيل الجــود عادته   وإنّمــا عزٌّ لمّــا عزٌّ مطلبهُ

وقال [من الطويل]:

أُرجّي دنــوَّ الوصــل من بعــد بعده   كما قد ترجّى في الجــدوب السحائب
وأكثــر في الهجــر العتــاب كأنّني   لدهــريَ من ظلــم الــكرام أعاتب
وأهـوى مواعيد المنى عنك بالرضى   وقــد تمنــع الآمــال وهــي كواذب

وقال [من الرمل]:

حبـذا زورٌ أتـاني طارقــاً بعـد اجتنابهْ
شـقَّ جنـح الليل بدرٌ لاح من ثنـي نقابهْ
طربـتْ نفسـي إليـهِ وإلــى طيبِ اقترابهِ
طَـرَبَ الشيّخ إذا ذُكِّــــرَ أيّام شبابهْ

وقال [من مخلع البسيط]:

خلعــت في حبِّـه عذاري   وطــاب لي العيش باشتهاري
وذقــت طعــم الجنــون فيهِ   فـكان أحـلـى من العقار[1]
إنْ أُبـدِ في حبِّــهِ خضوعاً   فليس ذلّ الهــوى بعارِ
لـو كان في الحــبِّ لي اختيارٌ   لكان تركي له اختياري
مــن روحــه في يديْ سواه   فهــو حقيقٌ بأن يداري
لا تحمدونــي علــى احتمالي   هــوانــه واحمــدوا اصطباري

---

(١) العقار : الخمر .

وقال [من البسيط]:

متـى وعدتـك في ترك الهـوى عدةً فاشهدْ على عدتـي بالـزّور والكذبِ
أمـا ترى الليل قد ولّـت عساكرهُ وأقبل الصبح في جيشٍ له لجبِ[1]
وجـدّ في أثـر الجـوزاء يطلبها في الجـوّ ركض هلالٍ دائـم الطّلب
كصولجـان لجينٍ في يديْ ملكٍ أدنـاه من كرةٍ صيغـتْ من الذّهبِ
فم بنـا نصطبـح صفـراء صافيةً كالنّـار لكنهـا نارٌ بلا لهب
عروس كرمٍ أتـت تختـال في حللٍ صفـرٍ علـى رأسهـا تاجٌ من الحبب

وقال [من المنسرح]:

قم فاسقنـي والخليج مضطرب والـرّيح تثنـى ذوائـب القضبِ
كأنّهـا والـرّياح تعطفها صفٌّ قنـا سنـدسية العـذبِ[2]
والجـوّ في حـلّـةٍ ممسكةٍ قـد طرّزتهـا البـروق بالذهبِ

وقال [من الخفيف]:

وسحـابٍ إذا همـى المـاء فيه ألقـت الرّعـد في حشـاه البروقا
مثـل ماء العيون لم تجـرِ إلاّ ظلّ يذكي علـى القلـوب حريقا

وقال [من الخفيف]:

جوهـريٌّ الأوصـاف يقصـر عنهُ كلّ وصفٍ لكلٍّ ذهـنٍ دقيقِ
شاربٌ من زبرجـدٍ وثنايا لؤلـؤٍ فوقهـا فمٌ من عقيقِ

وقال [من السريع]:

صـوّره خـالقـه جـامعاً لـكلٍّ شيءٍ حسـنٍ بارعِ

---

(١) اللجب : الكثير العدد والصخب .
(٢) العذب : أطراف الرماح .

وكلّ حســـنٍ من جميع الورى مختصــرٌ مــن ذلك الجامعِ

وقال [من المنسرح]:

عشقــت من لا ألام فيه ومـا يخلــو من اللّوم كلُّ مَنْ عشقا
رأيُ الــورى في سواه مختلفٌ وأنــت تلقــاه فيـه متّفقا
وكل قلـــبٍ إليـه منصرفٌ كـأنّــه من جميعهـــا خُلِقا

ألمّ فيه بقول إسحاق بن إبراهيم الموصلي : «خلق من كل قلب ، فهو يغني كلا ما يشتهيه » .

وقال [من الخفيف]:

زارنـــي في دجــا الظــلام البهيمِ قمــرٌ بات مؤنســي ونديمي
بحــديثٍ كأنّــه عودة الصّحَـــــــة في الجسـم بعـد يأسِ السّقيمِ
تتلقّــى القلــوب منــه قبولاً كتلقّـي المخمــورِ برد النسيم

وقال [من الوافر]:

ظفــرتُ بقبلــةٍ منــه اختلاساً وكنــت من الــرقيب علــى حذارِ
ألــذُّ من الصّبــوح علــى غمامٍ ومــن برد النسيم علــى خمار[1]

وقال [من الكامل]:

لا تــلفيـنَّ مقــارنـاً من لا يزين من الصّحابِ
فــالثـوب ينفـذ صبغـه فيمــا يليــه من الثّيـاب

وقال [من السريع]:

ريقٌ إذا ما ازددت من شربه ريّاً ثنـانــي الـريُّ ظمآنـا

---

(١) الصبوح : شرب الخمر صباحاً .

كالخمـر أروى مـا يـكون الفتى   مـن شربهـا أعـطش مـا كانا

وقال [من الخفيف]:

حملـتْ كـأسُـهُ إلـى شفتيه   كفُّـهُ والظـلام مرخـي الإزار
فالتقـى لؤلـؤا حبـابٍ وثغـرٍ   وعقيقـان مـن فمٍ وعقارِ

وقال [من الطويل]:

وصفـرا من ماء الـكروم كأنّها   فراقُ عدوٍّ أو لقـاء صديقِ
كأنّ الحـبـاب المسـتـدير بطوقها   كواكب درٍّ في سماء عقيقِ
صببـت عليهـا الماء حتّـى تعوّضت   قميص بهـارٍ من قميص شقيقِ

وقال [من الوافر]:

سلا عن حبّـك القلـبُ المشوقُ   فما يصبـو إليـك ولا يتوقُ[1]
جفـاؤك كان عنـك لنـا عزاءً   وقـد يسلى عن الـولـد العقوقِ

وقال [من المجتث]:

كأنّ أوراق زهـرٍ   للبـاقـلاء بهيّـه
خواتـمُ من لجـينٍ   فصوصـهـا حبشيّـه

وقال [من الكامل]:

أسنـى الأمانـي كلّها   وأجـلّ منهـا ما ينالُ
كأسٌ ومسمعـةٌ وإخـوان   تحادثهـم ومالُ

وقال [من مخلع البسيط]:

أبصـره عـاذلي عليـه   ولـم يكن قبـل ذا رآهُ

(١) سلا : من السلوّ ، وهو التجمّـل والنسيان ، ويتوق : يشتاق .

فقـال لي لو هويت هذا ... ما لامـك النـاس فـي هواهُ
قـل لي إلى إلى من عدلـت عَنه ... فليس أهـل الهـوى سواهُ[1]
فظـلٌّ من حيث ليس يدري ... يأمـر بالحـبّ من نهاهُ

وقال في ثقيل [من البسيط]:

ما السّقـم في سفـرٍ والـدّين مع عدمٍ ... يومـاً بأثقـل منـه حـين يلقاني
مـالي عليه معـينٌ حـين أبصرهُ ... غـير الصّـدود وتغميضي لأجفاني

وقـال [من الكامل]:

إن كان قد بعـد اللقـاء فودُّنا ... دانٍ ونحـن على النـوى أحبابُ
كم قاطـعٍ للـوصـل يؤمـن ودّه ... ومـواصـلٍ بـوداده يـرتـابُ

وقال [من الرمل]:

لا ووعـد الوصـل باللحـــــظ على رغـم الرقيبِ
واختــلاسِ القبلـة الحلــــوة من خدٍّ الحبيبِ
وسماعٍ مستطابٍ جاء في لفـظٍ مصيبِ
مـا سوى الـراح لداء الـــهـمٍّ عنـدى من طبيبِ

وقال [من الكامل]:

يا من إذا لاحـت محاسـن وجههِ ... غفـرت بدائعهـا جميع ذنوبِهِ
النّجـم يعلـم أنّ عينـي في الدّجا ... معقـودةٌ بطلـوعـه وغروبه
إنْ كان في تعـذيب قلبـي راحـةٌ ... لك فاجتهـد بالله في تعذيبهِ
لو كان سفـك دمـي إليك محبباً ... لرأيتنـي متضرّجـاً بصبيبـه[2]

---

(١) عدلت : ملت وغيّرت .
(٢) متضرّجاً بصبيبه : أي مصبوغاً بما يسيل منه من الدماء .

وقال [من الكامل]:

ازهَدْ إذا الدنيا أنالتك المنى فهناك زهدك من شروط الدِّين
فالزّهد في الدنيا إذا ما رمتها فأبت عليك كعفّة العنِّين[1]

وقال [من المجتث]:

لا تحسدنّ صديقاً على تزايد نِعْمَهْ
فإن ذلك عندي سقوط نفسٍ وهمّهْ

وقال [من المجتث]:

وجلنارٍ بهيٍّ ضرامه يتوقّد
بدا لنا في غصونٍ خضرٍ من الرىً ميَّدْ[2]
يحكى فصوص عقيقٍ في قبّةٍ من زبرجدْ

وقال [من السريع]:

أقبل والعذال يلحونني فكلُّهم قالَ: مَنِ البدرُ؟
فقلت: ذا من طال في حبّهِ منكم لي التعنيفُ والزجرُ
قالوا: جهلنا فاغتفر جهلنا فليس عن ذا لامرىءٍ صبرُ
عذرك في الحبّ له واضحٌ وما لنا في لومنا عذرُ

وقال [من مخلع البسيط]:

بما بعينيك من فتونٍ ومن فتورٍ بها وسحرِ
وبالعذار الذي تولى خلع عذاري وبسط عذري

---

(١) العنّين: الفاقد الفحولة.

(٢) ميّدٍ: متمايلة.

ومضحكٍ منك لؤلؤيٌّ ... ممتزجٌ مسكه بخمر
جدْ لي بالصّفح عن ذنوبي ... أولا فعاقبْ بغير هجرِ

وقال [من مخلع البسيط] :

عدت إلى الغيّ بعد نسكي ... ولذّ لي فيك طعم محكي[1]
أضحك للكاشحين جهراً ... ولي ضميرٌ عليك يبكي
تمنعني أن أبوحَ نفسٌ ... تأنفُ من ذلَّةِ التّشكّي
عيني التي أوقعت فؤادي ... يا عين ماذا لقيت منكِ

وقال [من مخلع البسيط] :

واحربي من جفون ظبيٍ ... أقام عذري به عذارهْ
أسقم جسمي بسقم طرفٍ ... حيرني في الهوى احوراره
عجبت من جمر وجنتيه ... يحرقني دونه استعاره
هذا اختياري فأبصروهُ ... شاهد عقل الفتى اختياره

وقال [من الكامل] :

لا تقبلن من الرشيد كلامَهُ ... وإذا دعاك أخو الغواية فاقبلِ
ودع التزمُّت والتجمُّل للورى ... فالعيش ليس يطيب بالمتجمّلِ[2]
واشرب مزعفرةَ القميص سلافةً ... من صبغة البردان أو قطربُّلِ[3]
كأسٌ إذا رمت الهموم بسهمها ... لم يخطِ نافذه سواء المقتل
تحلو وتعذب في النفوس كأنّها ... كبْتُ العدو ورغم أنف العذَّلِ

---

(١) الغيّ : الضلال ، والمحك : من المماحكة .
(٢) التزمّت : التضييق والتشدّد .
(٣) المزعفرة : المصبوغة بالزعفران ، وهو نبات زهره أحمر إلى صفرة ، له أصل كالبصل .

حمــراء يرحُــبُ كلّ صــدرٍ ضيّقٍ　　معهــا ويُفتــح كلّ بابٍ مقفل
تحــكى ضرام النــار إلاّ أنها　　نارٌ لعمــرك ليس تؤذي المصطلي[1]
لا سيما من كفٍّ طاوية الحشا　　ترنــو بناظرتــي خذولٍ مطفل[2]

وقال [من الوافر]:

كتبــت وفــرط شوقــي قد عناني　　وقــد بعــد اللقــاء على التداني
ومــا في البيت لي ثانٍ فكن لي　　جعلــت فداك يا مولاي ثاني
فعنــدى ما يجــاوز كلَّ وصفٍ　　ومــا يرضى الخليل إذا أتاني
خروفٌ أظهــر الشُّــوّاء فيـه　　تأنُّقـه فليس له مداني
غلالــة باطــنٍ منـه لجينٌ　　وظاهــره غــلالــة زعفران
وكأسٌ مثــل عــين الـديك صرفٌ　　لهــا حبــبٌ كمنظــوم الجمـان
لهــا في كفٍّ شاربهــا شعاعٌ　　تطــرّف منه مبيضٌّ البنان[3]
يطــوف بشمسهــا قمــرٌ منيرٌ　　تمــكّن طالعــاً في غصــن بانِ
وإنْ أحببــت مسمعــةً أتتنا　　محــذّقــةً بأصــنــاف الأغاني
تطلّــق همٌّ سامعهــا ثــلاثا　　بتحــريك المثالــث والمثـاني
فهــذا عندنــا، ولــدون هــذا　　لعمــرك مـا كفــاك ومـا كفاني
فزرنــا لاعدمتــك مــن صديقٍ　　تتــمّ لنــا بزورتــه الأمـاني

وقال [من الخفيف]:

فَحُــمٌ شبَّــهُ الغـلام وأدلى　　في كوانينــه حياة النفوسِ[4]

---

(١) ضرام النار : إيقادها .
(٢) الخذول : الكثيرة الخذل وهي التي تتخلف عن القطيع وتنفرد ، والمطفل : التي تربّي أطفالها .
(٣) تطرّف : تزيّن وتوشّح .
(٤) شبّه : أوقده .

كان كالآبنوس غير محلى فغدا وهو مذهب الآبنوسِ
لقي النار في ثياب حدادٍ فكسته مصبّغاتُ عروسِ

وقال [من الخفيف]:

بتُّ ضيفاً لسيّد يمنيّ فقراني والجود قدماً يماني
وأتت عرسه تغازل إيري قلت لا تفعلي فلستُ بزاني
ولو أني فعلت ما كنت ممّن يتصدّى لنسوةِ الإخوان
فأتاني وقال نكْها بعيشي فهي موقوفةٌ على الضيّفان
قلت قد زدت في الضيافة معنىً ما عرفناه في قديم الزّمان
قال من أجل ذاك طار لي اسمٌ وألحّ الضيوف في غشياني[1]
فمتى يدعى مع اسمي ضيوفٌ قيل مرعى وليس كالسَّعَدَان

* * *

٣٠ ـ القاضي أبو الحسن علي بن النعمان

أنشدني له ابن وهب [من المنسرح]:

ولي صديقٌ ما مسّني عدمٌ مذ وقعت عينه على عدمي
أغنى وأقنى فما يكلّفني تقبيلَ كفٍّ له ولا قدَمِ
قام بأمري لمّا قعدت به ونمت عن حاجتي ولم ينمِ

وأنشدني له أيضاً [من مجزوء الوافر]:

صديق لي له أدبٌ صداقة مثله نسبُ
رعى لي فوق ما يرعى وأوجب فوق ما يجبُ

---

(١) الغشيان : الأمّ والقصد والنزول .

فلـو نقـدت خلائقـه لبهـرج عندهـا الذّهب[1]

* * *

٣١ ـ إسحاق بن أحمد بن الماريني

أنشدني له ابن وهب يصف الثريا [من السريع] :

أرّقنـي الشـوق فلـم أكتحلْ بلـذّةِ الغمض إلى الفجرِ
تسري همومـي فأراعـي بها كواكبـاً دائبـةً تسري
حتـى كأنّ البـدر إذ أشرقتْ علـى الثّـريا غـرّة البـدرِ
صفحـة مرآةٍ وقـد أُذهبتْ بمقبضٍ رصّـع بالـدرٍّ

وله في الليل والنجوم [من البسيط] :

كم مجهـلٍ بسـواد الليل ملتبسٍ باتـت تقمّـه العيسُ المراسيلُ
ليلٌ قد اختلفـت أشـكال أنجمه كأنهّـنّ عيونٌ للدّجـى حولُ
تبـدو الثـريا ككفٍّ للدعـاء بها قد مدّهـا الصبـح والجـوزاء إكليلُ
تلـوى رقـاب المطـايا من تطاوله وينهض الفجـر فيه وهـو مشكول

* * *

٣٢ ـ القاضي أبو عبد الله محمد بن النعمان

أنشدني له عبد الصمد بن وهب هذه الأبيات وهي مما يتغنى بها [من الرمل] :

ربَّ ليلٍ لم أذقْ فيه الكرى حظُّ عينـي فيه دمـعٌ وسَهَرْ
طال حتـى خلتـه لا ينقضي ونـأى الصّبـح فمـا منـهُ أثرْ

---

(١) نقدت : أي جعلت نقوداً ، وبهرج الذهب : زيّفه ، أو أصبح رديئاً .

غاب عــنّي قمرٌ أحببته فتعلّلــت بـأنــوارِ القمـرْ
كلّما هيّـج شوقــي حَزَني صحــت ياليلي أمـا فيك سَحَرْ

وقال [من الخفيف]:

ربّ خودٍ عرفــتُ في عرفاتِ سلبتنــي في حسنهــا حسناتي
حرّمــت يوم أحْرَمــت نوم عيني واستباحــت حماي باللّحظــاتِ[1]
وأفاضــت مع الحجيج ففاضت من جنونــي سواكب العبراتِ
ولقــد أضرمــت بقلبــي جمراً حــين راحــت للرمــي بالجمراتِ[2]
لم أنــل من منــى منــى النّفس حتّى خفــت بالخيف أن تكون وفاتي[3]

وقال يصف الهلال [من المنسرح]:

انظــرْ الى حســن ذا الهــلال وقدْ بدا لســتٍّ مضــينَ مِنْ عُمُرهْ
وقــد أطافــت بــه كواكبهُ حســناً فبيّنتــهُ لمعتــبرهْ
مثــل زنــادٍ قد صيغ من ذهبٍ يقــدح ناراً وهــن من شررهْ
ثم تولى يـريـد مغربهُ في شفــق الشّــمس وهــي في أثرهْ
فخلتــه غائصــاً ببحــر دمٍ يقــذف بالرائعــات من دررهْ
فلــم أزل ليلتــي أراجعــهُ لحظــي وأبـكي للوقــت من قِصرِهْ
حتــى تبدّى الصبــاح منتبهاً قبـل انتبــاه المخمــور من سكَرِهْ

وقوله في مليح بعمامة حرير حمراء [من الكامل]:

يا من يمــرُّ ولا تمــــــرُّ به القلــوب من الحُرَقْ

---

(١) استباحت الحمى : أي جعلته مباحاً لها تدخله ساعة تشاء .
(٢) أضرمت : أشعلت ، والجمرات : من مناسك الحج ، وهو مكان يرمى به بالحصى .
(٣) منى والخيف : أماكن فيها بعض مناسك الحج .

بعمامــةٍ من خدِّهِ أو خدّه منهــا سرق
فكأنهّــا وكــأنَّه قمــرٌ أحــاط به شَفَقْ
فــإذا مشى وإذا انثنى وإذا رنــا وإذا نطقْ
شغــل الجــوارح والخوا طر والمسامــع والحدقْ

* * *

٣٣ ـ صالح بن مؤنس

أنشدني له ابن وهب في ابن رشدين صالح [من السريع] :

يفــديك بالمهجــة يا صالحُ من كلّ ما يكرهــه صالحُ
فأنــت غصــنٌ صيغ من درَّةٍ علــى ذراه قمــرٌ لائحُ

وله فيه بديها [من الهزج] :

شربنــا مثــل ماء الور د في الــطّيب علــى الوردِ
ونادمــت ابــن رشدين فمــا حدت عن الرُّشدِ
فتــىً كالبــدر في الرفعــــة والإشــراق والسعدِ
كأنّــي منــه في الجـــــنّة لو أظفــر بالخلدِ

وله فيه [من مجزوء الرمل] :

بــك يا صالــح أرضى عن زمانــي حين أسخطْ
فــأدم لي الوصــل إنّي بك في العالــم أغبطْ
أنــت والرحمــن مذ كنـــــت علــى قلبــيَ مسلَطْ
ومصيبٌ أنــا في الـــــحبّ ومــن بعــدي يغلط
يا جواداً في لهاه بنــداه أتبسّــط[1]

---

(١) لهاه : عطاياه ، واتبسّط : أتكرّم وأتوسّع في العيش .

أسقط الحشمة في العشـــرة فالحشمـة تسقط

وله جارية اسمها خمرة وأضمره [من الكامل] :

ما اسم إذا صحَّفتهُ وعكسته ونقصت حرفا منه كان سلاحا[1]
وإذا قام ولم يحلْ عن حاله عادى العقول وصالح الأرواحا

وله في بعض آل الفرات [من المجتث] :

قد مرَّ عيدٌ وعيدُ ما اخضرَّ لي فيه عودُ
وكيف يخضرُّ عودي والماء منه بعيد ؟
يا من له عُدَدُ المجد كلّها والعديدُ
آل الفرات نداهمُ على الفُراتِ يزيدُ
وأنت فضلك فيهمْ عليك منه شهودُ
وكلّ يومٍ لغيري من راحتيك مدودُ
هل لي إلى الرزق ذنبٌ إن كان منه صدود ؟
ما النّاس إلاّ شقيٌّ في دهرنا وسعيدُ

وقال في صفة جدي [من الرجز] :

جدْ لي بجديٍ نعته من اسمه لم يلج التنور مثل جسمه
كأن بين جلده ولحمه لفّات قطنٍ بسطت من شحمه
* يؤكل من نعمته بعظمه *

وله يصف رءوسا [من الخفيف] :

قد غدونا على رءوسٍ سمانِ ناعماتٍ من أرؤس الخرفانِ

---

(١) « خمرة » إذا صحّفته صار « حمرة » فإذا عكسته بعد حذف حرفٍ منه صار « رمح » وهو من أدوات القتال .

وارمـات الخـدود من غير سوءٍ شحمـاتِ العيون والآذانِ
تتداعـى بالوهـم من قبـل أن تلـ ـمسهـا كفٌّ آكلٍ ببنانِ
ولأصـل اللسـان طيبٌ ينسيـ ـك من الـطيب مصّ طرف اللسانِ
ورقـاقٍ ذي نعمـةٍ وبياضٍ كوجـوه المخـدّرات الحسانِ
وبقـولٍ تغنيك عن زهـرة الرو ض وتنسيك خضـرة البستانِ
وأتـت راحنـا التـي هي في الأر واح مثـل الأرواح في الأبدانِ
ثـم وافى بنفسـجٌ في حدادٍ فرأينـا السـرور فـي الأحزانِ
عنـد حرٍّ يستنفـد الـوصف مدحاً وهـو عبـدٌ لسائـر الإخوانْ
أحكمتـك الأيام يا ابـن حكيمٍ فأريت الزّمـان حـكم الزمانِ

وقال أيضا [من الطويل] :

سأدمِـنُ شرب الـراح ما دمـتُ باقياً وأمـدح من شرَّابهـا كلَّ مدمنِ[1]
فمـا تـكمـل الأوقـات إلاّ بقهوةٍ ولا تحسـن الأيـام إلاَّ لمحسنِ

وقال [من السريع] :

إذا هجـا الشاعـر في خفيـةٍ وخفض الصّـوت عن الرفعِ
ولاذ بالجحـد لمـا قاله فإنّمـا خاف مـن الصّفعِ[2]

وقال في يوم شديد البرد [من البسيط] :

هذا لعمـرك يومٌ يستـطير له من قرِّهِ شَعَـرُ الهامـات بالرّعد
لو شئـت لا خائفـاً لذعـاً ولا ألماً قبضت فيه على جمـر الغضـا بيدي[3]

---

(١) أدمن الشراب : أي أصبح الشراب عنده عادة لا يستطيع مفارقتها .
(٢) الحجد : الإنكار .
(٣) الغضا : شجر فحمه أو حطبه شديد التوقّد والحرارة .

وله في غلام صوفي [من السريع] :

عشقت صوفياً له شاهدٌ ... يقيم عذري عند عذّالي
قد قصد الله بأحواله ... فليته يقصد في حالي[1]

وقال يهجو عبيد الله بن أبي الجوع من قصيدة أولها [من السريع] :

هاجيك فيما قاله مادحٌ ... فأنت في صفقتك الرّابحُ
وما يقوت الفيل من بقّةٍ ... أمثالها في فمه طائحُ
وربّ من ترفعه خزيةٌ ... ميسمها في وجهه لائحُ[2]
ففخر عبد الله في النّاس أن ... يقول قد ناقضني صالحُ
يا ابن أبي الجوع قدحْتَ امرءاً ... من فكره يحترق القادح
لقد تعرّضت على غرّةٍ ... قريحةٍ صاحبها قارحُ[3]
فاركب ذلول الأمر أوْ صعبهِ ... فيَّ فقد جدَّ بك المازح
وعِقّ من أهلك من شئته ... فإنّما أنت له فاضحُ[4]
واغد بما تهوى وروح إنّني ... غادٍ بما تكرهه رائحُ
يا أيُّها الصعو الذي لم يزل ... يرقص حتى دقّه الجارح[5]

ومنها :

إن زأر الليث على ما أرى ... وهاج يوماً ضرط النابحُ
وودّ أن يفلت من بعدما ... أنحى على أوداجه الذابحُ

---

(١) أحواله : طرائقه بالعبادة .

(٢) الميسم : الأثر والعلامة .

(٣) الغرّة : الجهل ، والقارح : من ذي الحافر : ما شقّت نابه وطلعت ، يقصد أنه قادر على مواجهته وليس صغيراً .

(٤) عقّ : من العقوق ، وهو نكران الجميل وجحود الفضل .

(٥) الصعو : العصفور الصغير .

إنّ الـذي تطمـع في قربهِ نجـمٌ لمـن يرمقـه لائحُ
يا شاربـاً في يده حتفه لم تَدرِ ما خاض لك الجارحُ
أراك قد لججـت في غمرةٍ يغـرق في تيارهـا السابحُ
فقـد تمرّسـت بمـن شعره كالبحـر لا ينزفـهُ الماتحُ[1]
كم جامـحٍ قبلك ألجمته بالـذلِّ حتـى سكن الجامح[2]

وقوله فيه [من السريع] :

يا ذا الـذي عن رشـده قد عمي لو كنـت جلداً حدت عن أسهمي
لـو كنـت شهمـاً حازمـا ضابطاً لمـا تقلبـت علـى الشّيهمِ[3]
مـا أنـت في فعلك إلاّ كمنْ تطعَّـمَ الـرِّيـق مـن الأرقمِ[4]
كيف يخـوض البحـر من مثله يغـرق فـي دائـرة الدرهمِ
فاثبـتْ أوِ أجـزعْ كلّ ذا واحدٌ لا عاصـم اليوم لمستعصمِ
استقـدر الله علـى كلّ ما ألصـق منـك الأنف بالمـرغـم
تجاسـر الجـوع علـى صالحٍ تجاسر الكلـب علـى الضيغمِ[5]
وفـاه باسمـي مفصحـاً بعدما تركتـه أسـكت من أبكمِ[6]
وقـال قومٌ قد غدا شاعراً والشّعـر لا يعـرف للمفحمِ
فقلـت لا لومَ علـى مثله من أخـذ الصّفـع قفـاه حمي
أنـا الـذي ألبستـه حسرةً بمـا جرى من ذكره في فمي
والله لا يجهـل من بعدها وفـي قفـاه للـردّى ميسمي

---

(١) الماتح : الغارِف منه وينزفه : يقنيه .
(٢) الجامح : الشرود .
(٣) الشيهم : الدلدل ، وذكر القنفذ ، أو ما عظم شوكه من ذكرانها .
(٤) الأرقم : الأفعى السامة .
(٥) الضيغم : الحيوان المفترس .
(٦) الأبكم : الأخرس .

أَبْيِن به من ميسمٍ واضحٍ يضيء كالغرَّة في الأدهم[1]
فليت شعري كيف رام العلا وهمٌ أن يرقى بلا سلم ؟!

ومنها :

ثم أتت بالصَّعو مستبشراً يروم أن يلحق بالقشعم[2]
في الثمر المرّ دليلٌ على رداءة الأصل لمستطعم

وله فيه [من البسيط] :

لا تعجبي لسكوتي بعد أشجاني فالعذر عن كلٍّ ما أهواه أسلاني
قد أرقأ الله دمعي بعد جريته وأنقذ القلب من همٍّ وأحزانِ[3]
فما أرى أحداً يُصفي الهوى أحداً وجود هذا رعاك الله أعياني
لم يبق بين الورى إلاّ مكاشرةً تبدو لنا عن صدورٍ ذات أضغانِ
أقول لابن أبي الجوع المنافق إذْ لم ينهه الحلم عنّي وهو ينهاني
أراك تقرعني سرّاً وتعجمني فهل وجدت صفاتي غير صوّان[4]
تردّ في جبهة النّقار معوله إذا تضعضع عنها كلّ كدّان[5]
العزُّ داري وظهر العزم راحلتي والوحش أنسي وجنُّ الأرض إخواني

وله في العناق ، وأحسن ما شاء [من السريع] :

لي سيِّدٌ ما مثله سيِّدُ تصدَّتِ الحمّى له فاشتكى
عانقته عند موافاتها والأفق بالليل قد احلولكا

---

(١) الميسم : الأثر والعلامة . والغرّة : بياض في رأس الفرس ، والأدهم ، من الخيل : ما كان لونه مائلاً إلى الحمرة والسّواد .
(٢) القشعم : النّسر المسنّ .
(٣) أرقأ : كفّ .
(٤) تقرع : تطرق ، وتعجم : تحك وتتفحّص .
(٥) الكدّان : القوي الكثير الشحم واللحم .

فجـاءت الحمـى كعاداتها فلـم تجـدْ ما بيننـا مسلكا

وقوله يصف برادة على حامل نحاس [من الكامل] :

أمٌّ الحياةِ علـى سريـر نحاسٍ عريانـةٌ أبـداً بغيـر لباسِ
هي في الموات لدى الورى معدودة لكنّهـا ضمنتْ حياة النّاسِ

وقوله [من الوافر] :

بعين الله أنـت فإنّ عيني إذا ما غبـت داميةَ الجفون
كأنّـكَ مهجتـي فإذا تدانى فراقـك حمَّ لي ريبُ المنون[1]

وقال يصف البنفسج والورد [من مخلع البسيط] :

بنفسـجٌ جاء في حـدادِ ووردنـا فـي معصـفراتِ
فاشـرب علـى مأتـمٍ وعرسٍ جلا جميعـاً عـن الصّفاتِ

وسأله ابن رشدين الإمسير معه إلى القاش فقال مرتجلاً [من المنسرح] :

يا آمـري بالمسير في لجج الـنيل كأنْ سخّـرتْ ليَ الريح
مـا جمّـد المـاء لي فأركبهُ كلاّ ، ولا صامـتِ التماسيح

* * *

٣٤ ـ محمد بن الحسن اليمني

أنشدت له في صالح [من المجتث] :

يا قاطعـي بعـد وصل تسـوم ما لا أسومُكْ[2]

---

(١) حمّ : نزل ، وحمّ القضاء : أي نزل .

(٢) الوصل : من الوصال وهو القرب ، وتسوم : من سام : أي عرض البضاعة وغيرها للبيع وذكر ثمنها ، وسامه الخسف : أذلّه .

يا ليت أنّيَ يوماً من الزّمان نديمُكْ
فالشوق عندي غريمٌ كما السّلوُّ غريمُكْ

وقوله [من مجزوء الرمل] :

فاضحَ الغصنِ النضيرِ كاسفَ البدر المنيرِ
أنت عذري في حياتي ومماتي ونشوري
ما سرورٌ غاب عنه صالحٌ لي بسرورِ

٣٥ ـ محمد بن هرون بن الأكتمي

أنشدت له في بعض الوزراء يهجوه [من مجزوء الخفيف] :

يا وزيراً إلى المكا ييل والبيع ينسب
من يرمْ حبّك يتعبْ وأمانيه تكذّب
وإذا ما رجوته قلت ما مات أشعب
يا وضيعا ترجّل الـ ـمجد مذ صار يركب[1]

وله يهجوابني كشاجم أبا النصر وأبا الفرج [من الكامل] :

يا ابنيْ كشاجم أنتما مستعملان مجرّبانِ
مات المشوم أبوكما فخلفتماه على المكانِ[2]
وقرنتما في عصرنا ففعلتما فعل القرانِ
لغلاء أسعار الطعا م وميتة الملك الهجان

وقوله في عزاء [من الوافر] :

بقاؤكما يعيد الميت حيّاً وإن غطّاه دونكما الترابُ

---

(١) ترجّل : أي أصبح يمشي على رجليه .
(٢) المشوم : من المشؤم خفّفت الهمزة للضرورة الشعرية .

فـلا تستشعـرا حزنـاً عليه فيذهـب لاعدمتكمـا الثوابُ

وله في غلامه راشد [من مخلع البسيط] :

يا قمـر الليل كن شهيدي فأنـت من أعـدل الشهودِ
هـل نمـت أو ذقـت طعـم غمض مذ هجعـت أعين الرّقودِ
وكيف يلتـذّ باغتماض من لجَّ مولاه فـي الصّدودِ
فـكن شفيعـي إلـى حبيب قد زاد في كثـرة الجحّودِ

وقال رحمه الله [من المتقارب] :

كأنّ الأبـاريق مملوءةٌ ظبـاءٌ وقـوفٌ علـى ساحلِ
رماهـا بأسهمـه قانصٌ فخضّبهـا بالـدّمِ السائلِ

وقوله في شمعة [من مجزوء الرجز] :

بـاكيةٌ ضاحكةٌ خدّامهـا جلاّسها
مظهـرةٌ أنوارهـا إن جُزَّ منهـا رأسها
كأنّهـا عاشقةٌ تذيبهـا أنفاسها

وقال [من السريع] :

لـو أنصفـتْ عطفـتْ أو رقّتِ ما أضنـت الجسـم ولا سلّتِ
أفـدي التـي إن أقبلـتْ أقبلتْ دنيايَ أو غنَّـتْ لنـا أغنتِ

وقال [من مخلع البسيط] :

يا أيّهـا ذا أسْتمـعْ مقالي فليس في قصتـي ضلالُ
ثلاثـةٌ مالهـا مثالٌ السّجـن والجـوع والعيالُ
إن دام هذا علـيَّ منهمْ صحّحـت ما شنّعـوا وقالوا
أليس إن متّ مات شعري أفنـى ومـا قلـتـه يقالُ

وقوله [من مجزوء الرمل] :

أكثر العذال لومي يا ابن رشدين وزادوا
وبقلبي منك وجدٌ ماله الدّهر نفادُ
قد تجافى عن جفوني مذ تجافيتُ الرّقادُ
فيك يا صالح للقلب صلاحٌ وفسادُ
أنا من حبِّك مولا ي عليلٌ لا أعاد[1]

وقوله [من السريع] :

دافعت أيّامي بأيامي حتّى مضى أكثر أعوامي
وإنّما عمر الفتى كلّه كأنّه طارقُ أحلامِ
يا ويح من أمسى على غرَّةٍ وأنفه من حتفه دامي[2]
يرمى بسهمٍ للردى صائبٍ من حيث لا يشعر بالرامي

* * *

٣٦ ـ عبيد الله بن محمد بن أبي الجوع

أحد رواه المتنبي الأدباء ، وأصحابه العلماء ، وممن تمهر في لغات العرب وأجاد أنواع الأدب ، فمن شعره قوله رحمه الله تعالى [من المتقارب] :

أظنّك يا سيدي إذْ جفوت توهّمت بي نبوة الغادرِ[3]
وخلتَ بأني ملالاً سلوتُ ولست بسالٍ ولا صابرِ
وقد علم الله أنّي عليـ ـك أشفق منّي على ناظري

---

(١) أعاد : أزار .
(٢) الغرّة : الغفلة ، والحتف : الموت والهلاك .
(٣) النبوة : الجفوة والبعد .

وقال [من السريع] :

صالح يا مشبه بدر الدجى ... بالحسن والإشراق والرفعةِ
وجهك في الليل كشمس الضُّحى ... نوراً فما تصنع بالشمعةِ

وقال [من المجتث] :

يا أطيب الناس ريحاً ... وأطيب الناس راحا
وما به أتصدى الـ ... أطراب والأفراحا
هات اسقني أو تراني ... لا أعرف الأقداحا
واحفظ عليَّ فؤادي ... من أن يطير ارتياحا
لو كنت كاسمك يا صا ... لح اعتمدت الصّلاحا
لكن أبى الله إلاّ ... أن تفسد الأرواحا

قال : وكتب إلى بعض إخوانه يستدعيه بهذه الأبيات [من المجتث] :

شعبان قد صار نضواً ... ولم نفد فيه لهوا ؟ ! [1]
وليس ذلك منّا ... جهلاً ولا كان سهوا
فبالمودّة إلاّ ... بكّرت للقصف عدوا [2]
حتى نقوم فنرفوا ... ما خرق الدهر رفوا [3]
من بعد تقديم جديٍ ... مسمّنٍ ظلّ يشوى
له ثلاثون يوماً ... يحبو إلى الضّرع حبوا [4]
وأوفر الزّور في الخـ ... ـلّ قد تبوّأ مثوى

(١) النضو : الهزيل ، أي أنّ قمر شعبان أصبح في لياليه الأخيرة وهذا دليل على انتهائه .
(٢) القصف : اللهو ، والعدو : الإسراع في السير .
(٣) نرفوا : أي نصلح عيب الثوب أو ما تمزّق منه .
(٤) الضّرع : الثدي .

لما انتزعت حشاه عوّضته البقل حشوا
وقد عنيت بجامٍ ملأته لك حلوى
وقهوةٍ بنت كرمٍ صفت من الذمِّ صفوا
ما شعشعت قطُّ إلاّ سطت على الهمّ سطوا
جنَّبتها كلّ وغدٍ يمحو المحاسن محوا
إلاّ إذا ما اقتنصنا عذب الخلائق حلوا
وشادنٍ ذي دلالٍ يشدو فيلهيك شدوا
إمّا غناءً وإمّا عجائباً عنه تروى
حتى تظلّ بما فيه من وقارك خلوا
وعندنا لك وردٌ يحدو المسرّة حدوا[1]
ريحانه لا يوازي لوناً وعطراً وسروا
فما اعتذارك في أن تُفني زمانك صحوا
وأنت بعد قليلٍ بالصّوم والله تطوى
أبا عليٍّ ألا اسمعْ نصيحةً ليس تزوى[2]
فإنّما نحن سَفْرٌ على محجّةِ بلوى
ولا تعرِّج ذميماً على معاهد حزوى

وله في أبخر [من الخفيف]:

لا تنفَّسْ في مجلسٍ أنا فيه وتنفّسْ سرّاً وراء البابِ
ثم لا تعترض لسرٍّ صديقٍ إنّ ذاك السِّراء سوطُ عذاب
إنّما فوك فقحةٌ كلّ وقتٍ تتصدى الأنوف كالنّشاب

---

(١) الورد : المنهل ، ويحدو : يسوق .
(٢) تزوى : تبعد ولا يعمل بها .

تصرع الطائر المحلّق في الجـــــوّ ولو غاب في سواء السّحاب

وقوله [من الوافر]:

أرى اللذاتِ تعبـر بي يمينـاً ... على رغمي وتعبـر بي شمـالاً
فأجـرعُ دونها غصصـاً لأنّي ... أشاهدها وما اعطيت مالاً

وقوله [من مجزوء الخفيف]:

وعذارٍ مجعّدِ ... فوق خدٍّ مورّدِ
كلّما رمتُ فرصةً ... لسعتْ عقربٌ يدي

* * *

٣٧ ـ الحسن بن محمد الشهواجي

كتب إلى صالح بن رشدين يستهديه مشروباً في يوم نيروز [من السريع]:

اليوم يا صالح ما تبصرُ ... وصحو مثلي فيه مستنكرُ
وقد مضى الوعد وحصّلته ... وصفوه من مطله يكدر[1]
فهات ما يحضر إنّي امرؤٌ ... يقنعه منك الذي يحضرُ

وله [من المنسرح]:

قوليَ ماضٍ على العباد فما ... يُردُّ في جدّه ولا لعبهِ
ولي لسانٌ كأنّه ظبّةُ الـ ... ـسّيف طويلُ أكاد أعثرْ بهِ[2]

وقوله [من البسيط]:

وقهوةٍ كشعاع الشّمس صافيةٍ ... شربتها مَعَ شَرْبٍ سادةٍ كرما

---

(١) المطل: التسويف بالوعد وعدم الوفاء به.
(٢) ظبّة السيف: شفرته.

إذا ثنوا أرؤس الفرسان في رهجٍ حازو الفخار وأجروا بالسيوف دما[1]
إذا رأيتهم أيقنت أنّهمُ نجومُ كلّ فخارٍ لا نجوم سما

وقوله [من الطويل]:

تضيق بي الدنيا إذا كنت غائباً وأسرح في أقطارها حين تقربِ
وأنت جناحي كلّما طرت للعلا وسيفي الذي أسطو به حين أضربُ

وقوله [من الرجز]:

وقهوةٍ في كأسها ترمي الندامى بالشَّررْ
قد جمعت نشر الرُّبا وبرد انفاس السّحرْ[2]
أطيب ما شربتها على غناءٍ ووتر
طوبى لمن حجَّ إلى كعبتها ثم اعتمر

وقوله [كن الكامل]:

وعلوُ قدرك وهو أبعد غايةً في كلّ حالٍ من علوِّ الكوكبِ
لأسيِّرنَّ مديحك الحسن الذي ألبسته ثوب الثناء الطّيبِ
حتى يحدّث مَنَ بأرض المشرق الـ أقصى حديثك من بأرض المغربِ

وقوله [من الكامل]:

ومهفهفٍ ساقٍ أغنّ سقيته قبل الصبوح سلافةً عذراءَ
ما صاح ديك الصبح إلّا صيحةً حتّى توسّد كفّه اغفاءَ
جعلته قبل رقاده كاسلتُهُ لمّا استقلّ لسانه فأفاءَ[3]

---

(١) الرهج : غبار الحرب .
(٢) نشر الرّبا : عبقها الطيّب .
(٣) الفأفاء : الذي يفأفىء في كلامه فيخرج الكلام من بين شفتيه كثير الفاء .

٣٨ - أبو علي صالح بن رشدين الكاتب

أحد أئمة الكتاب ، المهرة في سائر الآداب ، صحب المتنبي وروى شعره ، وكان جيد المعاني ، أنشدني له محمد بن عمر الزاهر [من مجزوء الخفيف] :

قلْ لمولاي منعماً لم صَرَمْتَ المتيَّما[1]
أنت أعطشتني إليك وأبكيتني دما
فإذا شئت أن ترى عاشقاً ميتاً ظما
فأدر في ناظريك تجدني توهّما

وقوله [من المُجتث] :

أَجَنَّةٌ نحن فيها أم نحن في المرزجوش[2]
ما بين آسٍ وماءٍ ينساب بين العروش
وقهوةٍ ذات حسنٍ وطاجنٍ ذي نشيش[3]
وسيّدٍ رشت منه لما تطاير ريشي[4]

وزاره ابن أبي الزلازل في منزله ، فلم يره، فطرح له رقعة من طاق في المنزل ، وكتب اسمه على الباب . فلما أتى صالح ورأى اسمه على الباب ووجد الرقعة فقرأها فوجده يعتبه فيها على انقطاعه عنه ، فذهب صالح في

---

(١) صرمت : هجرت وقطعت .
(٢) المرزجوش : معرّب مرزنكوش ، ويسمّى أيضاً مردقوش ، وعربيته السمق وهو نبات الياسمين ، ويطلق على الزعفران .
(٣) الطاجن : ما يقلى فيه ، والنشيش : الغليان وصوته .
(٤) رشت : تقوّيت واستغنيت .

الوقت إلى منزل ابن أبي الزلازل فلم يجده . فكتب اسمه على بابه وترك رقعة فيها [من الخفيف] :

قد ، ومن خصّني بودّك، أذكى طول شوقي إليك في القلب نارا[1]
سرت فيه تلقاء داريَ قصداً فإذا النور قد تغشّى الدِّيارا
فتعجبت أن أرى الأفق ليلاً مدلهماً وجوف داري نهارا
وإذا خطّك البديع على البا ب يبثُّ الضياء والأنوارا
فتمنّيت أنّ خدّي نعلا أخمصيك اللذين نحويَ سارا
غير مستنكر لمثلك أن يسبق فضلاً وأن يفوت فخارا
ثم أصبحت أشتكي عثر السكر وعزمي زيارتيك ابتكارا
فإذا رقعةٌ تمرُّ بها الريح يميناً طوراً وطوراً يسارا
فتأمّلتها وكانت من اللا ئي تروق القلوب والأبصارا
ما توهّمت أنّني قبلها أقرأ خطّاً يزيل عنّي الخمارا
قابلتني منها سهامُ عتابٌ جعلت درعيَ الحصين اعتذارا
وأحاشيك أن تكون خليلاً مذق الودّ للصديق معارا[2]

فلما رأى ابن ابي الزلازل الرقعة كتب إليه بهذه الأبيات [من الخفيف] :

بأبي أنت سابقٌ لا يجارى قاده نحويَ اشتياقٌ فزارا
عاقني الحظّ أن أراه وأن نقـ ضي عند اجتماعنا الأوطارا
يا ابن رشدين قد أفدت بك الرشـ د وبدّلت بعد عسرٍ يسارا
كنت بالأمس عند إخوان صدقٍ أدباءٍ ندير كأساً عقارا
قد جعلنا محمود ذكرك نقلاً وشربنا من قبله تذكارا[3]

---

(١) أذكى : أوقد .

(٢) المذق : المداهن .

(٣) النقل : ما يؤكل مع الخمر كالفستق وغيره .

ثم إني انصرفت سكران أعتسُّ طريقي تمايلاً وعثارا[1]

والدّجى كالهموم في قلب من فا   رقَ عشقاً وغربةً وادّكارا

أخبط الليل مفرداً إذ تراءى   لي نورٌ أضاء ثمّ استطارا

فهنيئاً إنّي أودّك ودّاً   ترتضيه مغيَّباً وجهارا

ثم أخبرتني بشكواك فيها   فوقاني الإلّه فيك الحذارا

لم أزل دائباً أكرِّر قولي   كان لي فيك حافظ الجار جارا

* * *

٤٠ ـ أحمد بن محمد العوفي

أنشدني له محمد بن عمر الزاهر قوله [من المجتث]:

يا حسرةً في نفوسٍ   ويا شجىً في حلوقِ[2]

يا فضّةً بين ثنيي   غلالةٍ من عقيقِ

عليّ لا زلت همّي   في صبحتي وغبوقي

ودون سلوة وجدي   وجدان بيض الأنوقِ[3]

وأنشدني أيضاً [من المجتث]:

يا موقظاً طرف همّي   من بعد ما كان أغفى

تظنّ ما بتُّ أخفيـ   ـه من جوىً بك يخفي

ولي لسان دموعٍ   ما يكتم النّاس حرفا

إذا تظلّم طرفي   وقعت بالطّرف تُكفى

---

(١) عسّ : طاف بالليل .

(٢) الشجى : ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه .

(٣) الأَنوق : العقاب ، أو طائر أسود يحرز بيضه فلا يكاد يوصل إليه .

وأنشدني له [من المجتث]:

قد عابني برقادي ... خياله حين زارا
ولا وحبّيه ما إنْ ... فعلت ذاك اختيارا
طمعت في أن أراهُ ... طوعاً فنمت اضطرارا
فتلك علَّةُ نومي ... يا ملزمي فيه عارا

* * *

٤١ ـ القائد أبو تميم سليمان بن جعفر

كتب إلى صالح بن رشدين رسالة يستدعيه فيها إلى الشراب ، فامتنع عليه وكتب له هذه الأبيات [من المنسرح]:

يا أيها القائد الجليل ومنْ ... أصبح بالمكرماتِ يفتخرُ
آليت لا أشرب المدام ، وإن ... كانت ذنوب المدام تغتفرُ
يكفي أخا العقل أنّ سورتها ... تجني على عقله ويعتذر[١]

فكتب إليه القائد ابو تميم [من المنسرح] :

أبا عليٍّ حاشاك يا أملي ... من أن أراك الغداة تعتذرُ
قلبي إذا غبت ساعةً قلقٌ ... يكاد شوقاً إليك يستعرُ
فسرْ إلينا فوقتنا حسنٌ ... ساعد فيه السّحاب والمطر

قال ابن رشدين : حضرت عند القائد أبي تميم في ضيعة له ، فلما عمل فينا الشراب نظرت إلى جارية له تسمى عبدة ذاهبة وجائية ، فحملني

(١) سورة الخمر : حدّتها .

النبيذ أن أخذت رقعة وكتبت فيها إليه [من الخفيف]:

صالحٌ لا يزال يطلب عبْدَهْ من كريمٍ يصفي الأخلاء ودّهْ
قد بثثت الغداة وجدي وحبي من ولي يولي لمولاه مجده
فإذا شئت أن أرى لك عبداً فتفضّل أبا تميم بعبدَهْ

فقرأها وأمسك ، فارتعت وخفته ، وتماديت في الشرب معه ، ثم نهضت الى منزل أنزلني فيه بقربه ، فلما استقر بي انفذ لي الجارية ومعها درجٌ فيه طيب كثير، وعليها ثياب رفيعة حسنة ، ورقعة فيها شعر [من الخفيف]:

قد بعثنا أبا عليٍّ بعبده وقضينا بذاك حقّ المودَّهْ
وحمدناك إذ خطبت إلينا أسأل الله أن يهنّيك حمده
فخذنها فأنت أكرم كفءٍ وهي ما عشت كاسمها لك عبده

وقال الخادم الذي جاء بها : يقول لك مولاي : لا تخرج غدا من منزلك او يأتيك رسولي . فلما أصبحت جاءني القائد أبو تميم بجواريه المغنيات وطباخه ، معه طعام كثير قد أعده وشراب، فمازلنا نأكل ونشرب إلى الليل وانصرف فرحا مسروراً .

٤٢ ـ أبو هريرة أحمد بن عبد الله بن أبي العصام

أنشدني له ابن وهب [من الطويل]:

لئِنْ ذهبتْ أيام لذّتنا الأولى بذي الأسل ما وجدي عليها بذاهبِ
ألاليت أياماً مضت لم تكن مضتْ ففقدي لها يا صاحِ إحدى المصائب
رعى الله ايام السرور فإنّها تمر سريعاتٍ كَمرِّ السّحائب

وقوله في رثاء صالح [من السريع]:

قد أفسد الموت على صالح كلَّ الذي اصلحه صالحُ
وانصرف البوّاب عن بابه وصاح في مجلسه الصائحُ
خلّوه في دار البلى مفرداً وناح في اوطانه النائح
يا ليت شعري ما الذي قاله إذ راح في حفرته الرائح
يا أيُّها الناس ألا فاسمعوا قولي فإنّي مشفقٌ ناصحُ
لا تؤثروا الدنيا على غيرها ففرْقُ ما بينهما واضح
فالحمد لله وشكرٌ لهُ كلّ امرىءٍ عن أهله نازحُ

وقوله [من الخفيف]:

مَنَ رسولي إليك أو من شفيعي ياشبيه الهلال عند الطلوعِ ؟
أنت في القلب شاهدٌ ليس يخلو من ضميري وأنت بين ضلوعي

وقوله [من البسيط]:

أما ترى الغيم كالباكي بأربعةٍ والأرض تضحك كالجذلان من فرحِ
فقمْ فديتك نشكو ما نكابدهُ من الزمان وما نَلقى إلى القدحِ

وقوله [من المنسرح]:

كم لي بدير القصير من قصفِ مع كل ذي نشوةٍ وذي ظُرْفِ[1]
لهوت فيه بشادنٍ غنجٍ تقصر عنه بدائع الوصفِ

وقوله [من السريع]:

أذكرتني يا ديرُ مَنْ قد مضى من أهل ودّي ومصافاتي

---

(١) القصف : المجون .

كم كان لي فيكَ وفيهمْ معاً من طيب أيامٍ وليلاتِ
أشكو إلى الله مصاباتهم وفقدنا أهلَ المروءاتِ

وقوله [من البسيط] :

كتمتُ حّبك في قلبي فما وسعهْ هذا وليس له شغلٌ سواه مَعَهْ
يا من إذا ما بدت للناس صورتهُ رأيت فيها فنون الحسن مجتمِعَهْ
والله ما حلتُ عّما قد عهدت ولا أصغيت أذناً إلى العذّال مستمعه[1]
رفقاً بمن لو تسلّى عنك يا أملي بكلِّ شيءٍ على الدّنيا لَمَا نفعهْ

* * *

٤٣ ـ أبو القاسم بن علي بن بشر الكاتب

أنشدني له محمد بن عمر الزاهر يصف العذار [من الخفيف] :

مَنْ عذيري إلى العذار الجديدِ ؟ مَنْ رسولي إلى القريب البعيدِ ؟
دبَّ في خدِّه العذار فحاكى ظلمة النّحس في بياض السّعودِ

وقوله [من السريع] :

أما ترى لي ناظراً شاهداً بالحبِّ والأعينُ رسْلُ القلوبْ
ودون إلحاح جفوني به تخبر عمّا في فؤادي الكئيبْ
وأنت لا شك به عالمٌ لأن عند المِرْدِ علمُ الغيوبْ

وقوله [من المنسرح] :

ضممته ضمّ مفرط الضّمِ لا كأبٍ مشفقٍ ولا أُمِّ
ولم نزل والظلام حارسنا جسمين مستودعين في جسمِ

---

(١) حلت : تحولّت وتغيّرت .

ألثمه في الدُّجا وبرق ثنا ... ياه يريني مواقع اللثم
ثم افترقنا عند الصّباح وقد ... أثّرت فيه كهيئة الختم

وقوله [من البسيط]:

إذا ذكرت أياديك التي سلفتْ ... مع قبح فعلي وزلّاتي ومجترمي
أكاد أقتل نفسي ثم يدركني ... علمٌ بأنّك مجبولٌ على الكرم

وقوله [من الخفيف]:

أنت مني بحيث مأوى الغرام ... وبحيث افتقاد طيب المنامِ
في فؤادي وناظري وهما منـ ... ـك قرينا صبابةٍ وانسجامِ

وقوله [من الوافر]:

لحى الله امرءاً يوعيك سرّاً ... لتكتمه وفضَّ الله فاهُ[1]
فإنّك بالذي استودعت منهُ ... أنمُّ من الزُّجاج بما حواهُ[2]

وقوله [من الكامل]:

بيضاء جنح جبينها ... في ليل طرَّتها البهيمْ
ضدّان ما اجتمعا لغيـ ... ـرتشتُّتِ الصَّبر المقيمْ
ولَذِكْرُها أندى على الـ ... أكباد من برد النّسيم
ووصفت نعمة حسنها ... فنعمت في صفة النعيمْ

وقوله [من المتقارب]:

ديون المكارم لا تُقتضى ... كما تقتضى واجباتُ الديونْ

---

(١) لحى الله : لَعَنَ الله ، يوعيك : يكتمك ويأتمنك ، وفضّ : فتح وشقّ .
(٢) أنمّ : أدل .

ولـكـنّـهــا فـي قـلـوب الـكــرامْ تجـول مجال القـذى في العيـونْ

وقوله [من المنسرح]:

طـرفي على ما عهـدت في أرقِـهْ فيــك وقلبي يـزداد من حُــرَقِـهْ
ولـي حـبـيـبٌ أقــام مـعـتـنـقـي كمـا أقام الشّهـاب في غسقـه[1]
وجــمـلة الأمــر أنّــنــي رجــلُ قـدمُتُ قبل الفـراق من فـرقـه[2]
هــذا حـديثي والشمــل مجتمـعُ فما حديثي في عقب مفتـرقه ؟!

قال لي الزاهر : أخبرني ابن بشـر أنه كـان له جـد لأم يعرف بكـولان ، وكان هو من أهـل الأدب والكتابـة، وحسن الشعر والخـطابة قـال لي حججت سنـة من السنين، وجاورت بمكـة حرسهـا الله ، فـاعتللت علة تـطاولت بي ، وضـاق معهـا خلقي ، ثم صلحت منهــا بعض الصـلاح ، ففكــرت في أنني عملت في أهل البيت تسعا وأربعين قصيدة مدحا ، فقلت : أكملها خمسين . ثم ابتدأت فقلت :

* بني أحمد يا بني أحمد *

ثم ارتـج على[3] فلم أقدر على زيـادة ، فعظم ذلـك عليَّ ، واجتهدت في أن أكمل البيت فــلم أقدر ، فحدث لي من الغم بهذه الحـالة مـا زاد على غمي بإضاقتي وعلتي ، فنمت اهتماماً بالحال، فـرأيت النبي ﷺ ، فجئت إليه فشكوت إليه ما أنا فيه من الإضاقة وما أجده من العلة وأخرى من القلة ، فقال لي : تصدق يوسع عليك، وصم يصـح جسمك ، فقلت لـه : يا رسـول الله، وأعـظم مما شكـوته إليـك أنني رجل شـاعر اتشيـع ، وأخص بالمحبـة ولـدك

(١) الغسق : الظلام .
(٢) الفرَق : الخوف .
(٣) أرتج عليه : استغلق عليه الكلام .

الحسين وتداخلني له رحمة لما جرى عليه من القتل، وكنت قد عملت في أهل بيتك تسعاً وأربعين قصيدة ، فلما خلوت بنفسي في هذا الموضع حاولت أن أكملها خمسين، فبدأت قصيدة قلت فيها مصراعاً وأرتج عليَّ إجازته ، ونفر عني كل ما كنت أعرفه فما أقدر على قول حرف ، قال : فقال لي قولا نحا فيه إلى أنه ليس هذا إليّ ، لقول الله تعالى :﴿وما علمناه الشعر وما ينبغي له﴾[1] ثم قال لي : اذهب الى صاحبك، وأومأ بيده الشريفة إلى ناحية من نواحي المسجد ، وأمر رسولا أن يمضي بي إلى حيث أومأ ، فمضى بي الرسول على ناس معهم عليٌّ ابن أبي طالب رضي الله عنه . فقال له الرسول : أخوك وجه إليك بهذا الرجل ، فاسمع ما يقوله، قال : فسلمت عليه ، وقصصت عليه قصتي كما قصصت على النبي ﷺ، فقال لي : فما المصراع ؟ قلت [من المتقارب]:

* بني أحمد يا بني أحمدِ *

فقال للوقت قل :

	بكتْ لكم عُمُدِ المسجدِ
بيثربَ، واهتزّ قبر النبي	أبي القاسم السيِّد الأصيدِ[2]
وأظلمت الأفق أفق البلاد	وذرَّ على الأرض كالإثمد[3]
ومكّة مادتْ ببطحائها	لإعظام فعل بني الأعبد
ومال الحطيم بأركانه	وما بالبنية من جلمد
وكان وليُّكُمُ خاذلاً	ولو شاء كان طويل اليد

---

(١) من الآية ٦٩ من سورة يس .

(٢) يثرب : المدينة المنوّرة ، والأصيد : الكريم العظيم .

(٣) ذرّ : نثر ، والإثمد : الكحل .

قال : ورددها عليَّ ثلاث مرات ، فانتبهت وقد حفظتها :

* * *

٤٤ ـ الحسن بن خلاد رحمه الله تعالى

أنشدني الزاهر له [من مجزوء الوافر] :

وَمُـنْـهَـتِـكٍ لـه نَـظَرٌ يصـون مـواقـع النـظر[١]
هـلالٌ لـو بـدا لـلسَّفْـرِ ألـهـاهُمْ عـنِ السَّفَـرِ
فـوا ويـلاه مـن قـمـرٍ يـريـك مسـاويَ القمـرِ
لقـد أصبحتُ مـن كلفـي بـغـرَّتـهِ عـلى غـرر[٢]

وقوله [من مجزوء الرمل] :

يـا مـريـداً منِّي الـوصـل ووصـلي فـي يـديـهِ
أنـا لا اعـرف مـن لا يـعـرف الـحـقّ عـليـهِ

وقوله من أبياتٍ [من مجزوء الكامل] :

نختـال في حـلل الصّبـا كـالبـدر فـي حـلل الغيومِ
وإذا تـثـنّـت جـال فـي أعـطـافهـا مـاءُ النعيمِ
ينسيـك طيـب نسـميهـا بعـد الـكـرى بـرد النسيمِ

وله أول قصيدة [من الطويل] :

هـو السيف لا يكسوك ما لم يُجَـرَّدِ فجـرِّده واستـرفـدْ بِغـربيـهِ تُـرفـدِ[٣]

* * *

---

(١) ومنهتك : غير محجوب ،
(٢) الكلف : العشق ، والغرر : الطيش .
(٣) الغرب : الحدّ ، واسترفد : أي اطلب الرزق بحدّه .

٤٥ ـ أبو الحسن اللطيم

أنشدني ابن وهب قوله [من مخلع البسيط]:

لا تنكري سرعة اختلاسي لـذّاتِ أيّامي القصارْ
فإنّ علمي بغدر دهري صيّرني خالع العذارْ

وقوله [من السريع]:

أهديت لي تذكرةً خاتماً اسمك منقوشٌ على فَصِّهِ
فما اعترتني زفرات الهوى إلّا تروّحت إلى مَصِّهِ

٤٦ ـ سليمان بن حسان النصبي رحمه الله

أنشدني ابن وهب له [من الخفيف]:

وهتوفٍ ورقاءَ أرَّقتِ العينَ، وزادت خبل الفؤاد خبالا(١)
ذات طوقٍ من الزبرجد يحكي صفو عيشٍ عنّي تولّى وزالا
أيقظتني والصبح قد خالط الليلَ كما خالط الصدود الوصالا
وتراها كأنّما بدموعي خضّبوها أو خاضت الجريالا(٢)

وقوله يصف الراي المقلي وهو ضرب من السمك [من مجزوء الرمل]:

ما رأينا مثل هذا الراي حسناً، ما رأينا
صار تبراً بعد أن كان عقيقاً ولجينا

وقوله في شمعة [من المتقارب]:

ومجدولةٍ مثل صدر القناة تعرَّت وباطنها مكتسي

---

(١) الخبال: فساد العقل والرأي.
(٢) الجريال: صبغٌ أحمر.

لـهـا مـقـلـةٌ هـي روحٌ لـهـا | وتـاجٌ على الـرأس كـالـبـرنس
إذا رنَّـقـتْ لـنـعـاس عـرا | وقُـطَّت من الـرأس لم تنعس[1]
وإن غـازلتهـا الصَّبـا حـرَّكَتْ | لـسـانـاً من الـذّهـب الأمـلس
وتـنـتـج في وقـت تـلقـيـحـهـا | ضيـاءً يجلّي دجـا الجنـدس[2]
فـنحـن من الـنـور في أسعُـدٍ | وتـلك مـن الـنـار في أنـحس
وقـد نـاب وجهك عن ضـوئهـا | وعـن ذا البـنفـسـج والـنـرجس
ولـكـنـهـا آلـةٌ لـلنـدام | ونـجـمٌ تـألَّق في الـمـجـلس
تـوقُّـدُهـا نـزهـةٌ لـلعـيـون | ورؤ يـتـهـا مـنـيـةُ الأنـفس
تـكيـد الـظلام كمـا كـادهـا | فـتفـنى وتُـفـنيـه في مـجـلس
فيـا ربّـة العـود حـثّي الـغنـاءَ | ويـا حـامـل الكـأس لا تحـبس
ويـا صـالـح انعم وعش سـالمـاً | على الـدهر في عـزّك الاقعس[3]

وله يصف روضة [من الرجز]:

وروضـةٍ ذاتِ غـديـرٍ مـتـئـقِ | وَزَهَـرٍ مثل عشـور المهـرقِ[4]
ونـرجسٍ مثـل العيـون الـرمَّق | أجـفـانهـا مـن لؤلـؤٍ مفـلَّقِ[5]
بـاهتـةٍ قـد فتحت لـم تـطبقِ | وسـوسنٍ غضِّ النّبات مـونقِ[6]
يشفُّ فيـه كـالـزّجـاج الأزرق | وقـد حكـاه في ضيـاء الـرونق
بنفسـجٌ مثـل اللجينِ المـحـرقِ | يـا حسنهـا من روضـةٍ لم تـطرق

---

(١) رنَّقت : انكسر طرفها ، وخفقت ، عرا : حلّ ، وقطَّتْ : أي قطعت .
(٢) الحندس : الظلام الشديد .
(٣) الأقعس : المنيع الثابت .
(٤) متئق : المملوء من كلّ شيء بما يناسبه ، **والعشور** : المختلطة ، والمهرق : الصحيفة البيضاء .
(٥) الرمّق : المتطلعة من رمق : أي نظر .
(٦) المونق : المعجب والجميل المنظر .

كـأنّـهـا سـافـرةٌ عـن خـلقـي أو حسْنِ مـا ألفته عن منـطقي
بـاكـرتهـا مثـل انفـلاق الفلق وشـهـبُـهُ حـائـرةٌ فـي الأفـق
فـي عصبـةٍ غـرٍّ كـرامٍ سُبَّقِ يخطـرن فيهـا بقسيِّ البُنـدقِ[1]
كـلّ فـتىً فـي قـصـده مـوفَّقِ كـأنّـه مـن نـفسـه فـي فيـلقِ
مـقـرطسٍ فـي رمـيـه مؤنَّـقِ وهـو يـراعيهـا بـطرفٍ شيِّقِ[2]
خـوفاً عليهـا وهـو عين المحنق فـصـاد مـا شـاء بـلا تـعـوُّقِ

* وراح من نجيعه في يلمق *

وقوله في الحمام [من مجزوء الرمل]:

أنت في الحمـام مـوقـو فُ عـلى قلبـي وسـمـعي
فـتـأمـلّهـا تجدها كُـوِّنتْ من بـعض طبـعي
جـرُّهـا مـن حـرٍّ أنـفـا سي وفيض الـمـاء دمعي

وله يصف ناعورة [من السريع]:

كم نَعَرَتْ بالحيِّ نـاعـورةٌ حنينها كالبـر بطِ النّاعـرِ[3]
فـتـارةً تحـسبـهـا قـيـنـةً تـردِّد الـزَّمْـرَ على الـزامـرِ
وتـارةً ثكلى جـرى دمعهـا في مستهلٍّ واكفٍ ماطـرِ[4]
كـأنّمـا كيـزانهـا أنجمٌ دائـرةٌ فـي فـلكٍ دائـرِ

* * *

(١) البندق : ما يرمى بالقسيّ ليصطاد به .
(٢) مقرطسٍ : الذي يكتب في القرطاس ، مؤنّق : متمهل ومتقن أي الصحيفة
(٣) اليربط : آلة موسيقية تشبه العود .
(٤) الواكف : السحاب الممطر .

٤٧ ـ الحسن بن علي الأسدي كاتب السر

كتب إليه أحمد بن محمد بن إسماعيل الرسي يطلب منه الكتاب الذي عمله المعروف بالأنيس ، فأنفذ إليه الجزء الأول منه وكتب إليه [من الخفيف] :

قد بعثنا بمؤنسٍ لك في الوحـــشة خلٌ يدعى كتاب الأنيسِ
فيه ما يشتهي الأديب من العـــلم، وفيه جلاء همِّ النّفوسِ
فيه ما شئت من بدور معانٍ ضاحكاتٍ إلى وجوه شموسِ
والنّفيس البهيُّ ما زال يُهدى كلَّ حينٍ إلى البهيِّ النفيسِ

فلما قرأ رقعته كتب على ظهرها ارتجالاً [من الخفيف] :

قد قرأت الكتاب يا خلَّ نفسي فهو لي مؤنسٌ وأنت الأنيسُ
فهو تأليف ذى ذكاءٍ وفهمٍ وهو وقفٌ على العلوم حبيسُ

وحكى عنه أنه قال : قد كان أبو الحسين جنبك الأخشيدي من كرماء الناس ، وكانت بيني وبينه مودة ، فكنت أغشاه كثيراً للحوائج التي تعرض إليه ، فاستخدم بوابا ، فحجبني غير مرة ، فكتبت إليه [من المنسرح] :

يا عَلَمَ المكرماتِ والسؤددِ إليك أشكو بوّابك الأسودْ
يبعدني كلَّما دنوتُ، وما حقّ كريمِ الوداد أنْ يبعدْ
في كلِّ يومٍ ألقى بطلعته طالع نحسٍ يسوءني أنكدْ
وجهٌ شتيمٌ بكلِّ فاحشةٍ عليه من كلِّ مشهدٍ يشهدْ
كلبٌ يهرُّ الضيوف إنْ طرقوا فناءك الرّحب كالحُ اعقدْ
أبعدْهُ وانفِ الخبيث عنك كما ينفي القذى عنه خالص العسجدْ
أولا ، فلن تستطيع تنظم ما عنك من المكرمات قد بدّدْ

ومـا انتفـاع الـورى ببحـر نـدى تـذادُ عنـه العطـاش لا تـوردْ[1]

فما شعرت حتى جاءني خادم له يقال له بشرى ، وكان يحبه ، والبـواب الأسـود معه ، وقـال لي : إن مولاي يقـرأ عليك السـلام ، ويقول لـك : قـد غمني مـا جرى من البـواب ، وقد قـرىء عليّ الشعر . ولـو كنت أحسن قولـه لأجبتك ، ولكني قد أنفذته اليك ، وأمرت بشرى أن يضربه بين يديـك ثلاثين مقرعة ، ونحبسه، فشكرت له ، وقلت لبشرى : قـل له يـاسيدي مـا أحب ان تبلغ بـه إلى هذا كله ، وسـألت بشرى أن لا يضـربه، فقـال : والله مـالي إلى تركه من سبيل ، وقد قال لي : سيقول لك لا تضربـه وعليّ لئن رددته إليّ بـلا ضرب لأضربنه بين يدي مائة مقرعة، قلت : فإذا كان كـذلك فـاضربـه ضربـاً خفيفاً. ولا تحنثه[2]، فضربه بحضرتي ضربـاً خفيفاً ، وانصـرف به ، ولا والله ما رأيته في داره بعدها .

٤٨ ـ أبو القاسم أحمد بن محمد بن إسماعيل ابن طباطبا الحسني الرسي

أنشدني له ابن وهب قوله [من المنسرح]:

يـا بـدرُ بـادرْ إلـيَّ بـالـكـاسِ فـربَّ خيـرٍ أتـى عـلى يـاسِ[3]
ولا تـقـبـلْ يـدي فـإنّ فـمـي أولـى بهـا مـن يـدي ومـن رأسي
لا عـاش في النـاس من يلوم على حـبّي وعـشقـي لأحسـنِ النـاسِ

وقوله [من البسيط]:

قـلْ للذي حسنت منـه خـلائقُـهُ بـاكرْ صبوحـك واسبقْ من تسابقُـهُ

---

(١) تذاد : تمنع وتحجب .

(٢) تحنثه : أي تجعله لا يفي بقسمِه .

(٣) بادر : أسرع وتقدّم ، والياس : أي اليأس وهو القنوط .

أما ترى الغيم مجموعاً ومفترقاً يسير هذا الى هذا يعانقُهُ
كعاشقٍ زار معشوقاً يودِّعهُ قبل الفراق فآلى لا يفارقُهُ[1]

وقوله [من البسيط]:

قالت :أراك خضبت الشيب قلت لها: سترته عنكِ ياسمعي ويا بصري
فاستضحكتْ ثم قالت مِنْ تعجُّبها: تكاثر الغشُّ حتى صار في الشَّعَرِ

وقوله [من الخفيف]:

عيَّرتني بالنوم جوراً وظلماً قلت: زدت الفؤاد همًّا وغمّا
اسمعي حجَّتي وإنْ كنت أدري أنّ عذري يكون عندك جرما
لم أنم لذَّةً ولا نمت إلّا طمعاً في خيالك أن يلمّا[2]

وقوله [من الطويل]:

خليليّ، إنّي للثريّا لحاسدُ وإنّي على صرف الزمان لواجدُا
أيبقى جميعاً شملها وهي سبعةٌ وأفقد مَنْ أحببته وهو واحدُ ؟
كذلك من لم تخترمه منيَّةٌ يرى عجباً فيما يرى ويُشاهدُ[3]

وقوله [من الطويل]:

وقوله، وهو مما يتغنى به [من البسيط]:

قالت لطيف خيالٍ زارني ومضى : صفْ لي هواهُ ولا تنقصْ ولا تزدِ[4]
فقال: أبصرته لو مات من ظمأٍ وقلت قفْ عن ورود الماء لم يردِ

---

(١) آلى : أقسم .
(٢) أن يلمّا : أن يحلّ .
(٣) اخترمته المنيّة : قضت عليه .
(٤) تنسب هذه الأبيات لجماعة من الشعراء منهم يزيد بن معاوية مع اختلاف طفيف في الرواية .

قالت : صدقت الوفا في الحبّ عادتُهُ   يـا برد ذاك الـذي قالت على كبـدي

وقوله [من المتقارب] :

سـأعتبها حـقّ مـا استعتبتْ   وإن لـم تـكنْ أبـداً مْعِـتبَـهْ
وسـوف أجـرّبهـا بـالصّـدود   ومَنْ يشربِ السَّمَّ للتجربه ؟ !

* * *

٤٩ ـ ولده أبو محمد القاسم بن أحمد الرسّي

أنشدني له ابن وهب [من الوافر] :

إذا الكـروان صاح على الـرمـالِ   وحـلّ البـدر فـي بـرج الـكمـالِ
وجـعّـد وجـه بـركـتـنـا هـبـوبٌ   تمـرُّ بـه الجنـوب مع الشمـالِ[1]
وحـرّكتِ الغـصـون فشـابـهتـهـا   قـدودُ سـقـاتـنـا فـي كـلِّ حـالِ
فـهـات الـكـأس مترعـةً ودعـني   أبـادرُ لـذّتـي قـبـل ارتـحـالـي[2]
فـكـلُّ جـمـاعـةٍ لا شـكَّ يـومـاً   يـفـرِّقُ بـينـهـمْ صـرفُ الـليـالـي

وقوله [من المتقارب] :

إذا التحـف الجـوُّ بـالأدكـنِ   وغنّى الحمـائـم بـالأعـنِ[3]
وهبَّ نسيم الـصّبـا سـحـرةً   بـريـح البنفسـج والسـوسن
وحـنَّ الـى الـقـصـف ألْآفَـهُ   فبادر إلى شيخك المنحني[4]
فـنفِّسْ مـن الحـنـقِ أوداجـه   وسقِّ النـدامى ولا تـنسـني[5]

---

(١) جعّد : ترك صفحة الماء متموجة ، والجنوب والشمال : كناية عن الريح ومهبّها .
(٢) المترعة : المملوءة .
(٣) الأرعن : مكان بالبحرين ، وربما كانت الأرغن ، وهي آلة موسيقية .
(٤) القصف : المجون ، والألآف : العشاق .
(٥) وسقِّ : أي أسقي .

وقوله يهجو ابن كلس المتطبب [من الطويل]:

تــوقَّ معــزّ الــدين شؤم ابن كلّس ولا تـقـبــلنْ مـنــه مــقـال مـدلِّسِ
فــإنّــا أردنــاه لـكــافــور شــربـةً فــزاد على تقـديـرنـا ألف مجلسِ

* * *

٥٠ ـ أخوه أبو إسماعيل إبراهيم بن أحمد الرسي

أنشدت له [من المتقارب]:

عـرفتُ الـدِّيـار على مـا بهـا وأوقفتُ ركـبي عـلى بـابهـا
ونـاديت فيهـا بـأعلى النـداء مــراراً بــأسـمــاء أربـابهـا
فلم أر فيهـا سـوى بـومهـا تصيـحُ جهـاراً بـأتـرابهـا
فـأعـلمـني ذاك أنّ الـزمـا ن أخنى عليهـا وأودى بهـا[١]

* * *

٥١ ـ ولده أبو عبد الله الحسين بن إبراهيم ابن أحمد رحمهما الله تعالى !

أنشدني له الزاهر [من المجتث]:

شُـمَّ الـنـسـيـم لـذيـذاً مـن قبـلِ أنْ لا تـشِـمَّـهْ
واصرفْ عن القلب ما اسطـــعت بـالـمسـرِّة همَّهْ
وغـالطِ الـدّهـر إن كـنــت لست تـملك حُـكْمَـهْ
وقـد نصحـتـك جهـدي فـلا تـصـمَّ وتَـكْـمَـهْ[٢]

---

(١) أخنى عليها : أهلكها ، وطال ، وأودى بها : أهلكها وذهب بها .
(٢) الأكمه : الأعمى .

وقوله [من مجزوء الرمل]:

صَــدَفَــتْ عــنّــا نــوار ولــقـد كــانــت تــزورُ[1]
ثـم قــالت: كـيـف أودى ذلـك الغصـنُ النضيــرُ ؟
وشـبــابٌ يتلالا فــيـه لـلـنـاظـر نـورُ
قـلت: إنْ أنصفـتِ هـذا لابــن خـمسـين كـثـيـرُ

* * *

٥٢ ـ أبو الحسن العقيلي رحمه الله

أنشدني الزاهر قوله [من السريع]:

لنــا أخٌ يحسن أنْ يحسنـا جناه للجانين عذب الجنى
قـد عرفت روضـة معروفـه بــأنّهــا تنبت زهــر الغنى
إذا تبـدّى وجـه إحســانـه تنـزَّهتْ فيـه عيــون المنى

وقوله [من الكامل]:

الصبــح ينشـرُ فــوق مســــك اللّيـل كـافـور الضيـاءِ
والبـرق يُـذهب مــا تفضِّـــــه الغيـوم من السمــاءِ
فـــاشـربْ على ديبــاج نبــــتٍ قـد أحاط بشـرب مـاءِ
فــالعيش في زمن الــربيـــــع رقيق حــاشيـة الـرِّداءِ

وقوله [من المتقارب]:

وراحٍ تـتـيــهُ بــأنـفــاسـهــا على مـا يفـوح من العنبـرِ[2]

---

(١) صدفت : امتنعت عن الزيارة ، وهجرت .

(٢) تتيه : تتكبر وتفخر .

كـأنّ زجـاجـاتـهـا دُرَّةٌ   تشفُّ عن الـذّهب الأحمـرِ[1]

وقوله [من البسيط]:

تـاه الـربيـع بـآذريـونـهِ وزهـا   لما بدا منه نشرٌ في الـرُّبا أرِجُ[2]
كـأنّ أغصـانـه فيـروزجٌ بهـجٌ   من فوقه ذهبٌ في وسطه سَبَجُ[3]

وقوله [من الكامل]:

اشـربْ على زهر البنفسـج قهـوةً   تنفي الأسى عن كـلِّ صبٍّ مُكْمَدِ
فكـأنّـه قـرصٌ بخـدٍّ غـريـرةٍ   أو أعـينٌ زرقٌ كـحـلن بـأثـمـدِ

وقوله [من الطويل]:

ونـارنجـةٍ بين الـريـاض نـظرتهـا   على غصـن رطب كـقـامـة أغيـدِ
إذا ميَّلتهـا الـرّيـح مـالت كأكـرة   بـدت ذهبـاً في صـولجـان زمـرُّدِ[4]

وقوله [من الكامل]:

ومـدامـةٍ يـبـدو إليـك جنينهـا   وعـليـه تـاجٌ لم يـصغْـهُ صـائـغُ
تخفى لفـرطِ صفـائهـا فكـأنّمـا   إبـريـقنـا الـمـلآن مـنـهـا فـارغُ

وقوله [من الكامل]:

إن كـنـت تـعـلم أنّ لـي   علمـاً بـأسـرار الســرورِ
فـاعمـلْ بحسبِ وصيَّتي   لـك في مـلازمـة البكـورِ
ودعِ الـصّغيـر مكـانـه   واعـدلْ إلى جهـة الكبيـر

---

(١) تشفّ : تنمّ وتظهر .
(٢) آذريون : فارسية الأصل « أزهاره » .
(٣) السبج : خرز أسود .
(٤) الأكرة : الكرة .

مـا بـين وردٍ كـالـخـدو ... د وأقحـوانٍ كـالـثّـغـور
وعليك بـالـذّهب الـذي ... أجـراه روبـاس العصيـر[1]
مـا زال يسبك بـالـذي ... قـد شبَّ من نـار الهجيـر
حـتّـى صـفـا فكـأنّـهُ ... دمـع الـطليق على الأسيـر

وقوله [من المنسرح]:

نـحن أنـاسٌ نـوالـنـا خَـضِـلُ ... يـرتـعُ فينـا الـرجـاء والأمـلُ[2]
كـلُّ فـتـىً لـيس فـي مـودَّتـهِ ... مـذقٌ . ولا في خـلالـه خَلَلُ[3]
لـو أبصـر البحـر فيض أنملنـا ... فـاض على وجـه فيضـه الخجـلُ
تـسـبـق أمـوالـنـا مـؤمِّـلنـا ... لا يعتـرينا مـطلٌ ولا بُخُـلُ[4]
تسمـح قبـل السؤال أنفسنـا ... بخـلاً على ماء وجـه من يسلُ[5]

* * *

٥٣ ـ أبو القاسم بن أبي العفير الأنصاري، رحمه الله !

أنشدت له [من الطويل]:

وروضٍ كحسن العُرفِ يسري وبهجةٍ ... من الزّهر فيها شاكلتْ بهجة الحمدِ
يـريـك عنـاق العـاشقين عنـاقـه ... بثغـرٍ على ثغـرٍ وخـدٍّ عـلى خـدِّ

---

(١) الروباس : الفضة .
(٢) الخضِل : النديّ الناعم .
(٣) المذق : الملل والكدر .
(٤) المطل : التسويف والمماطلة .
(٥) أي أننا نكفّي الناس مذلّة السؤال .

وعارضه المتنبي بحضرة كافور في قصيدته الميمية التي أولها [من لكامل]:

* نظرُ المحبِّ إلى الحبيب غرامُ *

فقال له : العرب لا تقول «إليه غرام » وإنما تقول « له » فقال له الأنصاري : تقول : إليه ، ولديه ، وله ، وحروف الخفض ينوب بعضها عن بعض . والوزير ابو بكر بن صالح الروزباري حاضر. والوزير ابو الفضل جعفر بن الفرات حاضر. فقال الأنصاري [من الكامل]:

أمّا الثناءُ فصادرٌ بك واردُ ... بادٍ بما تسدي إليَّ وعائدُ
لك يا أبا بكرٍ إليَّ صنائعُ ... أيقظن أحوالي وجدّى راقدُ
أوليتني نعماً متى انكرتها ... شهدتْ عليَّ مواهبٌ وفوائد
نِعَمٌ أقرُّ بها ، وكم من نعمةٍ ... يخفى المقرُّ بها ويحظى الجاحد ؟
ولربَّ ليلٍ قد هجرت رقادَهُ ... لك والرّدى مغفٍ وطرفي ساهدُ
أتحلّل الكلمَ العوانَ تحلُّلا ... فأغافص المعنى كأني صائد[1]
وقصائدٍ لي فيك لولا انها ... كلمٌ شهدت بأنّهنَّ مشاهدُ
ولهنّ في عين الوليّ شواهدٌ ... تترى ، وفي عين العدوّ جلامد
لمّا رعيت مودّتي وخلطتني ... ببني أبيك ظننت أنك والدُ
ولقد علمت ، وأنت خير معلّمٍ ، ... أنَّ الثناء على الليالي خالدُ
لمَّا تعرَّض لي بمقْتٍ حاسدي ... أبدى الملام، وكيف يرضى الحاسد ؟[2]
ما زال ينشد قائماً حتّى إذا ... أنشدت عارضني لأنّي قاعدُ
في مجلسٍ أمّا الوزير فمنكبٌ ... فيه يؤيدّهُ وأنت الساعدُ
ولّى ولا انا شاكرٌ لسؤالِه ... فيه ، ولا هو للإجابة حامد

* * *

(١) أغافص : أفاجىء وأعالج .

(٢) المقت : الكره .

٥٤ ـ أحمد بن محمد الكحال

أنشدني له الزاهر وقد كتب إلى بعض إخوانه يستهديه جرة نبيذ [من الكامل]:

لو قد سألتك حسب قدرك ما رضيت بألف جرَّهْ
ولقلَّ ذاك لقدر من لا تحصر الأوصاف قدرَهْ
فابعثْ إليَّ بجرَّةٍ وكفافِ ما أبغيه جرَّهْ
وتوخّها كبر الجرار ، فربَّ وافيةٍ كزكره[١]
من رسم بسطام الذي أحيا بحسن الرَّسم ذكرَهْ
لا بوطساً يؤذي النديم ، ولا مذاقته بمرَّه[٢]
واعلمْ بأنَّ محلَّها عند الضرورة مثل صرَّهْ[٣]

وكتب إلى بعض إخوانه يستدعيه [من البسيط]:

لا تتركنْ لغدٍ مالاً ولا سبدا فلست تقتل علماً هل تعيش غدا[٤]
خذْ من زمانك ما جاد الزمان بهِ فمن جنى بعض ما يهوى فقد سعدا
أنت ابن وقتك فاحذرْ أنْ تضيِّعهُ فليس يرجع وقتٌ فائتٌ أبداً
وعند عبدك شيءٌ إن نشطت له وزرت زدت أياديك الكرام يدا
رايٌ طريٌّ كقابِ الفتر تحسبه ذوباً من الفضّة البيضاء او بردا[٥]
كأنَّ كفّاً عليه جرّشتْ قطعاً من اللجين صغار النظم او زردا

---

(١) الزكرة : زقّ الخمر .
(٢) البوطس : إسم فارسي (نوع من الخمر) .
(٣) الصرّة : كيس الدراهم .
(٤) السبد : البقيّة من النبات والقليل من الشعر .
(٥) الراي : ضرب من السمك .

كـأنّ قـالـيَـهُ بـالـقلـيِ ألـبَـسَـهُ		من الشـقـائق أثـوابـاً لـه جـددا
كـأنّـه في سعيـر القلي منقليـاً		صـبٌّ تقـلّبـه كفُّ الـهـوى كمـدا
كـأنَّ يـاقـوتـةً حـمـراء هـلّلها		صـوَّاغهـا ذهبـاً للحسن متّحـدا
كـأنّه كـان في نهر الحيـاة فمـا		يكـاد يسلم منـه روحـه الجسـدا
وقهـوةٍ تـذكـر الأفـلاك سـاكنـةً		مشمـولـةً أفنتِ الايـام والـمـددا
يـديـرهـا قـمـرٌ في كـفّـه قمـرٌ		من الـرحيق يـزيـل الهمَّ والكمـدا
فـلا تضيع سـروراً جاء عن كثبٍ		عجـزاً فتكتسب التـوبيخ والفنـدا[1]

* * *

٥٥ ـ أبو الحسن محمد بن الوزير الحافظ

كتب إلى صديق يستدعيه الاتجالاً [من الهزج] :

لـنـا مـسـمـعـةٌ حـلوه		ولـونٌ يفتـق الـشّـهـوهْ
فـالـبـارع مـن مـجـدِ		ك إن لم تجـب الـدّعـوهْ

وأهدى إلى بعض إخوانه مقطّاً وكتب إليه [من البسيط] :

إنّـي بعـثت مـقـطّاً غيـر مـحتشمٍ		ولم أجلْ في الغنى فكري ولا العدمِ
ولـو بعثت سـواديْ نـاظـريَّ لمـا		كـانـا كفـاءً لمـا تـولي من النّعمِ
فـاقبله واجعله ممّـا يستعـان بـه		فـإنّـه خـادم السّـكيـن والـقلـمِ

وقوله يصف النرجس [من المجتث] :

خـواتـمٌ مـن لـجيـنٍ		فـصـوصهـا كـاربـاءُ[2]
ولـيس تـضـحـك إلاّ		إذا بـكـتـهـا الـسـمـاءُ

---

(١) الفند : العجز والباطل والكفر بالنعمة .
(٢) الكارباء : نوعٌ من الحجارة الكريمة يستعمل في صنع السبحة أيضاً .

وقوله [من الخفيف]:

منذُ حلَّ السواد زاد البياضُ   واعتداءاته طوالٌ عراضُ
وإذا ما طغى المشيب فلا المنـ   ـقاش يقوى به ولا المقراضُ
وكثيراً أرى جساماً صحاحاً   لأناسٍ فيها قلوبٌ مراضُ

وأهدى الى الإخشيد خاتماً ، وكتب معه [من مجزوء المتقارب]:

وذي عنقٍ لم يطلْ   عليه ولم يقصر
ومتنين قد حصرا   على قدر الخِنصر
وقد زاد في ضُمره   على الفرس المضمر[1]
وأسفله فضَّةٌ   وأعلاه من جوهر
بعثت به معِسراً   إلى ملكٍ موسر
ولا غرو أن يهدي الـ   ـمقلُّ إلى المكثر

وقوله [من الكامل]:

قد قلت إذ سار السّفين بهمْ   والشَّوْقُ ينهب مهجتي نهبا[2]
لو أنّ لي عّزاً أصول به   لأخذت كلَّ سفينةٍ غصبا

٥٦ ـ أحمد بن محمد بن عبد الكريم اليتيم النحوي

أنشدت قوله[3] [من الوافر]:

إذا ما نلت من دنياك حظّاً   فأحسن للغنّي وللفقيرِ

(١) الضمر : الهزال والنحول .
(٢) السفين : القافلة .
(٣) قد أنشدهما قبيل ما اختاره لعبد المحسن الصوري منسوبين إلى أحمد بن عبد الرحيم النحوي

ولا تمسك يديك على قليلٍ فـإنَّ الله يـأتي بـالكثيـر

وقوله [من المنسرح]:

خاطبت شمس النهار إذ بـدت وقلت مـا أنت لـي بمنصفـةِ
إنّ الـتـي أشـبـهـتـك مـائـلـةٌ من بعد ذاك الوصال قد جفتِ
فعـاتبيهـا فليس يقنعني يـا شمس من شبهك الـذي أتتِ
لمـا رأتني على الـوفـاء لهـا صـدَّت ومـا أنصفتْ ولا وفتِ

* * *

٥٧ ـ أبو محمد بن أبي عمرو الطرازي

أنشدت له من [مجزوء الرجز]:

نـارٌ جرت في غـايـةٍ تـرمى العلا بـالشُّهُبِ
كـأنّـهـا جـيشُ وغـى فـرسـانـه مـن ذهبِ

وقوله يصف الفستق [من مجزوء الرجز]:

وفـسـتـق رأيت منـه طـرفـاً مـن الـطرفْ
كـأنّـه لـمـا بـدا والرّاح فينا تختلفْ
زمـرُّدٌ ضـمَّـنـه من خالص العاج الصدفْ

٥٨ ـ أبو الحسن علي بن لؤلؤ الكاتب

أنشدت له [من الخفيف]:

ربَّ صبحٍ كطلعة الوصـل جلّى جنح ليلٍ كطلعة الهجرانِ[1]

---

(١) جلّى : أضاء وأزاح .

زار في حلة البزاة فولىّ الليل عنه في حلّة الغربانِ

وقوله [من الطويل] :

يومٌ كأنَّ الروض خاط لضوئهِ قراطقَ من وشيٍ غلائلها الغدرُ
كأنّ صفاء الجوِّ ناظر أزرقٍ له الغيم جفنٌ هُدْبُ أجفانه القطرُ
كأنّ أعالى السرو بين رياضه مطارف لفّت في مواكبها خضرُ[1]

* * *

٥٩ ـ أبو القاسم عبد الصمد بن فضالة الصفار

قال يصف الورد [من الكامل] :

لا تصحبِ الدّنيا كئيباً مكمدا من ذا رأيت من البريّة خالدا ؟
قم فاغتنم طيب الربيع وحسنهِ فلقد حباك به الغمام وأسعدا
وردٌ كأنّ أصولَهُ وفروعَهُ سُقيتْ دماً حتى ارتوى فتورّدا
وشقائقٌ شقَّ القلوب كأنّه خدٌّ مليحٌ ضمَّ صدغاً أسودا
والماء يجري في الرّياض كأنَّهُ سيفٌ صقيل من قرابٍ جُرِّدا[2]
فاشربْ عليه فإنّه وقتٌ إذا ولّى تفاوت أن يُنالَ فيوجدا

وله [من المتقارب] :

فلو زيِّن الحسن في وجههِ بهجر الصدود ووصل الوصالِ
لتمَّ وإن كنت ما إن أرى بديع الجمال جميل الفعالِ

* * *

---

(١) المطارف : أردية من حرير ذات أعلام .
(٢) القراب : الغمد .

٦٠ ـ ابن الزيعي

قال يصف دير القصير من قصيدة يقول فيها [من الرجز]:

يا حسرةً في القلب ما أقتلها ... كأنّها في القلب اطرافُ الأسلْ

فكم وكم من ليلةٍ طيِّبةٍ ... أحييتها في الدّير في خير محلْ

دير القصير الفرد في صفائه ... يا من رأى الجنّة من غير عمل

أشربها راحاً شمولاً قرقفاً ... تدبُّ في الجسم فما تبقي عِلَلْ

يديرها ذو غنجٍ بطرفه ... يحيي إذا شاء وإنْ شاء قتلْ

كأنّه غصنٌ من البانَ وقدْ ... زاد عليه بالقوام المعتدل

ألثغُ حَتْفُ النفس في لثغته ... تاه بها على الورى تيه مدلّ[1]

إن قال نارٌ قال ناغٍ أو يقل ... نورٌ يقل نوغٌ بدلٍّ وغزل

فاحثث كؤوس الراح ياساقيَنَا ... واغتنمِ الدّهر فللدهر دُوَلْ

من قبل أن يطرقنا بين فلا ... ينفع عند البين ليست ولعلْ

* * *

٦١ ـ محمد بن عباس البصري
المعروف بصاحب الراقوية

قال [من البسيط]:

لا تعذلوني فما مثلي بمعذول ... جسمي سقيمٌ وأمري غير مجهولِ

إن ملَّ مولاى وَصْلي بعد ألفته ... فإنّ مولاي عندي غير مملول

ملكت قلبي ولم تعطف على دنفٍ ... ما كلُّ ذاك على قلبي بمعزول[2]

---

(١) الألثغ : هو الذي ينطق السين شيناً أي يغيّر في نطق بعض الحروف وتاه : فخر ، ومدلّ : من الدلال .

(٢) المدنف : المريض المشرف على الهلاك .

وقوله [من الرجز]:

يا حاملَ الكأس أدرها واسقني ... قد ذعر الشوق فؤادي فانذعرْ
أما ترى البركة ما أحسنها ... إذا تداعى الطير فيها وصفر
أما ترى نوارها أما ترى ... حسن مسير مائها إذا انحدرْ
كأنّما الجوهر في ألوانه ... نثِّر في تلك النواحي فانتثر

وقوله [من مجزوء الكامل]:

أما طغان فقد طغى ... والطَّرفُ منه قد بغى
شهر السِّلاح بطرفه ... فتكاً وما شهد الوغى
لولا مخافة عقربٍ ... في صدغه أن يلدغا
للثمت منه ممسّكاً ... ومصندلاً ومصبَّغا

وقوله [من الوافر]:

أتاني في قميص اللاذ يسعى ... عدوٌّ لي يلقَّبُ بالحبيبِ[1]
فقلت له لم استحليت هذا ... فقد أصبحت من زيٍ عجيبِ ؟
فقال الشمس أهدت لي قميصاً ... غريب اللون في شفق المغيبِ
فصوبي والمدام ولون خدّي ... قريبٌ من قريبٍ من قريبِ

وقوله [من السريع]:

وشمعةٍ ظِلْتُ أناجيها ... تبيتُ تبكي وأبكيها
كأنّما صفرتها صفرتي ... ومدمعي دمعُ مآقيها
أعارها قلبيَ من ناره ... فمثل ما فيه كذا فيها

* * *

(١) اللاذ : حريرٌ صينيٌّ أحمر .

٦٢ ـ أبو عبد الله الحسين المعروف بالجمل

له في طبيب [من المنسرح]:

إذا سقامٌ عراك نازلُهُ فاندبْ أبا جعفرٍ لنازلهِ
يعرف ما يشتكيه صاحبه كأنّما جال في مفاصله

٦٣ ـ أبو عبد الله بن العرمرم

قدم له صديق سمكا في يوم شديد البرد فقال ارتجالا [من مجزوء الرجز]:

شيخٌ وبردٌ وسمك لكلٍّ ما يخشى شَرَكْ(١)
فهاتها صافيةً وضمنٌ الكأس الدّرك(٢)
ولا تبالِ بعدها من لام فيها وترك

وقوله [من الكامل]:

ولِّيتُم أمرَ الخراج محمّدا فغدا الخراج بغير جيمٍ يكتبُ
إن كان من عدم الرجال دهيتمُ فالكلب فيكم عن قليلٍ يخطب

وقوله في أبخر [من الوافر]:

أَرَدْتُ لقاءه فلقيت منهُ كما يلقى الخلاء من الفقاح
وجالسني فلم أشعر بأنّي ولم أبعد جليس المستراح(٣)

---

(١) الشرك : المصيدة .
(٢) الدّرك : الغاية والحاجة .
(٣) المستراح : الكنيف .

٦٤ ـ أحمد بن صدقة الكاتب

كتب إلى ابن رشيد يستدعيه [من السريع] :

بـالله يا صـالح قمْ مسـرعاً إلى عقـارٍ أدركت تبَّعـا[١]
وسـاعد الليلة في شـربهـا وخذ من السكر بها مصرعا
وقـد بـذلنـا لـك أرواحنـا لمّـا رأينـاك لهـا مـوضعـا

* * *

٦٥ ـ أبو الحسن بن أبي ياسر

قال يصف شمعة [من المتقارب] :

وهـيـفـاء مـن نـدمـاء الـمـلوك تـزيـد فـيـنـقـص من قـدرهـا
إذا ضحكت جنـح داجـى الـظلام بكتْ فجرى الـدمـع من نحـرهـا
فـإن نـعـسـت لـلـكـرى نـعـسـةً فـإيقـاظهـا القصُّ مـن شعـرهـا

* * *

٦٦ ـ محمد بن عاصم الموقفي

أنشدني له الزاهر في الفصادة [من المتقارب] :

ألاقـل لـعلوان كـيف أجـتـرأت على الأسـد الباسل الخـادرِ ؟[٢]
وكـيـف أرقـت دمـاً دونـه يـراق دم الـجـحـفـل الثـائـر ؟
تـرفَّـقْ قـليـلاً عـلى مرفـقٍ بـه مـرفـق البـدو والـحـاضـرِ
فليس الـحـديـد على سـاعـدٍ ولكـن من الـدّهـر في النّـاظـرَ

---

(١) تبّع : من ملوك الدولة الحميرية في اليمن ، كناية عن قدم عهدها .
(٢) الخادر : المقيم في أجمة .

وقوله [من الخفيف]:

أسكر الخمر خمر ريقك حتّى ... باتت الخمر من رضابك سكرا
فلهذا أراك تزداد صحواً ... وأراها عليك لا تتجرّا

وقوله [من السريع]:

أشربْ على الجيزة والمقس ... من قهوةٍ صفراء كالورس[1]
وروِّح النّفس بها إنّما ... عيش الفتى في راحة النّفس
وأنسْ بإخوان الصّفا إنّهمْ ... من أكبر النّزهة والأنس
فلست تدري أيّما ساعةٍ ... تبيت تحت اللحد والرّمس[2]
والمرء لا يعرف في يومه ... يصبح في دنياه أو يمسي

وقوله [من السريع]:

أقول والليل دجىً مسبلُ ... والأنجم الزّهر به ميَّلُ
يا طول ليلٍ ماله آخرٌ ... فيك وصبحٌ ماله أوّلُ

وقوله [من السريع]:

اشرب ستنسى ويك مع مَنْ نسي ... من قهوةٍ قوصيّة المغرس
في قمرٍ للربع منْ شهره ... كشقّةٍ من درهمٍ أطلس[3]

وقوله [من السريع]:

يا حاديَ اللّذات عرِّس بنا ... ويا مدير الكأس قمْ فاسقنا

---

(١) المقس : موضع على نيل مصر ، والورس : الزعفران .
(٢) الرمس واللحد : أي القبر .
(٣) أطلس : أغبر يميل إلى السّواد .

أمــا تــرى شمس ضحى يــومنــا ... قـد لبست مـطرفهــا الأدكنـا[1]
والــروض لــلوسـمــيّ فـي حـلَّةٍ ... أذهـبـهــا مـن بعـد مـالــوّنــا[2]

وقوله [من البسيط]:

اشربْ شمولاً على ريح الشمال فقد ... هبّتْ شمـالاً ولاح الصبح فـاتّضحـا
كـأنّـهــا جنّــةٌ فـي الكـفِّ مــائـلةٌ ... تبـدو فيخفي ضيا أنـوارهـا القـدحـا
كـأنّ حـامـلهــا من خـمــر ريقـتــه ... وافى بهـا أوْلهـا من خــدّه اقتـدحــا

وقوله [من الوافر]:

وظـبـي زارنـي مـن غـيــر وعــدِ ... نـعمت بـقــربه بــأتـمِّ سـعــدِ
سـقــانـي ثـم نــقّـلني بــلـثمٍ ... عــلى عـجـلٍ وحـيًّــانـي بـوردِ
وشـمــرً ســاعــداً فـيــه وشـومٌ ... بقلبي مثلهــا من أجـل صــدّ[3]
فكــان كفضّــةٍ سـكّت عــمــوداً ... عـليـهــا أسـطرٌ بــالــلازورد[4]

وقوله في دير القصير من قصيدة أولها [من الخفيف]:

إن ديــر القصيـر هــاج ادّكــاري ... لهــو أيــاميَ الحســان القصــارِ
وزمــانـاً مضى حميــداً سـريعــاً ... وشبــابــاً مثـل الـرّداء الـمعــارِ
عــرفتني ربــوعــه بعــد نـكــرٍ ... فـعــرفت الـربــوع بــالإنـكــار
ولـو أنّ الـديــار تشكـو اشتيــاقـاً ... لشكتْ جفــوتـي وبعــد مـزاري
ولكـادت نحـوى تسيـر لمـا قــد ... كنت فيهـا سيّـرتُ من أشعــاري
وكــأنّـي إذ زرتــه بعــد هـجــرٍ ... لـم يكـن من منــازلي وديــاري

---

(١) الأدكن : الذي يميل لونه إلى السواد .
(٢) الوسميّ : أول مطر الربيع .
(٣) الوشوم : جمع وشم وهو العلامة .
(٤) سكّت : سبكت وصنعت وضربت .

إذْ صعـودي على الجيـاد إليـه وانحداري في المعقباتِ الجواري[1]

بـصقـورٍ إلـى الـدّمـاء سـوارٍ وكلابٍ على الوحوش ضواري[2]

منـزلاً لست محصيـاً مـا لقلبي ولـنـفـسـي فـيـه من الأوطـار

مـنـزلاً فـي عـلّوه كسمـاءٍ والمصابيح حوله كـالـدّراري

ومنها :

غـرّدت بينهـا الـطيـور فـطارتْ بـفـؤاد الـمـتيَّـمِ الـمـسـتـطارِ

كـم خلعت الـعـذار فيـه ولـم أر عَ مشيبـاً بـمفـرقي وعـذاري

كم شـربنـا على التـصـاويـر فيه بـصـغـارٍ مـحـشـوثـةٍ وكـبـار

صـورةٌ مـن مـصـوّرٍ فـيـه ظلّت فـتـنـةً لـلقلوب والأبـصـار

أطـربتنـا من غيـر شـدوٍ فـأغنتْ عـن سماع الـعيـدان والـمزمـار

لا وحسن الـعيـنين والشـفـة اللمـــــيـاء منها وخـدّهـا الجلنّـاري[3]

لا تـخـلّفـت عـن مزاريَ ديـراً هـي فـيـه ولـو نـأى بـي مزاري

فـسقـى الله أرض حـلوان فـالـنـخـ ل فـديـر القصيـر صـوب العشـار[4]

كـم تـنـبـهّـتُ مـن لـذاذة نـومـي بنعيـر الـرُّهبـان فـي الاسحـار[5]

والـنـواقـيسُ صـائـحـاتٌ تـنـادي حيّ يـا نـائمـاً عـلى الابـتـكـار

قبـل أن يبليَ الجـديـد الجـديـدا ن بـلـيـلٍ مـعـاقـبٍ ونـهـار

إنّـمـا هـذه الـحـيـاة عـوارٍ وعـلى المستعيـر ردُّ الـعـواري[6]

---

(١) المعقبات : المتابعات السير .

(٢) سوارٍ : أي سائره .

(٣) اللّمى : سمرة تستعذب في الشفة .

(٤) العشار : الغزير من المطر .

(٥) نعير الرهبان : تراتيلهم ، مأخوذ من صوت الناعورة .

(٦) عوارٍ : أمانات ، وأشياء مستقرضة .

وقوله [من الوافر] :

أأيــامـي بشــاطـى الـبــركـتـيـنِ ... سـقــاك الله نــوءَ المــرزميـن[1]
لقــد أذكــرتني طــربي ولهــوي ... ووكّـلت الـفـؤاد بـلوعــتــيــن
تُــرى أيـامنــا فيــك المــواضي ... يعـود وصـالهـا مـن بعـد بين[2]
سـقى الله الـبـقــاع ملثّ قــطرٍ ... وأعــطش منــزلاً بــالجلهتين[3]
ودار عـلى المــدار رهــام مــزنٍ ... تسـير إلى جنـان السـروتين[4]
فكم من بيعــةٍ عقــدت لقصـفٍ ... وعــزفٍ في ريــاض البيعتيـن[5]
وكم من مـدنفٍ قـد حـاز وصـلاً ... ونــال مـنــاه وسط المـنيـتيـن[6]

وقوله [من البسيط] :

إشـربْ بطمـوة من صفـراء صـافيـةٍ ... تـزرى بخمـر قـراهيتٍ وغـايــات[7]
عـلى ريــاضٍ من الـنّـوار زاهــرةٍ ... تجـري الجـداول فيهــا بين جنّات
منــازلاً كنت مفتــونــاً بهــا يـفعــاً ... وكنَّ قـدمـاً مـواخيـري وحـانـاتي[8]
كــأنّمـا النيــل في مـرِّ النسيم بهــا ... مـسـيـلمٌ فـي دروعٍ ســامــريّــاتِ

* * *

---

(١) المرزمين : المطر المصحوب بالرعد .
(٢) البين : الفراق .
(٣) ملثّ قطرٍ : أي المطر الدائم المقيم .
(٤) الرهام : المطر المتصبّب برفق .
(٥) البيعة : مكان يُختلى به للشراب .
(٦) المدنف : المريض المشرف على الهلاك وهنا مريض العشق .
(٧) طموة وقراهيت : أسماء بلدان .
(٨) اليفع : الصبا والشباب ، مقتبل العمر .

٦٧ - أبو الفتح البستي الكاتب

أنشدني له محمد بن عمر الزاهر يصف شمعة من أبيات [من البسيط]:

قد شابهتنيَ في لونٍ وفي قصفِ   وفي نحولٍ وفي دمعٍ وفي سهر

هذا تشبيه خمسة بخمسة وقد أجاد غاية الجودة وقوله [من الكامل]:

صحبتُ السلاح لشدَّة الحربِ   والمستغاث لشدّة الكربِ
حتى إذا لبسوا سلاحهمُ   وتشدّدوا لوقائع الحربِ
ناولتهم قلبي وقلت لهم: هذا المسيء فقطّعوا قلبي

وقوله [من الطويل]:

لئن صدع الدهر المشتّت شملنا   فللدهر حكمٌ في الجموع صدوعُ[(١)]
وللنجم من بعد الرجوع استقامةٌ   وللشمس من بعد الغروب طلوع
وإنْ نعمةٌ زالتْ عن الحبّ وانقضتْ   فإن لها بعد الزّوال رجوعُ
وكنْ واثقاً بالله واصبرْ لحكمه   فإنّ زوال الشرِّ عنك سريعُ

وقوله [من الكامل]:

وغزالةٍ غازلتها   في المقس من أولاد حامِ[(٢)]
نظرت بعينيْ ظبيةٍ   ونظرت من عينيْ قطامِ[(٣)]
وتبسّمت وكأنّها   برقٌ تألّق في غمامِ
ثم انثنت مثل المهى   وتبعتها رتك النّعامِ[(٤)]

---

(١) صدع : فرّق .

(٢) حام : من أبناء نوح ، وهو أبو الزنج .

(٣) قطام : امرأة من العرب يضرب المثل بصواب رأيها وحدّة نظرها وفيها يقول الشاعر :

إذا قالت قطام فصدّقوها   لأنّ القول ما قالت قطام

(٤) رتك النعام : مقاربة خطوة .

حتى دخلنا بيتها فحصلت في البيت الحرام
فجعلت أفتح ميمها لما جثوت لها بلامي
وكأنني إذ ذاك أو لجت الضياء على الظلام
ضدان لم يجمعْهما إلّا المحبّةُ للحرامِ
كانت لعمري عاهة جمعت غراباً مع حمام

* * *

٦٨ ـ أبو سهل بن أسباط الكاتب

قال [من السريع]:

إن كنت يا قلب عزمتَ الهوى فاستخرِ الله إذا قبْلا
ولا تكن يا قلب مثل الذي قدّم رجلاً وثنى رجلا
حتى تلاقي في الهوى أهله وقلّما تلقى له أهلا
لا توردنّي مورداً كلّما قطعت وحلاً ألتقى وحلا

* * *

٦٩ ـ عبد الله الصفري

قال يصف الشيب [من الطويل]:

بد الشيب في رأسي فقالت تعجّباً: لقد شبت من هجري وأنت صغيرُ
فقلت لها: لا غرو إن وصالكم يردّ شباب المرء وهو كبير

٧٠ ـ أبو العباس الكندي

قال يصف الندى على البحر [من الطويل]:

كأنّ الندى في البحر بحران مائعٌ على مائعٍ هذا على ذاك مطبقُ
فهذا لجينٌ سابحٌ مترقرقٌ وذاك لجينٌ في السماء معلّقُ

إذا أبصرته الشمس بعد احتجابها   له ساعة أبصرته يتمزّق

وقوله [من المتقارب]:

عذارك المنقطعُ المسبَلُ   يقطع عذري عند من يعذلُ
ووجهك المقبل إقبال منْ   أنت على طلعته مقبلُ
لا عشت أن أعدمه فالذي   يعدمه يعدم ما يأملُ

وقوله يصف السحاب [من الرجز]:

ساريةٌ في غسق الظلام   دانيةٌ من قلل الآكام
جاءت مجيء الجحفل اللهام   فافترقت كالإبل السوامي[1]
كأنّها والبرق ذا ابتسام   كتيبةٌ مذهبةُ الأعلام
دنت من الأرض بلا احتشام   ثم بكت بكاء مستهام
وانتشرتْ بسائغ الإنعام   وثروةٍ تحكم في الإعدام

٧١ ـ أحمد بن بدر المعروف بالبلاط

قال في ولده وقد حم [من الكامل]:

أعزز عليَّ بنيَّ ما تلقى   سدّت عليَّ شكاتك الطرُقا[2]
قد كنت بالحمىّ أحقُّ فليتني   ألقى من الحمّى الذي تلقى

٧٢ ـ أبو العباس الزوفي

أنشدت له في الشيب [من المنسرح]:

قد رابني من شبيبتي ريبُ   وفلّ من غِرب صبوتي الشيبُ

---

(١) الجحفل : الجيش الكثير العدد ، واللهام : العظيم ، والسوامي : المرسلة لترعى .
(٢) شكاتك : ألمك وما تشتكي منه .

وكـان ثـوب الشبـاب أحسن ملـــــبوسـاً بهـاءً فـأخلق الثـوبُ[1]
من عـابني بـالمشيب قلت لـه: صـدقت فـالشيب كـلّه عيـبُ
طـلائـع الشيـب كلّمـا طـلعتْ شـقٌّ عـلى ميـت الصِّبـا جيـبُ

عبد الوهاب بن جعفر الحاجب

أنشدت له [من الكامل]:

هـاتـرْ هـتـورُ بكـثـرةِ الفـرح واقـدحْ زنـاد اللهـو بـالقـدحِ[2]
وصلِ الغبوق إذا وصلت إلى الـــمسى ، وإن أصبحت فاصطبحِ
أبـردْ إلى النـدمـان رسلك مـا بَـرَدَ الـنّسيـم وغـنٍّ واقـتـرحِ
أصلح فسـاد العيش مـجتـهـداً ففسـاد عـمـرك غيـر منصلح

* * *

٧٤ ـ أبو بكر الموسوس المعروف بسيبويه

أبـو بكر هـذا من البصـرة . وكـان يشبّـه ـ في حضـور جـوابـه ، وبيـان خطابه . وحسن عبارته ، وكثـرة درايته ـ بـأبي العيناء، وكـان قد تنـاول البلاذر فعرضت له منه لوثة ، وكان الناس يتبعونـه ويكتبون عنـه ما يقـول. فقال يـوماً للمصريين «يا أهل مصر . أصحابنا البغداديون أحزم منكم ، لا يقولون باتخاذ الـولد حتى يقتنـوا له العقـدوالعدد ، فهم أبـدا يعزبـون . ولا يقولـون باتخـاذ العقار . خوفاً أن يملكهم شر الجار ، فهم أبداً يكنـزون . ولا يقولـون بإظهـار الغنى في موضع عرفوا فيه بالفقر ، فهم أبداً يسافرون».

ووقف يوماً بالجامع ـ وقد أخذت الحلق مأخذها ـ فقال « يا أهل مصر ،

---

(١) أخلق الثوب : بليَ ورثّ .
(٢) الهتور : الاستهتار والعبث .

حيطان المقابر أنفع منكم يُستَنَدُ إليها ويستدرى بها من الريح ، ويستظل بها من الشمس ، والبهائم خير منكم ، تمتطى ظهورها ، وتؤكل لحومها ، وتحتذى جلودها » .

وكان ابن خزابة الوزير ربما رفع أنفه تيهاً ، فقال له سيبويه وقد رآه فعل ذلك : أيشم الوزير رائحة كريهة فيشمر أنفه ؟ فأطرق واستعمل النهوض ، فخرج سيبويه فقال له رجل : من أين أقبلت ، فقال : من عند هذا الزاهي بنفسه ، المدل بعرسه . المستطيل على أبناء جنسه . وكانت زوجته ابنة الإخشيد.

وأخلى الحمام لمفلح ، فجاء سيبويه ليدخل فمنع ، وقيل له : الأمير مفلح داخل ، فقال: لا انقي الله مغسوله ، ولا بلغه رسوله ، ولا وقاه من العذاب مهوله . وجلس حتى خرج من الحمام ، فقال له : إن الحمام لا يخلى إلا لأحد ثلاث مبتلي في قبله ، أو مبتلي في دبره ، أو سلطان يخاف من شره ، فأي الثلاثة أنت ؟. ومن شعره [من الكامل] :

اعذرْ أخاك على رداءة خطِّهِ ... واغفرْ رداءته لجودة ضبطه
فالخطّ ليس يراد من تحسينه ... وبيانه إلّا إبانة سمطه[1]
فإذا أبان عن المعاني سمطه ... كانتْ ملاحته زيادة شرطه

* * *

أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن يونس المنجم

أنشدت له [من الكامل] :

غنّت فأخفت صوتها في عودها ... فكأنّما الصوتان صوت العودِ
غيداء تأمر عودها فيطيعها ... أبداً ويتبعها اتباعَ ودودِ

(١) السمط : ترتيبه ونظمه .

أنــدى من النّـوار صبحــاً صـوتهــا ... وأرقّ مـن نشــر الـثنــا الـمـعـهـود
فكــأنّمـا الصــوتـان حين تمــازجـا ... مــاء الـغـمــامــة وابـنــة العـنقــود

وقوله [من الطويل]:

سقى الله أحيــاء اللّوى كلّمــا سقى ... بضربٍ من المزن الكتهور هامـل[1]
إذا نثـرت ريحٌ جمــانٌ سحــابـةً ... غـدا وهـو حليٌّ للرياض العـواطـل
بــه خفق بـرقٍ ليس بين جــوانــحٍ ... ووسـواس رعـدٍ ليس بين مفــاصـل
إذا كــاد درّ الـبـرق يـلمس نـبتــه ... قلقّــاهُ درُّ النّـور بين الخمــائـل[2]

وقوله [من الكامل]:

يجــري النسيم على غـلالــة خـدِّهِ ... وأرقّ مــنــه مــا يــمــرُّ عــلـيـه
نــاولـتــه الـمــرآة يـنــظر وجـهــهُ ... فعكست فـتـنـة نـاظـريـه إلـيـه

وقوله [من الوافر]:

صــديقٌ قـد نــدمت على اختبـاري ... لــه لــمّــا تــأمــلّه اخــتــبــاري
يـنـمُّ بــســرٍّ مــســتــوعـيــه ســرّاً ... كــمــا نــمَّ الــظّلام بــســرٍّ نـار[3]
أنــمُّ من الـنـصــول عـلى مـشـيـبٍ ... ومـن صـافى الزّجــاج عـلى عقـارِ

وقوله [من الوافر]:

وذي حــرصٍ تــراه يـلّم وفـراً ... لـوارثــه ويـدفــع عـن حــمــاهُ
ككلب الصّـيــد يمســك وهـو طـاوٍ ... فـريــســتــه لــيــأكـلـهــا سـواهُ

وقوله [من السريع]:

لـكــل شـيء فـي الــورى آفــةٌ ... وآفــةُ الــمــرء من الـكـبْــرِ

---

(١) الكتهور : المتراكم من السحاب ، أو هو قطع منه كالجبال .
(٢) النَّور : الأزهار .
(٣) ينمُّ : يدل ويشير .

يحسب أن الكِبْرَ فخر له وليس غير العلم من فخْرِ

* * *

٧٦ ـ أبو القاسم عبد الغفار المصري

أنشدت له [من مجزوء الخفيف]:

إنّما الفضل غرّةٌ في وجوه المدائحِ
أريحيٌّ رياحه عبقاتُ الروائح
كعبة الجود كفّه بين غادٍ ورائح
إنّما تصلح الأمو ر برأي ابن صالح

* * *

٧٧ ـ أبو العباس أحمد بن مروان بن حماد النحوي

أنشدني ابن وهب له [من مجزوء الرمل]:

لم يطلْ ليلى ولكنْ سهري كان طويلا
وكذا ليس يلذّ الـ نوم من كانَ عليلا
يا غزالاً لم أجدْ عنـ ـه إلى الصّبر سبيلا
هبْ لعينٍ سهرتْ فيـ ـك من الغمض قليلا

* * *

٧٨ ـ محمد بن جعفر الأنصاري الكاتب المعروف بالقصير

من شعره [من السريع]:

قد طال منك المطل في الوعد لي وأنت في مطلك لا تخطي[1]

---

(١) ورد عجز البيت في بعض النسخ هكذا : « وأنت في مطلك لي تخطي » .

لـو كنت تعطي مـال مصـر ومـا ... حـوت مـن الـدور عـلى الـشطّ
ومـا لـدار الـضـرب من عـسجـدٍ ... لـكـان كـفـراً بـالـذي تـعـطي

* * *

٧٩ ـ أبو علي تميم بن معد صاحب مصر

أنشدني له علي بن مأمون المصيصي [من الكامل]:

يـا دهـر مـا أقـسـاك من مـتـلوّنٍ ... في حـالتيـك ومـا أقلَّك منصفـا
أتـروح للنكس الـجهـول مـمهـداً ... وعلى اللبيب الحرّ سيفاً مـرهفـا ؟
فـإذا صفوتَ كـدرت شيمـة بـاخـلٍ ... وإذا وفيتَ نقضت أسبـاب الـوفـا
لا أرتـضيـك وإن صـفـوت لأنـّنـي ... أدري بـأنـك لا تـدوم على الصّفـا
زمـنٌ إذا اعـطى اسـتـردّ عـطاءه ... وإذا استـقـام بـدا لـه فـتحـرّفـا
مـا قـام خيـرك يـا زمـان بشـرّهِ ... أولى بنـا مـا قـلَّ منـك ومـا كفى

وقوله [من الطويل]:

أيـا ديـر مـرخنـا سقتـك رعـود ... من الغيم تـهمي مـزنهـا وتـجـودُ
فـكم واصـلتنـا مـن ربـاك او انسٌ ... يـطفن علينـا بـالـمـدامـة غـيـدُ
وكم ناب عن نور الضحى فيك مبسمٌ ... ونـاب عـن الـورد الجني خـدودُ
ومـاست على الكثبان قضبـان فضّةٍ ... فـأثـقلهـا مِـنْ حملهـنّ نـهـودُ[1]
ليـاليَ أغـدو بين ثـوبيْ صبـابـةٍ ... ولهـوٍ ، وأيّـام الـزمـان هجـود[2]
وإذْ لمتي لم يـوقظِ الشيب ليـلهـا ... وإذْ أثَـري في الغـانيـات حميـدُ

---

(١) ماست : تمايلت بغنج ودلال ، والكثبان : جمع كثيب وهو التلُّ من الرمل .
(٢) هجود : راقدة .

وقوله [من البسيط] :

يا منتهى أملي لا تدن لي أجلي ولا تعذِّبْ ظنوني فيك بالظّنِ
إن كان وجهك وجهاً صيغ من قمرٍ فإنّ قدّك قد قدَّ من غُصُنِ

وأنشدني له من قصيدة أولها [من الطويل]:

* سرى البرق فارتاع الفؤاد المعذَّبُ *

يقول فيها :

وبات ضجيعي منه أهيف ناعمٌ وأدعجُ نشوانٌ وألعسُ أشنبُ(١)
كأنّ الدّجى في لون صدغيه طالعٌ وشمس الضّحى في صحن خدّيه تغربُ
وإني لألقي كلَّ خطبٍ بمهجةٍ يهون عليها منه ما يتصعّبُ
وأستصحب الأهوال في كلّ موطنٍ ويمزج لي السمّ الذعاف فأشربُ(٢)
فما الحرّ إلّا مَنْ تدرَّع عزمه ولم يك إلّا بالقنا يتنكّبُ(٣)
وما لي أخاف الحادثات كأنّني جهولٌ بأنَّ الموت ما منه مهربُ
خليلي ما في أكؤس الراح راحتي ولا في المثاني لذتي حين تضربُ
ولكنّني للمدح أرتاح والعلا وللجود والإعطاء أصبو وأطرب
ومن بين جنبيه كنفسي وهمتي يروح له فوق الكواكب موكبُ !

وقوله [من الطويل]:

إذا حان من شمس النّهار غروبُ تذكَّر مشتاقٌ وحنَّ حبيبُ

---

(١) الأدعج : من الدعج وهو سعة العين مع شدّة سوادها وشدّة بياضها ، والألعس : الذي في شفته سمرة ، والأشنب : البارد الرضاب .
(٢) الذعاف : القاتل .
(٣) تدرّع : جعله درعا ، ويتنكّب : يتكّل ويتكىء .

تُرى عندهم علمٌ وإنْ شطّت النوى ... بأنَّ لهم قلبي عليَّ رقيبُ
لهم كبدي دوني وقلبي ومهجتي ... ونفسي التي أدعى بها وأجيبُ
فآية حزني لوعةٌ وصبابةٌ ... وعنوان شيني زفرة ونحيب
وما بلد الإنسان إلاّ الذي له ... به سكنٌ يشتاقه وحبيب
إلى الله أشكو وشْكَ بينٍ وفرقةٍ ... لها بين أحشاء المحبِّ دبيبُ

وقوله [من الطويل]:

أما والذي لا يملك الأمر غيره ... ومن هو بالسّرّ المكتَّم أعلمُ
لئن كان كتمان المصائب مؤلماً ... لإعلانها عندي أشدُّ وآلم
وبي كل ما تشكو العيون أقلّه ... وإن كنت منه دائماً أتبسّمُ

وقوله ، وهو مما يتغنى به [من البسيط]:

قالت وقد نالها للبين أوجعه ... والبين صعبٌ على الأحباب موقعُهُ
اجعل يديك على قلبي فقد ضعفتْ ... قواه عن حمل ما فيه وأضلعه
واعطف عليَّ المطايا ساعةً فعسى ... من شتَّ شمل الهوى بالبين يجمعه
كأنّني يوم ولَّتْ حسرةً وأسىً ... غريق بحرٍ يرى الشاطي ويمنعه

وقوله [من الطويل]:

وغضبى من الإدلال والتّيه والهوى ... بلا غضبٍ سكرى الجفون بلا سكرِ
كأنّ على لبّاتها رونق الضحى ... وفي حيث يهوى القرط منها سنا الفجر(١)
ترى البدر مثل البدر في صحن خدّها ... وتفترّ عن مثل الجمان من الثغر

وقوله [من السريع]:

أما ترى الرعد بكى فاشتكى ... والبرق قد أومض فاستضحكا

---

(١) اللبة : موضع القلاد من الصدر ، والسنا : الضياء .

فاشرب على غيمٍ كصبغ الدجا أضحكَ وجه الأرض لمّا بكى
وانظر لماء النّيل في مدّهِ كأنّه صُندِلَ أو مُسِّكا

وقوله [من المنسرح]:

وليلةٍ بتها على طربٍ آخرها مشبه لأولاها
أقبِّل البرق من ترائبها وألثم الشمس من محيّاها[1]
سقتني الراح وهي خدّاها بأكؤس السكر وهي عيناها
إذا أرادت مزاحها جعلت بآخر اللحظ في فمي فاها
فيالها قهوةٌ معتّقةٌ وليس إلّا الخدود مأواها
حبابها الثغر حين يمزج لي ونقلها اللثم حين أسقاها[2]
لله أيامنا التي سلفتْ بدار حزوى ما كان أحلاها
فالقصر من حيرة الملوك إلى أعلى رباها الى مصلّاها
إذ نجتني اللهو من أصائلها والعزّ من فجرها ومغداها[3]
إن عرضتْ لذّةٌ ملكناها أو صعبتْ خطّةٌ حويناها

وقوله [من الطويل]:

وصفراء لم تطبخْ بنارٍ شربتها على وجه معشوق السّجا يا مقرطق[4]
كأنّ حباب الكأس من نظم ثغره وإشراقها من خدِّهِ المتألق

وقوله [من المنسرح]:

لو صوّرت خلقها إرادتها ما قدّرته كمثل ما قدّرا

---

(١) الترائب : جمع تريبة وهي موضع القلادة من الصدر .
(٢) الحباب : فقاع الخمر ، والنقل : ما يؤكل معها .
(٣) مغداها : أي وقت الغدو صباحاً .
(٤) المقرطق : الذي يلبس القرطق وهو نوعٌ من الثياب .

كـامسـك نشــراً ، والبـرق مبتسمــاً　　　والغصن قـداً ، والحقف مؤتـزرا[1]

وقوله [من السريع]:

شبّهتهـا بـالبـدر فـاستضحكتْ　　　وقـابـلتْ قـولـيَ بـالـنُّـكْـرِ
وسفّهـت قـولي وقـالـت : متى　　　سمجتُ حتّى صـرت كـالبـدر ؟[2]
والـبـدر لا يـرنـو بعـيـنٍ كـمـا　　　أرنـو ، ولا يـبـسـم عـن ثـغـر
ولا يـمـيط الـمـرط عـن نـاهـدٍ　　　ولا يـشـدّ الـعـقـد في نـحـر[3]
مـن قـاس بـالبـدر صفـاتي فـلا　　　زال أسـيـراً في يـديْ هـجـري

وقوله [من البسيط]:

نـاولتها شبـه خـدّيهـا مشعشعـةً　　　صـرفاً كـأنّ سناهـا ضـوء مقبـاسِ[4]
فقبلتْهـا وقـالـت وهي ضـاحكـةٌ　　　وكيف تسقى خـدود النـاس للنـاسِ
ألـيس خـدّاي ذابـا إذ لمستهـمـا　　　فـاستنبـطا قهـوةً حمـراءَ في الكـاس
قلت: اشـربي إنّها دمعي وحمـرتها　　　دمي وطـابخهـا في الكـأس أنفـاسي
قـالت: إذا كنت من حبي بكيت دماً　　　فسقّنيهـا على الـعينين والـراسِ
يـا ليـلةً بـات فيهـا البـدر معتنقي　　　وبـاتت الشمس فيها بعض جلّاسي
وبتُّ مستغنيـاً بـالثّغـر عن قـدحي　　　وبـالـخـدود عن الـتـفـاح والآسِ

وقوله [من الطويل]:

ومـا أمّ خشفٍ ظـلّ يـومـاً ولـيلةً　　　ببلقعـةٍ بيـداء ظمـآن صـاديـا[5]

---

(١) الحقف : المعوجّ من الرمل .
(٢) سمجت : أصبحت ثقيلة .
(٣) يميط : يزيح ، والمرط : الثوب .
(٤) المقباس : الضوء والسّراج .
(٥) البلقع : الأرض الخالية التي لا شيء فيها .

تهيم فـلا تـدري إلى أيـن تنتهـي مـولهـةً حيـرى تجـوب الفيـافيا
أضـرَّ بهـا حـرّ الهجير فلم تجـدْ لغلّتهـا من بـارد المـاء شـافيـا
إذا بعـدت عن خشفها انعطفتْ لـه فـألفتـه ملهـوفـاً إلى الجـوع ظـاميا
بـأوجعَ مني يـوم شـدّوا رحـالهم ونـادى منادي الحي أن لا تـلاقيا

وقوله مفتخراً [من الكامل]:

ألـقى الـكمـيَّ فـلا أخـاف لقـاءه ويفـلُّ إقـدامي شبـا الحـدثـانِ[1]
وأكـرّ في صـدر الخميس معـانقـاً للمـوت حين يفـرّ كـلّ جبـانِ[2]
ويـزيـدني كـلّ الخطوب تعـظّمـاً وتسـلُّـط الأيام عـزّ مـكـان
وعلمت أخـلاق الـزمـان فلم أضقْ ذرعـاً بـأيـامـي وغـر زمـانـي
وكمـا يملّ الـدهـر من إعـطائـه فـكـذا مـلالـتـهُ مـن الـحـرمـان
وكـمـا يكـرُّ لـمعشـرٍ بسـعـادةٍ فـكـذا يـكـرّ لـمعـشـرٍ بـهـوان
فـإذا رمـاك بشـدَّةٍ فـاصبـرْ لهـا فلسـوف يـأتي بـعـدهـا بـلَيَـانِ
وسـلِ الليـالي عن نفـاذ عـزيمتي وسلِ الحـوادث عن ثبـات جناني
يـخبـرك عـنّي أننّـي لـم ألـقهـا بـيـن الـعـزائـم واهـن الأركـان
اصبـحـت لا أشـتـاق إلاّ لـلنّـدى إلفـاً ولا أهـوى سـوى الإحسـان
وإذا السيـوف قـطعن كـلَّ ضـريبـة قـطع السيـوف القـاطعـات لسـاني

وقوله [من الخفيف]:

اسـقيـانـي فلسـت أصغـي لعـذلِ لـيس إلا تـعـلَّةُ الـنـفـس شـغـلي
أأطيـع العـذول فـي ضـدّ مـا أهــوى كـأنّي اتهمت رأيـي وعقـلي
عـلّلانـي بـهـا فـقـد أقبـل الـليـل كلون الصـدود من بعـد وصـلِ

(١) الشبا : حدّ السيف والسهم والنصل والحدثان : الليل والنهار .
(٢) أكرّ : أقدم وأهجم ، والخميس : الجيش .

وانجلى الغيم بعدما أضحك الرو ض بكاء السّحاب فيه بوبل
عن هلالٍ كصولجان نضارٍ في سماءٍ كأنّها جامُ ذبل[1]

أحسن في هذا التشبيه ما شاء ! وقوله [من الطويل] :

إذا هبّ سلطان المريسيّ نافحاً سُحَيْراً وحلّ القرُّ كلّ نقابِ[2]
ومدّ على الأفق الغمام ثيابه فقمْ فالقه في عدّةٍ وحرابِ
بكنٍّ وكانونٍ وكأس مدامةٍ وكيسٍ وكسٍ وافرٍ وكباب[3]

وقوله [من الكامل] :

ورد الخدود أرقُّ منْ ورد الرياض وأنعمُ
هذا تنشَّقُهُ الأنو ف وذا يقبّله الفمُ
فإذا علت فأفضل الـ وردين وردٌ يُلْثَمُ
هذا يُشَمُّ ولا يضمُّ وذا يضمُّ ويشمم

وأنشدني المصيصي له [من المنسرح] :

وجنّةِ من شفّني هواه ومنْ أفنيت فيه دموع آماقي
كأنّما الصيرفيُّ دنَّر ما يحمر منها ودرهم الباقي

وأنشدني له أبو الحسن علي بن مأمون المصيصي من قصيدة مخمسة اولها [من الهزج] :

دمُ العشاق مطلول ودَيْنُ الحبِّ ممطولُ[4]

---

(١) الجام : الإناء ، وذبل : مصنوع من عظام بحرية .
(٢) سحيراً : وقت السحر ، والقرّ : البرد .
(٣) الكنّ : البيت والستر .
(٤) مطلول : مسفوك ، والمطل : التسويف وعدم الوفاء بالوعد .

وسـيـف اللحظ مـسلول ومـبـدا الـحـب مـعزولُ
وإن لم يصغ لِلآثمْ

إذا لـم يـظهـر الـحبّ ولـم يـنـهـتك الـصبُّ
ويـفـشـي سـرّه الـقلبُ فـجملة ما ادّعـى كـذبُ
فبُحْ يا أيّها الكاتم(١)

وأحـور سـاهـر الـطرفِ يـفـوق جـوامع الـوصـفِ
مـليـح الـدلِّ والـظُّرفِ جنـت ألـحاظـه حتـفي
فمن يعدي على الظالم

أطـاع جـفـونـه الـسّـحـرُ وذلّ لـوجـهـه الـبدرُ
ومـاد بـردفه الـخـصـرُ وأشـبـه ثـغـره الـدرُّ
فقلب محبِّه هائمْ ؟

يـعـنّـفـنـي عـلى حبـيّ ويـهـجرني بـلا ذنـبِ
كـأنّـي لـست بـالـصَّـبِّ لـقـهـوة ريـقـه الـعذبِ(٢)
أما في الحب من راحم ؟

غـزالٌ لـحـظه شَـرَكُـهْ وبـدرٌ ثـوبـه فَـلَـكُـهْ
لـو أنـي كـنـت أمـتـلِكُـهْ فـأنهب مـا حـوت تِكَكُـه(٣)
نـهاب الظافر الغانم

خـذوا بـدمـي قـنـا الـقـدّ وحـسـن تـورّد الـخدّ

(١) باح : أعلن .
(٢) الصبّ : العاشق .
(٣) التكّة : حبل يربط به السروال .

وليل الشعرّ الجعد   وثقل الكفل النّهد

وسقم الأعين الدائم

متى يظفر بالوصل   وينفي الجور بالعدلِ
محبٌّ دائم الخبل   سليب الصبر والعقل

كئيبٌ مدنفٌ هائم

بحسن الأعين النجل   وعضٍّ الوقف والحجل[1]
وذاك القصب الجدل   وريقٍ كجنا النحل

وثغرٍ يطمع الشائم[2]

سلوا الشمس التي طلعتْ   علينا ثمَّ ما أفلتْ
عسى ترثي لمن قتلتْ   بعينيها وما علمتْ

فقد يستعطف العالمْ

أما والخرَّدِ الصّفرِ   شبيهات سنا البدرِ
وألوان صفا الخمر   لقد أضرمْنَ في صدري[3]

غراماً ليس بالنائمْ

وراحٍ تبعث الطربا   وتحيي الظُّرف والأدبا
يثير مزاجها حببا   تخال به عيون دبى[4]

---

(١) النجل : الواسعة ، والوقف : السِّوار في يد المرأة .

(٢) الشائم : الناظر والمتطلع .

(٣) أضرمن : أوقدن النار .

(٤) الدّبى : الجراد .

ودرّاً صفَّــهُ الناظمْ

أمـا والــجــمـرة الـكـبــرى وزمـزم والــصــفـا ومــنــى
ومـن لــبــى بــهـا ودعــا وطـاف الـبـيــت ثـم سـعـى

خميصاً مخبتاً صـائمْ[1]

لـقـد أضـحـى لـنـا خـلـفـا نـزارٌ وابـتـنـى شـرفـا
وأصــبــح خـامـس الـخـلـفـا وأحــيـا سـعـيـه الـسـلـفـا

وأضحى بالهدى قائمْ

نـمى فـي الـمـجـد عنـصـره وطـال الـنّـجـم مـفـخـره
وفــاق الــبـدر مــنــظـره فـصـرف الـدهـر يـحـذره

أبيٌّ ليِّنٌ صـــارمْ

وقوله في الراي [من الوافر]:

كـأنَّ الــراي حين أتـى طـريـاً بـأذنـابٍ كمجمـرة العـقيـقِ[2]
بـإسـقـيَّـاتِ بـلّـورٍ لـطافٍ بـأسفلهـا بقـايـا مـن رحيـق

٨٠ ـ محمد بن أبي مروان بن أخي المستنصر بالله

المدعو الخليفة بالأندلس ، وهو الحكم بن عبد الرحمن المرواني من شعره [من الطويل]:

ومـا كـان من عـطفٍ عليّ حـديثهـا ولكنْ لتعـذيـب الفـؤاد المـعـذَّبِ
حديثٌ لو استسقت به الصخر جادها بـأعـذبَ من صوبِ الغمـام وأطيبِ

---

(١) الخميص : الجائع ، والمخبت .

(٢) الراي : نوعٌ من السمك .

وقوله [من مخلع البسيط]:

راجعه شوقه فحنّا   وشفّه شجْوهُ فأنّا[1]
وسال من دمعه مصون   أظهر ما كان مستكنّا
فعاد فيه الهوى يقيناً   وكان عند الرقيب ظنّا
لو كان يلقى الذي تلاقي   أوسعه رحمةً ومنّا

وقوله [من الخفيف]:

بين أجفانها وبين ضلوعي   نازعتني الحياة أيدي المنونِ
لست أدري أعن مدى طرفها الفا   تن موتي أم طرفي المفتونِ

وقوله [من الخفيف]:

قد رضيت الهوى لنفسيَ خلّا   ورأيت الممات في الحبِّ سهلا
وتذلّلت للحبيب وعزّ الـ   صبّ في سنة الهوى ان يذلّا
بأبي من أحلَّ قتليَ عمداً   وهنيئاً لسيدى ما استحلّا
سوف أجزي الحبيب بالصدِّود ودّاً   مستجدّاً وبالقطيعة وصلا
وإذا ما استزاد تيهاً وعُجْباً   زدت نفسي له خضوعاً وذلّا

وقوله [من الخفيف]:

غير مستنكرٍ همول دموعي   في التّصابي وغير بدعٍ خشوعي
ليس عزّي إلّا فناءُ عزائي   وسنائي إلّا بقاء خضوعي
وبحسبي أنّي ألاقي عذولي   باصطبارٍ عاصٍ ودمع مطيع

وقوله [من الطويل]:

أعِدْ نظراً واستوقف الطرف منعماً   تجدْ كَلِفاً صبّا بحبِّكَ مغرما

---

(١) أنّا : من الأنين ويكون وقت المرض .

سرى الحبُّ في أخلاقه فأرقّها ... وعلّمهُ احكامه فتعلّما
ولست تراه سائلاً منك عطفةً ... حذاراً من التقبيل إلاّ توهّما
فإن جدت لاقته الحياة كريمةً ... وإن لم تجد لاقى الحمام مقدّها

وقوله [من الطويل]:

لئن وعدتني وصلها وعدَ عاتبٍ ... يجاحدني وعدي وينكرني حقّي
فأفضل ثوب الغيث في الأرض دافقٌ ... وأبلغه ما جاء بالرّعد والبرقِ
فإن ما نعتني فضل إنجاز موعدٍ ... فإنّ الحيا الممنوع أشهى الى الخلق
فلا كان لي في الأرض رزقٌ أناله ... إذا لم يكن في نيل موعدها رزقي

وقوله [من الخفيف]:

ياربيعي ما كان ضرّك لوجد ... ت علينا كما يجود الربيعُ
ورده ذاهبٌ ووردك باقٍ ... وهو سهلٌ به وأنت منوعُ
كن شفيعي إليك ياجنّة الخلـ ... ـد فمالي غير الخضوع شفيعُ

وقوله [من الخفيف]:

كم تصابٍ أردفته بتصاب ... واصطباحٍ وصلته باغتباق
وكؤوسٍ عاطيتها بدر تمٍّ ... جلّ أن يعتريه نقصُ المحاق
وغصونٍ جنيت منها ثماراً ... لم يشنها تساقط الأوراق
زمنٌ بكيته حسب وجدي ... كنت أبكيه من دم الأحداق

وقوله [من الطويل]:

ومختطفٍ للعين بتُّ أشيمه ... مجالسةً والليل حيران مطرقُ[1]
سرى يخبط الظلماء حتّى كأنّه ... بوجديَ يسرى أو بقلبي يخفق

---

(١) أشيمه : أتبعه وأنظر إليه .

وقوله [من الطويل]:

تبـدّت بـأكنـاف الحجـاز ديـارهـا ... فـأوقد نـار الوجـد في القلب نـارُهـا
كـأنّ بـأنفـاسي استمدّ ضـرامهـا ... وعن كبدي الحرّى تلظّي استعارها[1]
يحنّ إليهـا الـقلب حتّى كـأنّـمـا ... إليـه تنـاهيهـا ومنـه انتشـارهـا

وقوله [من الطويل]:

ولمـا حمى الشوق المبّرح نـاظري ... كـراه حـذاراً أن يـريـني مثـالـه
شـربت عقـاراً أذكـرتني بـريقـه ... وأهـدت كـرىً اهـدى إليَّ خيـالـه
فـهـلْ هي إلاّ نـعمـةٌ مسـترقّـةٌ ... أنـالت يـدي مـا لم أؤمـلْ نـوالـه

* * *

٨١ ـ حبيب بن أحمد الأندلسي

قال [من الخفيف]:

ودعـتـنـي بـزفـرةٍ واعـتـنـاقِ ... ثم نـادت متى يكـون التـلاقي ؟
وتصـدّت فـأشـرق الصُّبـح منهـا ... بـين تـلك الجيـوب والأطـواقِ
يـا سقيم الجفـون من غيـر سقمٍ ... بين عينيـك مصـرعُ الـعشّـاقِ
إنّ يـوم الـفـراق أفـظعُ يـومٍ ... ليتني مـتُّ قبـل يـوم الـفـراق

وله [من الرمل]:

هـيَّـج الـبـيـن دواعـي سـقـمي ... وكـسـا جـسـمـيَ ثـوبَ الألـمِ
أيّـهـا الـبـيـن أقـلـني مـرَّةٍ ... فـإذا عـدت فـقـد حـلّ دمـي
يـا خـليَّ الـروع نـمْ في غـبـطةٍ ... إنّ مـن فـارقـتـه لـم يـنـمِ

---

(١) تلظّى استعارها : أي وهج اتقادها .

ولقد هاج لقلبي سقماً حبٌّ من لو شاء داوى سقمي

وقوله [من الخفيف]:

وجنّةٍ كالربيع جاد عليها من حياءٍ لا من حياً وسْميُّ
ووجوهٍ قلبتها كالدّنانير ومثلي لمثلها صيرفيُّ
تتهادى الرياح منها نسيماً شابه عنبرٌ ومسكٌ ذكيٌّ[1]

وقوله [من الطويل]:

ألا بأبي من قلبه غير مشفقٍ عليَّ ، ولي قلبٌ عليه شفيقُ
وإني لأبدي للوشاة تبسُّماً وإنسان عيني في الدموع غريقُ[2]
وكم شافهتني للصبا أرْيحيَّةٌ ومازج ريقي للأحبّة ريقُ

* * *

تم ـ بحمد الله تعالى وحسن توفيقه ـ مراجعة الجزء الأول من كتاب يتيمة الدهر ، في محاسن اهل العصر « لأبي منصور الثعالبي . ويليه ـ إن شاء الله تعالى ـ الجزء الثاني ، مفتتحا بترجمة « الوزير أبي مروان عبد الملك بن جهور » نسأل الله المعونة والتوفيق إلى إكماله .

---

(١) شابه : خالطه ومازجه .

(٢) إنسان عيني : بؤبؤ ناظرها .

الفهـــرس

الموضوع	الصفحة

الباب الرابع

الباب الخامس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الباب السادس

الباب السابع

الباب الثامن

الموضوع	الصفحة

الباب التاسع

الموضوع	الصفحة